

القبسات

من فكر المرجع الديني آية الله العظمى
السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله)

اعداد مؤسسة النبأ للثقافة والاعلام
<http://annabaa.org>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

تحتاج الأمم والشعوب الى نهل الفكر السليم المعطاء لكي تتجاوز تحديات المعاصرة ومستجدات الحداثة وإشكاليات تداولية الأفكار والمفاهيم والنمو المتضخم في إنتاج الأزمات في عالم اليوم.

هذه الحاجة هي أعمق من التوصيف وابعد من الدلالة عليها، لأنها تتحفز الى التجسيد عبر السعي الى .. والتفاعل مع .. والاقتباس من .. ذلك الفكر المتمكن من الامتداد مع تفاصيل الحياة الدقيقة والقادر على النهوض بها بشكل متوازن ومتناسق مع الحق والحقيقة، مع الدين والعلم، ومتناغم مع أهداف الأمة المشروعة في سبيل حياة أفضل.

ولكنه أي فكر!؟

انه فكر المرجع الديني الكبير آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله)، انه الفكر المضيء الصادر من مصباح القران والنبوة والإمامة، انه الفكر الممتد مع الأمة والفرد والمجتمع في آمالها وهمومها ومشاكلها وأزماتها وتطلعاتها وأوجاعها، انه الفكر الذي يغذي الحياة بمناهج السمو والتطور والرفعة، انه الفكر الذي يسعى الى بناء الذات وبناء المجتمع، انه الفكر الذي ينمي ويعالج ويربي ويرشد ويعلم ويثقف ، انه الفكر المنفتح على هموم الإنسان وأزمات المجتمع وآمال الأمة بلا نخبوية ولا انعزالية ولا فوقية ولا طبقية، انه الفكر السامق في أطروحاته المتعايش لهموم الناس

ومشاكلهم وإرهاصات حياتهم السياسية والدينية والاجتماعية والثقافية والتربوية.

والى ذلك الفكر المبدع المعطاء وردناه آنسين فيه حلولاً لأزماتنا، ومنهجاً لأعمالنا، وعلاجاً لأوجاعنا، وضمادة لجراحنا، ووسائلاً لتحقيق أهدافنا، فصدرنا عنه بهذه القبسات المضيئة والمثمرة والتي ما أخرجنا الى نورها وعطائها.

هي قبسات تنير دروب الحياة وترشد الى مسالك الحق وترشد الإنسان والمجتمع برؤى لتطوره المستقبلي في ميادين الحياة وأفاق الفكر.

هي قبسات من مصدر امتزجت فيه ينابيع الحكمة بينابيع العلم وتجسدت عبره تجربة إنسانية سامية قدمت فيها الحكمة عصارة الحق، وقدم فيها العلم خلاصة الحقيقة، وقدمت فيها الإنسانية شذرات تجربتها في معارج السمو، فكانت وتكون قراءة للباحث وافقاً للمتأمل ونهج بناء للفرد والمجتمع.

هي قبسات من فكر غذاه الإسلام فأشرق بانتمائه، وسواه القرآن فتسامق باعتداله، ورسمت آفاقه النبوة فاتسع في امتداده، وكانت تربته الإمامة فطابت منابته وثماره، وفوق سطور المرجعية سارت كلماته ومفاهيمه فصدقت اعتداله، وبالرغم من اتساع بحر الحياة المعاصرة فقد أحاطت بها سواحله، واليوم نحن في هذا الكتاب نتوقف في بعض مرافق ذلك الفكر العملاق الذي تعمق في تفاصيل الحياة اليومية للفرد والجماعات والمجتمع وتوسع في امتداداتها بتفرعاتها الدقيقة.

هذه القبسات المعطاء ليست خبط عشواء من فكر كله إبداع وسمو بل إنها قبسات تحرينا قدر الإمكان أن تعالج قضايا وهموم الفرد والأسرة

والجماعة والمؤسسة والمجتمع، تحريبا أن تكون مرشدا ومرجعا للخطاب المتداول في بناء الذات وفي إدارة حل الأزمات وفي الالتزام الأخلاقي وفي بناء خطاب ووعي سياسي سليم ومسؤول.

انه خطاب موجه للقائد السياسي والناشط الاجتماعي، للرجل وللمرأة، للشباب وللمربين.

إن المنهج الذي اتبعناه في عرض هذه القبسات من فكر المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي هو كالاتي:

١- إن الإنسان هو حجر الزاوية في الرسائل السماوية وفي مناهجها في بناء المجتمع وان إصلاح الإنسان هو الطريق لإصلاح المجتمع سواء مثل المجتمع بأصغر مؤسسة اجتماعية فيه وهي الأسرة أو باتساعه الأكبر في الأمة تأسيسا على مقولات التشريع الإسلامي في القران والسنة ومرويات الأئمة عليهم السلام لذا كان الاهتمام كبيرا بجوانب بناء الإنسان بشكل سليم وصحيح على المستوى الروحي والأخلاقي والذاتي والأسري والثقافي والسياسي، وبالمقابل كان هناك اهتمام بالبناء الذاتي للفرد باعتباره عضوا في مؤسسة اجتماعية أو دينية أو سياسية أو ثقافية فكانت هناك محاور من القبسات اهتمت ببناء القائد السياسي والمربي ورجل الدين والمثقف المسؤول.

٢- كان هناك اهتمام كبير في التوجيه والإرشاد في مجموعة من المحاور وبالمقابل فقد وجدنا إن من الضروري أن لا نكتفي بالتوجيه والإرشاد كما في بعض مواضيع (اضاءات سياسية) بل قدمنا قبسات مضيئة أيضا من التحليل السليم وإثراء الرؤية من خلال نمذجة التحليل مع أحداث وهموم سياسية يعيشها الإنسان يوميا وتمارس ضغوطا على واقعه وترمي بظلالها عليه.

٣- إن الإرشاد والتوجيه والنصيحة في قضايا مهمة وخطيرة تمس حياة الناس تستدعي تحليلاً واضاءات للأحداث والمشاكل والأزمات في أبعادها الاجتماعية والسياسية والثقافية، ولكي نضع أسس صحيحة للتعامل المستقبلي مع مستحدثات العصر ومشاكله لا بد وان ننطلق من مقدمات صحيحة وسليمة للتقييم والتقويم، لذا كان لا بد وان نقدم محاور تهتم بمفاهيم تأسيسية خصوصاً في العلاقة مع الله سبحانه، وفي التطوير الذاتي وفي بناء المجتمع وفي مجالات العلاقات الاجتماعية والثقافة والحرية والنظم السياسية ومكوناتها.

٤- اهتمت محاور القبسات الفكرية من فكر المرجع السيد الشيرازي بتقديم قضايا محورية في الحياة المعاصرة، تلك القضايا التي تعالج إشكاليات بناء الإنسان والعلاقات الاجتماعية ودور المرأة وحريتها ووظيفة الثقافة وأهميتها ودور الشباب ومفهوم الحرية في الأبعاد المختلفة وأهمية القيادة ونمذجتها في الواقع المعاصر.

٥- الاهتمام بتقديم الشعائر الحسينية وتنوع أدوارها وفاعلية تأثيراتها على جميع شرائح المجتمع وفي جميع المستويات وتقديمها عبر عدة جوانب من الحياة السياسية والثقافية والدينية والاجتماعية.

٦- إن هذه القبسات هي مقالات نشرت في (شبكة النبأ المعلوماتية) على مساحة من الزمن وكانت تعبيراً عما يشغل بال القراء وما يتساءلون حوله او ما يرغبون بمعرفة كيفية التعامل او التفاعل معه، لذا فان انتماء هذه القبسات للنسيج الفكري والعملية المعاش هو انتماء قار وعميق بل وصادر عنه.

وهذه الباقية من القبسات من فكر المرجع الديني آية الله العظمى السيد

صادق الحسيني الشيرازي هي بداية ندعو الله عز وجل ان يوفقنا في ديمومتها في أجزاء أخرى لإتمام الفائدة ولاكتمال الرؤية. وإنها لبداية متواضعة ومحاولة بكر في رحلة الألف ميل فلعلنا بها نخطو الخطوة الأولى ولعلنا بها نستثير تفكير الباحثين لتأملها وإثرائها حتى تكتمل جميع جوانبها لنقدم ما فيه الفائدة للإنسان والمجتمع والأمة وهذه هي الغاية النهائية من ارتيادنا لهذا الفكر المعطاء.

والله الموفق لما فيه الخير...

مؤسسة النبأ للثقافة والاعلام

الباب الأول

بناء الذات.. المناهج والأساليب

الفصل الأول: خارطة طريق للتطوير والتغيير الذاتي

- ◆ التغيير الذاتي ومعايير النجا
- ◆ ما هو السرّ في تحقيق الشخصية الناجحة
- ◆ تطور الإنسان سنّة من سنن الحياة
- ◆ مراجعة الذات وتهذيب النفس من العيوب
- ◆ فرص الإصلاح بجهود استثنائية.. أصحاب الحجر نموذجاً
- ◆ إصلاح الذات... خطوة أولى في القضاء على منظومة الفساد
- ◆ النقد الذاتي أساس التعلم
- ◆ رمزية الأخلاق والدور الرائد لبناء المجتمع
- ◆ الأخلاق الجوهرية تعني صناعة الانسان
- ◆ العلم والأخلاق ركيزتان أساسيتان لتطور الإنسان
- ◆ سعادة الانسان بين السعي والتوافق مع الذات
- ◆ لنبحث عن القدوة الحسنة
- ◆ طريق طلب العلم وتجاوز المعوقات
- ◆ سعادة الانسان والعوامل المساعدة على تحقيقها
- ◆ لا لتقمص الفضائل
- ◆ أهمية الموازنة بين الواجبات والمحرمات
- ◆ أهمية الكلام وقوة تأثيره في الآخرين
- ◆ الحرص والكفاف ضمان حياة ناجحة

الفصل الثاني: التهديب الأخلاقي ومحاسبة الذات

- ◆ هوى النفس عدو الانسان الأول
- ◆ الدعاء والسعي الى مكارم الرحمة الإلهية
- ◆ محاسبة النفس أسهل الطرق لبنائها
- ◆ الرقابة الذاتية ودورها في تقويم النفس
- ◆ الاخلاق تقود العالم أجمع الى مرفأ الأمان
- ◆ الاخلاص في العمل ودوره في تطوير الفرد والمجتمع
- ◆ متى وكيف يكون الإنسان في نور الله تعالى
- ◆ الموازنة الدقيقة بين المادي والمعنوي

الفصل الثالث: بناء الذات بين الصمت والتفكير

- ◆ التأمل والتفكير طريق الرقيّ والإبداع
- ◆ كيف يكون السكوت طريق الرقيّ؟
- ◆ حكمة الصمت ووجوب الكلام
- ◆ السكوت طريق الرقيّ... والتأمل طريق الصواب

الفصل الرابع: شهر رمضان.. فرصة التغيير والبناء

- ◆ شهر رمضان المبارك وإمكانية بناء الذات
- ◆ الإنسان وكرامة الله في شهر رمضان المبارك
- ◆ شهر رمضان المبارك فرصة الإنسان للهداية وتزكية النفس
- ◆ شهر رمضان فرصة الانسان للتقدم والاستقرار
- ◆ شهر رمضان والعمل على بناء النفس والمجتمع

الفصل الأول: خارطة طريق للتطوير الذاتي

(١)

التغيير الذاتي ومعايير النجاح

مفردة التغيير غالبا ما يُقصدُ بها، التجديد، أو تحويل مسار الحياة نحو الأفضل، توافقا مع الطبيعة البشرية التي تبحث عن الأفضلية دائما، لذا ينصح العلماء والمصلحون والمفكرون المختصون بتحسين الحياة، من خلال التغيير نحو الأفضل، عبر انتهاج سبل وطرائق نفسية وعملية تساعد الانسان على أن يكون ناجحا ومقبولا لدى الجميع، بسبب احترامه لحقوق الآخرين وقبوله بالمكاسب التي تتحقق له، وعدم حزنه على الخسائر والتضحيات التي قد يتعرض لها، فالحياة كما يقول العارفون أخذ وعطاء، ولا يمكن أن تسيير بوتيرة واحدة، لذا على الانسان أن يكون مهيبًا نفسيا لقبول الريح والخسارة في الوقت نفسه، على أن يبقى هاجس التغيير نحو الأفضل موجودا في ذاته، وفقا للمعايير والضوابط الإنسانية المستمدة من الدين والعرف السائد بين الجميع.

تربية الذات وكبح جموحها

يتطلب هذا الهدف (التغيير) كبحاً لميول النفس، حتّى متواصلاً للتمسك بالمبادئ السليمة، وعدم الانجرار وراء ميول النفس، فهي غالباً ما تدفع صاحبها الى ما يريحها وفقاً للغرائز البشرية المعروفة، لذا لا بد أن ينتهج الانسان لتحقيق التغيير، مساراً واضحاً يتمثل بتبسيط الحياة، ومن وسائل تحقيق ذلك، الزهد وعدم الفرح بالمكاسب أو الحزن على الخسائر، وما الى ذلك من معايير تنحو الى اليسر والبساطة، لأن الحياة يمكن تسميتها برحلة الخسائر والأرباح، لذا على الانسان أن يروض نفسه على ذلك، طالما أن الامر له علاقة بالإرادة الإلهية.

يقول سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله) في إحدى محاضراته القيمة حول هذا الموضوع: (ليس الزهد أن تمتنع عن الطعام والشراب أو التملك أو النكاح، بل حقيقة الزهد أن لا تأسى ولا تحزن على ما فاتك من ثروات وقدرات مهما كان نوعها، ولا تفرح بما أوتيت مثل ذلك. وهذه منزلة لا يبلغها المرء بسهولة بل لا بد له أولاً من تمرين متواصل وترويض مستمر).

والتغيير هنا ليس معنياً بطبائع الانسان المتجذرة في ذاته، لأنها ليست قابلة للتغيير، ولكن هناك درجات يمكن التحكم بها ذاتياً، من خلال إرادة الانسان نفسها، إذ يقول سماحة المرجع الشيرازي بهذا الخصوص: (ليس المقصود تغيير جذور الطبيعة والعنصر الثابت فيها، بل المقصود درجات الشدة والضعف والآثار واللوازم التي تترتب عليها. فنفس الناس ميالة في الغالب للدعة والراحة، ولا رغبة لها في الأعمال التي تتطلب جهداً مضاعفاً كطلب العلم مثلاً، ولكننا نرى بعضهم يتغير بفعل الضغوط المختلفة سواء من

ذاته أو من الآخرين، فيشمر عن ساعد الجدّ ويصبح عنده شوق إلى الدراسة بحيث يتحمّل سهر الليالي وشظف العيش من أجل الوصول إلى هدفه).

إنتهاج الطرائق الانسانية للنجاح

وهكذا فإن قضية التغيير تتعلق بالذات أولاً واستعداد الانسان للنجاح والعمل الدؤوب من اجل تحقيق الهدف المطلوب، ولكن ينبغي أن يتم ذلك بالطرائق الانسانية المتفق عليها، أي من دون الاضرار بحقوق ومصالح الآخرين، خاصة اذا عرفنا أن النجاحات والخسائر لا تتعلق بذات الانسان وحده ولا ينبغي له أن يفرح او يحزن كثيراً بهذا الخصوص، علماً أن الاستعداد لتغيير الذات من حال الى حال يختلف من شخص الى آخر كما يقول سماحة المرجع الشيرازي: (أجل، يختلف الناس في سرعة التغيير وشدته. فبعض الطباع تتغير بسرعة فيما بعضها الآخر يتغير ببطء. وكلما استحضر الإنسان المنافع التي سيجنيها والمضار التي سيدفعها من التغيير، زاد من سرعة تغييره. وكما تختلف النفوس، فكذلك تختلف الغرائز والطباع في قوتها وضعفها).

وفي التركيبة النفسية للانسان تتجذر الطباع التي تنطوي على أضرار بحقوق الآخرين من اجل تحقيق المصالح الذاتية، هنا لابد للانسان أن يعتمد المعايير الصحيحة للتغيير متمثلة بالتعاليم الدينية والاعراف الايجابية المتفق عليها، إن حب السلطة والجاه من الطباع المتأصلة في ذات الانسان، ولكن هذا لا يعني عدم القدرة على احداث التغيير المطلوب نحو الافضل، لذا يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا المجال: (إن حب الجاه من الطباع الأصلية والقوية عند الإنسان. وكذلك قد تختلف الأجواء والظروف وعوامل الوراثة والبيئة والتربية وغيرها. إلا أن الأمر المسلّم أن أصل التغيير ممكن).

ما يملكه الانسان امانة في عنقه

إن أساس الاخطاء التي يرتكبها الانسان تجاه الآخرين، هو حبه لذاته، وعدم سيطرته عليها، وبحثه وسعيه الدؤوب لتحقيق النجاحات، حتى لو تمّتْ بأسلوب التجاوز على الآخرين، لذا لابد أن يتجاوز الانسان عقبة (الفرح بالنجاح والحزن من الخسارة)، وعليه أن يتعلم ويؤمن بأن كل ما يملكه هو امانة في عنقه، ولتحقيق هذا الهدف يقول سماحة المرجع الشيرازي: (كيف يستطيع الإنسان أن يكيّف نفسه لكيلا تأسى على ما فاتها ولا تفرح بما أوتيت؟ للإجابة أقول: هناك طريق واحد، حيث كل الطرق ترجع إليه، وهو ما افتتحنا به الحديث، بأن يتذكّر الإنسان دائماً أنّ كل شيء امانة في رقبته وعارية لديه، وأنّ الأمانة لا بدّ من إرجاعها يوماً إلى صاحبها ومالكها الحقيقي. فالمال امانة والعلم امانة والجاه امانة وكذا الصحّة والأولاد والأهل والزوجة والعقار وجسمه وروحه وكل شيء عنده هو امانة، حتى السفر مثلاً لو كانت وسائله مهيأة له ولكنه لأسباب لم يتحقق لا ينبغي له أن يحزن لأنّه كان امانة! وإذا استطاع الإنسان أن يركّز على هذا الأمر فستخفّ الوطأة عنده شيئاً فشيئاً حتى يبلغ مرتبة يصدق عليه أنّه لا ييأس على ما فاته ولا يفرح بما أتاه).

لذا يتطلب بلوغ هذه المرتبة نوعاً من تربية الذات وتغييرها، وهو أمر يتحقق بالتربية السلوكية والنفسية للانسان، لهذا يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا الصدد: (إنّ تألم الإنسان لفقدان بعض الأشياء - كالصحّة مثلاً - أمر فطري، ولكن التربية تخفّف الوطأة على الإنسان وتزيل الألم المضاعف. فتارة يتألم الإنسان بدنياً بسبب مرض ألمّ به، وتارة يتألم نفسياً نتيجة الشعور بفقدان الصحة، وهذا أيضاً شيء طبيعي، ولكن التركيز على الألم النفسي والتحصّر وما أشبهه هي الأمور التي تنهض التربية بإزالتها كلّما

تذكر الإنسان أن كل ما يملكه حتى صحته وبدنه وروحه أمانة وليس هو مالکها الحقيقي).

إذن قضية التغيير الذاتي تتطلب استعدادا لكيح رغائب النفس، والكف عن الفرح بتحقيق نجاحات قد يكون مصدرها مصائب الآخرين، والكف عن الحزن الذي ربما يجعل حياة الانسان أكثر توازنا وبساطة بل وسعادة، لذا على الانسان أن يتحلى بإيمان قاطع بأن الامور كلها تعود الى الله تعالى، يقول سماحة المرجع الشيرازي حول هذا الموضوع: (المطلوب من كل إنسان أن لا يفرح أو يأسى على شيء ما يحبه ويهواه، وعليه أن يتذكر دائماً أن كل نعم التي عنده هي من الله عز وجل، فإن تجددت فهي نعمة أخرى ينبغي الشكر عليها، وإن زالت فهذا شأن الدنيا ونعيمها، فكلها أمانة عند الإنسان لا بد أن يفارقها يوماً تأخر أو تقدم).

شبكة النبأ المعلوماتية - الخميس ٢٣/شباط/٢٠١٢ - ٣٠/ربيع

الأول/١٤٣٣

(٢)

ما هو السرفي تحقيق الشخصية الناجحة؟

تتطلب الحياة المعاصرة جهداً متفرداً من لدن الانسان لكي يكون ذا شخصية متفردة ومعاصرة في آن واحد، فالحياة فيما مضى كانت من البساطة بحيث لا تشغل الانسان بالمطالب المادية الكثيرة والمتنوعة كما هو الواقع الراهن، ولذلك فإن الانسان الناجح في محيطه الآن يُعدّ من النماذج الراقية التي يُحتذى بها، لا سيما اذا كان النجاح قائماً على الإلتزام ومراعاة الآخرين كمراعاة الذات وفق مبدأ المساواة بين حب النفس والآخر بمعيار واحد.

وغالبا ما تتشكل شخصية الانسان الناجح تحت تأثيره بشخصيات
تأريخية خالدة يكون لسماتها ومواصفاتها حضور قوي وواضح في تشكيلها،
وعندما نبحث في سر النجاح الذي يتحقق لهذا الانسان او غيره ونحاول أن
نستغور الأسباب التي تقف وراء هذا التفرد سواء في الفكر أو السلوك، فإننا
سنجد في سمة اللين واللطف واحترام الآخر مظاهر وجواهر أساسية لمثل
هذه الشخصيات، ولذا فإن الانسان الذي يقتدي بشخصية خالدة ويكون
لتأثيرها وجودا بيّنا في تشكيل شخصيته، فهو لا ريب سيحقق مبتغاه الذي
يبغي من خلاله النجاح في حياته وفق الاشتراطات التي تضع الحكمة والتعقل
والايمان واحترام الذوات الاخرى في مقدمة المحددات للفكر والسلوك معا.
وفي هذا المجال نقرأ في الكتاب القيم الموسوم بـ (العلم النافع)
لمؤلفه المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي قوله:
(لو أردنا أن نبحث عن الإنسان الناجح والموفق في حياته، فلا ريب أننا
سنجده في ذلك الذي اقتدى بالنبي ﷺ وأهل بيته سلام الله عليهم، ولاغرو
أن يكون أحسن الناجحين والموفقين في الحياة؛ وذلك لأن الرسول
الأعظم ﷺ كان المثل الأعلى للإنسان في قوله وصمته، وسره وجهه، وفي
فعله وتركه، وفي كل أحواله، بل فاق وسما على كل الشخصيات في العالم
منذ بدء الخلق وحتى انتهائه، بشهادة المؤمنين به وغيرهم).

إذن فمن يضع الشخصية الخالدة بأفكارها وسلوكها كنموذج للسير
على هديه، فإنه لا ريب سيحقق ما يهدف إليه لا سيما أننا نعيش في عصر
شائك تتداخل فيه النوايا والافعال وتتعدد وتنوع الأنشطة لدرجة أن بعضهم
يغيب عنه النموذج فيشتت في السلوك او الفكر او الاثنين معا ويوغل في
التجاوز على حقوق الآخرين من دون ان تردعه الذات او الاخلاق او الدين

بل تعجز في رده جميع المحددات المعنوية والرقابة الذاتية بل حتى القوانين الوضعية ربما تقف عاجزة امام رده الشخصية السلبية التي افتقدت للنموذج التاريخي الايجابي.

وهنا تكمن اهمية ان يبحث الانسان دائما عن نموذجه الأمثل، لأنه سيصل الى ضالته من خلال معرفته للعنصر او السر الذي جعل من هذه الشخصية متفردة في زمانها وخالدة على صفحات التأريخ كما هو الحال مع الشخصية العظيمة التي يتحلى بها رسولنا الأعظم ﷺ.

حيث يقول سماحة المرجع الشيرازي في كتابه نفسه: (لقد ألف كاتب مسيحي كتاباً دون فيه أسماء أعظم مئة شخصية في تاريخ العالم أو (المئة الأوائل) كما سماهم، وذكر في المقدمة أنه جعل الترتيب حسب الأولوية من حيث نجاح الشخصية في حياتها وتحقيقها للأهداف التي كانت تصبو إليها، وليس حسب التسلسل الزمني، فجعل - رغم أنه رجل مسيحي - اسم نبينا أول الأسماء إذ عدّه ﷺ الشخصية الأنجح).

ولعل السر في هذا النجاح كما يقول سماحة المرجع الشيرازي يكمن في صفة (اللين والرحمة) التي يتميز بها النبي الاكرم ﷺ في تعامله مع الآخرين، فالشخصية الناجحة هي التي تُؤثر الآخر على نفسها سواء كان ذلك في الجانب المادي او المعنوي، فكلما كان الانسان لطيفا سمحا وكريما في تعامله مع الآخرين كلما كان اكثر حضورا بينهم واكثر تأثيرا بهم، ولنا في شخصية رسولنا الكريم نموذجا خلاقا في هذا المجال، ف (لقد عاش النبي في قومه أربعين سنة لم يُعرف عنه أنه أذى أحداً، بل كان الوحيد الذي لُقّب من بين العرب بالصادق الأمين) كما ورد في كتاب سماحة المرجع الشيرازي.

وهكذا تعدّ الرحمة واللين سرّاً وعنصراً هاماً من أسرار او عناصر بناء الشخصية الناجحة في المجتمع، كونها تؤدي الى سعادة الناس والتأثير بهم كي يصبحوا أناساً فاعلين منتجين صالحين في المجتمع، ولا يتحدد مثل هذا السلوك مع أناس دون غيرهم، فالجاهل وغيره يستحقان الرحمة والتعامل اللطيف لأنه بالنتيجة سيقود الى تشذيب شخصياتهم واصلاحها، يقول سماحة المرجع الشيرازي بكتابه نفسه في هذا الصدد: (إنّ مطالعة سيرة الرسول ﷺ تكشف لنا أنه كان بإمكانه أن يقتل أعداء الرسالة - ويحقّ له ذلك - لكنه ﷺ مدّ لهم يده الرحيمة وأخرجهم بأخلاقه العظيمة مما هم فيه من هاوية الوثنيّة والشرك؛ لأنه نبيّ الرحمة واللين، كما عبّر القرآن الكريم).

وهكذا فإن الرحمة والتسامح والتعامل بلطف مع الجميع سيجعل من شخصية الانسان فاعلة منتجة إيجابية ومتفردة في آن واحد، وما أحوجنا لمثل هذه الشخصيات في ظل الظروف القاهرة للعصر الراهن.

شبكة النبا المعلوماتية - الاثنين ٣٠/ تشرين الثاني/ ٢٠٠٩ - ١٢/ ذو

الحجة/ ١٤٣٠

(٣)

تطور الإنسان سنّة من سنن الحياة

منذ أن وطأ الانسان هذه الارض وهو مجبول على حب الاطلاع والمعرفة ومأخوذ بالكشف عن اسرار الامور والاشياء الغامضة لديه، وقد زرع الله تعالى هذه الخصلة في الانسان وميزه بها عن سائر الكائنات الاخرى حين وهبه العقل وحياه بالمواهب المتعددة التي تنتج عن الجينات الوراثية او تلك

التي تُكتسب من خلال الاختلاط والسعي في كسب العلوم والتجارب المتنوعة.

لذلك نرى الانسان حتى في عصور الظلام والجاهلية كان يسعى الى الجديد كي يطور حياته، فاكتشف النار حين ضرب حجرا بحجر، ثم طور لغته من الرموز والاشارات الى الاصوات ليصل بعد ذلك الى القفزة النوعية في تاريخ التطور البشري حين لم يكتف باللغة الصوتية فاكتشف التدوين وحول هذه اللغة من صوت الى مخطوطات ليحقق بذلك أكبر قفزة نوعية وعلمية في حياة الانسان.

لهذا يكمن شعور التطور ووجوبه في اعماق الانسان، غير ان هذا الامر لا يتوقف عند حدود الرغبة فقط، بمعنى ان تطور الانسان لا يتحقق فقط تحت شرط الرغبة او وجودها او حتى تناميها لدى الانسان، بل يكمن في سعيه الدؤوب لما هو أفضل، حيث يصبح يومه افضل من امسه، وما عدا ذلك فلا شيء يستحق الذكر، بمعنى ان الانسان اذا لم يتقدم في يومه هذا على امسه الذي مضى فإنه سيظل (يراوح) في مكانه، مما يعني وجوب الافضلية لليوم على الامس، وقد قال المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي بهذا الصدد في كتابه القيم الذي يحمل عنوان (العلم النافع):

(قال الإمام الصادق سلام الله عليه: «من استوى يومه فهو مغبون، ومن كان آخر يومه شرهما فهو ملعون». وقال مولانا أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه: «الكيس من كان يومه خيراً من أمسه».

هذه الحالات الثلاث التي وردت في الحديثين الشريفين ترتبط بكل فرد، مهما كان دوره في الحياة، سواء كان عالماً أو جاهلاً، كاسباً أو موظفاً،

ورجلاً أو امرأة.)

نلاحظ هنا ان تطور حياة الانسان او وجوبها لا ينحصر بالانسان العالم او الموظف او الرجل فحسب، بل الجميع تقع على عاتقهم مسؤولية تطوير الحياة الى ما هو افضل وجعل وقائع اليوم ومنجزاته افضل من وقائع الامس ومنجزاته، فالجاهل كما يرى سماحة المرجع الشيرازي ليس مستثنى من دور التطور اليومي المطلوب في الحياة، ولعله مطالب في هذه الحالة بتطوير ملكاته ومواهبه على ضعفها او قتلها، ثم قيامه بدوره في تحقيق اليوم الافضل من الغد.

لذلك فإن الانسان مهما كانت قدراته قوية او ضعيفة حين يتساوى جهد يومه الحالي مع امسه الماضي فإنه سيكون من المغبونين، بمعنى انه أضع عمره هدرا حين لم يشترك في تقديم الافضل لكي يسهم بدرجة او اخرى في تطوير البشرية، وفي هذا المجال يقول المرجع الشيرازي في كتابه نفسه:

(ومعنى المغبون: هو يبيع الشخص شيئاً ثميناً بقيمة بخسة أو شرائه شيئاً رخيصاً بسعر غال، وبالطبع ستكون نتيجة هذا العمل هي الحسرة والندم. إن خسر المرء أو فقد ثروته فيمكنه أن يعوّض عنها في يوم ما، أما خسارة العمر فلا يمكن التعويض عنها أبداً، فما فات لا يرجع، وكل إنسان يقضي عمره وأيام حياته تبعاً لواحدة من تلك الحالات الثلاث فلا بد أن يكون قد غبن نفسه).

لذلك فإن خسارة الثروة ستكون اقل فداحة ومضرة من خسارة العمر من دون مقابل، من هنا كان سعي الانسان ولايزال وسيبقى نحو التطور والافضلية احد اهم عوامل التطور البشري، وسنة قائمة من سنن الحياة،

وهكذا يقع الانسان تحت طائلة وجوب السعي الدائم بغض النظر عن قدراته الفكرية او المعنوية او المادية، لأنه في حالة العكس، سيكون خسارته غير قابل للتعويض الى الابد وفي هذا المجال جاء في كتاب العلم النافع لسماحة المرجع الشيرازي:

(فمن استوى يومه فهو كمن خسر ثروته. وهكذا من لم يرتق في طلب العلم، أو في التقرب إلى الله تعالى بالعبادات وخدمة الناس والتعامل الحسن مع عائلته وأقاربه وأصدقائه، فهو كمن خسر عمره. فالكيس - كما ورد في الحديثين أعلاه - من كان يومه خير من أمسه، والملعون - والعياذ بالله - هو من كان يومه أسوأ من أمسه.)

إن القدرات الجسمانية والفكرية عند الانسان تتيح له التطور الدائم، فقد حباه الله بنعم كثيرة تقف الى جانبه وتساعده كي يكون عنصراً جيداً وفاعلاً في الحياة، بل وعاملاً ايجابياً لخلق مجتمع انساني قائم على العدل والمساواة والتسامح وعلى قاعدة دينية وعلمية رصينة، وهنا يؤكد سماحة المرجع الشيرازي على اهمية ان يستغل الانسان جميع الطاقات التي انعم بها الله تعالى عليه، ويوظفها بالطريقة المثلى من اجل تطوره بشكل يومي حيث يقول سماحته في كتابه (العلم النافع):

(لقد من الله تبارك وتعالى بنعم كثيرة على الإنسان كالسمع والبصر والحياة، والعقل الذي جعله الله تعالى معياراً للثواب والعقاب، والقدرة على الفعل والإنتاج.

إذا ينبغي للمرء أن يستفيد من هذه النعم بشكل صحيح ويستثمرها في أن يعزم ويبدل ما في وسعه لأجل أن يكون يومه خيراً من أمسه، وشهره الذي فيه خيراً من شهره الذي فات، حتى لا يتحسّر على ساعات وأيام

حياته، ولكي ينال التوفيق والسعادة في الدارين).
شبكة النبأ المعلوماتية - الاحد ٣١/آيار/٢٠٠٩ - ٣/جمادى
الآخرة/١٤٣٠

(٤)

مراجعة الذات وتهذيب النفس من العيوب

لم يستطع الإنسان العادي أن يحقق حلمه المثالي بالوصول الى درجة الكمال، ولم يتمكن من شطب العيوب التي لا بد أن ترافق نشاطه الفكري والعملية سواء عن وعي او من دونه، لهذا ترى الانسان يعاني من بعض العيوب التي ربما لا يدرك وجودها في شخصيته أو انه لا يعرف بتلك العيوب إلا بعد عمر طويل.

يقول سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله) في مؤلفه القيم الموسوم بـ (حلية الصالحين) حول هذا الموضوع:

(قد تكون في الإنسان خصلة ولكنه لا يعلم بوجودها، وقد يعلم بها ولكنه لا يعلم أنها عيب يوجب التغيير، وقد يعلم بها ويعلم انها عيب ولكنه قاصر عن اصلاح نفسه والتخلص منها، وقد يكون مقصراً).

والعيوب على ما هو متعارف متنوعة وقد يكون الفرد سببا مباشرا في حدوثها او وجودها في سلوكه وتفكيره وربما تكون مكتسبة بصورة غير مباشرة، إذ يؤكد سماحة المرجع الشيرازي في هذا الصدد قائلا:

(ان المثال على ما تقدم الجهل، فالانسان يُعاب عليه، ولكن قد يكون جهله عن قصور، لأنه لم يسعه أن يتعلم، وقد يكون مقصرا، كما لو أمكنه

التعلم ولكنه تلكاً عن الامر، فعلى أي من هذه الحالات يُعاب ؟ الجواب: يُعاب على كلها).

وهذا دليل على أن الانسان لاسيما بعد بلوغه مرحلة الوعي هو المسؤول الاول عن نفسه وعن مزاياه وعيوبه، كونه تجاوز مرحلة الطفولة وقلة او غياب الوعي الى مرحلة أعلى تتيح له الفرز بين ما هو جيد وبين ما هو سيئ.

لذا ثمة مرحلة تتطلب من الانسان أن يرصد أخطاءه من خلال مراقبته الدائمة لسلوكه المستقيم من أفكاره وطبيعتها ومساراتها، مثل هذا الرصد والمراقبة لا بد أن يقود الانسان الى مراتب أعلى وأجود في مراحل بناء الشخصية، وليس من العيب قط أن يتابع الانسان عثراته بل ليس من العيب أن يعترف بها (فالاعتراف بالخطأ فضيلة)، وبهذا يكون أكثر استعداداً للتصحيح والتطور.

ولا يقتصر العيب على الفكر بل قد تدفع مداخلات الحياة نوازع الانسان نحو الزلل فيرتكب أخطاء متنوعة، وفي هذا الصدد يقول سماحة المرجع الشيرازي في كتابه نفسه:

(قد يكون العيب شرعياً كارتكاب الحرام والمكروه، أو عرفياً او اخلاقياً مثل العجلة وعدم التأني، والغضب، والتكاسل وما أشبه، فالمفهوم يشملها جميعاً).

ومن العيوب التي رصدها الشرع تلك التي تنتمي الى العرف، حيث أكد سماحة المرجع الشيرازي قائلاً في هذا الصدد: (لقد اعتبر الشرع العيوب العرفية نقائص، وأوصى بالتخلص منها، وخير مثال على ذلك، رفضه للباس الشهرة).

فالشهرة غالبا ما تفقد الانسان الى سمة معيبة كالغرور والتعالي على الآخرين، لهذا لا بد للانسان أن يراقب نفسه في حالة النجاح او الفشل. وهذا يؤكد أن نجاح الانسان لا يعني أن شخصيته خالية من العيوب، في حين لا بد أن يتسبب الفشل نتيجة لعيوب معينة تقف وراء ذلك، وبذا لا ينبغي للانسان أن يتخلى عن متابعة نفسه ومراقبتها في حالتي النجاح والفشل معا.

ويذكرنا هذا الرأي بما دعى له احد العلماء حول أهمية أن يحدد الانسان وقتا للاختلاء بنفسه يوميا ومحاولة استخلاص نتائج أعماله وافكاره ومراقبة الذات لتخليصها من الاخطاء او العيوب التي قد تشوب أعمالها وافكارها وربما نواياها أيضا.

وقد يشترك خرق الانسان للعرف والشرع معا في تكوين إحدى العيوب ولصقتها بشخصيته، أي ربما تنطوي ذاته على عيب مركب نتيجة لتجاوز شرعي وعرفي، إذ يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا الصدد: (قد تكون عند الفرد خصلة او خصال يُعاب عليها شرعا أو عرفا ولكنه لا يعلم بوجودها أو بأنها معيبة، وهذا هو الجهل، ويعدّ صاحبها قاصرا؛ فربما ينتبه المرء بعد خمسين سنة او اقل او اكثر الى أنه كان مبتلى بخصلة معيبة طيلة العقود الماضية من عمره، فيندم ويتألم، وحقّ له ذلك).

وفي كل الاحوال ليس العيب أن يتنبه الانسان للخصال السيئة التي قد تلتصق بشخصيته لسبب او لآخر، ولكن من العيب عدم الاعتراف به، او التغاضي عنه وتجاهله، وعدم السعي لتصحيحه بسبب شعور الانسان بالعزة، فلكي يطوّر الانسان شخصيته ويضمن نجاحه الفكري والمادي في الحياة عليه أن يتتبع العيوب التي قد تنطوي عليها شخصيته وعليه معالجتها بالطرق

المثلى التي تحقق له نسبا عالية من النجاح والتطور.

شبكة النبأ المعلوماتية - الخميس ٧/تشرين الأول/٢٠١٠ -

٢٧/شوال/١٤٣١

(٥)

فرص الإصلاح بجهود استثنائية

أصحاب الحجر نموذجاً...

حينما وطأ الانسان الارض، لم يتركه الله تعالى حائراً تائهاً في عالمه الجديد الغامض الذي لم يعرف عنه شيئاً، بل ساعده على تحصيل المعرفة من خلال ارسال الانبياء بصورة متتالية الى اقوام الارض المتعددة، ولأن الانسان ينطوي في تركيبته النفسية على الكثير من المزالق والمهلكات، فإنه يحتاج الى النصح والارشاد بصورة دائمة.

من هم اصحاب الحجر؟

وقد قامت الاديان السماوية المتتابعة بهذا الدور الضخم، ألا وهو دور اصلاح البشرية وتقويم أنشطتها وضبطها وفقاً لتعاليم سماوية بالغة الدقة، وكان الاسلوب القصصي التوجيهي هو الغالب في النصوص القرآنية الشريفة، كما نقرأ ذلك في قصحة (أصحاب الحجر) التي وظفها سماحة المرجع الديني، آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله) في إحدى محاضراته الدينية التوجيهية القيّمة، منوهاً عن معلومات تتعلق بهؤلاء القوم ونيهم الذي ارسله الله تعالى لهم باعثة للمعرفة وناشراً لها بين اوساطهم، إذ يقول سماحة المرجع الشيرازي: (أصحاب الحجر هم قوم النبي صالح عليه السلام، وهو مدفون مع النبي هود عليه السلام، حيث مدفن الإمام أمير المؤمنين سلام الله

عليه، في وادي السلام في النجف الأشرف. ويستحبّ زيارتهما بعد الفراغ من زيارة أمير المؤمنين سلام الله عليه كما يستحبّ زيارة آدم ونوح عليهما السلام؛ فهما مدفونان هناك أيضاً. أمّا الحجر فهو اسم المنطقة التي بُعث فيها النبي صالح عليه السلام لهداية أهلها، فسُمّوا بها. ولم يكن صالح أولّ نبي يكذبونه فلقد كذبوا أنبياء آخرين سبقوه بعثهم الله إليهم قبل صالح عليه السلام؛ وكان هؤلاء الأنبياء الذين أرسلهم الله إليهم مشفوعين بالآيات والمعجزات التي تثبت كونهم مبعوثين من قبل الله تعالى؛ ولكن ذلك لم ينفع مع أصحاب الحجر وكانوا - كما أخبر الله تعالى عنهم - معرضين عن تلك الآيات والدلالات!).

إذن من طبيعة الانسان التردد والمماطلة في قبول الجديد حتى لو كان صحيحاً، الامر الذي يتطلب جهوداً كثيرة ومتواصلة تحث الانسان على ولوج طريق الاصلاح والسير وفق منهجه، وعلى المعنيين بصلاح الانسان أن لا يكلّوا ولا يملّوا من أعمال النصح والتوجيه حتى لو فشلوا مرارا وتكرارا في مهامهم الاصلاحية، يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا المجال: (لقد لبث صالح عليه السلام فيهم - كما في الروايات الواردة عن المعصومين صلوات الله عليهم - يدعوهم إلى الله مدّة مئة وستّ عشرة سنة، لم يؤمن به خلالها أكثر من سبعين منهم أي بمعدّل أقل من شخص واحد خلال كلّ سنة! وفي هذا دلالة على أنّنا ينبغي أن لا نتعب أو نملّ ونضجر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإن كانت الاستجابة قليلة والتأثير بسيطاً).

الاصرار على الاصلاح

لذا ينبغي تبين الامر الصحيح من الخاطئ بخطاب صحيح وبسيط ومقنع في آن واحد، بمعنى يجب ان يفهمه المتلقي ويقتنع به حتى يعمل بما يريده من توجيهه، حيث أكد سماحة المرجع الشيرازي على ضرورة الفهم

والاقتناع قائلًا في هذا الصدد: (لا يكون الإعراض إلا بعد أن يتبين الأمر، ولذلك نرى القرآن الكريم يذكره بعد ذكر إيتاء الآيات والبينات. فإنَّ مَنْ لا يعلم أنَّ الحجَّ واجب عليه ولا يحجُّ لا يسمَّى معرضاً. أمَّا مَنْ علم بوجود الحجَّ عليه ولم يحجَّ مع ذلك يقال إنَّه أعرض عن الحجَّ. وهكذا الحال مع أصحاب الحجر فإنَّهم استمروا في تكذيب أنبياء الله حتى بعد نزول الآيات ومشاهدة المعجزات، أي أنَّهم أعرضوا عن الآيات).

ومع أنَّ المعجزات غالباً ما تدعم ما يدعو له الانبياء من مناهج ومسارات اصلاحية، إلا أنَّ الاقوام غالباً ما كانوا يكذبون انبياءهم، حتى مع رؤيتهم للمعجزات الكثيرة والكبيرة، ومنها ناقه صالح كما يقول سماحة المرجع الشيرازي في محاضراته هذه: إنَّ (أعظم آية ومعجزة للنبي صالح ﷺ هي الناقه. فقد طالبه جماعة من قومه أن يُخرج لهم ناقه من بطن الجبل ليتبين لهم صدق دعواه؛ فإنَّه إن كان نبياً استجاب الله دعوته. ولم يردَّ صالح ﷺ طلبهم فتوجَّه إلى الله تعالى وسأله ذلك، فخرج صوت رهيب من الجبل وانشقَّ إلى نصفين ثم خرجت ناقه عظيمه قيل إنَّها كانت تعادل في ضخامتها عشرات النوق؛ يتبعها فصيلها. وهذا ليس بعزيز على الله، فلقد خلق آدم وحواء من قبل من دون أبوين، وخلق عيسى من أمٍّ فقط. يقول الله تعالى: إنَّما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ﴿١٥﴾).

صعوبة إقناع المعاندين

لقد تجسدت معجزة النبي صالح ﷺ بوضوح كبير وواقعي في ناقته، أمام القوم، لكنهم مع ذلك لم يقبلوا بمنهج الاصلاح لأنه لا يتفق مع طبيعة حياتهم آنذاك، وهذا يدل على أنَّ الاصلاح يتطلب جهوداً مضنية وكبيرة يتقدمها الاصرار والصبر حتى تحقيق الغاية المطلوبة وهي اصلاح الناس،

يقول سماحة المرجع الشيرازي في محاضراته: (كانت الناقة وبراء جميلة تسير بسيرة الإنسان العاقل الحكيم الذي لا يؤذي أحداً. فكانت لا تؤذي شخصاً ولا حيواناً ولا زرعاً ولا شيئاً، كالإنسان المؤمن الحكيم. وكانت تأكل من حشائش الأرض حتى إذا وصلت زرع الناس لم تنل منه حتى بمقدار حبة، وكانت لا تطأ في سيرها زرع أحد أو إنساناً أو حيواناً أو حشرة رغم ضخامتها بل كانت تتحاشى ذلك في مشيها وسيرها؛ وكانت الحيوانات الأخرى تخشاها بقدره الله تعالى. وهكذا كانت إعجازية في كل شيء، وليس في وجودها وخلقتها فقط. فلقد كانت تشرب في اليوم الواحد ماء القرية بأكمله، أي الماء الذي يشرب منه مئة ألف إنسان مثلاً، وتدع اليوم الذي يليه لأهل القرية يشربون منه. فكان لها شرب ولهم شرب يوم معلوم كما ورد في الآية الكريمة في قوله تعالى: قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم) ومع ذلك (أعرض أصحاب الحجر عن الآيات كلها وقرروا قتل الناقة بزعم أنها تحرمهم من الماء يوماً كاملاً، مع أنهم كانوا يستفيدون حليباً! ولكنّه الطغيان - والعياذ بالله!-).

إن هذه القصة القرآنية الشريفة تريد أن تؤكد على أهمية عدم التراجع عن إتمام منظومة الإصلاح ونشرها كمنهج فكري سلوكي في المجتمع، حتى لو تكرر الفشل لأي سبب كان، لأن الإصلاح بحد ذاته عملية بالغة الصعوبة وتحتاج الى آليات عمل تتمثل بالاصرار والتواصل في منهج يقوم على الوضوح والسهولة والاقناع، وهي امور يحتاجها المسلمون في عالم اليوم أكثر من أي وقت مضى، لذا يقول سماحة المرجع الشيرازي في محاضراته بهذا الخصوص: (هنا أخبرهم نبيهم ﷺ أن الله سينزل عليهم العذاب بعد ثلاثة أيام، تصفروّ وجوههم في اليوم الأوّل، وتحمرّ في اليوم الثاني، وتسودّ في اليوم

الثالث! ثم ينزل عليهم العذاب إن لم يرجعوا حتى ذلك الحين! سبحان الله! وما أعظم رحمته! فمع أن هؤلاء القوم كذبوا المرسلين واستمروا في تكذيبهم حتى بعد نزول الآيات، يمهلهم الله تعالى ثلاثة أيام عسى أن يتوبوا فيعفو عنهم ويقبلهم).

شبكة النبأ المعلوماتية - الخميس ١٥/آذار/٢٠١٢ - ٢١/ربيع

الثاني/١٤٣٣

(٦)

إصلاح الذات... خطوة أولى في القضاء على منظومة الفساد

الفساد كلمة ذات مدلولات واسعة كثيرة ومتعددة أيضا، فهي قد تعني فساد الذات الفرد، أو الجماعة، وقد تعني فساد النفس، أو الفساد المادي بمدلوله العام والواسع، كالاختلاس والتجاوز على المال العام، أو السرقات الفردية والجماعية التي تشكل تجاوزا خطيرا على حقوق الآخرين. وأصعب أنواع الفساد، هو فساد الذات أو النفس، لأنها لا تتعلق بالجانب المادي بل الروحي، ولهذا ينبغي أن يكون العلاج روحيا أيضا، وهنا تظهر لنا القدرة الفائقة لتعاليم الدين، وتلاوة القرآن، والتمعن بمفاهيمه وتعاليمه، وكذلك قراءة الادعية والخشوع لله تعالى، طلبا لتنظيف النفس من الرغائب الكثيرة غير المشروعة، والتي يخضع لها الانسان اذا كان ضعيفا ومنقادا لاهواء النفس ونزواتها.

لذا يعد أخطر الحكام، هو ذلك الحاكم الضعيف تجاه نفسه وأهوائها، فهو شديد البأس مع قومه وشعبه وامته، وضعيف أشد الضعف تجاه نزواته التي تستلزم أموالا وفيرة لتحقيقها، فتدفعه الى التجاوز على المال العام بشتى

الطرق والوسائل والاساليب السيئة، الامر الذي يتسبب بإلحاق الظلم الفادح بالشعب أو الامة وفقرائها، حيث تبدأ الغلظة وشهوة السلطة تطيح برقاب الضعفاء ممن يرفع صوته، لمقارعة ظلم الحاكم واستهتاره بالقيم وفساده الكبير والواضح للعيان.

لهذا يؤكد سماحة المرجع الديني، آية الله العظمى، السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظلّه) في معظم مؤلفاته ومنها كتابه القيم الموسوم بـ (حلية الصالحين) على أهمية تشذيب الذات من الفساد، على أن الفساد له اتجاهات ومسارات ونتائج قد تكون متناقضة، لهذا ربما يقع الانسان في هذا النوع من الفساد أو ذاك.

يقول سماحة المرجع الشيرازي، في هذا الصدد بكتابه المذكور آنفًا، إستنادا الى ما ورد في الصحيفة السجادية - واستصلح بقدرتك ما فسد مني :- (إن الإنسان معرض للفساد، فقد يقع فيه وقد لا يقع، والكلام هنا عن فعلية الفساد ووقوعه، لأن الإمام - السجادة عليه السلام - يقول: - ما فسد مني - لا ما يقتضي أن يفسد، وليس كل فاسد يمكن إصلاحه بسهولة، علماً أن كلمة - ما - الموصولة في قوله سلام الله عليه: ما فسد مني تفيد العموم والسعة والشمول، فتشمل ما فسد من أمور الدنيا والآخرة، ومن البدن والنفس، وكذا في المسائل المالية والنفسية والاجتماعية وغيرها).

ونظرا للخطر الكبير لمنظومة الفساد، وربما تجذرها في النفس، فإن اللجوء الى الله تعالى لمساعدة الانسان - لاسيما ذوي المسؤوليات والسلطان الواسع - ينبغي أن يكون وسيلة الانسان لإصلاح ما قد يفسد في ذاته، ولأن السلطة لها سحرها الخاص كما تشير تجارب البشرية جمعاء، فإن أمر معالجة النفس وطموحاتها ورغباتها ونزواتها، خاصة لأصحاب السلطان كالمملوك

والرؤساء والحكام وأمثالهم، تتطلب لجوءاً حتمياً إلى الله تعالى، لمساعدة الإنسان الحاكم على تجاوز معضلات الفساد الذاتية التي تتجذّر في نفسه. فالتأريخ يعج بالحكام الطغاة الظالمين، بغض النظر عن رمز التسلّط، فإذا كان رئيساً جمهورياً، أو ملكاً، أو حاكماً، قد لا تختلف جذور الفساد بين هذا وذاك، فالحجاج بن يوسف الثقفي، لم يكن ملكاً ولا رئيساً ولا حاكماً للدولة، لكنه كان والياً على جزء صغير من الدولة الإسلامية المترامية الأطراف، ومع ذلك تسببت نفسه الشريرة بأن يصبح مضرب أمثال للحكام الطغاة على مر التاريخ، بسبب قتله لمئات الآلاف من الناس، سواء بالمقصلة أو بتركهم في السجون حتى الموت.

لهذا السبب يركّز سماحة المرجع الشيرازي، في كتابه (حلية الصالحين) على ما يهدف إليه الامام السجاد عليه السلام من تنوير للإنسان كي يحارب الفساد في ذاته، إذ يقول سماحته في هذا المجال:

(لا يخفى أنّ الإمام هنا بصدد تعليمنا وإرشادنا، فمعنى قوله سلام الله عليه هو: إنّ الإنسان لا يقوى على إصلاح ما فسد منه دون الاعتماد على قدرة الله تعالى وتوفيقه، فكلّ منا يمكنه أن يكون من خيار الناس، كما يمكن أن يكون من شرارهم — والعياذ بالله — فهؤلاء الأشرار الموجودون في المجتمع والذين بقوا كذلك حتى آخر عمرهم كانوا أناساً أيضاً، ولكنهم لم يريدوا الإصلاح، ولا استعانوا بقدرة الله تعالى لإصلاح ما فسد منهم، فاستمروا على ما هم عليه).

ولا يخفى على الجميع بأن إصلاح الفاسد، كما يؤكد سماحة المرجع الشيرازي بحاجة إلى الدعاء، (ولذلك يقول الإمام سلام الله عليه: واستصلح بقدرتك ما فسد مني)، (الصحيفة السجّادية، دعاء ١٣ في التوبة).

وتتصدر قضايا الفساد العام، حالات التجاوز على أموال الأمة او الشعب، حيث يقوم الحكام والمسؤولون بالاستيلاء على هذه الاموال بجميع الطرق المتوافرة لديهم، وجلها طرق وسبل غير مشروعة، كما اثبتت الوقائع الاخيرة التي نتجت عن ربيع الثورات العربية، والتي قادت في نهاية المطاف، بعض الحكام الفرديين، كحسني المخلوع، الى قبضة العدالة ليظهر للجميع حجم الفساد المالي له ولابنائهم ومعاونيه وغيرهم.

ومع ذلك وكما يؤكد سماحة المرجع الشيرازي، لا يمكن الحكم على أخذ المال من الغير بالفساد القطعي ولا بوصفه بالذلة او العزة، إلا بعد معرفة الاسباب التي تكمن وراء مثل هذا الاجراء، إذ يؤكد سماحته في كتابه نفسه قائلاً:

(هل يُعدّ أخذ المال من الغير مثلاً عزة أم ذلة؟ إن الملاك لكليهما يكمن في الموضوع الذي يضع الإنسان فيه نفسه؛ فإما أن يكون مورد عزة وقد يكون مورد ذلة، فليس بوسعنا أن نحكم دوماً على عمل ما بأنه مصداق للعزة أو الذلة ما لم نعرف نية المرء فيه. فإن كانت لله تعالى فهي عزة، وإن كانت لغير الله كانت ذلة).

هنا تتضح الصورة المعنية من حديث المرجع الشيرازي تماماً، فقد يصبح أخذ المال بالقوة - قوة القانون والشرع - حالة مساندة للحق ضد الباطل، ومؤازرة للمظلوم ضد الظالم، حيث يتم استرجاع ما تم التجاوز عليه من أموال بقوة السلطة، والشواهد الاخيرة تؤكد صحة مثل هذه الاجراءات السليمة تماماً، حيث يتعاون الآن عدد كبير من المنظمات والحكومات عالمياً على استرجاع مليارات الدولارات المسروقة وارجاعها الى الشعب المصري، او التونسي، او الليبي، وذلك عبر سلسلة من الاجراءات القانونية الصارمة في تجميد وحجز

الاموال المنقولة وغير المنقولة لاولئك الحكام، وابنائهم، وعوائلهم، ومساعدتهم، وهكذا تدل هذه الاجراءات والعمليات الواسعة في استرجاع اموال الشعوب، على صحة أخذ المال بالقوة كإجراء يعيد الحق الى نصابه.

وفي جميع الاحوال، يبقى الانسان سواء كان فردا أو جماعة، حاكما او غيره، مسؤولا أمام الارادة الالهية التي ستحكم بين الجميع يوم (لاينفع مال ولا بنون)، هناك حيث يقف الجميع سارقا ومسروقا، ظالما ومظلوما، حاكما ومحكوما، بين يديّ الله تعالى، ويُسأل السؤال الذي لا بد أن يجيب عنه شاء ذلك أم أبى.

حيث يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا الصدد بوضوح لا يقبل الجدل: (لا بدّ أن تحضر جواباً حين يسألك الله سبحانه وتعالى في اليوم الآخر، ومعلوم ما هي تلك المسائل التي يجب أن تعنى بها والتي ستُسأل عنها غداً. فلن تُسأل: لماذا لم تأكل الأطيب أو تلبس الأنعم أو تركب الأسرع أو تختار ما هو أعلى للعيش وأجمل؟).

بل ستسأل لماذا فسدت نفسك ولم تحاول إصلاحها، باللجوء الى الله تعالى بوسائل التقريب المعروفة والسهلة المنال ايضا، لذا لا بد لمن تضعه الاقدار الآن، في صدارة السلطة والحكم والقوة، سواء كان حاكما لدولة او مقاطعة او مدينة او مؤسسة او دائرة صغيرة، او سواها، أو فردا بسيطا، لا بد لهم جميعا من الاجابة عن السؤال الالهي الحتمي، عن سبب التجاوز على حقوق الناس، وعن عدم ابداء العمل لاصلاح النفس، مع أن الفرصة قائمة وسهلة وفي متناول الجميع، وأولهم الاقوياء والحكام والوجهاء وغيرهم من أوائل القوم.

(١) شبكة النبأ المعلوماتية - الخميس ٢٩/أيلول/٢٠١١ - ٣٠/

شوال/١٤٣٢

(٧)

النقد الذاتي أساس التعلم

إن كثيرا من مطالب أصول الدين يشعر الفرد - بل حتى كثير من أهل العلم - بالحاجة إلى تعلمها سواء بالدراسة أو المطالعة أو المباحثة، وكذا الحال بالنسبة لكثير من الأحكام الشرعية.

كما أننا بأمس الحاجة إلى تعبئة علمية لمعرفة كثير من الأحكام الشرعية وبالأخص تلك التي هي محل ابتلائنا، هكذا الأمر في مقام الهداية والإرشاد وتعليم الأحكام، ومواجهة أصحاب الديانات والمذاهب الباطلة والأفكار المنحرفة. هذا كله يعد من الواجبات العينية التي يجب على الفرد المسلم السعي لتعلمها.

هذا جزء مما أفاض به سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله) من الإرشادات التربوية والخلقية الكثيرة والمفيدة، اشتمالها على كلمات ووصايا قيمة تخاطب الناس كافة، منهم بالدرجة الأولى رجال العلم والدين من حوزويين وجامعيين، أساتذة وطلابا ومنتقنين. انهم حملة رسالة، هدفها النقد للذات والتغيير من أجل المجتمع المسلم، ليتعافى من أمراضه التي تفتك به.

يقول السيد المرجع، لنخصص بعض أوقاتنا وبأقصى ما نستطيع لتعبئة أنفسنا بالعلم في كل مجال مشروع وفي مجال العلم الديني خاصة، ولنعلم أن موسم الدرس مناسبة جيدة، وإن التسهيل من الله تعالى.

لنتهز كل فرصة ولا نضيع حتى دقيقة واحدة، لنحمل معنا الرسالة العملية التي قراناها في أيام ماضية، رب كثير منا لا يتذكر كثيرا منها، أو رب

أمور لم يعد كثير منا ملتفتا إليها، فإذا ما أتاحت له فرصة ولو بمقدار خمس دقائق، قرأ ولو صفحة واحدة منها، حتى إذا تكررت يكون قد تخلص مما كان عنده من جهل مركب في بعض المسائل، حيث كان يتصور انه يعرفها مع أنه لم يكن يعرفها على الوجه الصحيح.

إذا كان لديكم اهتماما بالعلم والمعرفة والثقافة، ليزدد، أن العلم والتغيير يعني النجاة من كل طارئ فإن الزمان قصير حقا نسبة لتلك الأمور.

أنا لا يمكننا أن نتهم كل من يريد إثبات شيء ما بالمرء؛ لأن نيته قد تكون سليمة وهدفه قد يكون صحيحا، لكن المهم أن نربي أنفسنا على تجنب المراء والجدال الذي لا يراد به وجه الله تعالى. هذا الأمر لا يتطلب دراسات عميقة بل تكفيه لحظات تأمل والتفات مع مراقبة النفس وضبطها.

إن الإنسان إذا تألم لا يمكنه أن يقول عبارات تكشف عن مدى تألمه، لكن إذا ربي نفسه تمكن أن لا يقولها بل يقول بدلا منها: لا حول ولا قوة إلا بالله. لا شك أن التأوه بنفسه ليس مذموما بل ورد في الأحاديث أن المريض إذا تأوه كتب له فيه ثواب، لكن لا شك أيضا أن قول: (لا إله إلا الله) أكثر ثوابا.. إذا لا ينبغي أن ننهي مريض من التأوه، لكن حبذا أن يربي نفسه بحيث يهمل الله ويحمده ويسبحه ويكبره إذا نزل به مرض أو بلاء.

نستطيع تركيز ملاحظات السيد صادق الشيرازي الهادفة الى التغيير من

خلال بعض النقاط منها:

١- كيف نقوي العلاقة مع الله؟ لنحاول من الآن أن ندخل في عبادتنا روح التوجه والصدق شيئا فشيئا، ذلك بأن نلتفت الى معاني العبادة، مثلا: إذا وقفت بين يدي الله في الصلاة، وشرعت بقراءة سورة الفاتحة، فكر في معاني مفردات السورة واستحضر مفاهيمها، ولا تدع فكرك يهرب هنا وهناك، ولو

حصل ذلك عد به سريعاً ولا تدعه يسرح، لا تيأس لو خاتلك ذهنك مرة أو مرتين بل حتى خمسين مرة، واحرص على أن ترجعه الى حضيرته حتى يصبح حضور الذهن ملكة عندك، لتعي ما تقرأ وتتدبر في المعاني، فإذا قلت: (إياك نعبد) استحضرت في ذهنك أن العبادة لله تعالى وحده وأنت في حال أدائها، وإذا قلت: (وإياك نستعين) جددت استعانتك به في كل أمورك، خاصة في عبادته.

لا شك أن الإنسان العربي يفهم معاني هذه المفردات أفضل من غيره، لأنها في لغته وعنده انطباع عنها، فكيف إذا كان من طلاب العلوم الدينية وقد قرأ كتب النحو والصرف والبلاغة.

فهذا هو الأساس؛ قال تعالى: (ألا بذكر الله تطمئن القلوب)، والتوفيق من الله تعالى بمقدار تقوية الرابطة بين الإنسان وبين الله تعالى يأتي التوفيق بنفس النسبة.

٢- لماذا لا تروض نفسك؟ على الإنسان أن يحرص على تقوية علاقته مع المجتمع؛ وذلك عبر الالتزام بالأخلاق الإسلامية كالتواضع والبشر والكرم والعفو والرحمة وصلة الرحم.

إن هذه القيم الأخلاقية معروفة للجميع لاسيما أهل العلم وهي موجودة في المجتمع المتدين بنسب متفاوتة، لكن المطلوب تعميقها وترسيخها والاستزادة منها.

حاول أن تخالف هواك في كل الأمور، فإن كنت لا ترغب في أمر ما رغم اعتقادك بصوابه، حاول أن تخضع له بكل رحابة صدر. إن كنت مختلفاً مع صديقك وواجداً عليه، حاول أن تصله بزيارة أو بإلقاء التحية عليه كلما لقيته. لا تبتس إن لم يقابلك بالمثل ما دمت قد أدت ما عليك. فإن كنت

تريد أن تصبح عالما ومرشدا ينبغي أن تكون قدوة في الخلق من حلم وكظم الغيظ وما شابه، لا أن تثور بسرعة أو تتوتر أعصابك لأتفه الأسباب.

تصرف أنت بالنحو الصحيح واستفد من حياتك بصورة صحيحة ولا يهملك بعد ذلك إن كان قد استفاد الآخرون منك ومن تعاملك معهم أم لا؛ فإن الله تعالى يقول: (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) المائدة/١٠٥.

نور العلم ليس حكرا على الأسر العلمية، بل قد يكون الشخص سليل عائلة علمية ولكن الله لا يمنحه هذا النور، وقد يقذف الله نور العلم في قلب ابن عطار أو مزارع أو بقال أو تاجر أو حمال.. هذا يتضح لمن طالع تاريخ العلماء.

إذن، المطلوب علينا:

أ- أن نسعى لتحصيل ذلك النور الى جانب تلقي الدروس ومطالعة الكتب والحضور عند الأساتذة؛ فإن المعلومات وحدها قد تجلب الغرور للإنسان، لنعرف ان الغرور ونور العلم لا يجتمعان، فلنحارب الغرور في أنفسنا ونتواضع لله سبحانه سائلين منه ان يجعل لنا لسان صدق في الآخرين.

ب - أن لا يستعظم الإنسان نفسه إذا ازداد علما، بل عليه أن لا يجد الخطأ ويتهاون، واجبه التغيير والإصلاح و إلا فإن الله محاسبه قبل المجتمع.

ج - قد يكون الإنسان ذكيا ولا يدع أحدا من الناس يعلم أن فيه كبرا، لكنه هو يعلم ذلك من نفسه، فالله تعالى أعلم بما توسوس به نفوسنا، وكما ورد في وصية لقمان لابنه (الناقد بصير) وإنه سيكافأ كل منا على قدر إخلاصه الذي يثبت عند الله وليس الذي يدعيه الشخص أو يصوره للناس.

شبكة النبأ المعلوماتية - الأحد ١٤/تشرين الثاني/٢٠١٠ - ٧/ذو

الحجة/١٤٣١

(٨)

رمزية الأخلاق والدور الرائد لبناء المجتمع

الاخلاق تبدو لنا مفردة مجردة، تعتمد المعنى قبل الفعل، ولكنها في واقع الحال، تؤثر على الواقع المادي، كما تؤثر فيه العلوم، لهذا فإن اكتساب الاخلاق والسعي الى درجة الاكتمال في هذا الجانب أصعب بكثير من اكتساب وفهم واتقان أحد العلوم، والسبب يكمن في أن الاخلاق تدخل في بناء النفس، فيما تُسهم العلوم في بناء عقل الانسان، والفارق بين بناء النفس وبناء العقل كبير من حيث الجهد المبذول في هذا المجال، ومن بدهاة القول أن المجتمع اكثر حاجة للانسان الخلق المتميز الانساني في افكاره وسلوكه، من الانسان الذي يتقن العلوم لكنه لا يتقن السلوك الانساني.

السلطة بين العلم والاخلاق

بمعنى أوضح قد يتصدر صاحب العلم أعلى المناصب، وربما يقود مجموعة او دائرة وقد يصل الامر الى قيادته لدولة ما، بسبب قدراته العلمية التي اكتسبها بسعيه وجهده ومواهبه، ولكن ما فائدة كل ذلك اذا لم تكن الاخلاق هي المعيار الذي يستند عليه صاحب السلطة في ادارة سلطته وصلحياته، ولذلك نلاحظ ان من يتخصص في علم ما، فإنه سيحقق ما يسعى إليه من تفوق وبسرعة تفوق كثيرا ما يسعى اليه الانسان في مجال بناء النفس.

يقول سماحة المرجع الشيرازي، آية الله العظمى، السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله) في كتابه الثمين الموسوم بـ (العلم النافع)

بهذا الخصوص:

(إنَّ مَنْ يتخصَّص في علم واحد ويستفرغ كلَّ وسعه وجهده يبلغ أعلى الدرجات فيه ويتفوق غالباً على مَنْ كان ذلك العلم أحد اهتماماته، والأخلاق تحتاج إلى التفرُّغ والجدِّ والمثابرة من أجل بلوغ المراتب العالية فيها).

جميع العلوم تتطلب سعيًا وجهدًا حثيثًا لتحصيلها، ولكن الأخلاق تتطلب جهدًا مضاعفًا، بل يحتاج الإنسان لكي يبني نفسه إلى ارادة حديدية تحيّد رغائب النفس الكثيرة، وتعطل الغرائز الدافعة للإنسان نحو الوقوع في الزلل، لهذا غالبًا ما يحتاج المجتمع إلى الرمزية الأخلاقية، وإلى النموذج الأخلاقي المؤثر، لأن الإنسان الخلق سواء كان عالما أو غيره، يترك تأثيره الأخلاقي بسرعة ووضوح في المحيط الاجتماعي الذي يتحرك فيه.

الحاجة إلى الرمز الأخلاقي

غالبًا ما ترى الأمم والشعوب والجماعات مهما تباين حجمها أو عددها، بحاجة إلى الرمز الأخلاقي الذي يتقدم الصفوف كنموذج مؤثر في الجميع، فكرا وسلوكا، لهذا يؤكد سماحة المرجع الشيرازي في كتابه المذكور، على أن:

(المستوى الذي يبلغه الأخلاقي - وطالب العلم الديني خاصة - يؤثر في أداء دوره في المجتمع. فقولته وفعله وسيرته وتاريخه يشجّع الناس نحو الفضائل الأخلاقية والاجتناب عن رذائلها إذا كان هو من أهل الفضيلة، ولكن إن كان عكس ذلك فسيدفع الآخرين إلى العكس أيضاً).

لهذا لا يصح أن تكون هناك مجافاة بين العلم والأخلاق، بمعنى أن الإنسان العالم والعارف ببواطن الأمور وسواها، ينبغي أن يحصن نفسه مسبقاً

بقاعدة أخلاقية تحميه من الاخفاق، والانحراف والضعف تحت ضغط الحاجات المادية الجسدية وسواها.

إلتزام الفضائل والعناية بها

لذا لابد أن يدرّب الانسان نفسه على انتهاج سبل الفضيلة، وكبح نوازع الرذيلة التي تدفع نحوها النفس طمعا او طلبا لتحقيق مآرب لا مشروعة، من هنا ينبغي على من يسعى الى اكتساب العلم، أن يجعل من الفضيلة شعارا في القول والفعل يطبقه في حياته العملية وسواها، لهذا يوجه سماحة المرجع الشيرازي قائلا في هذا الصدد:

(إذاً على طالب العلم أن يولي الإلتزام بالفضائل والأخلاق عناية خاصة لأنه كلما ارتفع مستواه فيهما ارتفع مستوى التزام الناس بهما بالتبع. وهذا أحد الفروق التي تميّز الأخلاق عن سائر العلوم والفنون كالفقه والأصول والبلاغة والفلسفة والخطابة وغيرها).

وكما ذكرنا ان هناك فوارق عديدة بين الاخلاق والعلوم، ولكن يمكن ان يشكل الطرفان رديفين بعضهما لبعض، بدلا من حالات التقاطع التي قد تحدث أحيانا، بين العلم والاخلاق، وهو ما يعزوه البعض الى حدوث التقاطع سياسيا بين النهج العلماني والديني، ولكن في ظل الاسلام لا تقاطع بين العلم والاخلاق، ولا تقاطع بين السياسة وبين الدين، أما الفارق فهو يكمن في الصعوبة التي تتجلى باكتساب الاخلاق، قياسا باكتساب العلم، يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا المجال:

(الفرق الآخر بين الأخلاق والعلوم الأخرى يكمن في صعوبته قياساً بها، فالرقي في الأخلاق أصعب منه في العلوم الأخرى). وفي المسار نفسه يضيف سماحته قائلا:

(إنّ الأخلاق أصعب من الفقه لأنّ الأخلاق تعني تهذيب النفس وبناءها، وقد قال بعض اهل الخبرة: من الصعب أن يصبح المرء مجتهداً ولكن من الأصعب أن يصير إنساناً).

مقارعة الذات

لذا يتطلب الامر أن يرتقي الانسان بنفسه، وأن ينحو صوب تهذيب الذات وتشذيبها من المساويى أيا كان نوعها او مصدرها، وطالما كان الصراع بين الانسان ونفسه، فإنه صراع ينطوي على صعوبات جمّة، إذ يؤكد سماحة المرجع الشيرازي قائلاً بهذا الصدد:

(إنّ الارتقاء في الأخلاق والفضائل أصعب من الاجتهاد في الفقه؛ وإنّ ثمرته ونتيجته أبعد منالاً وأعسر حصولاً من الفقه).

إن رمزية الاخلاق، لا تعني أن يتصنع الانسان سلوكه مع الاخرين، بل لابد أن تكون الاخلاق متأصلة في ذاته ونابعة منها، أما التصنّع فهو مكشوف ولا يصمد طويلاً، حيث ينكشف الوجه الحقيقي للانسان، بعيداً عن غطاء التصنّع، ولهذا يؤكد سماحة المرجع الشيرازي على:

أن (المرء لا يلمس نتيجة سعيه إلاّ عندما يصبح ذا قلب سليم وتصبح الأخلاق والفضائل ملكات لديه، عندها يشعر بلذّة الأخلاق والوصول إلى مراتبها العالية، وعندها يعرف قيمة ترويض النفس ومخالفة الشهوات).

هل تصبح الاخلاق ملكة

وبهذا يمكن للاخلاق أن تصبح ملكة تتأصل في ذات الانسان، ولكن الامر يتطلب سعياً حثيثاً ومتواصلاً، لاكتساب الفضائل كسلوك أصيل يطبع نفسية الانسان وتوجهاته في الافعال والاقوال معاً، إذ يقول سماحة المرجع

الشيرازي:

(لا تصبح الأخلاق ملكة عند الشخص إلا بعد أن يحارب نفسه ويخالفها، ويستمرّ في مخالفتها حتى تنمو عنده ملكة حبّ الخير في كلّ أبعاده. فإذا حصل على الملكة شعر باللذّة وبدأ يلمس نتيجة أتعابه في مجال الأخلاق والفضائل. وهذا لا يحصل بصورة سريعة بل هو بحاجة إلى وقت يستغرق عمر الفرد؛ لذلك أصبح الارتقاء في مدارج الأخلاق صعباً).

وفي كل الأحوال يحتاج المجتمع الى الرمزية الاخلاقية، إذ يكون بمقدورها تأصيل السلوك الانساني السليم وتطويره، وتعميمه على الافراد والجماعات، لاسيما النخب المؤثرة كالعلماء والسياسيين والمثقفين وغيرهم، لكي تتكون للمجتمع قاعدة اخلاقية متينة، تصونه من التردّي والتراجع والنكوص.

شبكة النبأ المعلوماتية - الخميس ٢٧/تشرين الأول/٢٠١١ - ٢٩/ذو

القعدة/١٤٣٢

(٨)

الأخلاق الجوهرية تعني صناعة الانسان

الاخلاق عنصر جوهري في بناء الشخصية، ولا ينتمي الى المظاهر القشرية، ولهذا تبقى الاخلاق ناقصة، اذا لم تتحول الى فعل قائم، وشاخص في الميدان الذي يتحرك وينشط فيه الانسان، من هنا تتسم الاخلاق، وقضية تحصيلها، والتميز بها بالتأني، بسبب العمق السحيق الذي يميزها، وهذا القول او الرأي، يدعم إصطفاف الاخلاق الى الجوهر الانساني قبل شكله. يقول سماحة المرجع الديني، آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله)، بهذا الصدد، في كتاب (من عبق المرجعية): (عمق المسائل الاخلاقية وعدم الوصول السريع الى نتائجها يجعل المرء وكأنه غارق في المجهول).

وبسبب صعوبة تحقيق التكامل الاخلاقي في شخصية الانسان، فإنه قد يصل الى حالة من اليأس، الذي يقوده الى التراجع عن دوره الانساني في الحياة، فالاخلاق منظومة ترفع الانسان وتسمو بنفسه، الى ما فوق الانسان المتعارف عليه في المجتمع، حيث يتنزه الانسان المتسم بالاخلاق، عن الصغائر، والغرائز، والنوازع التي غالبا ما تحاول أن تحط من قيمة الانسان، كقيمة فكرية، سلوكية، عليا بين الكائنات، التي تتخذ من المعمورة مأوى لها، وربما لهذا السبب تحديدا، يؤكد سماحة المرجع الشيرازي، في الكتاب نفسه قائلا: (لنخطط لأرواحنا قبل ان نخطط لبطوننا وايدينا وبيوتنا واهلينا).

فسماعته يؤمن ويحث الآخرين على أهمية الغذاء الروحي قبل الجسدي، كون الغذاء الروحي يسمو بالروح الى مراتب عالية، تجعل من

صاحبها، او حاملها، نموذجا مشعاً على الآخرين، بأخلاقه التي تتمخض عن سلوكيات، وأفكار، تصنع الفرد والمجتمع النموذجي، ولهذا يركز سماحة المرجع الشيرازي، على هذا الجانب، حين يؤكد مرة أخرى، وأخرى، قائلاً: (علينا بعلم الاخلاق... فليست اخلاق الاسلام وآدابه كلها مستحبات ومكروهات فقط، بل إن فيها الواجبات والمحرمات أيضاً).

وهذا يعني بأن الانسان المسلم، لكي يُمنَحَ أحقية الانتماء للاسلام، شكلاً وجوهراً، عليه أن يهتم، ويتواصل، ويتعاطى، مع علم الاخلاق، ليس في جانبه الاعتباري، او العلمي فحسب، بل لابد أن يتحول هذا العلم والمحتوى، الى تطبيق عملي شاخص، في ميدان العلاقات الانسانية الواسعة، والمتعددة الجوانب، مع عموم أفراد المجتمع، وجماعاته المختلفة، لذلك لا ينبغي قط أن ننظر أو نتعامل مع الاخلاق، على أنها جانب شكلي، أو مكمل (فحسب) لشخصية الانسان، بل الاخلاق هي جوهر الانسان، وهي التي تصنعه، وينبئه سماحة المرجع الشيرازي الجميع على ان: (علم الاخلاق اصعب من الفقه ولا ينبغي لنا ان نستسهله، لأن الاخلاق تعني صناعة الانسان).

فالاخلاق بهذا المعنى، تقود الانسان نحو درجات الكمال وريداً، لاسيما حب الخير للآخرين، في عموم ميادين الحياة، حتى في حالات المنافسة، والتسارع في تحصيل المكاسب، وما شابه، فميزة الانسان الذي تصنعه الاخلاق، هو تفضيله للآخر على نفسه، أو في الاقل، التساوي في درجة الحب، بين ذاته والآخرين، لا تفضيلها عليهم، وهذه هي القيمة العظمى، التي تنتجها الاخلاق في شخصية الانسان، إذ يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا الصدد في الكتاب نفسه:

(إذا حصل الانسان على ملكة حب الخير في كل ابعاده، شعر باللذة، وبدأ يلمس نتيجة أتعابه في مجال الاخلاق والفضائل).

ولكن هل من السهل على الانسان، بلوغ درجة الاخلاق، التي تسهم ببنائه على الوجه الأمثل؟ إن بلوغ هذه المرتبة، تعني صراعا مريرا، بين الانسان ونفسه، وتركيبتها الغامضة، المتناقضة، وغرائزه التي تدفع به نحو الاتجاه المضاد لانسانيته، في حالة تجاوز الضوابط، والمحددات التي لاتعترف بها الغرائز في الغالب، لهذا تكون الاخلاق هي الكابح الأكبر، والأهم، ليس للغرائز الجانحة، نحو الشر والخطأ، فحسب، بل في عموم السلوكيات، التي تحاول أن تحط من قيمة البشر.

لهذا السبب ولأسباب أخرى، كان ولا يزال يصعب على الانسان، بلوغ مرتبة الاخلاق الجوهرية، التي تقوده نحو السؤدد، والسمو، والرفعة، التي تضعه الى جانب الشخصيات العظيمة، التي صنعتها الاخلاق، وهي بدورها صنعت أممها وشعوبها الناجحة، ولذلك يقول سماحة المرجع الشيرازي في الكتاب نفسه: (أصبح الارتقاء في مدارج الاخلاق صعبا، بل أصعب من الاجتهاد، وخير دليل على ذلك الواقع الخارجي فإن عدد من بلغوا مرتبة الانسان الكامل أندر من عدد المجتهدين).

شبكة النبأ المعلوماتية - الخميس ١٣/كانون الثاني/٢٠١١ -

٧/صفر/١٤٣٢

(٩)

العلم والأخلاق ركيزتان أساسيتان لتطور الإنسان

ما كان للانسان أن يرتقي على الحيوان في طريقة العيش، لولا قدرة الانسان على تهذيب نفسه وكبح غرائزه وترويض رغائبه، فتحولت نزعات التوحش لديه الى سلوك مهذب تحت ضغط المعرفة والاخلاق التي تعلمها الانسان من الاديان والافكار القويمة التي نشرها المصلحون بين مجاميع البشر في هذه الامة أو تلك، ولعل الحديث النبوي الشريف (إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق) يعطينا تصوّرًا واضحًا لمكانة الاخلاق في التحكم بالنفوس وتشذيب النزعات السلبية التي تعج بها النفس البشرية، وهذا الامر يؤكد الترابط بين العلم والاخلاق، فكلما كان الانسان أكثر علما ومعرفة، كلما كان أقدر من غيره على كسب الخلق الرفيع.

لهذا لا يزال العلماء المعنيون والباحثون في حاضر ومستقبل البشرية، يؤكدون على أهمية (العقل الاخلاقي) وحاجة الانسانية القصوى له، لكي يتمكن الانسان من تحسين وتطوير حياته حاضرا ومستقبلا.

ولهذا السبب أيضا يؤكد سماحة المرجع الديني، آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله) في كتابه القيم الموسوم بـ (العلم النافع) بهذا الخصوص قائلا:

(علينا بعلم الأخلاق، فليست أخلاق الإسلام وأدابه كلها لا اقتضائية — حسب الاصطلاح العلمي — أي مستحبات ومكروهات، بل إنّ فيها الواجبات والمحرمات أيضا).

وهكذا فإن الاخلاق لا تُعنى بالمستحب والمكروه فحسب، إنما تتعدى

ذلك، الى نشر ثقافة إحترام الواجب وتأديته على أفضل وجه، فيما تؤكد أيضا بقوة عن نبذ المحرّم وتجنبه، بل صدّه ومحاربتة ما أمكن ذلك، لكي تصفو النفوس وتبلغ مرتبة عالية من التحضّر في التعامل مع الذات أو الآخر في آن واحد، ويتم ذلك بمساعدة العلم والمعرفة، لأن الاخلاق يمكن أن تؤدي دورا أفضل بوجود العلم، يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا الصدد بكتابه نفسه:

(إنّ الكرم خصلة محمودة، وكذا السخاء والإنفاق وإقراء الضيف، فكلّ ذلك عمل محبّب ومقبول، ولكن إلى حيث لا يؤدي إلى ترك واجب أو ارتكاب محرّم).

إذن فالعلم والمعرفة تحمي الاخلاق من الزلل غير المقصود او سواه، وتصون الانسان من الانزلاق في مهاوي الحرام من دون أن يقصد ذلك، إنما السبب هو الجهل بجوهر الاشياء وقلة العلم بها، لهذا لابد أن يتسلح الانسان بسلاح العلم والمعرفة، لاسيما العلماء والمصلحون والمسؤولون على تقويم المجتمع ونشر الفضيلة والعلم بين شرائحه ومكوناته، ومع أن تحصيل العلم يتم إكتسابه بجهد فردي بالدرجة الاولى، إلا أن العلماء لابد أن يتحملوا دورهم في هذا المجال، على أن لا يغيب جهد الفرد وسعيه في تحصيل العلم كي يطور حياته نحو الافضل.

يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا الصدد بكتابه نفسه:

(إنّ المطلوب هو العلم، فإنّ الإنسان لا يدري بم سيبتلى وكيف ينبغي له أن يتصرّف، وكيف يتحدّث لئلا يكون من الذين وصفهم الله تعالى بقوله: *وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ* فيعمل ويتصوّر أعماله حسنة، ثمّ ينكشف له بعد ذلك أنّها كلّها كانت سيئات، لذا فأهل العلم أولى بالانتباه

إلى هذا الأمر الخطير).

لذلك لابد أن يتعلم المسلم كيفية توظيف الاخلاق بالطرائق السليمة التي لاتقوده الى المعصية من حيث لا يقصد أو لا يعلم، وهذا تحديدا دور العلم، حيث يمكن للانسان أن يتجنب المعاصي وارتكاب الذنوب، إذا كان عارفا بكيفية التوظيف الصحيح للاخلاق، وعدم الخلط بين المستحب والمكروه من جهة، وبين الواجب والمحرم من جهة أخرى، وهنا ينبه سماحة المرجع الشيرازي الى أهمية الفصل بين الاخلاق كعلم، وبين كونها واجب لا ينبغي إهماله أو تجاوزه، حيث يقول سماحته بهذا الخصوص في الكتاب المذكور نفسه:

(لا يتصور أحد أن الأخلاق الإسلامية كلها علوم لاقتضائية، فكثير مما يعبر عنه اصطلاحاً بالأخلاق إنما هو من الواجبات، وضده من المحرمات، فإن التكبر والعجب مثلاً ليسا من المكروهات - بالمعنى الأخص - بل هما من المحرمات، وكذلك المرء - وهو الجدال بالباطل - وغير ذلك مما يوصف بالأخلاق الذميمة).

لذا لابد للانسان أن يتسلح بالمناهج والمضامين العلمية السليمة التي تحميه من السقوط في فخ الجهل بهذا الامر أو ذاك، حتى لو كان دافعه أخلاقيا، لأن الاخلاق من دون علم كالفوس بلا نبل، أو كالنهر بلا ماء، فكلاهما يكمل الآخر، إذ من الصعوبة أن توضع الاخلاق في المواضيع المناسبة لها من دون علم مسبق بالواجب والمحرم وسواهما من أمور ينبغي على الانسان أن يكون عارفا وعالما بها.

وبهذا يمثل العلم الوقاية الأهم من السقوط في براثن الجهل، وبالتالي تجنب الوقوع في الاخطاء حتى لو كان الامر ليس مقصودا، فالمهم بالدرجة

الاولى أن يحاول الانسان تجنب الوقوع بالخطأ ما أمكن له ذلك، وهذا الهدف الصعب والمهم جدا، لا يتحقق من دون مساعدة العلم الذي يجعل الامور تسير في مساراتها الصحيحة ويجنب الانسان الزلل، ويدفعه نحو الاتجاه الصحيح للتطور.

يقول سماحة المرجع الشيرازي حول هذا الموضوع من باب النصيحة والارشاد: (إعلموا أنّ العلم يعني النجاة من كلّ طارئ، فإنّ الزمان قصير حقاً نسبة لتلك الأمور. ولو أنّ أحدنا يعمرّ مئة سنة، فهو قليل تجاه ما يجب عليه، فكيف وأعمارنا أقصر من ذلك؟).

شبكة النبا المعلوماتية - الخميس ١٩/آيار/٢٠١١ - ١٥/جمادى

الآخرة/١٤٣٢

(١٠)

طريق طلب العلم وتجاوز المعوقات

يتطلب طريق العلم إرادة فاعلة وقوية تخطط للاهداف التي تبتغي الوصول إليها ثم تسعى فعليا لتحقيقها، وهذا الامر يتطلب السير المتواصل في طريق العلم الطويل، وهو طريق محفوف بالكثير من المعوقات والاشكالات التي تحاول أن تمنع الانسان من الوصول الى غايته وتناوئ إرادته وتضعفها لكي يحيد عن هذا الطريق المشوب بكثير من الصعوبات الجدية.

ولكن تبقى الارادات القوية صاحبة السبق في هذا المجال، فقد قيل فيما مضى (من طلب العلا سهر الليالي) ومن أراد العلم عليه أن يتعب ويصرّ على الوصول الى اهدافه وغاياته برغم الصعوبات الجمة التي ستواجهه حتما وهو يسعى الى تحصيل العلم، ولذا نجد أن بعض طلاب العلم يمكنه قطع

المشوار الصعب والطويل والشاق وصولاً الى تحقيق الهدف المطلوب وثمة من لا يتمكن من مواصلة الطريق نتيجة لتردد في التصميم والارادة التي تشكل عاملاً حاسماً في هذا المجال.

وقد ناقش سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظلّه) في كتابه الثمين الموسوم بـ (العلم النافع) هذا الموضوع الهام وقال في هذا الصدد:

(نلاحظ في الواقع الخارجي أنّ نسبة كبيرة ممّن بدأوا طريق العلم والدراسة بإصرار وصدق وإيمان لم يستمروا حتى النهاية، بينما النسبة الأقلّ هم الذين استطاعوا التغلّب على المشاكل الكثيرة التي تحفّ طريق طلب العلم).

ولكن مع تطور الحياة وتعدد منافذها وتوجهاتها لابد أن تتعدد المشكلات التي تواجه طلاب العلم وتتضاعف بسبب تعقيد الحياة بصورة مستمرة ومنتزيدة، وكما ذكر سماحة المرجع الشيرازي في كتابه قائلاً في هذا المجال:

(إذا كانت المشاكل والعقبات في طريق طلب العلم كثيرة فيما مضى، فإنّها اليوم أكثر).

ولكن ما هي طبيعة المشكلات والمصاعب التي يمكن أن يواجهها طلاب العلم في العصر الراهن وما هي الاختلافات بين صعوبات ومشكلات الأمس عن اليوم؟ ويجيبنا سماحة المرجع الشيرازي قائلاً في كتابه نفسه:

إن أكبر مشكلة في السابق كانت تتلخّص بعدم وجود الكتاب، وكون الكتب مخطوطة، فكان طالب العلم الذي يريد أن يقتني كتاباً كالشرائع - مثلاً - أمام أحد خيارات:

• إما أن يستعير نسخة خطية أو مستنسخة ثم يقوم بنسخها من أول الكتاب إلى آخره.

• أو أن يدفع ثمنًا باهضاً لشراء نسخة من الكتاب. وهذا لم يكن ميسوراً لأكثر الطلاب، فلا نبالغ إذا قلنا: إنَّ تسعين بالمئة منهم لم يكونوا قادرين على توفير هذا الثمن.

• أو أن يجد من يتبرع له بثمن الكتاب. وهذا أصعب الخيارات وأندرها تحقّقاً.

أمّا اليوم فبإمكان غالب طلاب العلوم الدينية شراء نسخة من الكتاب الذي يريدون دراسته. إذاً يمكن القول: إنَّ مشكلة صعوبة الحصول على الكتاب لم تعد اليوم موجودة).

ولعل هذه المشكلة التي كانت تواجه طلاب الامس قد تضاءلت كثيراً، وبهذا فإن جانباً مهماً من جانب المعرقات التي يمكن أن تواجه طلبة العلم قد حُلّت، بمعنى أن الكتب والمراجع أصبحت متوافرة بين أيدي الطلاب بصورة جيدة وبما لا يشكل إعاقة تُذكر أمام سعيهم لتحصيل العلم والسعي في هذا الطريق، ويؤكد سماحة المرجع الشيرازي أن كثيراً من مشاكل طلاب الماضي لم تعد تواجه طلاب الحاضر إذ ذكر سماحته في هذا المجال قائلاً: (من المشاكل التي كانت موجودة في السابق، وقد قلّت اليوم إلى درجة كبيرة، الحصول على مدرّس، فقد زالت هذه الصعوبة اليوم إلى حدّ كبير وخاصة في الحواضر العلمية التي نعيش فيها).

وهنا لا بد من القول أن أهم دعامتين لتحصيل العلم قد توافرت لطلابنا وهما (الكتاب والمدرّس) وهذا أمر لم يكن متوافراً لطلاب الماضي على هذا النحو واليسر الواضح، ولكن في مقابل هذا الأمر ثمة صعوبات ظهرت في

عالم اليوم واصبحت تتزايد وتواجه طلاب العلم كما يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا الصدد:

(هناك مشاكل استجدت ولم تكن في السابق، ومنها كثرة العطل، فلم تكن بهذه الكثرة، ولم تتجاوز - على ما أتذكر - غير الخميس والجمعة، والحالات الأربع من كل عام وهي شهر رمضان كله، وثلاثة عشر يوماً الأولى من شهر محرم، ووفيات ومواليد المعصومين عليهم الصلاة والسلام، والأعياد الثلاثة: الغدير والفطر والأضحى، ولم تكن عندنا عطلة صيفية ولا عطلة أخرى غيرها. وإذا أخذنا بنظر الاعتبار أن بعض وفيات ومواليد المعصومين كانت تقع في أيام الخميس أو الجمع ما عدا تلك التي تقع في أيام شهر رمضان. إذًا، فإن مجموع الأيام التي كنا نعطل فيها الدرس لم تزد على الشهرين في السنة، ومع كل ذلك لم نصل إلى شيء، مع أننا كنا نستغل حتى أيام العطل في تلقي دروس خارج المنهج الحوزوي المقرر كدروس الأخلاق والتفسير والعقائد والرياضيات والخطابة والكتابة، ولم تكن حتى ليالي الجمع وأيامها مستثناة من ذلك).

ومع الحجم الكبير للجهد المبذول من قبل طلاب الامس لتحصيل العلم بصورة جيدة، ومنها محاولة تقليل أيام العطل إلى أدنى حد بالإضافة إلى الدراسة في أيام العطل، إلا أن المطاولة لم تكن واحدة في قطع طريق العلم الشاق والطويل في آن، وهنا يشير سماحة المرجع الشيرازي في كتابه نفسه إلى هذه النقطة فيقول:

(لقد عبأنا كل طاقاتنا ولم يصل أغلبنا إلى الغاية المرجوة، فكيف بالوضع اليوم، وقد نقل لي أحد المدرسين أنه أحصى كل الأيام التي درّس فيها خلال إحدى السنوات الأخيرة فوجدها لا تزيد على التسعين!).

ولكن يتساءل سماحة المرجع الشيرازي أن طالب العلم اذا أخفق في تحقيق حلمه وهدفه هل هذا يشكل نهاية المطاف؟ وهل ينتهي الامر بالطالب الى الرضوخ للفشل واليأس وما الى ذلك من نتائج غير جيدة؟ هنا يجيبنا سماحته قائلاً: (إذا كانت المشاكل في طريق طالب العلم كثيرة، وكان طالب العلم لا يريد صرف عمره هكذا عبثاً ثم يكتشف بعد مرور ثلاثين سنة أو ربّما خمسين سنة أنه لم يصل إلى شيء ولم يحصل على نتيجة، فما هو الحلّ العملي للتغلب على هذه الصعاب؟ إن الحلّ الجذريّ يتمثل بالآية الكريمة: (أَلَا بَدِكْرَ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ).

والمقصود بذكر الله تعالى في الآية - كما قال المفسرون - الذكر اللساني والقلبي معاً. والمقصود بالذكر القلبي هو التوجّه إلى الله تعالى، فإنّ الممارسات العبادية التي نوّديها الله تعالى ينبغي أن لا تكون طقوساً جامدة، لا روح فيها، بل علينا أن نتفاعل معها، ونشعر من خلالها أننا نقف بين يدي الله تعالى ونوّدي حقّ العبوديّة على أتمّ وجه.

شبكة النبا المعلوماتية - الخميس ١٦/أيلول/٢٠١٠ - ٦/شوال/١٤٣١

(١١)

أهمية العلاج الديني في حياتنا المعاصرة

علينا أن نعرف الشباب والمراهقين بنبي الإسلام محمد (ﷺ) وأهل بيته (سلام الله عليهم) بالنحو والكيفية التي عرفوا بها أنفسهم وبالطريقة نفسها التي عرف بها القرآن الكريم شخصية رسول الله (ﷺ)، تلك الشخصية الموزونة التي خلت من الأمراض النفسية والعقد؛ كان خلقه القرآن الكريم. لذلك يؤكد سماحة المرجع الديني السيد صادق الحسيني الشيرازي

(دام ظله) ان في القرآن آيات بينات تهدي الشباب وكل الفئات العمرية التي هي عرضة الى الانحراف، ففي القرآن علاج للكثير من تلك العقد النفسية، التي يجب أن نعالج أنفسنا بها وكذلك المحيطين بنا.

من الضروري اطلاع الجمهور على ذلك، لغرض صيانتهم من الشرر والمفاسد، لأن روح الشباب والفتى رقيقة ربما تميل الى تجاذبات كثيرة، مما يفقد المرء صوابه وصعوبة اعادته الى الطريق السوي، لذلك قراءة القرآن الكريم وبالذات سور الشفاء النفسي، خير احتراز في هذا الوقت الصعب.

من الثابت أن الإيمان والالتزام بالدين يوفر للفرد الإحساس بالأمان والطمأنينة، يحصنه ضد الرغبات والأهواء والانحرافات، والأفكار الشاذة. ان معظم القضايا التي يعاني منها الإنسان هي بسبب الأزمة الأخلاقية والبعد عن تعاليم الدين، اللجوء الى الدين والعبادات يساهم في الحد من الكثير من مشاكل الحياة، كما أن الدين له أثره الواضح في النمو العقلي والنمو النفسي والأخلاق والسلوك.

التعاليم الدينية الصحيحة عندما تتغلغل في النفس وفي الفكر، تدفع الفرد الى السلوك الإيجابي في الحياة، يمكن النظر الى الدين على أنه أحد أبعاد شخصية الفرد، ويتناول جميع أبعاد حياته، والدين يعتبر قوة دافعة. الفرد في بلوغه ومراهقته يتعرض ليقظة دينية عامة حيث يميل الى التأمل، الانشغال بصفات الله عز وجل، كما يميل الى ممارسة النشاط الديني وذلك إذا توفرت للإنسان التنشئة الأسرية الجيدة والقُدوة الدينية الحسنة.

أن نسبة من المراهقين والشباب يكونون من المتحمسين دينياً، ويندفعون نحو جماعات البر والإحسان، أو الزهد والتصوف، أو بعض الحركات الهدامة التي تعمل باسم الدين.

قد يلجأ البعض الى الدين كوسيلة للتحكم بالدافع الجنسي، حيث يشعر المراهق بالذنب عند أي ممارسة او فعل غير شرعي، فيدعو الله طلبا للمغفرة والتوبة، وإذا ما تم عن طريق العلاج النفسي الديني استغلال هذا الاستعداد للدين لدى الشباب، وتم توجيههم نحو الأخلاق الحميدة، عن قناعة ورضى وفهم، فإن هذا كاف لأن يبعد الفرد عن مشاكله، ويحسن من نظرتة الى نفسه، ويزيد من إرادته وطموحه.

إن الأخلاق مستمدة من الدين، هي تعمل على تنظيم سلوك الفرد والجماعة، كما تعمل على تنمية الضمير الفردي والجماعي، وجعل السلوك صحيحا، سويا، محببا، مفيدا، لهذا فإن مفاهيم الدين والعمل بها تعمل على إصلاح السلوك، لأن للعامل الديني، تأثيرا قويا في النفس والفكر والسلوك. القرآن الكريم، حافل بالآيات الكريمة التي تعتبر منهجا للهداية، للاستقامة بالسلوك، ومنهجا في الوقاية، في العلاج وغير ذلك.

يقول الله تعالى في كتابه العزيز:

(إنهم فتية امنوا بربهم وزدناهم هدى) الكهف/١٣.

(ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين)الإسراء ٨٢.

(قل هو للذين امنوا هدى وشفاء) السجدة ٤٤.

(وإذا مرضت فهو يشفين) الشعراء/٨٠.

(يأيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور)

يونس/٥٧.

الإنسان المؤمن هو الذي يكون صادقا مع نفسه ومع غيره، مطمئنا، واثقا، أمينا، مخلصا خلوقا، حساسا، لا يكذب، ولا يخون، ولا يسرق، ولا يقلق، ولا يخاف، يقول الحق، يفعل الحق... لذلك ليس غريبا أن يكون

ضعف الإيمان، من أبرز عوامل حدوث مشكلات الأفراد مثل الأوهام، الانتحار، الانحراف في السلوك، واستغلال الآخرين والإساءة الى الأطفال، وارتكاب الجرائم، الفشل في الحياة، حتى الأمراض النفسية والعقلية والأمراض العضوية تتفاعل وتتأثر بالعامل الديني لدى الإنسان. لقد جاء في القرآن الكريم توجيهات كثيرة لإصلاح سلوكنا، وأخلاقنا، وأمراضنا.

يقول الله تعالى في وصية سيدنا لقمان لابنه وهو يرشده وينصحه حتى يستقيم أمره في الحياة: (وإذ قال لقمن لابنه، وهو يعظه (وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابني لا تُشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم، ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلى المصير، وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا، واتبع سبيل من أناب إلى، ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون. يابني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله، إن الله لطيف خبير. يابني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر واصبر على ما أصابك، إن ذلك من عزم الأمور، ولا تصعّر خدك للناس، ولا تمش في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور، واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير) لقمان / ١٣-١٩.

إن هذه الآيات الكريمة ترينا أصول التربية والتوجيه والإرشاد والعلاج، كما ترينا ضرورة اهتمام الأبوين بأطفالهما من حيث تعليمهم السلوك الديني الصحيح، منذ صغرهم، حتى إذا خرجوا الى الحياة أمكنهم السيطرة على نزواتهم، ودوافعهم.

الكثير من الآيات القرآنية لها أثر إيجابي في شفاء الأمراض النفسية

والعضوية والاجتماعية، والانحرافات السلوكية، حيث توجب محاسبة النفس، التأمل الروحي، طلب التوبة، مما يجعل الإنسان يحافظ على توازنه واستقراره، كما يحافظ على طاقته وقدراته.

يجب على الفرد المسلم فهم سبب مشكلته أو فهم سبب انحرافه أو فشله... وفهم الأمور التي تترتب على ذلك. بهذا تنمو لدى الفرد القدرة على التمييز بين السلوك السوي، والسلوك غير السوي، بعد ذلك تنمو الذات، يقول الله تعالى: (بل الإنسان على نفسه بصيرة) القيامة/ ١٤.

بعدها، يتمكن الفرد أن يكتسب اتجاهات فكرية وقيما سليمة، وأن يصبح قادرا على فهم مشاكله ومواجهتها، على ضبط نفسه مع الإحساس بالرضا والسعادة.

عندما تكون للفرد النية الخيرة والحسنة في تقويم نفسه... تدفعه نفسه نحو فعل الخيرات والكف عن الشرور، تجعله يشعر بخيرية الذات، وهذه من أسباب التوافق في الحياة، ومن أسباب العطاء والإنجاز والنجاح.

شبكة النبأ المعلوماتية- الأربعاء ١٢/كانون الثاني/٢٠١١ -

٦/صفر/١٤٣٢

(١٢)

سعادة الإنسان والتوافق مع الذات

من طبائع الانسان المعروفة والمتفق عليها بين المتخصصين وعامة الناس، انه غالبا ما يبحث عن سعادته طالما كان موجودا على قيد الحياة، بل ربما تكون من أهم اولويات الانسان هو السعي والوصول الى درجة السعادة المبتغاة من لدن الجميع، في وقت لم يقف أحد ما او تشريع او عرف او

قانون ضد هذه الرغبة الانسانية، بل هي متاحة ومباحة للجميع ولكن وفقا لضوابط متفق عليها سواء في التشريعات السماوية او الوضعية او حتى الاعراف والتقاليد والنواميس البشرية وما شاكل ذلك.

غير أن الطريق الى السعادة لم يكن سهلا أمام الانسان، فهو مرتبط بمقومات وعوامل عدة ينبغي التعامل معها بحنكة والتفوق على مصاعبها كي يصل الانسان الى حالة التوافق القصى مع الذات، وهذا يعني قبول المرء بما يتعرض له أثناء حياته من مصدات وعوائق متعددة الاشكال والمصادر، ومنها المصاعب القدرية التي تفوق قدرة الانسان على التحكم بها مثل الموت او التعرض الى حوادث مهلكة ليس له القدرة على تلافيها او مواجهتها كونها خارجة عن قدرته البشرية، لذلك يقول سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي في كتابه القيم الموسوم بـ (العلم النافع):

(لا ينبغي أن نعبس أو تضيق صدورنا أو نحزن بسبب تموجات الحياة، بل يجب أن نعمل بوظيفتنا في كل الأحوال - سواء الصعبة أو السهلة - وأن نعتبر ذلك امتحاناً إلهياً لنا).

بمعنى أن التوافق مع النفس مطلوب في كل الأحوال، غير ان هذا الامر ليس من البساطة بحيث يكون متاحا امام الجميع، لأن المسألة تتعلق بمدى قوة إيمان الانسان ودرجة قدرته على قبول الوضع الذي يعيشه مهما كانت درجة صعوبته، كونه يمر في حالة امتحان متواصلة طالما كان على قيد الحياة، فالدنيا كما هو متفق عليه بين الاديان السماوية كافة، هي قاعة امتحان كبيرة، تتطلب من الانسان الذي يأتي هذه الحياة أن ينجح فيها، ولعل نجاحه يتعلق تماما بدرجة إيمانه وتحمله لكل ما يتعرض له من حوادث منغصة لحياته،

فالامر ببساطة يتطلب الصبر المتأتي من حالة التوافق والقبول بما قسمه الله تعالى لهذا الانسان او ذاك، وفي هذا الصدد يقول المرجع الشيرازي في كتابه نفسه:

ان (كلّ الذين وفدوا إلى هذه الحياة إنّما وفدوا من أجل الامتحان، لا فرق في ذلك بين الشيخ والشابّ والرجل والمرأة والغنيّ والفقير والعالم والجاهل... قال الله تعالى في كتابه الكريم: لَنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) سورة يونس ١٤.

ومع ذلك هناك مساحة واسعة متاحة للفعل والتفكير الانساني والارادة الخلاقة التي لا تستسلم للعثرات او المصائب التي تحل بها، فصلاية الانسان مطلوبة في كل الاحوال طالما انه يعيش هذه الحياة التي شُبّهت بقاعة الامتحان الدنيوية الكبيرة، ذلك لأن الارادة المؤمنة هي جزء لا يتجزأ من النجاح في هذا الامتحان، بمعنى ان التراجع والنكوص والانهازم تجاه مصاعب الحياة سينم عن ارادة ضعيفة وهذه بدورها تنم عن إيمان ضعيف وبالتالي فشل في الامتحان نتيجة لقلّة الايمان.

فالسعي نحو السعادة وفقا للسبل والطرائق المشروعة لا يشكل خلافا في توجهات الانسان لاسيما اننا نتفق بأن السعادة تنبع من التوافق بين الانسان ونفسه، وان هذا لا يتحقق إلا من خلال الايمان العميق والصادق الذي يتأتى من التمسك بالمبادئ السماوية التي قدمتها الاديان على شكل كتب مقدسة للانسان وخاتمتها القرآن الكريم الذي جاء بوصفات دنيوية وأخروية تحفظ للانسان كرامته وتحقق له سعادته في الدنيا والآخرة فيما لو التزم بها وعمل وفقا لتعاليمها ومبادئها، إذن نستطيع القول ان الدين لا يمنع الانسان من السعي وبذل الجهد لتحقيق النجاح، وفي هذا المجال يقول سماحة

المرجع الشيرازي:

(لا شك أنّ الرضا بالتقدير الإلهي لا يعني أبداً أن لا نخطو من أجل حلّ المشاكل ورفع النواقص بأن نحجم عن الاستفادة من الوسائل والأسباب الظاهرية والدعاء والتوسّل وغير ذلك، بل المقصود من الرضا بالتقدير الإلهي هو التسليم إزاء الأمور الخارجة عن إرادتنا. فإذا كنّا كذلك فإن تقلّبات الحياة ومصاعبها لن تثنيننا أو تعصرنا ولا نصاب بالإحباط والكآبة؛ ومن هنا أيضاً نفهم وصف المؤرّخين للإمام الحسين سلام الله عليه في يوم عاشوراء أنّه كان يزداد وجهه إشراقاً كلّما سقط شهيد من أسرته وأصحابه) ١.

وهنا يرتبط الامر بدرجة الوعي وقوة الايمان التي يتمتع بها الانسان، ولعل العلاقة هنا ستكون طردية تماما، فكلما كان ايمان الانسان قويا كانت قدرته على تحمل الصعاب والمصائب قوية ايضا ويصح العكس، كما ان الايمان ومخافة الله سبحانه وتعالى لا تعني أبدا أن يظل الانسان معتكفا في بيته عازفا عن العمل والانتاج والتفاعل بل كل هذا مطلوب منه (فالعامل عبادة) لكن الجانب المهم هنا، هو أن يتحلّى الانسان بالنزاهة في العمل وأن يكون الايمان الحقيقي هو المحرك بل المسيطر على كل أنشطة الانسان لأنه في هذه الحالة لن يخطأ ولن يتجاوز على أموال غيره ولن يرتكب الحماقات مع الآخرين وبالتالي سيكون راضيا عن نفسه وداعما لايمانه ومتأكدا من أن الله سبحانه وتعالى ينظر الى اعماله الصحيحة الخالية من التجاوزات ايا كان نوعها وبالتالي سيصل الى السعادة الحقيقية التي منبعها الايمان والارادة الانسانية المستمدة منه.

ولذلك فإن السعادة لن تكمن ابدا في سعة الثروة وكثرة الاموال وقوة الجاه وما شابه، بل تكمن بتوافق الانسان مع نفسه الصالحة اولا وأخيرا، وهنا

يقول سماحة المرجع الشيرازي في كتابه الثمين هذا:
(ليست سعادة الدنيا في أمور زائلة كالثروة أو البيت الواسع وغيرهما
بل بامتلاك قلب واسع مطمئن؛ راض عن قسم الله تعالى).

.....

١- قال عبد الله بن عمار بن عبد يغوث في وصفه للإمام الحسين عليه السلام:
ما رأيت مكسوراً قط قد قُتل ولده وأهل بيته أربط جأشاً منه. انظر مثير
الأحزان لابن نما: ص ٥٤، المقصد الثاني: في وصف موقف النزال وما يقرب
تلك الحال.

شبكة النبا المعلوماتية- الاحد ٥/تموز/٢٠٠٩ - ١٢/رجب/١٤٣٠

(١٣)

سعادة الانسان والعوامل المساعدة على تحقيقها

من طموحات الانسان المشروعة والمتفق عليها، هو سعيه الجاد
والحثيث للوصول الى حياة سعيدة له ولذويه ولرعيته اذا كان مسؤولاً عن
مجموعة من الناس، فالسعادة هي مبتغى الجميع والسعي إليها لا يتقاطع مع
تعاليم الاديان او الاعراف او التقاليد او غيرها من القوانين الاخرى.

وفي هذا الباب يقول المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق
الشيرازي في كتابه الموسوم بـ (العلم النافع / منهل السعادة):

(ينشد السعادة كل إنسان ويبحث عنها، ويسعى لها كل جدّه واجتهاده،
وبعض الناس يعيشون السعادة، وكثير منهم لا يعيشونها. فأين تكمن
السعادة؟).

إذن ينبغي أن يكون ثمة بحث مستفيض ودقيق عن مكان السعادة من

لذن الانسان، ولعل التأكيد المستديم الذي يقول بأن مكمّن السعادة هو الانسان نفسه او ذاته يتوافق مع ما ذهب إليه المرجع الشيرازي في كتابه هذا حيث يقول في هذا الصدد:

(إنّ أصل السعادة ومنبعها هو الرضا بما قسم الله جلّ وتعالى. وليست بالمال أو العلم أو الشباب أو صحّة البدن أو في الوظيفة أو في الشخصية أو في العشيرة أو الأقارب الكثيرين، أو في السمعة الطيبة؛ بدليل أنّ هنالك العديد ممّن توفرت عندهم هذه الأمور لكن مع ذلك تراهم متعيين نفسياً، أو يقدمون على الانتحار - والعياذ بالله -.

لذا، فالملاك في السعادة أن يجد الإنسان نفسه قانعاً بمقدار ما يوجد في أعماق نفسه من رضا بما قسم الله سبحانه له، سواء كان شاباً أو كبير السن، فتاة أو عجوزاً، متزوجاً أو أعزب، رجلاً أو امرأة، غنياً أو فقيراً، جامعياً أو حوزوياً، وفي أيّ مجال كان. فإذا رضي مئة بالمئة، فهذا سعيد مئة بالمئة، وهكذا).

إذن تكمن السعادة في الرضا عن النفس، بمعنى ان الانسان كلما كان متوافقاً مع نفسه كلما كان قريباً من كنز القناعة التي تقوده الى حالة التوافق مع الذات، وتبعده عن الندب او اللهاث وراء غنائم الحياة الفانية، فحين نقول بأن من حق الانسان الحصول والوصول الى السعادة ومنبعها، فهذا لا يعني قط ان يحقق الانسان مآربه بالطرق او الوسائل غير المشروعة، حيث سيتعارض ذلك مع مبدأ التوافق النفسي او الرضا عن الذات، ناهيك عن تقاطعه مع التعاليم الدينية والاخلاق والاعراف وما شابه ذلك، نعم انت لك كل الحق ان تكون سعيداً في حياتك ومن هم تحت رعايتك لكن ينبغي ان تصل الى هذا الهدف بما يقبل به الله تعالى.

إن إيمان الانسان بما أتى به القرآن الكريم في هذا الصدد سيغنيه عن الكثير من المصاعب والمتاعب في آن، وسوف يقوده الى السعادة بأقصر الطرق، وفي هذا الصدد يقول سماحة المرجع الديني الشيرازي في كتابه المذكور نفسه:

(إن الآيات المباركة في القرآن والأحاديث الشريفة عن المعصومين الأربعة عشر صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قد أكدت هذا الأمر كثيراً. ففي محكم التنزيل قال الله تعالى: (لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ)، وفي دعاء الإمام زين العابدين سلام الله عليه الذي نقرأه في أسحار كل يوم من شهر رمضان المبارك والمعروف بدعاء أبي حمزة الثمالي - الذي لو قرأه المرء مرّة واحدة بتأمل وتفهم دقيقين، فإنه سيرجى عند الانتهاء منه أن يكون مستجاب الدعوة من الله إن شاء الله تعالى - نقرأ في آخر سطر منه العبارة التالية: «ورضّني من العيش بما قسمت لي».

إن امرأة فرعون كانت تعيش مع أسوأ الرجال، حيث كان طاغوتاً وجباراً وظالماً، فرضيت بما قسم الله لها، حين قالت كما أخبر عنها قوله تعالى: (رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ) فكانت امرأة سعيدة، وصارت نموذجاً للاقتداء والتأسي. فالله تعالى في كتابه العزيز يدعو النساء والرجال إلى التعلّم منها، وهذا هو أساس السعادة.

إن الرضا بما قسم الله ليس معناه أن لا يسعى الإنسان في رفع مشاكله أو سدّ نواقص حياته أو دفع معاناته، بل عليه مع ذلك أن يكون قانعاً بما قسمه الله عزّ وجلّ له، حتى يهنأ في معيشتته وحياته.

إن الذي يرضى بما قسم الله له لا يتعرّض للأمراض، سواء البدنية منها أو النفسية ولا يقتل نفسه أبداً، وهذا أمر بالغ الأهمية وله آثار إيجابية كبيرة.

فينبغي لكل مؤمن أن يعزم عليه ويعمل به دوماً، حتى يهنأ ويسعد في عيشه).

وهكذا نستطيع أن نقول بأن الانسان هو من يمسك بزمام الامور فيما يتعلق في استحصال السعادة والوصول الى منابعها وروافدها في آن، ولعل الامر مقرون بالارادة الانسانية الصالحة التي تدفع بالانسان الى البحث عن عناصر ومقومات سعادته ولكنها في الوقت نفسه تضع له الحدود والاشتراطات التي تمنعه من الشطط والميول الى ما لا يرضي الله سبحانه وتعالى لأن ذلك سيقود (بما لا يقبل الشك) الى تضارب وتضاد نفسي يدمر التوافق المطلوب توافره في ذات الانسان لكي يتجنب السقوط في مهاوي الرغائب والغرائز التي غالبا ما تدفع الانسان الى حافة اللامشروع.

شبكة النبأ المعلوماتية- الاحد ١٧/آيار/٢٠٠٩ - ٢٠/جمادى

الأولى/١٤٣٠

(١٤)

لا لتقمص الفضائل

في كتاب (العلم النافع سبيل النجاة) لسماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله) طرح لأفكار المرجعية من منطلق العمل بالقرآن الكريم والأحاديث الشريفة الداعية الى الاستفادة من مجالس العلماء لتغذية الروح الإنسانية، القلب، بالفضائل لنيل الدرجات الحسنى في الدنيا والآخرة، والابتعاد عن معصية الله سبحانه، أسأل الله تعالى أن يمن علينا بتسهيل الطريق لتتحلى بالفضائل ونتجنب الرذائل.

يستهل السيد المرجع حديثه العلمي الشيق بالقول: إن التخلي عن

الردائل طريق إلى التحلي بالفضائل، والتحلي بالفضائل طريق إلى الإمدادات والفيوضات الإلهية.

قد يحمل الإنسان نفسه قسرا على تقمص الفضائل، لكنه في الوقت نفسه تجده قد احتوته الردائل، حتى لا تجد تلكم الفضائل لها مكانا في القلب إلا لوقت محدود وسرعان ما تزول. يقول علماء الأخلاق: إن على الإنسان أن يصلح نفسه أولا باقتلاع جذور السيئات والردائل المتعلقة بقلبه لتحل بعد ذلك محلها الحسنات والصالحات.

هناك العديد من الأحاديث التي تشير إلى هذا المعنى إجمالاً؛ منها ما روي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: (لولا أن الشياطين يحومون حول قلب ابن آدم، لنظر إلى الملكوت).

فالإنسان لا يرى الملائكة - مثلاً - ولا يسمع أصواتها، كما لا يرى كل آثار رضى الله وغضبه، شأنه في ذلك شأن عجزه عن الإحساس بحدوث مقدمات الزلزلة قبل وقوعها، في حين إن الله تعالى قد زود بعض الحيوانات قابلية الإحساس بقرب وقوع الزلزلة، بحيث تراها تصرخ قبل وقوعها. تسعى لمغادرة المكان، لعلها تهجره قبل يوم أو يومين من حدوث الزلزال، فهي إذا تدرك أمراً يعجز الإنسان رغم فكره وعقله عن توقعه أو تحسسه.

فمن كانت الشياطين تحوم حول قلبه لتغمره بالأمراض الروحية والمساوى النفسية، كما يشير السيد صادق الشيرازي، يعجز عن النظر إلى ملكوت السماوات والأرض، وعن معرفة الحكمة، ولا يعي أهمية العقل والفضيلة، بالتالي ينجر إلى حيث تسوقه شياطينه المحيطة بقلبه.

القلب

مكان الشرور التي يجب محاربتها بقوة الله سبحانه هو القلب. وحسب رأي السيد المرجع الشيرازي (دام ظله)، ان لكل شيء في الحياة آثار يدركها الإنسان إذا توفر شرط الإيمان وشرط العلم، فالنظر الى ملكوت السموات والأرض، ليس بحاجة الى معجزة ليتحقق، بل أمره متوقف على توفر جملة من العوامل، في مقدمتها إصلاح القلب.

مثل الناظر الى ملكوت السموات والأرض مثل المهندس المعماري الذي يحدد عمر هذه البناية أو تلك من أول نظرة إليها، ومثل الطبيب الحاذق الذي يستطيع تشخيص المرض بمجرد أن يلقي نظرة على المريض؛ لما يراه من آثار في وجهه وغير ذلك، مثل الخبير في علم اللغة والخطابة الذي يستطيع معرفة الخطيب المفوه من أول جملة يتفوه بها هذا الخطيب أو ذلك. إذا فما حازه أولئك من علوم وفنون حتى صاروا يعرفون ضمن إطار تخصصهم، إنما حصل بفعل أعمالهم العقل والعناية، فهكذا الحال لمن يريد الوصول الى معرفة الملكوت يجب عليه أعمال القلب وتهيئته للتوسم بآيات الله سبحانه وتعالى: (إن في ذلك لآيات للمتوسمين) الحجرات / ٧٥.

من هذا الحديث الشريف وأمثاله قال علماء النفس والأخلاق أن على الإنسان لكي ينظر الى الملكوت أن يصلح قلبه أولاً، وذلك عبر انتزاع الرذائل منه، ثم بعد ذلك يحاول زرع الفضائل مكانها. هذا يلزم قلع جذور السوء من قلبه أولاً، فإن استطاع، فبمقدار ما استطاع وبنفس النسبة يكون تسديد الله سبحانه، إليه وشمول رحمته له.

امتلاك الحواس

روي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قوله: (إن من أحب عباد الله إليه، عبدا أعانه الله على نفسه، فاستشعر الحزن، وتجلبب الخوف، فزهر مصباح الهدى في قلبه).

مما ينبغي الإشارة إليه أن الحواس الظاهرة أسهل في الامتلاك من القلب. فلعل من السهل على الفرد أن يحاول امتلاك لسانه إذا تعرض للسب والإهانة، أو أن يسيطر على يده إذا تعرض للضرب، فيشبهك أصابعه لئلا ينفلت منه زمامها ولكن من الصعب أن يملك المرء قلبه. فالجبان مثلاً - حتى إذا خاض بجسمه في الأمر المهول، إلا أنه يعجز عن امتلاك قلبه وأن يتحكم بدقات القلب فيحول دون اشتدادها.

فامتلاك الجوارح أسهل على الإنسان بكثير من امتلاكه قلبه وباطنه، لا سيما في اللحظات الحرجة والحساسة، كالحظات الغضب والطمع والحسد. هذه حالة موجودة في القلب ولكن إذا غذاها الإنسان اشتدت وزادت، أما إذا أنبها وحاول إزالتها تقل الحالة وتضعف.

وما ورد في هذه الرواية من قوله عليه السلام: (فاستشعر الحزن) يفيد أن الحزن لا يكون إلا من النفس؛ فيصيب قلب الإنسان فتور في الانقباض والانبساط فتظهر آثاره على البدن والوجه، المراد هنا الحزن على ما فرط وارتكب من الذنوب وعلى ما قد ينتظره من مستقبل غير معلوم من هذه الجهات. لذا فإن من أعانه الله على نفسه لابد أن يكون كثير التأكيد والتركيـز على نقاط الضعف الكثيرة والمتأصلة في قلبه والتي عادة ما يكون استسلام الإنسان لشهواته مسبباً عنها.

وسائل التطهير

للتطهير والإصلاح وسائل، يحاول المرجع الديني السيد الشيرازي تسهيل أمر تقديمها للمستمع والقارئ، هذه الوسائل سلسلة متصلة الحلقات لا تنفك، منها:

أولاً: الإخلاص لله سبحانه وتعالى، والذي يتأتى بالإرادة والممارسة. ورد عن النبي (ﷺ): (من أخلص لله أربعين صباحاً تفجرت ينباع الحكمة من قلبه على لسانه).

فالقلب كالمرآة كما أن الإنسان لا يستطيع أن يرى نفسه جيداً في المرآة التي تراكم الغبار عليها، كذلك إذا علا قلبه الرذائل، لا يستطيع أن ينظر إلى ملكوت الله؛ قال عز وجل: (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون) الأنفال / ٢.

فلم توجل قلوب هؤلاء عند ذكر الله تعالى؟ الجواب: لأن قلوبهم عامرة في الأساس، فعندما يسمعون اسم الله تعالى، يستذكرون أشواط حياتهم ويستعيدونها ويتوقفون عند مساوئهم ويستغفرون الله من المعاصي، والإخلاص مهمة صعبة إلا أنها ممكنة.

ثانياً: ويتلو الإخلاص لله تعالى، مهمة الاستمرار في محاسبة النفس.

ثالثاً: كما يعتبر التوكل على الله سبحانه وتعالى وطلب المعونة منه من وسائل الإمدادات الإلهية في تطهير القلب من الرذائل، وتعويضها بالفضائل.

شبكة النبأ المعلوماتية - السبت ١٥/ تشرين الأول/ ٢٠١١ - ١٧/ ذو

(١٥)

أهمية الموازنة بين الواجبات والمحرمات

هناك واجبات ينبغي على الانسان المسلم معرفتها وتأديتها عن طيب خاطر، وهناك محرمات ينبغي عليه أن يعتاد الامتناع عنها، من خلال قدرته على التحكم برغائب النفس اولا، ومن خلال القدرة على الموازنة بين تأدية الواجبات والامتناع عن ايتاء المحرمات، ومنها على سبيل المثال، عدم الاعتداء على الآخر، حتى لو توافرت للانسان مقومات القوة الجسدية او المعنوية كقوة السلطة.

فاذا كان الانسان قويا لا يعني ذلك منحه امتيازا للتجاوز على الآخرين، واذا كان حاكما لا يعني ذلك شروعه بظلم الناس من خلال سلطته، ولنا أمثلة مشرقة في تاريخنا الاسلامي على دقة الموازنة بين مراعاة حقوق الناس واحترامهم، وبين القيام بما يقتضيه الواجب الديني او الاخلاقي او العرفي وما شابه.

في احدى محاضرات المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظلّه) وهي بعنوان (لنعرف إمامنا وواجبنا بصورة أفضل) جاء بهذا الصدد: (لقد كان أمير المؤمنين سلام الله عليه يدفع من ناهضه وبارزه بالنصح والموعظة ما أمكن، وكان يسعى للحؤول دون وقوع الحرب وإراقة الدماء، سواء عن طريق المواعظ الفردية والجماعية أو غيرها.. ولكن إذا وصل الأمر بالطرف الآخر أن يهجم ويريد القتال قام الإمام عليه السلام بدور الدفاع لا أكثر، ولكن ما إن يتراجع الخصم أو ينهزم حتى يتوقف الإمام عن ملاحقته ولا يسعى للانتقام منه، ولم يرو أن الإمام عليه السلام بدأ أحداً بقتال

أبدأً. وهذا الأمر مشهود في تاريخ أمير المؤمنين سلام الله عليه).
لذلك ينبغي أن يكون الدافع لأية وظيفة او عمل ما، مبررا ومقبولا، ولا
ينبغي للانسان أن يحتكم الى نفسه واهوائها، في ايتاء هذا العمل او تجنبه، بل
ثمة ضوابط معروفة ينبغي الاحتكام لها، تجنبنا لرغبات النفس وسلطتها
وميولها المعروفة نحو تفضيل الذات، نعم ينبغي ان يعرف الانسان حقوق
النفس وحقوق الآخرين ايضا.

يقول سماحة المرجع الشيرازي بهذا الصدد في محاضراته القيّمة
نفسها: (على كل فرد منا أن ينظر ما هي وظيفته تجاه نفسه وتجاه الآخرين؛
وما هي الواجبات المترتبة عليه، وما هي المحرمات التي يجب عليه الانتهاء
عنها).

ولا تنحصر معرفة الواجبات والمحرمات في جانب دون غيره، بل
ينبغي أن تكون هذه المعرفة شاملة، أي تشمل كل مناحي الحياة، ومنها الحياة
الزوجية للفرد مثلا، إذ يؤكد سماحة المرجع الشيرازي قائلا حول هذا
الموضوع: (على كل فرد منا أن يعرف ما هي الواجبات بحقه وما هي
المحرمات عليه. فعلى الزوج أن يعرف واجباته تجاه نفسه وتجاه عائلته
وتجاه الآخرين، وكذا المرأة عليها أن تسعى لمعرفة ما يجب عليها تجاه
زوجها وأولادها والمجتمع. وهكذا الأولاد تجاه والديهم والوالدين تجاه
الأبناء، وكذا الإخوة فيما بينهم، وهكذا الجيران والأرحام والمتعاملون بعضهم
مع بعض).

ولذلك لا بد أن يكون الانسان عارفا وملما في حقل الواجبات
والمحرمات، وهذا يتطلب سعيا حثيثا لمعرفة ذلك، من خلال المتابعة
والاطلاع علميا ومعرفيا، والاقتراب من مصادر المعلومات الموثوقة في هذا

الجانب، بمختلف أنواعها الدينية والتربوية وسواها، إذ يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا المجال: (إنّ الواجب هو أن يعرف الإنسان أحكامه – ولا أقلّ من الواجبات والمحرمات)

ولا ينبغي التوقف عند تحصيل القدرة على معرفة الواجبات والمحرمات، والموازنة بينهما، بل على من يتقن ذلك ويتعلمه، أن يعلم الآخرين عليه، كما يؤكد في ذلك سماحة المرجع الشيرازي قائلاً: (على كلّ فرد منّا سواء كان رجلاً أو امرأة، شاباً أو شيخاً، أن يحصل على ملكة تحصّنه من ارتكاب المحرمات أو التخلّف عن الواجبات، ثمّ عليه بتعليم الآخرين حسب مقدرته ومعرفته).

لذا في كل الاحوال، ينبغي أن يسعى الانسان لمعرفة ما هو مطلوب منه، سواء في جانب الواجبات او المحرمات، وفي حال تمكنه من اتقان ذلك جيداً، عليه أن يبادر لتنوير الآخرين في هذا المجال، لذلك يبقى السعي للمعرفة امراً مطلوباً من الانسان على نحو دائم، إذ يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا الخصوص: (أمّا ما لا يعرفه – الواجب والمحرم – فليتعلّمه إن كان يستطيع ذلك، ثمّ يعلّمه للآخرين، فإنّ نسبة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى العلم هي نسبة الواجب المطلق، وليس المشروط، ولكنّه واجب كفائي، فإذا لم يكن من فيه الكفاية صار واجباً عينياً أيضاً. أي أنّ على كلّ شخص مكلف أن يتعلّم الواجبات والمحرمات التي عليه وعلى الآخرين للعمل بها وتعليمها والأمر بها للوصول إلى حدّ تتحقّق فيه الكفاية).

شبكة النبا المعلوماتية- الخميس ٢٥/آب/٢٠١١ - ٢٤/رمضان/١٤٣٢

(١٦)

أهمية الكلام وقوة تأثيره في الآخرين

يتفق المختصون بأن خطوة إكتشاف الانسان للغة شكّلت قفزة أساسية في رحلة التطور البشري، فبدلاً من لغة الإيماءات والاشارات وما شابه، صارت للانسان حروف وأصوات ومن ثم كلمات ولغة تفاهم تختصر له زمن الفهم وتخلصه من عناء اللغة الاشارتية البطيئة جدا في حينها.

وأصبحت اللغة هي العنصر الوسيط والرابط بين الناس من حيث التعامل الفكري والحركي، وهي أداة العلماء والمفكرين والمصلحين والفلاسفة والسياسيين مثلما هي اداة لعامة الناس من عمال وطلاب وموظفين وغيرهم، وبهذا فقد تعددت مهام الكلام وتضاعفت ادواره في الحياة الفكرية والعملية حتى اصبح الوسيلة الأخطر والأكثر تأثيرا في المحيط البشري.

من هنا فرّق العلماء والمختصون بين حالتين للغة او الكلام، فثمة كلام او لغة مجردة معدة سلفا للسمع فقط من اجل تحقيق اهداف محددة ربما تكون فكرية او دينية او علمية او غيرها، وثمة لغة أخرى ينبغي أن تُقرَن بالفعل المرادف لها، بمعنى أن مثل هذه اللغة سيكون تأثيرها محدودا في حال عدم إقرانها بالفعل المشابه لها او المحقق لمضمونها، ولذلك جاء في الآية القرآنية الكريمة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.

وفي هذا الصدد، جاء في كتاب المرجع الديني آية الله العظمى السيد

صادق الشيرازي الموسوم بـ (العلم النافع):

إن (المفهوم من الآية الكريمة أن الله تعالى يمقت الذين يقولون ما لا يفعلون. بيد أن ههنا مسألتين لا ينبغي الخلط بينهما:
الأولى: أخلاقية، وهي قبح مناقضة القول للعمل.
أما المسألة الثانية: فهي مسألة شرعية، وهي عدم سقوط وجوب القول بذريعة عدم العمل به.

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان حتى على الشخص الذي لا يعمل بالمعروف ولا ينتهي عن المنكر).

إذن فالكلام مهما بلغ فحواه من العلو والكمال والصحة، فإن تحقيقه على أرض الواقع سيكون شرطاً للقبول به، بمعنى أن القائد السياسي الفلاني على سبيل المثال وليس الحصر، قد يطالب شعبه بضرورة التطور والتقدم وزيادة الوعي والتنبه للمخاطر وما إلى ذلك، فهل سيلاقي قوله هذا قبولا في حال كان مشغولا بتحقيق مصالحه وملذاته الشخصية وما إلى ذلك كما يتحدث لنا التاريخ والواقع عن قادة من هذا النوع، فمثل هذا القائد الذي يتحدث عن العدل والمساواة والمثابرة وتكافؤ الفرص وغيرها، هل سيُقبل منه هذا الوعد وهو موغل بالظلم والتفرقة وتقريب الأهل والحاشية والبطانة المفسدة وما شابه؟.

قطعاً إن الشعب لا يهتم بكلام مثل هذا القائد ولا يتأثر به لأنه يعرف بأن هذا الكلام (مجرد من الفعل) أي أن حصته من التطبيق ملغاة تماماً أو ضيلة بما لا يتناسب وحاجة الناس لتطبيقها.

نعم نحن نتفق على أن الكلام الجميل الحقيقي المخلص له وقع في النفس وله قبول كبير من لدن الناس على مختلف مشاربهم ومستوياتهم في التمحيص والاستيعاب، لكن يبقى الفعل داعماً قوياً له، وحول هذه النقطة

يذكر المرجع الشيرازي بكتابه (العلم النافع) ايضاً:
 (إن كثيراً من العبارات الجميلة التي تُنسب لبعض الحكماء أو
 المفكرين ترى لها أصلاً في كلمات أئمة أهل البيت سلام الله عليهم، فإن لم
 تكن بالنص فبالمعنى؛ ذلك أن أهل البيت سلام الله عليهم ما تركوا شيئاً حسناً
 وجميلاً إلاّ أمروا به ودعوا إليه، وما من سيئة إلاّ ذمّوها ونهوا عنها، ولذلك
 يجد الباحث كل العبارات الصائبة والجميلة للحكماء مقتبسة من كلمات
 الرسول وأئمة الهدى عليهم الصلاة والسلام).

وجاء في كتاب المرجع الشيرازي ايضاً:

(إنّ الناس لا يكونون كما تقولون، بقدر ما يكونون كما تكونون، إنهم
 يأخذون من سيرتكم أكثر ممّا يأخذون من أقوالكم).

إذن فالكلام هنا واضح جداً، إذ لا قيمة للكلمات ما لن تدعمها سيرة
 عملية على أرض الواقع، وهكذا كانت سيرة نبينا الأكرم ﷺ وآل بيته
 الطاهرين ؑ داعماً عظيماً لأقوالهم العظيمة، وسيؤكد من قرأ التاريخ بتمعن
 أن العمل والتطبيق كان يسبق إن لم يرافق كلام الأئمة ؑ، وأمامنا بل أمام
 الجميع السيرة السياسية العظيمة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ؑ
 وكيف ساس الرعية وكيف كان يطبق قوله على نفسه ؑ وذويه قبل أن
 يشترط تطبيقه من لدن رعيته.

وهذا ما يدل بصورة قاطعة على ان القول يكتسب أهميته وقوة تأثيره
 من درجة تطبيقه على أرض الواقع من لدن القائل على نفسه أولاً ثم على
 الآخرين.

شبكة النبأ المعلوماتية - الاحد ٣/آيار/٢٠٠٩ - ٦/جمادى الأولى/١٤٣٠

(١٧)

الحرص والكفاف ضمان لحياة ناجحة

لاشك أن الانسان كان ولا يزال، يبحث عن الاسلوب الافضل، لادامة حياته كفرد وكجماعة ايضا، فجميع الامم، سابقا وحاضرا ولاحقا، تستنجد بتعاليم الدين والفكر والفلسفة والعلوم كافة، لكي تحصل على تخطيط أفضل، وتصل الى منهج حياة يتيح للانسان مواصلة العيش بسعادة، واستقرار وتطور مضطرد، لذلك يبقى العالم والمتعلم والمتقف ذا مسؤولية مضاعفة، وكبيرة ازاء الآخرين الاقل وعيا، من اجل تحسين منهج حياتهم.

الاقتداء بأهل العلم

لهذا كان اهل العلم ورجال الدين والنخب كافة، محط انظار الناس البسطاء، في وعيهم وافكارهم وحياتهم عموما، فيتحول رجل الدين أو المثقف الى نموذج يقتدي به الانسان البسيط، كي تتطور حياته نحو الافضل، لذا فمحاسبة النموذج تتفوق على محاسبة الآخرين، كما يؤكد ذلك سماحة المرجع الديني، آية الله العظمى، السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله)، في احدى محاضراته القيّمة حول الحرص والكفاف، إذ يقول سماحته في هذا المجال: (إنّ الناس يقتدون بنا - أهل العلم - ويتعلّمون من سيرتنا، فنحن نحاسب على أعمالنا من جهتين، الجهة الأولى كسائر الناس حيث يحاسب كل إنسان عمّا صدر منه، والجهة الثانية لما يستتبعها من اقتداء الناس بها).

إذن فمنهج الحياة المكوّن من منظومتي الفكر والسلوك، يعتمد على طبيعة التربية والتنقيف ونمط العيش، بالاضافة الى التأثير الغريزي على قرارات وأفعال الفرد، وغالبا ما يكون الانسان المرّفه عرضة للخمول والتراجع

والضمور في الارادة قياسا للفقراء، يقول سماحة المرجع الشيرازي في محاضراته القيّمة نفسها: (إنّ طالب العلم إذا كان موسراً تراه لا يبلغ المراحل العلمية العالية في الغالب، لأنّها ستلهيه عن هدفه الأصلي. ولا نعني أنّه سينصرف عن الإيمان، ولكن الأموال ستشغله وتأخذ من وقته وفكره، فيتأخّر عن الدراسة وارتقاء الدرجات، ولهذا نرى معظم مراجع الدين ينحدرون من عوائل فقيرة، بل غالباً ما لا يصبح ابن الغني عظيماً، فإذا كان طالب علم في الحوزة لا يصبح مرجعاً، وإذا كان يدرس في الجامعات لا يصبح أستاذاً أو عميداً مثلاً).

حماية منهج الكفاف للانسان

وهكذا يتوضح لنا منهج الكفاف، بأنه العيش بعيداً عن اغواءات الحياة الكثيرة، لاسيما في طرق الانحراف والاهواء التي تبحث عنها النفس الامارة بالسوء، لذلك لا بد من التزام منهج الكفاف وترويض النفس، لأن الكفاف هو منهج الاعتدال والنجاح الدائم، إذ نقرأ بهذا الخصوص قول سماحة المرجع الشيرازي: (إنّ أكبر عقل خلقه الله عزّ وجلّ هو عقل رسول الله ﷺ، وأعظم حكمة أودعها الله تعالى في بشر هي الحكمة التي أودعها رسول الله ﷺ.. وهذا منطق رسول الله ﷺ، فإنّ الذي عنده الكفاف هو في مأمن، أما صاحب الزيادة فمعرض للأخطار).

حرص الانسان على الدنيا

إن غريزة الانسان تدفعه للتعلق بالدنيا، والاستجابة لاغوائاتها من حيث الجاه والمكانة والمال والسلطة والنفوذ وما الى ذلك، ولا يتوقف الامر عند حد معين، فالانسان غالباً ما يريد الحصول على الافضل والاكثر والاجمل

والاهم وهكذا، انها سلسلة من المطالب لا تقف عند حد معين، وكلما ازدادت أموال الانسان ازداد لهائه وراء المال وما يتبع ذلك من امور كثيرة، لذا يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا الجانب بمحاضرته المذكورة: (كلّما ازداد المرء أموالاً زادت التزاماته ومسؤولياته وازداد تحديداً وتقييداً، كالشخص المجرّد ببيت بيت قرب محل درسه لأنّه غير مقيد بعائلة يجب عليه المبيت عندهم، ولا نعني من قولنا هذا أن لا يكون عند الإنسان شيء، ولكن نريد أن لا يكون عنده حرص، لأنّ الإنسان بطبعه حريص على الدنيا، وأن الترفّع عنها واكتساب الفضائل يتطلّب تربية وترويضاً للنفس، وإلاّ فهي بطبعها ميّالة للتكاثر، فمن لا يملك بيتاً يتمنّى أن يكون عنده بيت، وصاحب البيت الصغير يتمنّى بيتاً أكبر وأجمل، خاصة عندما يزور صديقه مثلاً ويرى أنّ بيته أفضل. وهكذا الحال مع باقي النعم وما متّع الله به العباد، كالجاه والملكات والقوى والاستعدادات، ولهذا دعا رسول الله ﷺ بالكفاف لذلك الرجل الذي سقاه وأطعمه).

ولكن لا يعني الكفاف التخلي عن متطلبات العيش المهمة، التي تحفظ بدورها كرامة الانسان وحقه في العيش الكريم، فالاسلام الذي اوصى بالكفاف، لم يطلب من الانسان أن يعيش على هامش الحياة، بل العيش باعتدال، كما نقرأ ذلك في قول سماحة المرجع الشيرازي: (الكفاف هو المقدار الذي يكفي الإنسان، فهو يحتاج إلى عدّة أمور منها: المقدار الضروري الذي يحتاجه لمعيشته. ما يحتاجه لحفظ كرامته. فمثلاً لا يليق بالرجل أن يخرج إلى الشارع بسرّوَال قصير فقط وإن كان يمكنه أن يعيش به وحده، لكنّه يحتاج إلى ما هو أكثر من ذلك لحفظ كرامته الاجتماعية لأنّه لو خرج بسرّوَال قصير فقط لتعرّض للسخرية والحطّ من شأنه وشخصيته).

الاكتفاء الذاتي للمسلمين

ومع ذلك الحرص والكفاف لا يمنع المسلمين من العمل بالتجارة، او قلة العمل بتداول الاموال وما شابه كونها قد تشكل دافعا للانحراف، بل دعا الاسلام أن يواصل المسلمون العمل الربحي من اجل رفعة الاسلام والمسلمون، كما نلاحظ ذلك في قول سماحة المرجع الشيرازي: ينبغي مواصلة (العمل من أجل حصول الاكتفاء الذاتي للمسلمين وعدم خضوعهم اقتصادياً للكفار، ومثاله: التاجر يريد أن يترك عمله لأنه قد حصل على ما يكفيه من المال، ولكن الإسلام يأمر أتباعه بالتجارة لئلاً تنتقل أزمة اقتصاد البلاد والعباد إلى الكفار، وهكذا تكون مواصلة العمل بالتجارة جزءاً من الكفاف المطلوب اجتماعياً وإن كان التاجر المسلم قد وصل إلى مرحلة الكفاف الشخصي). لذلك يمكن للانسان أن يتقشف ذاتياً، أي مع نفسه، ولكن لا يصح هذا مع عائلته واحتياجاتها المهمة، إذ يقول سماحة المرجع بهذا الخصوص: (سبق أن قلنا إن الإنسان ينبغي أن يتقشف على نفسه، ولكنه يستحب له أن يبذل على عائلته وضيوفه، وقلنا أيضاً إن على الإنسان المسلم أن يقنع بما يسد حاجته ولا يمد عينيه إلى المزيد إلا فيما أمر الإسلام وضررنا بعمل التاجر مثلاً، وهذه الأمور وأمثالها تكشف عن أن هدف الإسلام هو تربية الإنسان لكي يسمو ويتكامل ويرقى روحياً).

كما أن الحرص والكفاف لا يعني عدم المساعدة وغياب التكافل، لأن الانسان بطبعه يتبرع بأقل الاشياء نوعاً وكما وفقاً لرؤية خاطئة، لأن هدف الانفاق هو مساعدة المحتاج على افضل وجه، كما نقرأ ذلك في قول سماحة المرجع الشيرازي في محاضراته هذه: (الملاحظ أن أغلب الناس يأكل الأفضل ويلبس الأجود ويسكن الأرفه... ولكنه عندما يريد أن يعطي وينفق

فإنه يُخرج الأدنى والأقلّ وما لا حاجة لنفسه فيه. فإذا أراد أن يعطي فاكهة لفقير مثلاً أعطاه الفاكهة الرديئة، وإذا سُئل عن سبب ذلك قال: لأنّ الفقير متعودّ على أكلها. وإذا أراد أن يعطيه مالاً أعطاه قليلاً جداً مدّعياً أنّ ذلك يكفيهِ وأنه لا يأمل أكثر من ذلك؛ غافلاً عن أنّ للإنفاق هدفين، الأوّل سدّ حاجة المنفق عليه، والثاني - وهو الأهم - تحقيق الكمال للمنفق نفسه).

شبكة النّبأ المعلوماتية - الخميس ٢٦/نيسان/٢٠١٢ - ٤/جمادى

الآخر/١٤٣٣

الفصل الثاني: التهذيب الأخلاقي ومحاسبة الذات

(١)

هوى النفس عدو الانسان الأول

أهواء النفس تكاد تكون لا محدودة ولعلها تشكل نقطة الضعف التي يحاول الشيطان من خلالها أن يدخل الى الانسان ويدمر ارادة الخير فيه، ونحن هنا لسنا بصدد الاهواء اللازمة او تلك التي تُعدّ من مقومات العيش المشروعة، ولكن كلامنا هنا يتعلق بتلك الاهواء التي لا تكف النفس بالسعي الى تحقيقها تحت ضغط رغباتها الغريزية مدفوعة بإغراءات شيطانية متواصلة، ولن يتخلص منها سوى الانسان القادر على كبح جماح نفسه من خلال التقوى والورع والاعتدال والصفات الايمانية الاخرى التي يتحصّل عليها ويستطيع من خلالها ان يحجّم أهواءه وفقا لمرضاة الله سبحانه وتعالى. وفي هذا الجانب جاء في الآية الكريمة: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ فإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ النازعات: ٤٠ - ٤١. وجاء في كتاب (العلم النافع) لسماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي حول هذا الموضوع:

(إنّ الخوف من مقام الله ونهي النفس عن الهوى وجهان لشيء واحد

قوامه الورع والتقوى في الذين آمنوا. فمتى نهى المؤمن نفسه عمّا تهواه يكون قد خاف مقام ربّه، ومتى خاف مقام ربّه فقد نهى النفس عن الهوى. فالعطف هنا شبه تفسيريّ.

ولعلّ الحكمة في ذكر الجانبين في سياق واحد هو ظهور أحدهما لبعض الناس أسرع من الآخر، فقسم من المؤمنين يخاف أولاً مقام الربّ فينهى نفسه عن هواها وبعضهم بالعكس، ينهى نفسه عن هواها فيخاف مقام ربّه).

وفي كلا الحالتين يتطلب هذا الامر سيطرة تامة على نوازع النفس، ولعل الوسيلة الأقوى لتحقيق هذا الهدف تكمن في لجوء الانسان بصورة صادقة وحقيقية الى الدين الذي يستطيع ان يحميه من الزلل ومن ضغط النفس والشيطان معا ودفعه الى مآرب الشطط والشر بفعل الرغبات التي لا تكف عن التوقف والدفع والاغراء لتحقيقها وهذا يعني بأن الانسان قد استسلم لأهواء نفسه وهي عدوه الاول الذي سيطيح به في حضيض الخطايا ويبعده عن جادة الصواب.

وقد جاء في كتاب المرجع الشيرازي (العلم النافع) حديثا روي عن الامام الصادق عليه السلام يقول: «احذروا أهواءكم كما تحذرون أعداءكم، فليس شيءٌ أعدى للرجال من أتباع أهوائهم» الكافي: ج ٢ ص ٣٣٥، باب اتباع الهوى، ح ١.

وهكذا يتبين لنا خطر أهواء النفس على الانسان في حال لم يتم السيطرة على رغائبه الكثيرة والمتنوعة التي غالبا ما يدفعه الشيطان لمحاولة تحقيقها بشتى الطرق والوسائل، وهذا ما يقودنا الى وجوب التحامي من أهواء النفس بالوسائل الايمانية التي تشكل دعامة ومصدا حماية للانسان من أهواء نفسه

وغرائزه التي تدفعه الى الخطأ في وقت تحميه الحكمة ومخافة الله عز وجل من هذا الشطط الخطير وقد جاء في كتاب العلم النافع للمرجع الشيرازي:
روي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «أخوف ما أخاف عليكم اثنان: أتباع الهوى وطول الأمل، فأما أتباع الهوى فيصدّ عن الحقّ، وأما طول الأمل فينسي الآخرة» نهج البلاغة: ج ١ ص ٩٢ رقم ٤٢.

وهنا يتحتم على الانسان أن يحمي نفسه من هذا الخطر المتمثل بأهوائها اللامحدودة ولكن كيف يتم او يتحقق له ذلك، إن هذا الهدف الهام يعالجه المرجع الشيرازي في كتابه العلم النافع حيث جاء في هذا الصدد:
(ولكن كيف يمكن للإنسان الحصول على ملكة نهى النفس عن الهوى؟ لاسيما طلاب العلوم الدينية الذين آثروا حرمان أنفسهم عن جملة من الزخارف لأنهم إذا اتبعوا الهوى تركوا آثاراً سلبية أكثر على من يعيشون معهم؛ نظراً لما يتوقعونه منهم.

إنّ خسارة أهل العلم - والعياذ بالله - فيما إذا اتبعوا الهوى كالخسارة المادية للشخص الذي تقرب من ملك أو رئيس أو تاجر ليستفيد منه ومع ذلك لم يستفد من مقامه أو أمواله، حينها سيكون أكثر حسرة وخسارة من الإنسان البعيد عنه كلياً، وعليه؛ فإنّ خسارة من سلك هذا الطريق متزلفاً ولم يظفر بجملة من المظاهر الدنيوية ستكون أكبر).

من هنا يرى سماحة المرجع الشيرازي بأن خسارة طلاب العلوم الدينية ستكون اكثر في حال خضوعهم لاهواء النفس، ويبقى الدين والالتزام بتعاليمه وتطبيقها بما يحقق مرضاة الله تعالى هو الطريق الاصبوب والاقصر لتلافي اخطار عدو الانسان المتمثل بأهواء النفس.

شبكة النبأ المعلوماتية - الاحد ١٠/آيار/٢٠٠٩ - ١٣/جمادى

الأولى/١٤٣٠

(٢)

الدعاء والسعي الى مكارم الرحمة الإلهية

الدعاء - كما هو متفق عليه- وسيلة من الوسائل المهمة للتقرب الى الله تعالى ولضمان الرضى والغفران الإلهي للانسان وهو يغوص في حقل الألغام (الديوي) حيث المعاصي مزروعة في جنبات الدنيا، فأينما ولى الانسان وجهه يجد المعاصي تتربص به، وما عليه سوى تجنبها وتحاشي مزاياها المزيفة واغراءاتها لكي يصل الى مراده الحقيقي، ولكن لا يمكن للانسان أن يحقق ذلك إلا من خلال وسائل ووسائط عديدة متاحة له في حال توجه إليها والتزم بها، ومن بين هذه الوسائل، الدعاء الى الله تعالى طلباً للمغفرة ولتحصيل الفوائد التي اتاحها الله للانسان.

بيد أن الدعاء أنواع، إذ يقول سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله) في كتابه القيم الموسوم بـ (حلية الصالحين) حول الدعاء ما يلي:

(قد يجري الإنسان ألفاظ الدعاء على لسانه فقط، فيكون دعاؤه سطحياً. وقد ينطلق الدعاء من أعماقه، وهذا أفضل من الأول بلا شك، ولكنه أيضاً لا يكفي، بل لا بد أن يكون إلى جانب الدعاء والخشوع سعي من قبل الإنسان نفسه لتحصيل ما يطلب من الله مستفيداً مما أعدّه الله سبحانه وتعالى للعباد، فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: الداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر).

إذن فالدعاء على أهميته الكبير وفعله المضمون لتقريب الانسان من الفضائل الربانية التي لا تحصى، مطالب بأن يكون دعاءه ذا أصالة وصدق

حقيقي ينبع من ذات الانسان، وكلما كان الدعاء اصيلاً صادقاً مشفوعاً بالعمل الصادق كلما كان فعله مضموناً ومؤكداً، والعكس يصح بطبيعة الحال. إذن ثمة اشتراط واضح يتطلبه الدعاء تقرباً الى الله تعالى يتمثل بالسعي والعمل الصادق الذي يقرب الانسان الى ربه كثيراً، ولكن ثمة مسألة أخرى تتعلق بقضية القرب والبعد عن الرحمة الإلهية، إذ على الانسان أن يستفيد بنفسه من الوسائط والوسائل المقربة الى الله تعالى، ولا يكفي أن يكون قريباً منها ولا يستفاد بنفسه منها، حيث يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا الصدد:

(ليس كل من كان قريباً من النور يمكن أن يستفيد منه، ما لم يكن أهلاً للاستفادة، كما هو الحال في القريب من البحر الفرات فإما أن ينهل من درره وعطياه ويرتوي من عذب مائه أو يغرق فيه ويكون من الهالكين). هذا يدل على أن الانسان ينبغي أن يتعامل بحكمة ودراية وإيمان مع الوسائط والسبل المقربة الى الله تعالى، لا أن تكون العشوائية واللامبالاة والفوضى أو التلقائية هي التي تقود وتتحكم بأعمال الانسان، بل لابد أن تكون هناك ارادة واعية ومدركة للهدف قبل الشروع بالتحرك إليه، ولابد للانسان أن يستفيد من وسائط الرحمة، وفي هذا المجال يقول سماحة المرجع الشيرازي بكتابه الثمين نفسه:

(هكذا هو الحال فيمن كانوا قريبين من أهل البيت سلام الله عليهم والذين عاشوا في عصرهم، حيث قُيِّضَ لكثير منهم أن غنم وفاز في الدارين، حتى جاء في بعضهم المدح والدعاء عن المعصوم بينما تاه البعض الآخر في ضلالتهم وتردّى في غوايته رغم أنه كان قريباً من المعصوم أو معاصراً له).

وهذا يعني ان هناك من تعامل بصورة صحيحة في هذا المجال ففاز وحقق ما يرومه في وقت فشل آخرون في التعامل الصحيح فأخفقوا في الحصول على مآربهم، أما في عالم اليوم فإننا يمكن أن نستفيد من هذه الوسائط المباركة للحصول على الرضى الإلهي، وأما يحدث العكس فيفشل بعضنا في الحصول على ما يتغيه، حيث يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا المجال:

(اليوم عندما نقرأ أدعيتهم -اهل البيت عليهم السلام - ونستلهم العبر من أقوالهم، فهذا يعني أننا قرييون منهم، وإن كنا لا نرى أشخاصهم ونعيش في غير عصرهم، أمّا من لم يطلع على أدعيتهم ولم ينهل من معين علومهم، فليس بمستوى أن يوفّق إلى الخير لأنه لم يتعرّف عليهم ولم يعرف قدرهم وعظمتهم التي يقصر البيان عن وصفها).

وهذا يعني ان عدم معايشتنا لأهل البيت عليهم السلام بشكل مباشر لايعني فقداننا لشفاعتهم لنا عند الله تعالى، إذ أن الأدعية والاقوال التي وصلتنا عنهم كفيلة بتعويض وجودهم فتساعدنا على التقرب الى الله تعالى ولكن بالسعي والعمل الصالح الذي يجعل من الدعاء وسيلة مؤكدة للوصول الى الرحم الالهية.

وكلما كان الانسان كريم النفس نقي السريرة وكبير القلب كلما كان اقرب الى الله تعالى والدعاء يُكسب الانسان مثل هذه المواصفات النقية الفاضلة، وهنا تكمن اهمية الدعاء لأنه ينعكس على النفس بنقائه وصفائه وسلامته فيجعل منها نفس نقية صافية مؤمنة وكريمة في آن واحد، يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا الصدد:

(وهكذا الحال بالنسبة لانعكاس الإيمان والحالات النفسية للإنسان على

أعماله وتصرفاته، فذو النفس الكريمة لا تبخل يده، ومن كان شجاع النفس لا يصفرّ وجهه، وصاحب اليقين لا تحطّم المشكلات أعصابه، ومن كانت نيّته خالصة لله لا يعير لمدح الناس أو ذمّهم أدنى أهميّة).

شبكة النبأ المعلوماتية - الخميس ١٩/آب/٢٠١٠ - ٨/رمضان/١٤٣١

(٣)

محاسبة النفس أسهل الطرق لبنائها

من اجل ان يتلافى الانسان سطوة النفس وإلحاحها على فعل السوء وقدرتها على سحب صاحبها الى المراتب الدنيا في كل شيء، عليه أن يضع بعض المصدات التي تحميه من الانقياد التام والأعمى لهوى نفسه التي لن تعود عليه إلا بالتناج السيئة، وفي حال وضع الانسان معيارا ثابتا لمحاسبة نفسه وصدّها وتشذيبها والوقوف بوجهها وهي تحثه لفعل الخطايا والدنايا، فإنه سيتلافى قدرتها على سحبه الى مناطق السوء وسيكون هو صاحب الزمام والمبادرة والتحكم بنفسه وليس العكس.

وسيصبح الانسان مؤمنا بقدراته وواتقا من خطواته ولن يكون بمقدور نفسه ان تتحكم به وفقا لرغباتها، ويمكن للانسان ان يصل الى حالة الزهد بحيث تتساوى في حساباته كثرة الاموال او قلتها لا سيما اذا حاول الاستفادة مما يوفره له الايمان بالله من قوة كبيره تحصنه من مهاوي الزلل والضعف وإمكانية الاستفادة من الاجواء الايمانية لبعض اشهر السنة ومنها شهر رمضان على سبيل المثال، وهنا يقول سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الشيرازي في هذا المجال وحسبما ورد في كتابه القيم المعنون (نحو بناء النفس والمجتمع):

(وهذا الطريق نفسه يمكن أن يصل بالمرء في هذا الشهر-رمضان- إلى موقع بحيث يستوى عنده الدينار الواحد والمليار دينار بما هو مال، فلا يركض خلف الأوّل كما لا يأسى على فقد الثاني، بل تراه يهتمّ بفقدان ثواب الله، فلا يتهاون عن الإتيان بالفضائل التي يمكنه الإتيان بها، حتى وإن كانت الفضيلة قول (أستغفر الله) مرة واحدة أو الاستمرار على تكرارها طيلة الشهر الكريم كله!!

ويمكن للإنسان أن يصل عبر هذا الطريق إلى مراتب عالية، وقد وصل كثيرون درجة حيث لم يعد يزيد الترغيب في اندفاعهم ولا يقلل التشبث من عزمهم، مع أنهم بشر لهم شهوات ورغبات ويدركون معنى الترغيب والتشبث ولكن الإدراك شيء والتأثر به شيء آخر).

نعم ان الانسان يعيش في صراع كبير مع نفسه، وهي غالبا ما تحاول ان تزرع اليأس فيه في حالة صده لها وردعها عن فعل الامر السيئ، ولذلك ينبغي على الانسان أن يتحصن وراء مصدات الايمان بصورة مستمرة، لأن الأمر يشبه حالة حرب دائمة بين الخير والشر والصحيح والخطأ والمشروع وخلافه، وهذا يتطلب أن يعد الانسان نفسه لمثل هذا الصراع الدائم من خلال تمسكه بوسائل الايمان كافة او بما يتوفر له منها، فيزيد من ترغيبها بالايمان مع امكانية الاختيار بين هذه الوسيلة الامكانية او تلك وحسب ما متاح منها، وفي هذا الصدد يقول المرجع الشيرازي:

(لاشكّ أن الترغيب يكون مفيداً خصوصاً في حالات التزاحم أو الشروع، ومثاله: أن تكون مواظباً على قراءة دعاء ما في كل ليالي شهر رمضان، ولكن صورّ لك شخص أن دعاء آخر أكثر ثواباً في ليلة ما من ليالي الشهر، ولم يكن عندك وقت لأداء الاثنين، فهنا يمكن أن يدفعك الترغيب

للتخلي عن الدعاء الأول لصالح الثاني، فالتأثر بالترغيب هنا جاء من باب الإتيان بالأولوية للوصول إلى المراتب العليا، أما لو كنت متكاسلاً عن التوجه للدعاء أصلاً فيرغبك شخص بالقول إن ثواب هذا الدعاء عظيم فلا تدعه؛ فيكون ترغيبه هذا من حيث الشروع في العمل، وقد يحصل العكس - أي التثييط - بأن يثبُطك آخر فيدعوك للسمر وترك الدعاء قائلاً إنك قد قرأته في أغلب الليالي فدعه الليلة. فمثل هذا الترغيب والتثييط يكونان سواء عند بعض الأشخاص في عدم التأثر به في ترك العمل أو الإتيان به، فلا الترغيب يدفعهم أكثر ولا التثييط يُضعفهم ويقلل من اندفاعهم).

ولكن في كل الاحوال يبقى العامل الاقوى في ردع النفس وحماتها من الانزلاق في مهاوي الزلل هو محاسبتها بصورة منتظمة ودائمة وتطبيق ما يتمخض عن هذه المحاسبة بحق النفس، وعند ذاك يكون الانسان قادرا على ان يتجاوز المهالك التي قد تطاله في حال استسلم لرغائب النفس، وفي هذا الصدد نقرأ لسماحة المرجع الشيرازي في كتابه (نحو بناء النفس والمجتمع): (يقال: إن بعض الأفاضل طلب من أستاذه العالم أن ينصحه نصيحة تنفعه طيلة عمره، وكان على وشك مفارقتها، فقال له العالم: خصص لنفسك كل يوم وقتاً تحاسب فيه نفسك، وإن قلّ. يقول ذلك الفاضل: عملتُ بنصيحة أستاذي العالم حتى أصبحت محاسبة النفس حاضرة في ذهني ما دمت مستيقظاً).

شبكة النبأ المعلوماتية - الأربعاء ٢٧/آيار/٢٠٠٩ - ٢٩/جمادى

الأولى/١٤٣٠

(٤)

الرقابة الذاتية ودورها في تقويم النفس

تعتبر الرقابة الذاتية وسيلة فاعلة من الوسائل العديدة والمتنوعة لتقويم النفس وتصحيح أخطائها وهفواتها، فالقانون الوضعي الذي يعاقب على التجاوزات لا يتمكن وحده من بناء مجتمع متوازن قائم على المساواة وتكافؤ الفرص وغيرها من المقومات التي تصب في خلق المجتمع الناجح، بل ينبغي أن يكون هناك دور أساسي لتقويم الذات عبر تنمية النزعة الفاضلة لدى الانسان.

لذلك فإن البحث عن النجاح في المشاريع الاقتصادية أو غيرها (وهو هدف مشروع لكل الناس) يجب أن يأتي من الفضيلة قبل غيرها، أو أنه يضع الفضيلة معياراً أساسياً لتحقيق ذلك، حيث يمكن للانسان أن يحقق أهدافه في جمع المال على سبيل المثال، لكن ينبغي أن يلتزم هذا الانسان بانتهاج الوسائل المشروعة لدرجة تتساوى فيها عنده قيمة المبالغ التي يحصل عليها، بمعنى أن إيمانه يقوده الى الزهد ولا تؤثر عليه قيمة المبلغ الحاصل عليها مهما كبرت أو قلت، ويمكن للانسان أن يصل الى هذه الحالة من الثبات والزهد بتهذيب النفس وتطويعها والسيطرة على نوازعها وميولها المتعددة والموزعة بين الرذيلة والفضيلة.

أي بمعنى تحقيق الرقابة الذاتية والسيطرة على النفس وتحقيق الضبط الذاتي بعدم الانجراف في حصد المكاسب المادية والدينيوية والسياسية والاجتماعية بأي ثمن كان. فالمهم في عملية الضبط الذاتي هو تحقيق مكاسب الذات المعنوية والروحية وراحة الضمير والرضا النفسي العميق

عن الذات.

يقول المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الشيرازي حول هذا الموضوع في كتابه الموسوم بـ (نحو بناء النفس والمجتمع):
(يمكن للإنسان أن يصل عبر هذا الطريق -محاسبة النفس- إلى مراتب عالية، وقد وصل كثيرون درجة حيث لم يعد يزيد الترغيب في اندفاعهم ولا يقلل التشبث من عزمهم، مع أنهم بشر لهم شهوات ورغبات ويدركون معنى الترغيب والتشبيث ولكن الإدراك شيء والتأثر به شيء آخر).
بكلمة أخرى ان الانسان وصل في الرقابة الذاتية الى درجة تجعله لا يحزن لفقدان المال ولا يفرح بالحصول عليه بغض النظر عن مقدار قيمته.
وهذه المرتبة الصعبة لا تتحقق لكل من يشاء كونها تتطلب استعدادا نفسيا وتمرينا ومواظبة على الايمان وإقناعا للنفس بأن الفضيلة هي الطريق الأقصر لسعادة الانسان وهي ضمانته يوم يقف بين يدي ربه.

وهنا يقول المرجع الشيرازي:

(لا شك أن بلوغ هذه المرحلة يتطلب عملاً كثيراً ومواظبة جادة؛ فللشهوات أثرها السلبي وكذلك الشياطين وأصدقاء السوء، ولكن إذا اقتنع الإنسان بإمكانية الوصول وتوكل على الله تعالى، فإن هذا الاعتقاد بنفسه سيوصله، ومن مفاتيحه السهلة محاسبة النفس؛ وذلك بأن يكون الشخص ملتزماً بتحديد أوقات من اليوم يراجع فيها نفسه، بشرط أن يكون الوقت مناسباً، فلا يكون عند الجوع أو الشبع أو انشغال الذهن بأمر آخر قد يحول دون التأمل والتفكير جيداً بل يكون في وقت يمكنه الاختلاء بنفسه ومراجعة ما قد صدر منها).

وهكذا يمكن ملاحظة أن عملية مراقبة النفس وتصويب أخطائها

وتشذيبها أمر ليس في متناول الضعفاء في رقابتهم الذاتية لأنفسهم، لأن الوصول الى مثل هذه الاهداف الصعبة يحتاج الى جهد استثنائي يدعمه إيمان كبير ومتأصل في النفس كي تتمكن من مقارعة المغريات التي تقف في طريقها، حيث يتطلب الأمر جهداً وتنظيماً والتزاماً في التنفيذ والمراقبة وما شابه. وفي هذا يذكر لنا المرجع الشيرازي في كتابه نفسه:

(يقال: إن بعض الأفاضل طلب من أستاذه العالم أن ينصحه نصيحة تنفعه طيلة عمره، وكان على وشك مفارقتها، فقال له العالم: خصص لنفسك كل يوم وقتاً تحاسب فيه نفسك، وإن قلّ. يقول ذلك الفاضل: عملت بنصيحة أستاذي العالم حتى أصبحت محاسبة النفس حاضرة في ذهني ما دمت مستيقظاً. وهذا يدل على ارتكاز الحالة في ذهنه حتى لكانها صارت ملكة عنده).

إن وصول الانسان الى هذه الدرجة من القوة والالتزام في عملية مراقبة النفس، تعني انه تجاوز حافة الخطر وانه تمكن من تطويع نفسه لما هو خير وصالح له وللآخرين، لكن الأمر يتطلب منه الكثير من الجهد الايماني والنفسي والعملي والرقابي لكي يصل الى ما وصل إليه من ثبات واستقرار. ولعل مرد ذلك يعود الى قوة الرقابة الذاتية والاستعداد الموجود أصلاً في النفس لتقبل الاعمال الصالحة والتعامل معها وفق توجيه مسبق يحصل عليه الانسان من مواظبته على تنمية قدراته النفسية والفكرية والايمانية من خلال تنظيمه لعملية المراقبة والالتزام بمفرداتها بما يحقق له الوصول الى الدرجة المتوخاة لتجاوز خطر نزعات النفس السلبية التي غالباً ما تشكل نقيضاً لسعي الانسان نحو الفضيلة.

شبكة النبأ المعلوماتية - الاربعاء ٢٢/نيسان/٢٠٠٩ - ٢٥/ربيع الثاني/١٤٣٠

(٤)

الاخلاق تقود العالم أجمع الى مرفأ الأمان

منذ أن بدأت البشرية مشوارها الشاق في طريق الحياة الطويل، كانت الحاجة الى تهذيب النفوس ملحةً ومطلوبةً سواءً على مستوى الافراد أو الجماعات، ولعل الاخلاق هي الطريق الأصوب والاقرب لتحقيق هذا الهدف، لذلك ليس غريباً أن يقول الرسول الأعظم ﷺ في حديث شريف (إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق) وليس غريباً أن يضع الرسول ﷺ هذه القيمة الكبرى للاخلاق، فهي القوة الرادعة لأهواء النفس وهي قاعدة الضوابط التي تحكم سلوك الانسان ونواياه تجاه الآخرين، لهذا لا بد من أن يتدرب ويتمرن الانسان على ترويض النفس والتحكم بها بأخلاقه الرفيعة.

في هذا الخصوص، يقول سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله) في كتابه الموسوم بـ (العلم النافع):
(إنّ المرء في أيّ مجال كان وفي أيّ بلد وفي أيّ مرتبة فهو مردّد بين الخير والشرّ، إذ إنّ في الإنسان دافعاً الى الخير وهو العقل ودافعاً نحو الشر وهي النفس الأمّارة بالسوء. فإذا كان المرء حسن الخلق فإنّ دافع الخير عنده يغلب دافع الشرّ وسيكون نصيبه خير الدنيا والآخرة، بخلاف سيئ الخلق فهو لا دنيا له ولا آخرة).

ولعلنا نتفق على أن الاخلاق السامية تمنح الانسان قدرة كبيرة على التسامح ومعاملة الآخر وفقاً لقيّمته العالية وكرامته الانسانية التي ينبغي على الجميع أن يحافظ عليها، لهذا حين يتحلّى الانسان بالاخلاق الحقيقية القادرة على صيانة أفعاله ونواياه، فإنه سيتميز بالصفات العظيمة التي تجعله أشد

إيماننا بحق الآخرين بالحياة الحرة الكريمة الآمنة، لهذا يؤكد سماحة المرجع الشيرازي بكتابه نفسه على أن:

(حسن الخلق هو أن تكون صادقاً في الكلام، صابراً عند المكاره، تلقى الناس دائماً ببشر الوجه وطلاقتهم، وأن تحلم عمّن يسيئ إليك، وإلى غير ذلك من محاسن الأخلاق).

إن رد الإساءة بمثلها ليست من شيم الانسان الخلق، بل التسامح هي السمة العظيمة التي ينبغي أن يتحلى بها أصحاب العقول الاخلاقية، لهذا قدم هوارد غارنر في كتابه خمسة عقول من أجل المستقبل، قدم لنا خمسة عقول كلها تؤدي الى العقل الأهم وهو (العقل الأخلاقي) الذي يفضل مصلحة الآخرين على مصلحته الذاتية.

من هنا يأتي تأكيد سماحة المرجع الشيرازي على أهمية الحلم والتسامح حين يقول في كتابه المذكور:

(إذا انتقصك شخص ما، فعليك أن تحلم، عندها تحوز على خير الدنيا وخير الآخرة، وهذا بحاجة الى العزم الذي تكون نهايته التوفيق. وهذه سنة الحياة. فطالب العلم إذا عزم على أن يكون حسن الخلق فسيصبح عالماً، والكاسب إذا عزم على ذلك سيصبح تاجراً، والزوج سيكون محبوباً عند زوجته، وهكذا الزوجة. بعبارة أخرى: إن حسن الخلق يكون محبوباً عند الله تعالى وعند الناس كافة).

ويضيف سماحته قائلاً:

(إن من يريد التوفيق وخير الدنيا وخير الآخرة والمحبة عند الله عز وجل وعند الناس ينبغي له أن يرد السيئة بالإحسان والحلم).

ويؤكد سماحة المرجع الشيرازي على الدور الكبير للاخلاق في نجاح

الانسان بحياته، فيذكر ذلك قائلاً في كتابه نفسه:

(لقد رأيت الكثير ممن اتّصف بالخلق الحسن من العلماء وغيرهم من سائر الناس كانوا موفقين في حياتهم وكانوا محبوبين عند الناس ولم يلقوا صعوبة في حياتهم).

وثمة دور كبير للجانب الاخلاقي في المحيط العائلي، بمعنى أن الانسان ينبغي أن يكون ذا طبائع وسلوكيات ونوايا متطابقة من حيث المظهر والجوهر، فحين يكون لسانه حلوا لا بد أن تدعم هذا الكلام الجميل أخلاق جميلة، والنتائج دائماً تصب في صالح الفرد ذاته ومن ثم العائلة فالمجتمع عموماً، يقول سماحة المرجع الشيرازي بهذا الصدد:

(إنّ أيّ فرد من أفراد الأسرة اذا كان حسن الخلق فإنّه سيكون محبوباً عند الجميع وسيقبل الله عزّ وجلّ أعماله، وإذا مات فسيترحّم عليه الناس، أمّا صاحب الخلق السيئ فإنّه سيكون على العكس من ذلك تماماً. لذا ينبغي لكم أن تعزموا على التحلّي بالأخلاق الحسنة، لتنالوا خير الدنيا وخير الآخرة).

هكذا تبدو الاخلاق بمفعولها الساحر وكأنها تقود العالم الى بر السلام والامان والتآخي بين جميع الشعوب والامم، ولا غرابة في قول أحد الحكماء الذي يقول فيه (بالاخلاق تملك العالم)، نعم يمكننا أن نملك عالمنا بأخلاقنا الانسانية الرفيعة، وهذا هو السبب الأكيد الذي دفع أئمة أهل البيت الاطهار الى التأكيد على هذا الجانب، لأنه يمثل صمام الامان ضد الانحراف والعنف والجشع.

شبكة النبأ المعلوماتية - الخميس ٥/آيار/٢٠١١ - ٢/جمادى

الآخرة/١٤٣٢

(٥)

الاحلاص في العمل ودوره في تطوير الفرد والمجتمع

التجارب والدروس المنظورة والبعيدة هي عين الانسان للتعامل مع واقعه الحياتي المتنوع، فهي التي تقدم له مكامن الخطر والامان ومكامن القوة والضعف ومكامن السلب والإيجاب عموما، وعند ذاك سيصل الى غاياته بأقصر الطرق وأيسرها أيضا إستنادا الى المعرفة التي اختزنتها العين الكاشفة من تجارب الغابرين والحاضرين معا.

ولعل الاخلاص مفهوم متداول بين الجميع ومفردة تتردد على ألسنة الناس مرارا وتكرارا، لدرجة أن الكثير منهم يرى بأن الاخلاص هو النافذة التي يطل منها الانسان على مساحة واسعة من النجاحات الدنيوية والاخروية في آن واحد، ففي العمل الدنيوي ينبغي أن تتوفر مفردة الاخلاص شكلا وجوهرا كي يتحقق ما يتوخاه الانسان فردا وجماعات، وكذلك لا بد أن تتوفر الاخلاص لضمان نجاح العمل الأخروي.

وبهذه السمة الشمولية لحضور الاخلاص في جميع شؤون الانسان، المادية والمعنوية، وفاعلية هذا المفهوم في تحفيز الطاقات البشرية على الوصول الى مبتغياتها المرسومة سلفا، فإن الاستغناء عن الاخلاص يبدو ضربا من الاصرار على التراجع والنكوص الى درجات أدنى، لذا يُستحسن أن نعي أهمية هذه المفردة ليست كلفظ، بل كمعنى ومبنى وفعل لما لها من ادوار كبيرة ومباشرة على تطور الفرد والجماعة معا.

على أننا يجب أن نفهم جوهر الاخلاص ونعيشه واقعا، فحين نتوصل الى مرحلة الاخلاص قولا وفعلا ذلك يعني بأنك حققت الكثير الكثير، لأن

ثمة من يدعي الاخلاص زورا، ولا يعنيه من هذه المفردة او المفهوم سوى حروفها والتبجح الفارغ بها او قولها وعدم الأخذ بجوهرها في أنشطته الانسانية كافة، بيد أن افعاله ستكشف لنا بواطنه المزيفة، وفي هذا المجال يقول سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي في كتابه القيم الموسوم بـ (العلم النافع):

(الإخلاص مرتبة صعبة البلوغ، وبالنسبة إلى أهل العلم أصعب؛ لمعرفتهم - بعض الشيء - أن يكتفوا أعمالهم بنحو بحيث يتصور من يلاحظهم أنهم مخلصون حقاً. حتى إذا شعر من يصاحبهم بعد فترة أنهم كانوا يتصنعون الإخلاص ولم يكونوا مخلصين حقاً، سرى في نفسه الشك في المخلصين من أهل العلم كلهم، مخاطباً نفسه: إن هذا الذي عاشرتَه كل هذه المدّة - متصوراً أنه مخلص - تبين لي زيفه، فلا بد أن يكون الآخرون كذلك).

ومع أن الامر لا يتعلق بأهل العلم وحدهم سواء كانوا مصلحين او مثقفين او علماء او غيرهم، لكنهم النموذج الذي يتشبه به الآخرون، بمعنى أن الانسان على تنوع سماته الفكرية والدينية والعملية، ملزم بالاخلاص في اعماله واقواله وافكاره كونه الصورة المثلى للآخرين، فإذا تبين زيفها او حدثت شكوك في هذا الجانب، فإن هذا يعني فشل النموذج وتراجعته وانكشاف أمره وبالتالي سينسحب التراجع على من يتشبه به وهكذا تكون العواقب كبيرة ومتصاعدة لدرجة أن الفرد او الجماعة سيعزفون عن الاخلاص في أعمالهم بسبب فشل النموذج في تطبيق الاخلاص شكلاً وجوهراً.

وتبقى أهمية العمل تكمن في نوايا الانسان الحقيقية التي تقف وراءه،

بمعنى من الافضل للانسان أن يعمل ما يؤمن به (الله تعالى) اولا وليس تحت الرغبة او الإرضاء وما شابه، ولا يستسلم لضغوط الآخرين أو رغباتهم خلافا لما يتطلبه الاخلاص، حيث يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا الصدد: (لو لم تكن تفكر في القيام بعمل ما ولكن شجعك الآخرون ورأيت بأنه توجد رغبة عند الناس في هذا الأمر، فقمتم به من أجل رغبة الناس وليس لأن الله أمرك به أو أحبه، فهذا أيضا يعني غياب الإخلاص).

ولعل الخطورة الأشد تكمن في شريحة الشباب اكثر من غيرهم، مع أنهم أكثر قدرة على تحصين أنفسهم ضد اغراءات الشيطان ومسوغاته في إبعادهم عن الاخلاص حيث يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا الصدد: (الشباب أقدر على أن يسحقوا جبين الشيطان ويرغموا أنفه، فليبادروا قبل أن يتمكن الشيطان منهم؛ فإن الخلاص من ريقته في المستقبل أصعب. والشيطان يعرف ذلك، ويعرف أن الإنسان إذا بلغ الأربعين ضعفت قواه وإرادته على محاربة الشيطان إلا من رحم الله).

لذا ليس مستحيلا ولا صعبا أن يبدأ الانسان تدريب نفسه على الايمان بالاخلاص كسلوك ملزم له ومؤمن به، ولعل جل الامر يتعلق بذات الفرد ونفسه، بمعنى أن الرصد والتقويم ينبغي أن يبدأ من نفس الانسان اولا، حيث يقول سماحة المرجع الشيرازي في كتابه الثمين نفسه:

(فلنبدأ من الآن في مراجعة أنفسنا كل يوم، كل في مجال عمله، ولنزنها قبل أن يصعب الأمر علينا أكثر، وقبل أن تصيبنا الغشاوة التي تكون مانعا من نفاذ نور اليقين والعلم إلى أعماقنا، لكي نتمكن أن نميز أصلا ما هو الشيطان، وما هو الإخلاص!).

وهكذا يبدو لنا جليا دور الاخلاص في تقويم الفرد والمجتمع معا

وتطويرهما والانتقال بهما الى فضاءات العمل الخلاق الذي يستند في تطوره ونجاحاته الى الاخلاص شكلا وجوهرا وتطبيقه على المنهج النظري والعملي لأنشطة الانسان كافة.

شبكة النبا المعلوماتية - الاثنين ٢٦/ تشرين الثاني/ ٢٠٠٩ - ٦/ ذو

القعدة/ ١٤٣٠

(٦)

متى وكيف يكون الإنسان في نور الله تعالى

كثيرا ما يطمح الانسان للتطور المادي ويسعى لتحقيق هذا الهدف لنفسه ولذويه، من أجل العيش بكرامة وحرية، وهذا أمر مشروع تماما، فالغنى من المال الحلال والموارد الصحيحة ليس محرما، بل من الأفضل أن يكون المسلمين أغنياء وأثرياء من خلال استثمارهم للموارد المالية غير المحرمة.

سعي الانسان لحياة أفضل

لذلك من حق الانسان أن يسعى ويجد في تطوير حياته مديا، ولكن هناك جانب مهم آخر، هو الجانب الروحاني والمعنوي، على الانسان أن لا ينساه، بل عليه أن يعرف أهميته الكبيرة ويعطي هذا الجانب ما يستحقه من سعي وجهد كبيرين، كون الجانب الروحي وتعميقه وتطويره بالصورة الصحيحة، يجعل الانسان في كنف الرحمن ورعايته دائما، فيمنحه النور الالهي الذي يقيه الزلل ويحميه من الوقوع في فخ الطمع المادي الخطير. يقول سماحة المرجع الديني الاعلى آية الله العظمى، السيد صادق الحسيني الشيرازي، بهذا الخصوص، في محاضرة قيمة له تحت عنوان (كيف

نكون في نور الله): (إذا كان الإنسان في نور الله عز وجل فلا يزل ولا ينحرف ولا يطغى ولا تسيطر عليه نفسه الأمانة بالسوء، ولا يسمح للشيطان أن يغويه، وتكون الدنيا بنظره كأهون ما يكون، لأنه يرى بهذا النور حقائق الأشياء، كما يرى بالنور المادّي الأجسام ويميّز بعضها عن بعض، فيقبل على ما يرغب منها ويُدبر عما يكره).

تطوير الجانب الروحاني

وشتان بين من يحتضنه النور ومن يحتضنه الظلام، إذ يمكن للأول أن يرى ويفهم مع من أو مع ماذا يتعامل من الناس والأشياء، أما الثاني فإنه محاط بالظلام لا يعرف ماذا أمامه أو خلفه ولا يعرف كيف يتصرف وهو مطوّق بالظلام الكثيف، هذا هو الفرق بين من تغمره رعاية الله ونوره، وبين من يفتقد لهذا النور بسبب عدم سعيه إليه، لذا يقول سماحة المرجع الشيرازي: (إنّ مَنْ يجلس على مائدة في ظلام لا يعلم بما وُضع أمامه هل هو من الأظلمة أم لا؟ فقد يمدّ يده وإذا بعقرب أو حشرة ضارّة أو سمٍّ وجدّ طريقه عمداً أو خطأً إلى مائدته فيتناوله وهو لا يعلم. أما الجالس في النور فهو يرى الطعام الذي أمامه فيميّزه عن غيره ولا يمدّ يده إلى ما يشكّ أو يحتمل الضرر فيه). ويضيف سماحته قائلاً في المحاضرة نفسها: (وهكذا الحال في المعنويّات؛ إن لم يكن الإنسان في نور الله تعالى، فسيكون في تيه وظلام وحيرة وضلال وإن كان لا يدرك ذلك ويتصوّر نفسه عارفاً بما حوله). لذلك مثلما يجتهد الإنسان لتحصيل رزقه وقوته، عليه أن يسعى لتحصيل النور الإلهي، عبر الكثير من الطرق، ومنها فهمه وتعمقه في الآيات القرآنية الكريمة والاحاديث النبوية الشريفة، يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا المجال: (إنّ الحديث النبوي الشريف الذي يخبرنا أنّ قول: * إنا لله

وإنما إليه راجعون* يجعل الإنسان في نور الله تعالى أي أن الله يمنحه النور ليرى ما ينفعه وما يضره، وفيه يصرف عمره، وكيف يعاشر الناس، وكيف يسيطر على نفسه وشهواته، وكيف يتخلص من حب الدنيا وزخارفها، بل كيف يستطيع أن يعرف ما هو اللائق فيقبل عليه وما هو المذموم فيصد عنه، لأن هذا هو حال الإنسان الذي في نور الله عز وجل).

الصدق والتعمق في العبادة

إن تعمق الانسان في قضية العبادة يحتاج الى تركيز وجهد مضاعف، بمعنى أن يعيش الانسان حالة (الانقطاع الى الله)، وينفصل كلياً عن الواقع ليتصل عبر العبادة الخالصة بخالقه العظيم، وهذا ما يضاعف وينمي الجانب الروحاني لديه لكي ينعم بنور الله تعالى، لذا يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا الصدد: (نقل عن بعض العباد أنه كان يقول: كلما أشرع بأداء الصلاة وأبلغ قوله تعالى: * إياك نعبد وإياك نستعين* يقشعرّ جلدي ولا أستطيع – لولا الوجوب – إنشاءها؛ لذلك أقوم بقراءتها وكلّي شعور بالتقصير؛ فإن * إياك نعبد وإياك نستعين* تعني أن العبادة مني لك وحدك؛ إذ لا معبود غيرك). ويضيف سماحته قائلاً في هذا المجال: (قد لا يعرف قارئ * إياك نعبد * عمق معناها، وقد يعرف ولكنه لا يعرف من يكلم بها، فكلاهما قراءة سطحية! ولكن قد يعرف الشخص معنى العبارة ومع من يتكلم ومع ذلك يعبد مع الله سواء كالدراهم والدينار والزوجة والأطفال والجاه والشهوات أو يرتكب ما حرم الله، فهذا معناه أنه أشرك بالله سبحانه ولم يصدق في دعواه، وإن لم يكن شركاً اعتقادياً مستوجباً للنجاسة والكفر ولكنه على كل حال مرتبة من مراتب الشرك كما ورد في أحاديث الرياء).

الاستحضار الدائم لمعنى العبادة

لذلك تتطلب تنمية الجانب الروحاني في ذات الانسان، استحضارا دائما لمعنى التبعّد، وأدائه بالطريقة الخالصة، حيث الخلو الى الله تعالى، وترك انشغالات الحياة المادية كلها جانبا، وعندما يتواصل الانسان في سعيه وبحثه عن نور الله سوف يصل الى مبتغاه، ولكن بعد أن يبذل الانسان ما يستحق هذا الجانب من الجهد والسعي الدؤوب، يقول سماحة المرجع الشيرازي حول هذا الموضوع في محاضراته القيمة نفسها: (هذا الأمر لا شك يحتاج إلى استحضار دائم بأن يذكر الإنسان نفسه في كل أن أنه عبد لله، بحيث يسري إقراره لله بالملك في جميع أحواله، فإن الإنسان ليس معصوماً من الخطأ والزلل، ولكن كلما ذكر نفسه قلت أخطاؤه حتى يلقي الله وهو مغفور له، وانطبق عليه الحديث المتقدم الذكر).

ويضيف سماحته قائلا: (وهذا الإقرار من قبل العبد لله بالملك، وللنفس بالعبودية والرجوع إليه تعالى، يعدّ أصلاً من أصول الأخلاق؛ لأنه يميّز المتصّف به عن غيره من حيث تصرّفاته وسلوكه، ولا تعود شهوات الدنيا وزخارفها ومشاكلها تؤثر فيه، فلا ينفلت بعد لأنه أضحي دائم الشعور بكونه عبداً ومملوكاً لله تعالى، وإذا كان كذلك فإنّ الله لا يختم على قلبه بل ينور قلبه فينتبه إلى المخاطر والمنعطفات والمزالق التي في طريقه فيتجنّبها).

إذن هناك صراع بين الانسان ونفسه، أي رغباته وميوله التي غالباً ما تدفعه النفس إليها، لذلك على الانسان أن يقر بالعبودية لله، كونها الطريق الصحيح للبقاء في كنف الرحمن، ونوره الذي يقوي الانسان من الوقوع في الطمع المادي واللهاث على مكاسب دنيوية لا ريب أنها زائلة، لذا ينهي سماحة المرجع الشيرازي محاضراته هذه بالقول:

(كوننا عبيداً لله تعالى هو الواقع شئنا أم أبينا، ولكن الدوافع الأخرى الموجودة تدفعنا إلى عدم الالتفات إلى هذا الواقع أي العبودية، ولذلك تبدو شيئاً نحاول إقحامه على أنفسنا. الأمر الآخر الجدير ذكره في المقام أن مَنْ يقرّ بالعبودية لله ويُشعر نفسه بها لا يطرده المولى من رحمته وإن صدرت منه بعض المخالفات لأنه سرعان ما يتبته فيعتذر ويعزم على أن لا يعود لمثلها).

شبكة النبأ المعلوماتية - الاثنين ٢٦/أذار/٢٠١٢ - ٥/جمادى

الأولى/١٤٣٣

(٧)

الموازنة الدقيقة بين المادي والمعنوي

غالبا ما تتراوح مكانة الإنسان وشأنه بين العلوّ والتدنيّ على المستويين المادي والمعنوي، فربما تجده في مرحلة ما من حياته ضعيفا فقيرا مسالما ولا مكانة له بين أقرانه من حيث الجانب المادي، لكن ربما نراه في مرحلة أخرى من مراحل حياته قويا وذا شأن مهم بين الناس سواء من الناحية المادية او المعنوية.

وقد تتناوب مكانة الإنسان المعنوية وقدراته المادية صعودا وهبوطا على مدى المراحل العمرية التي يمر بها، ولذلك ينبغي أن يبقى متوازنا وذا حكمة ثابتة وأفق بعيد النظر لكي ينجح بحياته في الجانبين المادي والمعنوي أيضا، وهو أمر يبقى متعلقا بمدى قدرة الإنسان على مراقبة نفسه وقيادتها بصورة متوازنة.

في هذا المجال يقول سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد

صادق الحسيني الشيرازي (دام ظلّه) في كتابه الثمين الموسوم بـ (حلية الصالحين):

(إنّ النفس الإنسانية دقيقة جداً وسريعة التأثير إلى درجة كبيرة، فهي كالنابض الذي يهبط لأدنى ضغط ويرتفع بارتفاعه بسرعة. مثاله: لو تبسّمت في وجه شخصٍ ما، فسوف تنبسط أساريره ويتعامل معك بالتّزان، ثمّ لو عبّست في وجهه بعد ذلك، تراه يفقد وعيه ويختلّ توازنه ولا تعود معاملته لك كما كانت آنفاً، ولا يعذرك أو يحتمل وجود سبب ما لعبوسك).

وهذا الأمر يتطلب سيطرة على النفس وتدريبها على حسن الطمّوح والتفكير معاً، وينطبق الحال على صغريات الأمور أيضاً، أي أن السلوك البسيط يتطلب نفساً متوازنة وكذا الحال بالنسبة للسلوكيات الأخرى، فضبط النفس والامسك بزمامها من مواصفات الإنسان المؤمن والناجح في حياته.

لذلك غالباً ما يؤكد علماء النفس والمختصون على أهمية أن تكون نفسية الإنسان متوازنة وغالباً ما يؤكدون على أهمية الترابط بين حجم المسؤولية الملقاة على عاتق الإنسان وبين أهمية قيادته لنفسه، بمعنى أن القائد السياسي لا يشبه في مهامه ومسؤولياته المواطن العادي، ولذلك فهو مطالب دائماً بقدرته على التحكم بنفسه ونوازعه وليس العكس، لا أن تزيده السلطة والنفوذ تجبراً وتعالياً على الآخرين، وهو ما يحدث فعلاً للسياسي الذي يفشل في التحكم بنفسه وتوازنها، يقول سماحة المرجع الشيرازي حول هذا الموضوع في كتابه نفسه:

(الإمام السجّاد يطلب من الله تعالى في الدعاء أن يمنحه التوازن بأعلى مستوياته؛ ولذلك يقول: ولا ترفعني في الناس درجة إلاّ حططتني عند نفسي مثلها).

فإذا كان الإمام السجاد عليه السلام يخشى السمو الى هذه الدرجة ويطلب من الله تعالى معادلة كفة الرفعة والحطة، فكيف الحال بالإنسان العادي الذي هو أصلاً غير قادر على قيادة نفسه إلا بعد جهد وكفاح كبيرين على المستويين الروحي والمادي أيضاً، لكن الأمر لا يتعلق بقدرة الإنسان او فشله في هذا المجال، بل الأمر يتعلق بقضية النجاح والفشل في الحياة.

فالقائد السياسي أو أي مسئول آخر إذا فشل في تحقيق الموازنة الدقيقة التي سبق ذكرها، لا بد انه يتعرض الى ضغوط النفس التي لا تعد ولا تحصى ولا تنحصر في مجال محدد، لاسيما وأن النفوذ والسلطة والمال تحت تصرفه، إذ أن درجات الكفاح لا بد أن تتضاعف ضد نوازع النفس السيئة.

وكذا الحال فيما يخص الإنسان العادي الذي لا يرتبط عمله بمسؤوليات كبرى، فهو أيضاً مشمول بأولوية تحقيق التوازن بين متطلبات النفس، وهنا يؤكد سماحة المرجع الشيرازي على أن: (التوازن مطلوب في النفس وباقي الأمور المعنوية، بل هو أهم، لأن فقدان التوازن في الماديات قد يؤدي إلى تلف الأبدان، أما في المعنويات فيؤدي إلى تلف النفوس، وبالتالي خسارة الدنيا والآخرة).

لذلك لا بد أن يتنبه الإنسان الى نفسه وإمكانية تعرضها الى أمراض كثيرة ربما تقودها الى خسائر كبيرة، مثلما هو الحال مع الأمراض التي قد تدمر الجسد، وهنا يضيف سماحة المرجع الشيرازي قائلاً في هذا الصدد: (إذا كان بدن الإنسان بحاجة إلى توازن يحفظ سلامته من أي اختلال قد يؤدي إلى تلف في الكبد أو المخ أو أي عضو من أعضائه الأخرى، فإن الأمر مع النفس أكد؛ لأنه بالنفوس تحيي الأبدان وليس العكس، وبالنفوس يصل الناس للتكامل والرقى وليس بالأبدان).

ولعل أكثر الصفات سطوة على الإنسان القيادي أو غيره ممن يفشل في التحكم بنفسه، هي صفة التكبر التي غالباً ما تصيبه عندما يحقق بعض النجاحات أو يتولى بعض المناصب التي تمنحه بعض الامتيازات، لكن في جميع الأحوال يبقى الإنسان الفاشل في الموازنة بين متطلبات النفس ضعيفاً وفاشلاً أيضاً.

يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا المجال بكتابه القيم نفسه: (كم هو ضعيف هذا الإنسان. وإذا كان ضعيفاً إلى هذه الدرجة فما الذي يدعوه للتكبر؟ هل الثروة والمال والسلطة والجاه أم البدن القوي، وهذه كلها قد تزول في لحظة).

ولكن إذا كانت السلطة والقوة والمال والجاه وكل الامتيازات يمكن أن تزول في لحظة، لماذا يبقى بعض الناس لاسيما بعض المسؤولين يوغلون بالفشل في قيادة أنفسهم ويفشلون في دحر رغباتهم غير المشروعة؟ إذن كما يقول سماحة المرجع الشيرازي في كتابه نفسه: (علينا أن ننتهز الفرص لتربية أنفسنا وتزكيته بالعزم والمثابرة بعد التوكل على الله تعالى).

شبكة النبأ المعلوماتية - الخميس ١٤/تشرين الأول/٢٠١٠ - ٦/ذو

الفصل الثالث: بناء الذات بين الصمت والتفكير

(١)

التأمل والتفكير طريق الرقي والابداع

التأمل وليد السكون، فحينما يكف الانسان عن الكلام هذا يعني بأنه يفكر أو يتأمل شيئاً ما، مما يدفع الى انتاج فكر وابداع في مجال ما، سواء كان علمياً أو في مجال العلوم الانسانية ومنها الدينية بطبيعة الحال، لهذا كان للتأمل والسكوت مرتبة عالية من التقييم والتقدير كونها المرحلة التي تؤدي الى الحكمة ايضاً.

السكوت طريق الرقي

لذا يؤكد سماحة المرجع الديني، آية الله العظمى، السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله)، في احدى محاضراته القيمة، قائلاً في هذا الصدد: (إن السكوت هو الطريق الأفضل والأسرع لرقى الإنسان وتكامله؛ لأن الإنسان ميال بطبيعته لأن يقول كل ما يشعر به ويعلمه ويعرفه، مع أن معظمه لا يتناسب من حيث القيمة مع ما يصرفه الإنسان من وقت في هذا السبيل، في حين أن التأمل والتفكير يعطي نتائج أفضل. وإذا كان الناس يعظمون المبدعين والمخترعين والمكتشفين فإن الإبداع في كل مجالات الحياة يظهر

نتيجة التأمل وليس الكلام).

ولا يعني هذا أن الكلام لا قيمة له، ولكن هناك مفاضلة بين الصمت والكلام، كالمفاضلة بين قيمة الذهب والفضة، فكلاهما ثمينان، ولكن هناك درجة وهناك افضلية لقيمة هذين المعدنين، كما نقرأ في قول سماحة المرجع الشيرازي توضيحاً لهذا المثال: (كلّ من الذهب والفضة قيمة ولكن الذهب أعلى من الفضة كما هو معلوم، وقد لوحظ ذلك في الأحكام الشرعية أيضاً. فدية المرء المسلم مثلاً هي ألف دينار من الذهب أو عشرة آلاف درهم فضة. لذا فالحديث الشريف يجعل النسبة بين الكلام والسكوت كالنسبة بين الفضة والذهب. فكما أن للفضة قيمة وللذهب قيمة ولكن قيمة الذهب أعلى، فكذلك يمكن مقارنة السكوت إلى الكلام).

الكلام قد يكون واجباً

لاشك هناك مواقف وحالات لا يجوز معها الصمت بحجة أن السكوت والتأمل أفضل من الكلام، فالدفاع عن الحق والمظلومية تفرض على الانسان موقفاً واضحاً، لا مجال للتدليس فيه ولا المراوغة، إذ لا بد أن يعلن الانسان موقفه لمناصرة الحق بصوت عال وكلام مسموع، بل ربما يتطلب الامر الى أكثر من ذلك، لهذا قيل أيضاً (الساكت عن الحق شيطان أخرس) وهنا تتبين قيمة الكلام عندما يكون واجباً، يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا المجال بمحاضرتة نفسها:

(تارة يكون الكلام واجباً، ولاشك أن السكوت غير مفضل عليه في مثل هذه الحالة، ومثاله الأمر بالمعروف والواجب والنهي عن المنكر الحرام. وتارة يكون السكوت واجباً ويأثم الإنسان بتركه كما لو أدى الكلام إلى قتل النفس المحترمة، وفي مثل هذه الحالة يكون السكوت مفضلاً بل

لا يجوز الكلام).

ولكن يبقى الصمت متميزاً على الكلام في موقفه الصحيح، حيث تكمن الحكمة في التأنى باطلاق الكلام والاحكام ايضاً، لهذا نقرأ في قول سماحة المرجع الشيرازي ايضاً: (روي أيضاً: إذا رأيت المؤمن صموتاً فادنوا منه فإنه يلقي الحكمة»، (بحار الأنوار: ١ / ١٥٤ باب ٤، الحديث ٣٠، في الوصية الطويلة للإمام الكاظم سلام الله عليه إلى هشام بن الحكم).

والصموت مبالغة صامت أي كثير الصمت. والحكمة أغلى شيء في حياة الإنسان. وهذا الحديث الشريف يكشف أن الحكمة تأتي في الغالب من الصمت أكثر من الكلام؛ لأن الحكمة وليدة التأمل والتدبر والتعقل وهذه كلها تتحقق في الصمت والسكوت).

ولابد للإنسان أن يعي النتائج المترتبة على اختياره للصمت او الكلام، بمعنى انه حين يختار الصمت او الكلام، فإنه سينتظر النتائج التي تعود عليه وعلى غيره بنتائج افضل، لذا يبين لنا سماحة المرجع الشيرازي طبيعة هذا الاختيار كما نقرأ في قوله: (لو خير إنسان محتاج من الناحية المادية بين أمرين: الحضور في ساحة والتكلم فيها لقاء دينار مثلاً، أو البقاء ساكناً لقاء دينارين، فأيهما سيختار؟ لا شك أنه سيختار الثاني لأنه أنفع له وأكثر ربحاً).

المؤمن الصموت والاحمق المهدار

هناك مؤمنون يفضلون الصمت على الكلام، حتى تبدو هذه الحالة صفة من صفاتهم وربما تتحول الى ملكة، لأنها تقودهم الى التأمل والابداع، وبالتالي تحد من رغباتهم المادية المحرمة، كاطلاق النزوات والشهوات ايضاً، لذا يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا الجانب: (إذا كان المؤمن صموتاً فإن تفكيره لا ينصرف إلى المال والشهوات بل يفكر في التعالي والسمو في

طريق الخير والهداية والفضائل والكمال.. وإذا أصبح كذلك أبداع فكره وتفتّحت أمامه آفاق أخرى).

من الواضح أن فوائد التأمل كثيرة جداً، وأن التأمل لا بد أن يكون مقروناً بالكف عن الكلام، فالصمت دليل الانشغال بالفكر والابداع، وبهذا تتفوق قيمة الصمت على الكلام، إلا في الموارد التي تتطلب اطلاق الكلام في مواقف معينة لنصرة الحق، لذا من فوائد التأمل والتفكير التي يؤكدتها سماحة المرجع الشيرازي ما يلي: (الطالب مثلاً يتأمل ويفكر في اختيار الدروس وسلوك الطريق الذي يختصر عليه الوقت. والمحاضر يفكر كيف يرفع من مستوى الحاضرين، والداعية يخطط قبل أن يبدأ بهداية الشباب، وهكذا المجاهد والعالم والقائد.. كلٌّ يبحث بالتأمل والتدبر عن أسهل الطرق وأسرعها بلوغاً للهدف).

ولكن هناك أناس ثرثارون مهذارون، يتصفون بالحماقة وكثرة الكلام الفارغ، على العكس تماماً من الصمت الذي يميز المؤمنين الصالحين المترفعين على الماديات بأشكالها وانواعها كافة، لذلك ينبغي ان يترث الانسان دائماً قبل اطلاق الكلام، حتى لا يضطر للاعتذار او سحب كلامه، ناهيك عن النتائج الوخيمة التي قد تترتب على الكلام حينما يكون مساره خاطئاً، يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا المجال: (عن الإمام علي سلام الله عليه أنه قال: «لسان العاقل وراء قلبه وقلب الأحمق وراء لسانه»، نهج البلاغة، الكلمات القصار، ٤٠).

أي أن الأحمق سريع الكلام يطلق القول قبل أن يفكر فيه، خلافاً للعاقل فإنه يفكر في الكلمة قبل أن يقولها. ونقل عن بعض الحكماء أنه كان يقول: لا ترسل كل كلمة مع أول خطورها إلى الذهن بل أرجعها إلى الفكر

وتمعن فيها سبع مرات قبل أن يطلقها لسانك. ولا شك أن من يتربث إلى هذه الدرجة تقل شطحاته وزلاته غالباً ويقل ندمه إثر ذلك).

شبكة النبا المعلوماتية - الخميس ١٧/آيار/٢٠١٢ - ٢٥/جمادى

الآخر/١٤٣٣

(٢)

السكوت طريق الرقي والتأمل طريق الصواب

في محاضرة قيّمة لسماحة المرجع الديني، آية الله العظمى، السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله)، حول أثر الصمت في حياة الانسان، يقول فيها، إن (العاقل يفكر ثم يتكلم)، ولعلنا نتفق على بلاغة هذا الكلام وقوة تأثيره، على مستوى المعنى والفعل في آن واحد، وقد جاءت تأكيدات سماحة المرجع الشيرازي على قيمة السكوت في حياة الانسان، لتفتح أمام الجميع آفاق التأمل وقدرته على نقل الانسان من حالات التعجّل والتسرع وارتكاب الاخطاء، الى حالات التفكير السليم، وما أحوجنا إليها في حياتنا.

قيمة الوقت بين الصمت والكلام

لذا يقول سماحة المرجع الشيرازي أيضاً: (إن السكوت هو الطريق الأفضل والأسرع لرقى الإنسان وتكامله؛ لأن الإنسان ميال بطبيعته لأن يقول كل ما يشعر به ويعلمه ويعرفه، مع أن معظمه لا يتناسب من حيث القيمة مع ما يصرفه الإنسان من وقت في هذا السبيل، في حين أن التأمل والتفكير يعطي نتائج أفضل. وإذا كان الناس يعظمون المبدعين والمخترعين والمكتشفين فإن الإبداع في كل مجالات الحياة يظهر نتيجة التأمل وليس الكلام).
ولكن تبقى الظروف المحيطة بالانسان هي التي تتحكم بأفضلية

الصمت أو الكلام، بمعنى هناك مواقف لا يصح معها الصمت المؤمن، وهناك مواقف أخرى تتطلب الهدوء والتأمل والصمت لحين الوصول الى القرار الأصح، لذا يقول سماحة المرجع الشيرازي بهذا الخصوص: (تارة يكون الكلام واجباً، ولاشك أن السكوت غير مفضل عليه في مثل هذه الحالة، ومثاله الأمر بالمعروف والواجب والنهي عن المنكر الحرام. وتارة يكون السكوت واجباً ويأثم الإنسان بتركه كما لو أدى الكلام إلى قتل النفس المحترمة، وفي مثل هذه الحالة يكون السكوت مفضلاً بل لا يجوز الكلام. ومن الواضح أن الحديث الشريف غير ناظر لمثل هذه الموارد؛ بل هو يقرر حقيقة أخلاقية مفادها أن السكوت بنفسه – إذا لم تكن هناك مرجحات للكلام – خير وأعلى). ويضيف سماحة المرجع قائلاً لتوضيح أهمية وطبيعة الموقف الذي قد يتطلب الكلام أو الصمت قائلاً: (إنّ السكوت النافع أعلى من الكلام النافع، ما لم يكن هناك مرجح لأحدهما على الآخر).

ويدعم سماحة المرجع الشيرازي آرائه في هذا الصدد بحديث نبوي شريف إذ نقرأ أيضاً: (قال رسول الله ﷺ: من حسن المرء تركه الكلام فيما لا يعنيه) مستدرك الوسائل: ج ٩، ص ٣٤. أي على المرء أن يفكر في الكلام قبل أن يطلقه، هل يعود عليه بالنعمة أم لا، فإن لم يعد عليه بالنعمة فليختر السكوت ويتخلى عما كان يريد قوله.

من فوائد الصمت والتأمل

إن التأمل والصمت رديفان يدعم بعضهما الآخر، فالصمت يتيح لصاحبه عدم التسرع في إطلاق موقف محدد حيال قضية ما، والتأمل يمنح صاحبه فرصة الاستنتاج الامثل، وينطبق هذا في جانبي المادة والفكر أو الجانب النظري، يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا المجال: (لو أن

شخصاً أراد أن يشتري بضاعة ما، فتأمل قليلاً قبل ذلك، فربما انتهى إلى أن هذه البضاعة يمكن اقتناؤها في أمكنة متعددة، وأن سعرها قد يكون في مكان ما أرخص مع الاحتفاظ بالموصفات نفسها. وربما اختلفت في المواصفات وانتهى إلى أن من مصلحته أن يشتري نوعية معينة بالموصفات الممتازة بتفاوت أقل في السعر. ولو كان هذا الشخص قد بادر إلى شراء البضاعة دون تأمل وتفكير فربما ندم لفوات الأفضل أو الأرخص).

ويضيف سماحته في السياق نفسه: (الحالة نفسها تصدق في المعنويات. فالطالب مثلاً يتأمل ويفكر في اختيار الدروس وسلوك الطريق الذي يختصر عليه الوقت. والمحاضر يفكر كيف يرفع من مستوى الحاضرين، والداعية يخطط قبل أن يبدأ بهداية الشباب، وهكذا المجاهد والعالم والقائد.. كلٌّ يبحث بالتأمل والتدبر عن أسهل الطرق وأسرعها بلوغاً للهدف. وهذا كله لا يأتي إلا بالصمت).

بين العاقل والأحمق

لذا يكمن الفرق بين العاقل والأحمق في طريقة ردود الفعل ازاء المواقف والاحداث، اذ تبدو العجالة واضحة في سلوك ومواقف وكلام الاحمق، بينما يبقى العاقل هادئاً متأملاً عارفاً بما يليق بهذا الوقف او ذاك من مواقف وكلمات، لذا يورد سماحة المرجع الشيرازي تأكيداً لسلامة هذا التصرف قائلاً في محاضراته نفسها: (عن الإمام علي سلام الله عليه أنه قال: - لسان العاقل وراء قلبه وقلب الأحمق وراء لسانه- نهج البلاغة، الكلمات القصار، ٤٠-، أي أن الأحمق سريع الكلام يطلق القول قبل أن يفكر فيه، خلافاً للعاقل فإنه يفكر في الكلمة قبل أن يقولها).

وهكذا نفهم بأن الصمت قد يفوق قيمة الكلام اذا لم يكن في محله،

وهذه القضية تتطلب نوعاً من الذكاء والدربة قد لا يستطيع الجميع من حفظها أو العمل بها، لأنها قد تصل إلى درجة الملكة، حيث ينبغي على الإنسان أن يتدرب عليها، من أجل أن يكون دائماً في حالة وسط بين وجوب الصمت والتأمل وضرورة النطق والكلام وإعلان الموقف الواضح، لذلك ينصح سماحة المرجع الشيرازي قائلاً في هذا الخصوص:

(فلنقرّر من الآن أن نتعوّد على الصمت والاستفادة من الوقت، وهذا لا يتحقّق دفعة واحدة، بل يأتي عبر المرن والترويض ويبدأ بالقليل ثم يزداد شيئاً فشيئاً، وذلك بأن يصمّم المرء أن يكون منتبهاً لنفسه كلّ يوم في ساعة معيّنة فلا يتكلّم إلا بعد أن يتأمّل ويشخص أنه نافع، ويستمرّ على هذه الحالة لمدة أسبوع مثلاً، بعد ذلك يزيد المدة إلى ساعتين وهكذا لمدة أسبوعين أو شهر مثلاً، ويستمرّ يزيد عدد الساعات التي يراقب نفسه فيها بمرور الزمن، حتى تصبح الحالة ملكة عنده).

شبكة النبأ المعلوماتية - الخميس ٢٦/كانون الثاني/٢٠١٢ - ٢/ربيع

الأول/١٤٣٣

(٣)

حكمة الصمت ووجوب الكلام

هل يجوز للإنسان أن يطلق صوته وكلماته جزافاً وقتما يشاء ذلك؟، بمعنى هل له أن يتحدث وقتما يحلو له الكلام في مناسبة أو من دونها؟ من جانب آخر، هل له حق الصمت في جميع الأحيان؟ وما هو المطلوب منه لكي يحقق الموازنة الناجحة بين حالتي الصمت والكلام؟. هذه الأسئلة المترادفة تشترك جميعها في الإجابة عن الجانب الأهم في

شخصية الانسان، ولعلها تكشف مزايا هذه الشخصية من حيث جوانبها الجيدة والرديئة في آن واحد.

وقد تطرق المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي في كتابه الموسوم بـ (العلم النافع) الى وجوب الموازنة بين إطلاق الكلام في موضع وكبحه في موضع آخر، وقد جاء في هذا الكتاب حول قيمة الصمت والكلام:

(روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «السكوت ذهب والكلام فضة»

مستدرک الوسائل: ج ٩ ص ١٦ ح ١.

لكل من الذهب والفضة قيمة ولكن الذهب أغلى من الفضة كما هو معلوم، وقد لوحظ ذلك في الأحكام الشرعية أيضاً. فدية المرء المسلم - مثلاً - هي ألف دينار من الذهب أو عشرة آلاف درهم فضة، وهذا الحديث الشريف يجعل النسبة بين الكلام والسكوت كالنسبة بين الفضة والذهب).

ومما ورد في هذا الكلام المأخوذ من كتاب (العلم النافع) نستنتج بأن صمت الانسان هو أعلى قيمة من كلامه، غير أن هذا لا ينطبق على جميع الظروف والاحداث التي قد توجب الكلام وتفضله كثيراً على الصمت، بمعنى ان القول بأفضلية الصمت ليس قانوناً ينطبق على كل ظروف الانسان وأنشطة حياته المتنوعة، فربما يتعرض الانسان المؤمن لموقف لا يصح معه السكوت (فالساکت عن الحق شیطان أخرس) لهذا ينبغي على الانسان أن يغادر حكمة الصمت عندما يكون الكلام سبيلاً الى ردع المسيء مثلاً او سبيلاً الى التوعية وترصين النزعة الأخلاقية والایمانية في الانسان، وفي هذا الصدد يقول المرجع الشيرازي:

(فكما أن للفضة قيمة وللذهب قيمة، فكذلك يمكن مقارنة السكوت

إلى الكلام.

تارة يكون الكلام واجباً، ولاشك أن السكوت غير مفضل عليه في مثل هذه الحالة، كما هو الحال في الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر).

في وقت يكون الصمت واجبا في بعض الأحيان كونه يقود الى حالة إيجابية كما يقول المرجع الشيرازي في ذلك:

(وتارة يكون السكوت واجباً ويأثم الإنسان بتركه كما لو أدى إلى قتل النفس المحترمة، وفي مثل هذه الحالة يكون السكوت مفضلاً، بل لا يجوز الكلام).

ومن الواضح أن الحديث الشريف غير ناظر لمثل هذه الموارد، بل هو يقرّر حقيقة أخلاقية مفادها أن السكوت بنفسه - إذا لم تكن هناك مرجّحات للكلام عليه - خير وأغلى).

إن هذه المقارنة بين حكمة الصمت وترك الكلام لمواضعه المناسبة، تُعدّ أحد الدروس المهمة التي ينبغي على الإنسان تعلمها، فالحياة المعاصرة تفرض على الإنسان صيغا جديدة من السلوك والكلام لكي يكون مؤثرا في المحيط الذي ينشط فيه، بمعنى آخر أن على الإنسان أن يجد ويتعب من أجل أن يكون ناجحا ومؤثرا في المجتمع، وفي أضعف الحالات ينبغي أن يكون مقبولا في الوسط الذي يتحرك فيه، وهذا يتطلب منه سبل جيدة للسلوك ومفردات منتقاة ومؤثرة للكلام، كذلك عليه أن يتقن فن الإصغاء، وهنا نكتشف بأن الصمت الذي تحدث عنه المرجع الشيرازي هو نوع من أنواع الفن المفيدة التي ينبغي على الإنسان أن يتقنها لكي يكون ناجحا ومؤثرا في محيطه.

بمعنى أن الصمت عندما يأتي في موضعه سيكون ذهباً وهذا يعني

إتقان الانسان لفن الصمت والاصغاء في الوقت المناسب، على ان لا يكون هذا الصمت سمة دائمة تطبع شخصية الانسان، إذن هنالك ظروف واحداث تفرض على الانسان أن يطلق صوته ويبوح برأيه بل ويوجه نصيحته لمن يسيء عن جهل او قصد مسبق.

وهنا يؤكد المرجع الشيرازي في كتابه (العلم النافع):

(بأن المقصود من الحديث الشريف أن السكوت النافع أغلى من الكلام النافع).

ويورد لنا (العلم النافع) حديثاً آخر يدخل في مضمار صمت الانسان المؤمن، فنقرأ في هذا المجال:

(«إذا رأيتم المؤمن صموتاً فادنوا منه فإنه يلقي الحكمة») (بحار الأنوار: ج ١ ص ١٥٤ ب ٤ ح ٣٠، في الوصية الطويلة للإمام الكاظم سلام الله عليه إلى هشام بن الحكم).

هنا نستطيع أن نصل الى رأي مفاده إن الانسان الصموت أكثر حكمة من غيره، مع أهمية الموازنة التي وردت سابقاً في هذا المقال، فالصمت عندما ينتج عن تأمل وتعقل في التعامل مع أمور الحياة وتمحيصها، قطعاً سيكون أكثر أهمية وتأثيراً ونجاحاً من الكلام الذي إذا كثر وجاء في غير ظرفه وموضعه تحول الى ثرثرة يتجاهلها الآخرون إن لم تتعرض لنقد مصدرها الذي سيوصف بالرجل الثرثار.

وقد أكد المرجع الشيرازي على أهمية أن يكون الانسان متوازناً في صمته وكلامه وأن يمتنع ويحاذر من زج نفسه في أمور لاتقع ضمن اختصاصه وأورد في كتابه (العلم النافع) ما يدعم هذا الرأي من أحاديث شريفة ومنها:

قول رسول الله ﷺ: «مَنْ حُسِّنَ إِسْلَامَ الْمَرْءِ تَرَكَهُ الْكَلَامَ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ».

وخلاصة الكلام، يبقى الصمت في وقته وموضعه ذهاباً، ويبقى الكلام في وقته وموضعه ايضاً فضة، وعلى الانسان المؤمن أن يلجأ الى كليهما في الوقت المناسب كي يبقى عنصراً فاعلاً وناجحاً ومقبولاً في المجتمع.

شبكة النبأ المعلوماتية - الاثنين ١٣/نيسان/٢٠٠٩ - ١٦/ربيع

الثاني/١٤٣٠

(٤)

كيف يكون السكوت طريق الرقي؟

إن السكوت هو الطريق الأفضل والأسرع لرقى الإنسان وتكامله؛ لأن الإنسان ميال بطبيعته لأن يقول كل ما يشعر به ويعلمه ويعرفه، مع أن معظمه لا يتناسب من حيث القيمة مع ما يصرفه من وقت في هذا السبيل، بينما التأمل والتفكير يعطي نتائج أفضل. إذا كان الناس يعظمون المبدعين والمخترعين والمكتشفين، فإن الإبداع في كل مجالات الحياة لا يظهر نتيجة الكلام كظهوره نتيجة التأمل.

المؤمن الصموت

من بين المجالس المليئة بالمعارف والعبر، مجالس سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله) يقول في أحداها: إذا كان المؤمن صموتاً فإن تفكيره لا ينصرف الى المال والشهوات بل يفكر في التعالي والسمو في طريق الخير، الهداية، الفضائل، الكمال، وإذا أصبح كذلك أبدع فكره وأينع قوله وفعله، تفتحت أمامه آفاق

الرقمي والازدهار.

وسماحته يضرب لذلك مثلا فلو أن شخصا أراد أن يشتري بضاعة ما، فتأمل قليلا قبل الشراء، ربما انتهى الى أن هذه البضاعة يمكن اقتناؤها من أمكنة أخرى، وأن سعرها قد يكون أرخص مع الاحتفاظ بالموصفات نفسها. لو كان هذا الشخص قد بادر الى شراء البضاعة دون تأمل وتفكير، فربما ندم؛ لفوات الأفضل أو الأرخص.

الحالة نفسها تصدق في المعنويات. فالطالب - مثلا - يتأمل، يفكر في اختيار الدروس وسلوك الطريق الذي يختصر فيه الوقت. المحاضر يفكر كيف يرفع من مستوى الحاضرين، الداعية يخطط قبل أن يبدأ بهداية الشباب، هكذا المجاهد والعالم والقائد... كل يبحث بالتأمل والتدبر عن أسهل الطرق وأسرعها بلوغها للهدف. هذا كله لا يأتي إلا بالصمت، فيه وبالتأمل وملاحظة الأمور ومقارنتها، بلغ العظماء ما بلغوا.

عندما نراجع سير العلماء والعظماء، ندرس تاريخ مراجع الدين نجد أنهم كانوا كثيري الصمت والفكر والتأمل.

فكر وتأمل ثم تكلم

عن الإمام علي عليه السلام قال: (لسان العاقل وراء قلبه، وقلب الأحمق وراء لسانه) أي أن الأحمق سريع الكلام، يطلق القول قبل أن يفكر فيه، خلافا للعاقل، فإنه يفكر في الكلمة قبل أن يقولها.

من المواعظ التي يذكرنا بها سماحة المرجع في هذا الباب، التي لا غنى عنها للمؤمن، قوله: نقل عن بعض الحكماء أنه كان يقول: لا ترسل كل كلمة مع أول خطورها الى الذهن بل أرجعها الى الفكر وتمعن فيها سبع مرات قبل أن يطلقها لسانك. لا شك أن من يترث الى هذه الدرجة تقل

شطحاته وزلاته غالبا ويقل ندمه إثر ذلك.

لقد عرف عن الشيخ محمد تقي الشيرازي (قدس) بأنه كان كثير الصمت، كثير الفكر، اشتهر بهذه الصفة حتى تناقلتها الكتب وألسن العلماء من جملة ما نقل عن أحواله في هذا الصدد أنه إذا دار نقاش بين تلاميذه في مسألة ما، كان لا يدخل في النقاش إن رأى أنه لا يعود بالنفع على الموضوع الذي يتكلم فيه.

في هذا المجال يستشهد المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الشيرازي برواية عن النبي ﷺ فيقول: يروى أنه قد صحب النبي ﷺ أو عاصره الآلاف من المسلمين وغيرهم، لكن الذين عرفوا واشتهروا بالفضل (عدا أهل البيت عليه السلام) يعدون بالأصابع، من أبرزهم أبو ذر الغفاري الذي عرف عنه من بين أصحاب رسول الله ﷺ أن أكثر عبادته كانت في التفكير، فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: (كان أكثر عبادة أبي ذر التفكير والاعتبار). هكذا لو ألقيتم نظرة على من حولكم سترون أن أكثر الذين بلغوا المراتب العالية في الدنيا والدين والعلوم الدينية وغيرها كالطب والهندسة والتجارة هم أناس مفكرون قد ركزوا على التفكير والتأمل. لهذا عد الصمت من فضائل الأخلاق.

تجربة لوقتك وحياتك

ليس المقصود بالصمت عدم الحديث مطلقا، فكما أن الثثرة بالباطل ممقوتة فكذلك السكوت عن قول الحق يكون ممقوتا أيضا، غاية الأمر المطلوب من الإنسان أن لا يصرف وقته في الحديث غير النافع، لأن الوقت أغلى من المال، فإذا كان المال قابلا لأن يعوض، فالوقت غير قابل للتعويض. يذكر آية العظمى الله السيد صادق الشيرازي، لقد ورد في الحديث عن الإمام

أمير المؤمنين عليه السلام: (إنه ليس لأنفسكم ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها إلا بها).
لذلك يوصينا السيد المرجع، حري بالإنسان أن يستفيد من ساعات عمره أقصى ما يستطيع. فكما يفكر باستثمار أمواله على أحسن نحو يمكن، فتراه لا يبذرها، بل لا ينفقها إلا حيث يجب، لا يعطي منها أكثر مما يجب — هذا مع أن المال سهل التحصيل نسبة، ولا يؤدي ذهابه بحياة الإنسان — كذلك يجب أن يكون وقت الإنسان ثمينا، فهو ثروته الحقيقية، التي عليه أن يحسن كيف ينفقها ولا يبيعها بالتافه.

فلنقرر من الآن أن نتعود على الصمت والاستفادة من الوقت، هذا لا يتحقق دفعة واحدة بل يأتي عبر الممارسة والترويض ويبدأ بالقليل ثم يزداد شيئا فشيئا، ذلك بأن يصمم المرء أن يكون متبها لنفسه كل يوم في ساعة معينة، فلا يتكلم إلا بعد أن يتأمل فيما ينبغي أن يتكلم فيه، يستمر على هذا المنوال لمدة أسبوع — مثلا— بعد ذلك يزيد المدة الى ساعتين ويستمر هكذا لمدة أسبوعين أو شهر، يستمر بزيادة عدد الساعات التي يراقب فيها نفسه مع مرور الزمن، حتى تصبح الحالة ملكة عنده.

هذه التجربة التي يريدنا السيد المرجع (دام ظلّه الوارف) تطبيقها عمليا، يقول عنها سماحته: التجربة التي أنقلها لكم خلال عدة ثوان أو دقائق يحتاج تحقيقها الى وقت طويل، لكنها ثمينة جدا، لأن ما يحصل عليه الإنسان منها هو أعلى شيء في الحياة، هو عمره وتاريخه وحياته، بل ثروته الحقيقية في هذه الدنيا التي يتاجر بها لكي يربح الحياة في الآخرة.

الفضائل الخمس

إن الإنسان المهذار الثرثار الذي يطلق للسانه العنان ويتفوه بكل ما يخطر بباله، لا يرى قيمة لوقته وحياته، مثل هذا الإنسان لن يصل الى شيء.

أما الذين يهدفون الى بلوغ جوار الله تعالى والقرب من الأنبياء والتمتقين، فليسوا كذلك، إن التكامل لا يأتي من لاشيء وبلا تأمل وفكر.

كان للإمام موسى بن جعفر عليه السلام ولد يكنى بزيد النار لم يكن سالكا طريق أبيه. قال له الإمام الرضا عليه السلام يوما ينصحه: (إن كنت ترى أنك تعصي الله عز وجل وتدخل الجنة وموسى بن جعفر أطاع الله ودخل الجنة، فأنت إذا أكرم على الله عز وجل من موسى بن جعفر، والله، ما ينال أحد ما عند الله عز وجل إلا بطاعته).

ومن مرويات السيد المرجع قوله: صدق من قال: حجب الله سبحانه اللسان بأربع مصاريع لكثرة ضرره: الشفتان مصراعان، والأسنان مصراعان. فلماذا لا يلتزم الإنسان الصمت رغم كل ذلك!؟

هب أن بعض الكلام ليس حراما، لكن لماذا الإسراف والتبذير؟ أجل إن هذا من أسوأ أنواع الإسراف وإن لم يذكر تحت اسمه، قد لا يعرف ذلك كثير من الناس، مع أنه قد يكون أسوا من إسراف المال أحيانا.

ظهر مما تقدم أن الصمت أحد الفضائل الأخلاقية التي لا يمكن بلوغها إلا بالتجربة، التي تحتاج هي الأخرى الى زمن، الى ثبات وصمود. بيد أنه إضافة الى ذلك ينبغي للإنسان أن لا يغفل عن الاعتماد على الله سبحانه وتعالى والتوسل به وصولا الى النتيجة المرجوة؛ قال تعالى: (قل ما يعبا بكم ربي لولا دعاؤكم) الفرقان / ٧٧.

فهذه خمس فضائل يحددها السيد المرجع، خير دليل عمل للمؤمن

الصموت:

١- معرفة قيمة الوقت.

٢- التأمل قبل الكلام.

٣- ترويض النفس.

٤- الثبات.

٥- الاعتماد على الله تعالى.

يمكن للإنسان من خلالها الوصول الى فضيلة الصمت التي إن وفقنا لبلوغها فسنشعر حينها كم أهدرنا من وقتنا وكلامنا بلا نفع لأنفسنا ولغيرنا. لنتهز الفرصة قبل أن يأتي يوم لا نستطيع أن نزيد فيه من حسناتنا ولا أن ننقص من سيئاتنا.

شبكة النبأ المعلوماتية- السبت ٢٣/تشرين الأول/٢٠١٠ - ١٥/ذو

القعدة/١٤٣١.

الفصل الرابع: شهر رمضان.. فرص التغيير والبناء

(١)

فرصة التهذيب النفسي في شهر رمضان

كثيرة هي الفرص التي يمنحها الله سبحانه وتعالى للانسان على مدى حياته لكي يعود الى فطرته ويتمسك بوشائج الايمان ويزكي نفسه الخطاء من الذنوب والخطايا، ولعل أفضلها وأنسبها هي هذه الفرصة التي نعيشها الآن ونحن في رحاب هذا الشهر المبارك، شهر رمضان الذي كان ولا يزال وسيبقى ساحة مفتوحة لتوبة الانسان واستحصاله المغفرة من لدن الله سبحانه وتعالى.

ولعل فوائد الصوم تكمن في زيادة تقوى الانسان وزيادة تقربه الى الله تعالى ولجوئه الى تشذيب النفس من مزايا الدنيا ومتطلباتها المادية التي غالبا ما تضع الانسان على حافة الذنوب واحيانا تقوده الى مستنقع الذنوب فيسقط فيه داريا او غافلا، ولذلك فإن هذا الشهر ينقي نفس الانسان وسريره ويزيد من ايمانه وتقواه شريطة ان يكون صومه حقيقيا، بمعنى ان تنطبق عليه شروط الصيام المطلوبة، ولا يكون صوما شكليا، فالصيام جوهر يقود الى الايمان الحقيقي وما عداه يكون فعلا شكليا لا يرقى الى ما يهدف اليه الصيام ابدا، وفي هذا المجال يقول سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد

صادق الحسيني الشيرازي في كتابه الثمين (العلم النافع):

(لا يخفى أنّ للصوم مراتب، والصائم الذي يبلغ التقوى هو الذي يكون صائماً حقيقة، لا الذي يصفه الإمام عليّ سلام الله عليه بقوله: «كم من صائم ليس له من صومه إلاّ الظمأ والجوع»- وسائل الشيعة: ج ١ ص ٧٢ باب ١٢، بطلان العبادة المقصود بها الرياء، ح ١٦١-).

بل الذي يصوم وتصوم جوارحه أيضاً. فصوم كهذا لا شك سيكون سبباً لأن يصير إنساناً متّقياً، كما في الحديث عن الإمام الصادق سلام الله عليه: «إذا صمتَ فليصمُ سمعك وبصرك وشعرك وجلدك»- فروع الكافي: ج ٤ ص ٨٧، باب أدب الصائم، ح ١-).

وكذلك للتقوى مراتب، ومفتاح ذلك كلّه بأيدينا، فإنّ الله تعالى قد خلق فينا القابلية لأن نستفيد من الصوم أكثر، وذلك بأن يكون صومنا في اليوم الثاني من الشهر أفضل من صومنا في اليوم الأوّل، وهكذا).

إن تجربة الصوم كما هو معروف تتوزع على الجانبين المادي والروحي في آن واحد، فالإنسان يمتنع عن تناول الطعام والشراب لمدة محددة من ساعات النهار، وبهذا فإنه يحرم جسده مادياً من الامدادات الغذائية التي يحتاجها وبذلك فإنه يعاني من عواقب النقص المادي في هذا المجال، غير ان هذا مرتبط بجانب آخر هو الجانب الروحي، فحين تمنع نفسك عن الاكل والشرب فإنك تربيها وتتحكم بها وتعارض رغائبها، وهذا بحد ذاته درس للسيطرة على النفس لاسيما الامارة بالسوء، ومن جانب آخر فإنك تمنع جوارحك واحاسيسك من العمل خلافا لما يتطلبه الصوم، فإنك تعطل غرائذك وفقاً للشريعة الاسلامية وبهذا يُضاف إليك قدرات اخرى للتحكم بالنفس والسيطرة على رغباتها ايضاً، وبهذه الطريقة تكون الفائدة من الصوم

مزدوجة مادية وروحية وبهذا فالصوم درس انساني بليغ، يهدف بالناس الى الرقي البشري في توجيه النفس الى ما هو صالح ومفيد للانسان سواء على المستوى الذاتي او العام، وفي هذا الصدد جاء في كتاب سماحة المرجع الشيرازي (العلم النافع): (كان النبي ﷺ يستقبل شهر رمضان من كل عام بخطبة يوجّه فيها المؤمنين إلى أهمية هذا الشهر وضرورة الاستفادة منه؛ ولذلك فخطب النبي ﷺ وكذلك خطب الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه في استقبال شهر رمضان كثيرة، ومنها الخطبة المشهورة التي رواها الإمام أمير المؤمنين عن النبي ﷺ، والتي يسأل فيها الإمام عن أفضل الأعمال في هذا الشهر، فيجيبه رسول الله ﷺ بأنه «الورع عن محارم الله تعالى». فحري بنا أن نقرأها ونتدبر معانيها ونعمل بها ما وسعنا، والله سبحانه وتعالى يعيننا على ذلك).

نعم فالسيطرة على النفس والتحكم برغباتها ليس بالامر السهل، ولعل الصيام الحقيقي هو الاسلوب الامثل والاقصر لتحقيق هذا الهدف خاصة انه مطلب إلهي يريده الله تعالى لكل العباد تقربا إليه تعالى وتعلقا به سبحانه. ومن فضائل هذا الشهر الكريم ان الدعاء فيه اكثر واقرب قبولاً من لدن الله تعالى، ولهذا يحث الخطباء والمصلحون على اهمية ان يدعو المؤمن لأخيه المؤمن في هذا الشهر الكريم، بل الدعاء مطلوب حتى للأعداء لكي يساعدهم الله على نفوسهم ويعودون عن غيهم الى جادة الصواب، وهذا ما نجده في سلوك أئمتنا الاطهار عليهم السلام حيث يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا المجال: (لقد كان الأئمة سلام الله عليهم يدعون حتى لأعدائهم؛ فقد روي في مقاتل أن الإمام الحسين سلام الله عليه وبعد أن نزلت به كل تلك المصائب واستشهد أصحابه وأهل بيته وذبح طفله الرضيع... إلى غير ما مرّ به

من المصائب، شوهد يبكي - ومن المعروف أنّ المُقاتل لا يبكي في ساحة الحرب؛ لأنّ ذلك يعدّ علامة على الضعف والانكسار - فلماذا بكى الإمام الحسين سلام الله عليه؟ الجواب: (لأنّه كان يرى أنّ هؤلاء الأعداء كلّهم سيكون مصيرهم إلى النار؛ فبكى لحالهم ومصيرهم الأسود)!

وبهذه المبادئ السمحاء يمكن للانسان أيا كان انتماءه او موطنه بأن يرتقي الى مراتب أعلى من خلال اكتسابه لصفات التسامح والمحبة وحب الخير للآخرين والدعاء لهم بالصلاح والايمان.

ولعل شهر رمضان هو الفرصة الأهم والاكبر التي تتيح للانسان ان يزكي ويهدي نفسه وغيره الى سبل الخير والمحبة والايمان وسيكون الله سبحانه وتعالى ظهيرا للمؤمن وسندا له في نواياه وافعاله الصحيحة التي تقوده الى تزكية النفس وهدايتها بإذنه تعالى.

شبكة النبأ المعلوماتية - السبت ٢٩/آب/٢٠٠٩ - ٨/رمضان/١٤٣٠

(٢)

شهر رمضان فرصة الاستقرار والتقدم

كل ما يسعى إليه الانسان دائما، هو أن يتقدم خطوة الى الامام في حياته، ويتطلب تحقيق هذا الهدف، جملة من الاشتراطات الذاتية والموضوعية، فإذا تحققت هذه الاشتراطات، يمكن للانسان أن يقوى ويتصاعد في مساره الصحيح الناجح، فثمة جانبين يشتركان في تطور الانسان وبنائه، الاول هو الارادة التي يمكنها تحجيم الاهواء والرغبات، التي تدفع إليها النفس، والثاني طبيعة الظروف المحيطة به، ودرجة مؤازرتها للانسان، كي يحقق درجة نجاح مقبولة في حياته.

إذن لابد للانسان أن يتحلى بإرادة قادرة على قيادة النفس وليس العكس، لكي يُتاح له فرصة التغيير نحو الافضل، ولابد أن تتوافر الظروف الملائمة والمساندة لتحقيق التغيير الافضل، لهذا يعتبر شهر رمضان المبارك فرصة ذهبية لتحقيق التغيير الامثل للانسان.

في هذا الخصوص، يؤكد سماحة المرجع الشيرازي، آية الله العظمى، السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله) في كتاب جميل يحمل عنوان من (عقب المرجعية) يؤكد على: (ان شهر رمضان هو شهر الله سبحانه وتعالى، اختص به دون باقي الشهور، فهو شهر لتنظيم حياة الانسان، والتغيير نحو الافضل، والتطهر من كل دنس، والطاعة لله سبحانه).

إذن هذا الشهر يمثل تحقيق الاشتراطات الموضوعية لتحقيق النقلة المرتقبة في حياة الانسان، حيث تسود اجواء المحبة والتسامح والهداية بين الجميع، وهي تمثل فرصة مواتية جدا لتحوّل الانسان، من حال أسوأ الى حال نفسي إيماني أفضل، يتيح له تحقيق النجاحات في عموم المجالات المادية والمعنوية، ودائما هناك فرصة متاحة للتغيير.

يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا الصدد: (مهما كان الانسان بعيدا عن الخير والصلاح والتقوى، يمكنه ان يستفيد من اجواء شهر رمضان المبارك، لتغيير نفسه، فإن الله تعالى اودع هذه القدرة في الانسان، وشهر رمضان فرصة مناسبة جدا لهذا الامر).

ويضيف سماحته قائلا: (من الممكن ان يغير الانسان نفسه خطوة خطوة، وشهر رمضان، مناسبة جيدة جدا للتغيير).

وليست هناك حدود معينة لنجاحات الانسان، فغالبا ما تكون فضاءات العمل المميز مفتوحة الى ما لانهاية، حيث الرغبة في تقويم الذات وبنائها

على النحو الامثل، بالتوازي مع البناء المادي السليم الذي يدعم البناء الروحي، ولذلك يعد شهر رمضان من بين جميع الشهور، هو الوقت الافضل لتغيير حياة الانسان نحو المسار الصحيح، إذ يقول سماحة المرجع الشيرازي حول هذا الموضوع: إن (شهر رمضان المبارك، هو شهر بناء الذات، وتغيير النفس، وهذا الامر مطلوب من الجميع، يستوي في ذلك اهل العلم وغيرهم، ومهما يبلغ المرء درجة في هذا الطريق، فثمة مجال للرقى ايضا).

إن أجواء السلام والايمان التي تسود العالم في هذا الشهر، وخاصة العالم الاسلامي، تجعل من الانسان لطيفا حساسا رقيقا مسالما، ومدافعا عن حقوق الآخرين، وغالبا ما يهفو قلبه لمساعدة الآخرين، لاسيما المحتاجين والفقراء، لأنه يشعر بمعاناتهم، ويتمنى أن يكون عوناً لهم، فتسمو روحه واخلاقه وكلماته معا، في إطار إنساني متناغم، ينتج عن النفس المهذبة، التي جمّلتها الاجواء الرمضانية المتسامحة، حتى تجعل منها المعين الاجمل والافضل، للناس الآخرين، لاسيما من هم بحاجة للعون.

لذا يؤكد سماحة المرجع الشيرازي بهذا الخصوص على أن: (شهر رمضان المبارك يلطّف المشاعر والأحاسيس، بما جعل فيه من البرامج، وخاصة الصيام التي تجعل الانسان يشعر بآلام الفقر، ويعيش ولو بنسبة، مآسي المحرومين، لذا ينبغي للمؤمنين الكرام، الاهتمام اكثر من ذي قبل بالفقراء والمحرومين، في كل بلدان العالم).

وهناك وسائل مساعدة للانسان، في الاستفادة من الاجواء الرمضانية، وأهمها تلاوة القرآن الكريم، فهو كتاب حياة، ودستور يمنح الانسانية مسارا أكيدا نحو الخير والنجاح الابدي، لذا يركّز سماحة المرجع الشيرازي على هذا الجانب قائلا: (ينبغي علينا في شهر رمضان المبارك، تلاوة القرآن

الحكيم، والتدبر فيه، فهو المقياس الادبي لسعادة الدنيا والاخرة، فمن اتبعه سعد في الدارين، ومن تركه شقي في الدين).

ونسأل الله تعالى الهداية للعباد جميعا، وأن يكون شهر رمضان المبارك، فرصة لتصحيح المسارات وتحقيق الرضى الالهي للجميع.

شبكة النبأ المعلوماتية - الخميس ٢٨/تموز/٢٠١١ - ٢٦/ شعبان/

١٤٣٢

(٣)

شهر رمضان المبارك وإمكانية بناء الذات

ليس هناك أصعب من أن يتوجه الانسان لبناء نفسه بالطرق السليمة، لكي ينهض بأعباء الحياة، فالعوائق كثيرة وكبيرة، وتحتاج الى صراع قوي ضد رغبات النفس التي غالبا ما تميل الى الجنوح خارج أطر العقل، والمقبول في الاعراف والتقاليد والنواميس المتعارف عليها، فكل ضابط وبند يحاول ضبط النفس، سترفضه وتحاول أن تتجاوزه الى السهل الذي لا يثقل عليها. لذا يحتاج الانسان الى ركائز وظروف مساندة لبناء الذات أفضل البناء، ومن هذه الوسائل والظروف المساندة، شهر رمضان الكريم، فهو فرصة مواتية ومناسبة جدا للانسان في بنائه لنفسه، إذ يرى سماحة المرجع الديني، آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله)، في كتاب قيم له، يحمل عنوان (نحو بناء النفس والمجتمع): (أن شهر رمضان المبارك هو شهر بناء الذات وتغيير النفس، وهذا الأمر مطلوب من الجميع، يستوي في ذلك أهل العلم وغيرهم، ومهما يبلغ المرء درجة في هذا الطريق فثمة مجال للرقى أيضاً).

كذلك ثمة مكانة متفردة لهذا الشهر عند الله تعالى، فهو الشهر الذي يكرم فيه الله عباده، وهو الوقت الامثل لعودة الانسان الى جادة الصواب، لذلك ورد في كتاب المرجع الشيرازي حول هذا الموضوع، ما نصه: (يقول النبي ﷺ: فإن الشقي من حُرِمَ غفران الله في هذا الشهر العظيم وهذا معناه لو أن أحداً أهمل بناء نفسه في هذا الشهر المبارك وقصر حتى مرّ عليه ولم ينل تلك المغفرة الإلهية التي هي أوسع وأسرع وأعظم فيه منها في سائر الشهور، فإنه هو الشقي حقاً).

وهكذا يمكن للانسان أن يفقد فرصة العودة الى الصواب، إذا لم يحسن استغلال هذا الشهر المبارك، لكي يكسب مغفرة الله، ولكي ينجح في سعيه لبناء ذاته، علماً أن هذا الهدف من الواجبات المهمة الملقاة على عاتق الانسان نفسه، بمعنى ان الانسان دائماً مطالب بالتنبّه لأخطائه، ومحاسبة نفسه، من اجل تقويمها ووضعها على الطريق السديد دائماً، لهذا يؤكد سماحة المرجع الشيرازي قائلاً في هذا الصدد: (إن بناء الذات واجب عيني في حد أداء الواجبات وترك المحرّمات. فعلى الإنسان أن يحاول في هذا الشهر المبارك أن يعمل حتى يبلغ مرحلة يعتقد فيها أنه تغيّر فعلاً وأنه أصبح أحسن وأفضل من السابق).

إن عملية البناء أصعب بكثير من عملية الهدم، تماماً كالفرق بين عملية الصعود والارتقاء، وبين الهبوط والانحدار، فالصعود يتطلب جهداً ومثابرة وسعياً مضاعفاً عما يحتاجه الانحدار، وهكذا يمكن أن ينجح الانسان في سعيه للنجاح تبعاً لارادته، ولن يقطف الانسان ثمار النجاح من دون بذله للجهد المطلوب، يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا الخصوص:

(لاشك أن كل إنسان يتمنى لنفسه التغيير نحو الأفضل، ولكن المسألة

ليست بالأمني، فبالأمني وحدها لا يتحقق التغيير، بل هو بحاجة إلى عزم وتصميم ومتابعة ومثابرة وجدّ واجتهاد. فمن لم يقصّر في المقدمات يوفّق في النتائج بلا شك).

وثمة سبل عديدة للاستفادة من هذا الشهر المبارك، ولكن تبقى أهمية بناء النفس، تنصدر اوليات الهم والمهم من الاهداف، هنا يؤكد سماحة المرجع الشيرازي على:

(ان الصلوات والأدعية والزيارات والأعمال الواردة في شهر رمضان المبارك بنفسها معدّات لتحقق بناء الذات، بيد أن المرء قد لا يسعه الوقت للقيام بها كلها، بسبب تراحمها مع مشاغل أخرى قد تكون مطلوبة هي الأخرى كالتبليغ مثلاً. إذن، فليس هناك طريق للتوفيق أسهل من طريق محاسبة النفس، لأنها مطلوبة جداً ولها تأثير كبير على الإنسان).

وهكذا يستطيع الانسان أن يستثمر فرصة رمضان المبارك، لكي يركز في جهده على بناء نفسه، والسبب من اختيار هذا الشهر، كونه مكلل بأجواء الايمان والقدسية المضاعفة، كما انه شهر يحبه الله تعالى، لهذا ميزه عن غيره من الشهور، وجعله وقتاً مناسباً لتصحيح الانسان لخطائه ومساراته.

لذا على الجميع أن يعرفوا قيمة هذا الشهر المبارك، كفرصة ذهبية لتشذيب النفس من شوائبها، والعودة الى الفطرة الانسانية التي تعتمد مبدأ (لا يصح إلا الصحيح)، وهكذا ينبغي نبذ الانحراف بكل اشكاله وصوره، واتخاذ هذا الشهر مناسبة جادة لتقويم النفس والتقرب الى الرضى الالهي أكثر فأكثر.

شبكة النبأ المعلوماتية - الخميس ١١/آب/٢٠١١ - ١٠/رمضان/

(٣)

الإنسان وكرامة الله في شهر رمضان المبارك

كثيرة هي الفرص التي تتاح للإنسان كي يراجع نفسه ويعيد حساباته ويصحح مساراته الخاطئة في حياته الأولى، فقد أعطى الله سبحانه وتعالى للإنسان مساحات واسعة من التأمل والتفكير والتبصر لتلافي مسارات الشر والعودة الى سبل الصلاح قبل أن تنفذ آخر الفرص المعطاة له وهو يتنفس هواء النشأة الراهنة، وقبل أن يقف بين يدي ربه فيحاسب على أعماله واقواله ليحصل على درجة النجاح او الفشل بعد أن يخرج من قاعة امتحان (الحياة الاولى) الى الآخرة.

وحري بالإنسان أن يقتنص الفرص السانحة له قبل أن تمر من فوق رأسه كالسحاب المسرع الى غيره، ومن هذه الفرص المتاحة شهر رمضان المبارك وفريضة الصيام التي جعلها الله تعالى بابا واسعا من أبواب رحمته وغفرانه للخطائين الذين يرومون التوبة والعودة الى رحاب الايمان والاطمئنان معا، فهذا الشهر يعد من أشهر الكرامات التي أغدقها الباري على الانسان كي يرتفع بروحه وكيانه من موقع الانحطاط والضعفة الى موقع الطهارة والسمو وليصبح من اهل الكرامات فيما لو استغل الفرصة السانحة له على الوجه الامثل متمثلا بالعودة الى واحة السلام والاطمئنان والرحمة الإلهية المباركة.

وفي هذا المجال جاء في الكتاب القيم لسماحة المرجع الديني السيد صادق الحسيني الشيرازي الموسوم بـ (نحو بناء النفس): (في الخطبة التي خطبها رسول الله ﷺ في استقبال شهر رمضان المبارك وردت عبارة ذات أهمية قصوى وهي قوله ﷺ: وجعلتم فيه من أهل كرامة الله - وسائل

الشيعة: ٣١٣/١٠ ح ١٣٤٩٤ باب ١٨-، فإن كلمة «كرامة الله» لم تنقل على لسان الروايات كثيراً، ولم ترد إلا في موارد خاصة لما لها من أهمية في نظر أهل البيت سلام الله عليهم، حيث وردت في قول النبي ﷺ للإمام علي سلام الله عليه في تزويجه بالزهراء سلام الله عليها: فإن الله تعالى أكرمك كرامة لم يكرم بمثلها أحداً- روضة الواعظين للفتال النيسابوري: ص ١٤٤ مجلس في ذكر تزويج فاطمة (عليها السلام).

إذن هناك أهمية قصوى لعبارة (كرامة الله) وهي متاحة للانسان وفقاً لسلوكه ونواياه ودرجة ايمانه وصفاء ونقاء سريرته، ولعل من البديهي القول بأن الله سبحانه وتعالى يسبر اغوار الانسان ويعرف طويته ويعطيه ما يستحق من ثواب استناداً الى أفعاله المنبثقة من طبيعة وسمات طويته المضمرة في أعماقه، لذلك يمكن القول ان بإمكان الانسان أن يحصل على (كرامة الله) بسعيه ودأبه وتقربه الى الله تعالى لا سيما في هذا الشهر الكريم المبارك، شهر رمضان الذي يعدّ من أهم الفرص المتاحة للانسان كي يعبر (قاعة الامتحان) بنجاح وسلام، وفي هذا المجال نقرأ لسماحة المرجع الشيرازي في هذا الكتاب نفسه: (إذا كان بعض الناس قد بلغوا هذه المرتبة، أي صاروا أهل كرامة الله، فإن كل مؤمن في هذا الشهر الكريم -شهر رمضان المبارك- قد جعل من أهل كرامة الله تعالى. وهذه الكرامة لا تخصّ الصائمين فقط بل هي تشمل حتى أصحاب العذر الشرعي الذين يسوغ لهم الإفطار كالمسافر والمريض. إن هذه الكرامة هي لهذا الشهر الكريم، للياليه وأيامه، وكل ساعاته. فالعناية الإلهية تشمل الجميع، ولكن بما أن إحدى صفات الله تعالى المهمة ومن أسمائه الحسنی «الحكيم» أي الذي يضع الشيء في موضعه، فهذا معناه أن التوفيق الإلهي وإن كان شاملاً في شهر رمضان لكل العباد، إلا

أنّ قدرًا منه يرتبط بمقدار همّتنا وتوجهنا وجهدنا).

وهكذا نكرر بأن الفرصة سانحة للجميع بالحصول على كرامة الله تعالى في هذا الشهر المبارك، ولكن الامر مرتبط بمدى حكمة الانسان وسعيه ودأبه وتوجهه وجهده للوصول الى مرضاة الله تعالى التي بدورها ستمنح الانسان كرامة يستحقها بسبب التوجه والجهود الكبيرة التي بذلها لتحقيق هذا الاستحقاق الكبير.

وثمة وسائل وسبل لتحقيق هذا الهدف، ولعل الاهم في ذلك هو قدرة الانسان على بناء ذاته بالطريقة السليمة التي تجعل من هذه الذات ملتزمة وفاعلة في آن واحد، ويمكن ان يتم ذلك عبر العبادات والتدريب النفسي والجسدي للذات على التمسك بالفضيلة والطريق القويم، وكذلك مراقبة النفس ومحاسبتها باستمرار، وفي هذا المجال يقول سماحة المرجع الشيرازي: (إن الصلوات والأدعية والزيارات والأعمال الواردة في شهر رمضان المبارك بنفسها معدّات لتحقيق بناء الذات، بيد أن المرء قد لا يسعه الوقت للقيام بها كلها، بسبب تزامنها مع مشاغل أخرى قد تكون مطلوبة هي الأخرى كالتبليغ مثلاً. إذن، فليس هناك طريق للتوفيق أسهل من طريق محاسبة النفس، لأنها مطلوبة جداً ولها تأثير كبير على الإنسان).

وهكذا يمكن ان يشكل شهر رمضان فرصة ذهبية للانسان كي يشدّب نفسه من الشوائب ويمنعها عن ارتكاب المعاصي أيا كان نوعها او حجمها، ويمكن ان يتم ذلك باستثمار اجواء هذا الشهر المتمثلة بالايمان وهدوء النفس والطمأنينة واللجوء الى رحمة الله الواسعة وطلب المغفرة والسعي الى مرضاته سبحانه، وفي هذا الصدد يوجهنا المرجع الشيرازي ويدلنا على بعض من هذه السبل فيقول في كتابه (نحو بناء النفس): (إذن، فليخصص المرء كل

يوم من شهر رمضان بعض وقته ويخلو فيه، ليراجع ما قد مضى منه خلال الساعات الماضية، فينظر ما عمل وما قال وما سمع وما رأى وما أخذ وما أعطى، وكيف تصرف مع زوجته وأطفاله وأصدقائه وزملائه؟ وباختصار: ليدقق مع نفسه فيم صرف وقته؟ ليصمم بعد ذلك على أن يزيد من حسناته ويقلل من سيئاته).

شبكة النبأ المعلوماتية - السبت ٢٢/آب/٢٠٠٩ - ٣٠/شعبان/١٤٣٠

(٤)

رمضان والعمل على بناء النفس والمجتمع

يسعى الإنسان بفطرته الى مراتب أعلى وأفضل، ليس في باب المادة وحدها ولا الفكر وحده، بل في عموم أنشطته الحياتية المتنوعة والمتشابكة، ناهيك عن إستعداده لآخرته من خلال ما يقدمه من افعال واقوال في الحياة الدنيا، ولذلك نراه ينتهز الفرص او يحاول ان يفعل ذلك لكي يحقق ما يصبو إليه في الدنيا والآخرة، لكننا نقر ان هناك من يبحث عن الدنيا فقط وهذه هي الطامة الكبرى إذ تقوم حياة مثل هؤلاء على كل ما هو مادي مبني على الجشع والظلم وتحقيق الكسب بأية صورة كانت بغض النظر عن مشروعيتها. ولهذا فإن شهر رمضان المبارك يعدُّ فرصة كبيرة وعظيمة لتقويم النفس والسيطرة عليها تحقيقاً للنجاح المنشود في الدنيا والآخرة، ولعل المشكلة تكمن في السلوك الاجتماعي الظاهر للعيان، فكثير من الناس يبنون شخصياتهم وطبيعة سلوكهم تحت تأثير الآخرين فيهم، فإذا كان المؤثر طالحا سيكون المتأثر طالحا في سلوكه وعمله وقوله واذا كان صالحا سيكون المتأثر صالحا بطبيعة الحال.

من هنا ينبغي أن نؤثر في الآخرين لتغيير بعض قناعاتهم الاجتماعية نحو الأفضل، ويرى سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي أن هنالك سبل متعددة لتحقيق هذا التأثير الايجابي في الآخرين ومنها مسألة التبليغ، إذ يقول سماحة المرجع في كتابه القيم الموسوم بـ (نحو بناء النفس والمجتمع): (أما المسألة المرتبطة بأهل العلم في الغالب - وإن كانت عامة أيضاً ولكن بمراتب - فهي مسألة التبليغ والدعوة إلى الله تعالى. يقول الإمام الصادق سلام الله عليه: ... كونوا زيناً ولا تكونوا شيناً - الكافي: ٧٧/٢ ح ٩ باب الورع -).

والزین علی درجات ومراحل. فتارة يسعى أحد أهل العلم أن لا يفعل أو يتكلم ما من شأنه أن يسيء للإسلام، فهذه مرحلة، وهي مرحلة مهمة ولا بد منها. وتارة يسعى أحدهم لأن يتصرف بنحو يؤثر في الناس من خلال سلوكه وتعامله مع الآخرين. وهذه مرحلة أعلى، وهي المعنية بقول الإمام سلام الله عليه في رواية صحيحة: كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم - الكافي: ٧٨/٢ ح ١٤ باب الورع - . وهذا لا يعني ترك الدعوة باللسان، بل عدم الاكتفاء بها لأنها مطلوبة أيضاً، ولكن الدعوة بالعمل أفضل منها).

وهكذا تبدو أهمية جودة السلوك امام الآخرين فهي أعلى درجة من القول الصالح فقط، بمعنى ان القول الصالح له اهميته ويجب العمل به كي يكون وسيلة من وسائل تغيير المجتمع نحو الافضل، ولكن إذا اقترن هذا القول بالسلوك او بالعمل فإن الدرجة هنا ستكون اكبر وافضل وان التأثير على الآخرين سيكون اسرع وأدق وأفضل، فالطفل او الشاب او حتى الرجل الكهل سيكون أكثر تقبلاً للكلام السليم المقرون بالعمل، مثال ذلك انك تحث الآخرين على التعاون من خلال الكلام ولكنك لو قمت وحققت دعوتك

عملياً سيكون تأثيرك أسرع وأقوى، وهنا يقول سماحة المرجع الشيرازي في كتابه نفسه: (لو لاحظ ذوونا وزملاؤنا أننا نسعى لأداء صلواتنا في أوقاتها فإنهم سيلتزمون بذلك في الغالب حتى لو لم ندعهم بألستنا. وهذا لا يعني عدم وجود استثناءات ولكن التبليغ العملي والتربية والدعوة من خلال العمل بطبيعتها تؤثر أكثر من الدعوة باللسان آلاف المرات. فما فائدة أن تدعو ابنك لأداء صلاته أول الوقت وهو يراك لا تكثر بذلك؟!)

إن الذين عايشوا أشخاصاً اعتقدوا بصلاحتهم - لما لاحظوهم يسعون ولا تختلف أفعالهم عن أقوالهم - هم أفضل في الغالب من الذين استمعوا آلاف المواعظ، دون أن يروا نماذج عملية تجسدها).

وهكذا يتضح لنا ان العمل بالقول سيضعف التأثير بالآخرين آلاف المرات، وفي شهر رمضان ينبغي أن يعرف الجميع بأنه الفرصة المناسبة لنصح الآخرين والأخذ بيدهم الى جادة الصواب، بمعنى ان على المؤمن والمصلح والمتقف وغيرهم أن يعرفوا بأن هذا الشهر الفضيل هو فرصة لا تعوض على مدار العام كي يحققوا دورهم في التأثير بالآخرين ونقلهم سلوكاً وقولاً الى الصلاح وهو امر ليس بالهين اذا نجح فيه الانسان، ولعل الملاحظة الهامة في هذا الجانب هي أهمية ان يقترن القول بالعمل مع أهمية القول لوحده، وفي هذا الصدد يورد لنا سماحة المرجع الشيرازي مثالا عن ذلك في كتابه (نحو بناء النفس والمجتمع) يقول فيه: (أعرف اثنين من أهل العلم، كلاهما توفيا رحمهما الله، وكان أحدهما متقدماً على زميله في كثير من المجالات، كالمستوى العلمي والذكاء والأساتذة و... إلا أن زميله كان أكثر تأثيراً في المجتمع بمراتب كثيرة.

أذكر نموذجين من عملهما رحمهما الله؛ كان الأول أي المتفوق علمياً،

في أحد الأيام جالساً في أحد المشاهد المقدسة منشغلاً بقراءة الزيارة أو الدعاء، وكان المكان مزدحماً بالزوار، فجاءه شخص من عامة الناس وبيده مصحف وطلب منه أن يستخير الله تعالى له، ولم يكن يحب أن يقطع أحد عليه خلوته ودعائه، فأشار إلى الشخص أن يذهب إلى غيره، ولكن الشخص لم ينتبه فتصور أن العالم لم يلتفت إليه، فتقدم إليه بالمصحف مقرباً منه قليلاً وأعاد طلبه. ومرة أخرى أشار له العالم بالذهاب إلى غيره.

ولم يلتفت الرجل أيضاً - لأن من عنده مشكلة، لا يلتفت بالإشارة وما أشبه عادة - فاقترب أكثر وكرر طلبه. فغضب العالم ولكنه لم يكلم الرجل لأنه رأى أن الوقت الذي ستستغرقه الاستخارة ربما يكون أقل. وعندما أخذ منه المصحف رآه مقلوباً، وهنا لم يتمالك نفسه فشرع يصرخ في وجه الرجل قائلاً: لقد شغلتنني عن قراءتي وقطعتني عن توجهي، وما أشبه من هذه الكلمات، ولكن ذلك الرجل كان غارقاً في همومه غير ملتفت إلى الموضوع أصلاً، فعجب منه وانصرف.

أما ذلك العالم الآخر - أي زميل هذا العالم - فطالما رأيت في حرّ الظهيرة، والعرق يتحدّر على وجهه، إذ يقبل عليه شخص، فيطلب منه سؤالاً أو استخارة، وأحياناً يكون السائل صبياً أو طفلاً صغيراً، فكان ﷺ يجيبه وهو في مكانه ولا يطلب منه التحول إلى الظل رغم أنه لم يكن يبعد عنه أكثر من مترين!).

وهكذا نستطيع أن نعرف مدى الفرق بين العالمين المذكورين وينطبق هذا المثال على الآخرين أيضاً، فالقائل العامل بالنصح أفضل من القائل بها فقط والقائل بها فقط أفضل من ذلك الصامت الذي يقدم شيئاً من النصح لغيره، ولعل أسوأهم ذلك الذي لا يقولها ولا يعمل بها ولا يسمعها أيضاً، وهو

أخطر الناس في المجتمع وأكثر حاجة للتأثير به وتغيير قيمه ونظراته للحياة، وهذا من واجب المصلح والعالم والمثقف وحتى الإنسان العادي، إذ على الجميع أن ينتهزوا فرصة هذا الشهر الكريم لكي يغيروا القناعات الاجتماعية الخاطئة لدى الآخرين من خلال القول وهو أمر واجب والقول المقرون بالعمل وهو واجب أعلى درجة في نتائج وثوابه.

شبكة النبأ المعلوماتية - السبت ١٩/أيلول/٢٠٠٩ - ٢٩/رمضان/١٤٣٠

الباب الثاني

منهجية التطوير الإجتماعي

الفصل الأول: آليات البناء

- ◆ ولوية الارشاد لبناء الوعي
- ◆ فن التعامل مع الناس
- ◆ دور الأخلاق الرائد في بناء المجتمع
- ◆ قول الحق والعمل به ركيزة لبناء وإصلاح المجتمع
- ◆ دور النموذج في بناء المجتمع السعيد
- ◆ العلم والاخلاق صنوان متلازمان يصنعان العقل السليم

الفصل الثاني: خطوات تربوية

- ◆ الإصلاح والتغيير بين أساليب العنف ومزايا الحوار البنّاء
- ◆ مسؤولية الآباء في رعاية الابناء
- ◆ غواية المعاصرة وحماية الشباب من مخاطر الزلل
- ◆ تربية الاجيال الصاعدة على الحوار ونبذ الفتنة
- ◆ أهمية الاسلوب التربوي في تدارك الانحراف قبل استفحاله

الفصل الثالث: المرأة.. الدور والوظيفة

- ◆ تحرير المرأة بين جمال الشكل وخواء المحتوى
- ◆ دور المرأة في البناء الأسري الرصين
- ◆ خطورة التعامل الذكوري المزدوج مع حرية المرأة
- ◆ الرجل والمرأة تمايز وإختلاف يُسهم بتطوير الحياة
- ◆ دور المرأة في تطوير العائلة والمجتمع

الفصل الأول: آليات البناء

(١)

اولوية الارشاد لبناء الوعي

الارشاد واجب لا تراجع عنه قط، وذلك لأهميته في تقويم المجتمع، ولهذا يركّز المصلحون من رجال الدين والمفكرين وغيرهم، على أولوية هذا الجانب لما ينطوي عليه من قدرة على بث الوعي بين شرائح المجتمع، لاسيما تلك التي تقبع تحت وطأة الجهل والتخلف بفعل فاعل، وهو الحكومات القمعية التي تعمل على تجهيل الجميع، لهدف واضح هو الحفاظ على امتيازاتها وعرشها من الاهتزاز والسقوط.

ثمة معادلة يتفق عليها الجميع، يشكل طرفاها، الوعي من جهة، والاستبداد من جهة اخرى، فكلما زاد الوعي وهداية الناس الى الصواب كلما قل الاستبداد وضعف، والعكس يصح، إذ أن قلة الوعي والجهالة تشكل عاملا حاسما في مساندة الاستبداد، لهذا يعد الارشاد من اهم العناصر القادرة على مقارعة الطغاة.

من هنا يتم التأكيد لاسيما على النخب ومنهم رجال الدين، بأن يتخذوا من النصح والارشاد وزيادة وعي العامة هدفا رئيسيا لهم، فكما يقول سماحة المرجع الديني، آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله)

في توجهاته السديدة ضمن هذا المجال: (إن الارشاد وهداية أبناء المجتمع من الأمور الواجبة والفرائض المهمة، خاصة في مثل هذه الأعصار، فلا ينبغي للمتدينين من العلماء والمثقفين أن يهملوا هذا الأمر بحجة الاهتمام بالأمور العبادية وسائر النوافل).

هذا يعني أن الارشاد يتقدم على الأمور الأخرى، والسبب دائما هو رفع الجهالة عن عقول الناس، وتفتيت طبقات التخلف التي تحاول إعماء بصائرهم والتي غالبا ما يكون مصدرها الحكام المستبدين، ومن بين الوسائل المهمة لترويج الفكر الصحيح، مراعاة الطقوس والالتزام بها بما يحقق الهدف المرتجى من ذلك، فالحج مثلا يعد من أهم الشعائر التي تقارب بين المسلمين من مختلف أرجاء العالم، لهذا لا بد أن يتنبه المعنيون الى ضرورة ارشاد الناس لاسيما الشباب منهم الى تلبية هذه الشعيرة من اجل زيادة الايمان والوعي في نفوسهم.

يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا الصدد بكلمة توجيهية له: (ينبغي للجميع أن يهتموا بتوجيه وإرشاد الحجيج من الشباب على وجه الخصوص وذلك بأن يوضحوا لهم أصول دينهم ويعمقوا عندهم الاعتقاد بها إذ إن الكثير من التسيبات التي تطفو على السطح في الوسط الشبابي مرجعها الى ضعف الاعتقاد في هذه الأصول).

وثمة علاقة بين الوعي والالتزام الديني، كما تؤكد على ذلك الشواهد الكثيرة، وهنا يكمن دور المصلح الديني، حيث يتطلب منه بذل جهود مضاعفة لترسيخ الفكر الارشادي السليم في اذهان الشباب، وجل الامر يتعلق بتركيز الايمان ومضاعفته في نفوس الناس لاسيما الشباب لسببين، الاول لانهم في مقتبل العمر وينبغي كسبهم لانهم رصيد الامة، والثاني لأنهم

يشكلون نسبة كبيرة من المجتمع وإيمانهم ووعيهم يعني إيمان المجتمع وزيادة وعيه، لذا يؤكد سماحة المرجع الشيرازي قائلاً في هذا الصدد: (لو تعمق الإيمان في نفسية الإنسان المؤمن وشعر بأنه مراقب من قبل الله سبحانه وتعالى في كل حرمانه لتجلت عنده حالة الورع والالتزام الديني).

إن شريحة الشباب في المجتمعات الإسلامية لها ثقل كبير بسبب زيادة نسبتها كما سبق ذكر ذلك، لهذا لا بد أن تتم عمليات التعامل معهم بما يتفق مع مدركاتهم ومستوياتهم المعرفية والحياتية عموماً، وطالما أنهم أبناء الحاضنة الإسلامية، فإنهم الأجدر بالإيمان ومضاعفته، لذا لا بد أن يستثمر المصلحون ورجال الدين هذه الخصيصة، لغرض بث الوعي وتركيز الإيمان بين فئة الشباب من أجل كسبهم إلى جانب الحق والطريق الصحيح.

في هذا الخصوص يؤكد سماحة المرجع الشيرازي على: (أن الجيل الشاب المعاصر ينطوي على نفسيات صافية وقلوب طيبة إلا أن الظروف الاجتماعية والاقتصادية الضاغطة المحيطة بهم، تشوه تفكيرهم الديني وتحطم روحياتهم الإيمانية).

إن الإرشاد على نحو عام ينبغي أن يكون العمل الأول لرجال الدين والنخب كافة، والسبب كما قلنا يفتح للجميع نوافذ المعرفة، وبالتالي التعامل مع الوقائع السياسية وغيرها من منطلق الفهم ومعرفة الحقوق والحق الذي يعلو ولا يُعلى عليه، وطالما أن فئة الشباب مهمة وينبغي كسبها، فإن المعنيين ينبغي عليهم معرفة نفسية الشاب ودراساتها جيداً بما يسهل التعامل معها وكسبها، وهذا ما ينصح ويوجه به سماحة المرجع الشيرازي جميع الذين تقع على عاتقهم مهمة الهداية والإرشاد، كسباً للشباب وفوزاً بقدراتهم حيث يقول سماحته في هذا الخصوص: (ينبغي أن نتعامل مع الشباب برحابة صدر

ولا نواجه أخطاءهم بأساليب عنيفة، بل نغفو عنها ونحتضنهم قدر المستطاع ونقدم لهم أجوبة على تساؤلاتهم الجديدة بأساليب غير معقدة ولو فعلنا ذلك لدخلوا في دين الله بالملايين.. لأنهم لو اطلعوا على حقيقة الاسلام الصافية لأحبوها وانجذبوا اليها.. كما حصل ذلك عندما جاء رسول الله ﷺ إلى مكة فاتحاً وتعامل مع المشركين من منطلق الرحمة والعفو، فانقادوا نحو الاسلام ودخلوا فيه أفواجا).

شبكة النبأ المعلوماتية - الخميس ١٥/أيلول/٢٠١١ - ١٦/

شوال/١٤٣٢

(٢)

فن التعامل مع الناس

نظرا لسعة الحياة وتفرع مجالاتها وتعدد مصالح الناس وتداخل أعمالهم مع اعمال غيرهم، أصبح السلوك والتعاطي مع الآخرين نوعا من الفن الذي ينبغي على الانسان ان يجيده لكي يحقق ما ينبغي من مصالح حتى لو كانت تقع في حقل (المصالح المشروعة) التي تحتاج بدورها الى ترويج وتسويق ونشر بين الناس وما شابه.

فالحديث الجيد والمجالسة المعتدلة والسلوك المقبول مع الآخرين كان ولا يزال هو المطلوب من الانسان ازاء الآخرين، وقد حث عليه المصلحون في مجالات عدة، كونه يسهم بصور او اخرى في تحقيق الود بين الناس على مختلف مشاربهم ويقود البشرية الى جادة الصواب.

حيث يؤكد المرجع آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي

(في التعامل مع الناس) الذي ورد ضمن كتابه الموسوم بـ (العلم النافع) بأن:

(هناك أحاديث وروايات عديدة تؤكد على الإنسان أن لا يُظهر للآخر كل ما في قلبه من حبّ وعداء، وما يختلجه من أفكار تجاهه، إلا بمقدار ما يقتضيه الظرف).

بمعنى أنّ على الانسان أن يحاول تحقيق نوع من الموازنة والاعتدال في التعامل مع الآخرين، والموازنة هنا تعني إتقان الانسان (لفن التعامل مع الناس) حيث ينبغي عدم كشف المشاعر الى أقصاها سواء كانت مشاعر حب او خلافه، بل إظهارها بمقدار ما يتطلبه الموقف بين الانسان وبين من يلتقيهم مهما كانت انتماءاتهم ومشاربهم.

وفي هذا الصدد يورد المرجع الشيرازي في كتابه (العلم النافع) حديثا للامام الصادق عليه السلام يأمر فيه أحد اصحابه وهو (إسحاق بن عمار) بمصانعة المنافق، حيث يقول له:

(يا إسحاق، صانع المنافق بلسانك، وأخلص ودك للمؤمن، وإن جالسك يهودي فأحسن مجالسته).

هكذا إذن على الانسان أن يستوعب الآخرين بالمستوى الذي يستحقونه وبالطريقة التي تناسبهم، بكلمة أخرى، ينبغي عليه الاعتدال والنباهة والحذر في التصرف والسلوك وهذه كلها بمجموعها نوع من انواع الفن المتعلق بأقوال الانسان وسلوكه، فالتصرف المنظم المتوازن او الكياسة او (الأتكيت) كما يطلق عليه البعض، هو المطلوب في التعامل مع الناس.

إن ثمة مئات من الاحاديث والروايات للأئمة الاطهار عليهم السلام وللمصلحين الأفاضل تصب في هذا المجال وتحت عليه، وهي جميعها مستمدة من نبعها ومنهلها الاول ألا وهو القرآن الكريم الذي أعطى المسلمين والانسانية جمعاء دروسا متحضرة في السلوك الانساني قبل مئات السنين.

لقد طلب الامام الصادق عليه السلام من صاحبه اسحاق أن يصانع المنافق بلسانه، مع ان المؤمن يبغض المنافق ولا يستطيع أن يتوافق معه من الناحية النفسية، فالمؤمن قائم على نهج الصدق والايمان والاخلاص في القول والعمل ومع ذلك يأمره الامام الصادق بأن يصانع المنافق بلسانه، فماذا يعني هذا لإنسان العصر الراهن؟؟.

ألا يعني عدم جرح مشاعر الآخر حتى لو اختلف معه في النهج او السلوك؟!.

إن المرجع الشيرازي يقول في كتابه العلم النافع حول هذا الموضوع: (من الطبيعي أن المؤمن لا يحبّ المنافق بل يبغضه ويكرهه، إلا أن الإمام يأمره هنا بأن يصانعه بلسانه، أي يجامله في الحديث؛ لأن من الأخلاق الحميدة للمؤمن أن لا يظهر كل الكراهية التي يحملها في قلبه للشخص الذي لا يتوافق معه على حال، وإن كان منافقاً، فكيف إذا كان مؤمناً؟).

بطبيعة الحال ان علاقة المؤمن مع المؤمن ستختلف حتى لو اختلفت بعض عاداته وصفاته وذوقه عن المؤمن الآخر:

(فهذه الفوارق - كما يقول المرجع الشيرازي - ليس من شأنها أن تسلب المؤمن التزامه بالتعاليم الإسلامية، فلا ينبغي للمؤمنين أن يتباغضوا فيما بينهم؛ ولذا أوصى الإمام سلام الله عليه هنا بقوله: «وأخلص ودك للمؤمن»، أي عامله بما هو مؤمن).

ويؤكد المرجع الشيرازي بأن الامام الصادق عليه السلام يوصينا بمجاملة المنافق الذي يبطن الكفر ويظهر الاسلام ويقول:

(فهذا هو الخطّ العام للأخلاق الإسلامية، وهو أن تتحدّث وتعامل مع الناس - مؤمنهم، ومنافقهم، وكافرهم - بالحسنى).

ولعلك في هذا تكون صاحب الزمام والمبادرة بإظهار حسن النية لجميع من تختلف او تتفق معهم، وهذا على ما نعتقد وحسبما تقرره البصيرة والسجية الانسانية، أقصى ما يستطيع أن يقدمه الانسان من اجل صنع اجواء انسانية تقود الى التفاهم والتواءم بين بني البشر، وبذلك يكون الهدف من طبيعة التعامل مع الناس هو صنع محيط متسامح تسوده أعراف وتقاليد اخلاقية تقبل الآخر وتلتقي معه رغم الاختلاف وصولا الى الخطوط الصحيحة في التعامل والسلوك والقول معا.

وخاتمة القول نرى ان المرجع الشيرازي يؤكد في كتابه (العلم النافع) من جملة ما يضعه من امور ومواضيع تهتم المؤمن والانسان على وجه العموم، على مسألة التعامل مع الناس ويقدم المصانعة والتوازن على غيرها في هذا المجال، وهو امر يقود الى وجوب التزام المؤمن بالاعتدال وعدم فتح باب المشاعر على مصراعية، ولعل هذا النوع من التعامل هو الذي يدل على درجة تحضر الانسان وتفوقه على غيره، ويبقى التطبيق على ارض الواقع هو ميدان التجربة والالتزام.

شبكة النبأ المعلوماتية - الاحد ٥/نيسان/٢٠٠٩ - ٨/ربيع الثاني/

١٤٣٠

(٣)

دور الأخلاق الرائد في بناء المجتمع

الاخلاق تبدو لنا مفردة مجردة، تعتمد المعنى قبل الفعل، ولكنها في واقع الحال، تؤثر على الواقع المادي، كما تؤثر فيه العلوم، لهذا فإن اكتساب الاخلاق والسعي الى درجة الاكتمال في هذا الجانب أصعب بكثير من

اكتساب وفهم واتقان أحد العلوم، والسبب يكمن في أن الاخلاق تدخل في بناء النفس، فيما تُسهم العلوم في بناء عقل الانسان، والفارق بين بناء النفس وبناء العقل كبير من حيث الجهد المبذول في هذا المجال، ومن بدهة القول أن المجتمع اكثر حاجة للانسان الخلق المتمزن الانساني في افكاره وسلوكه، من الانسان الذي يتقن العلوم لكنه لا يتقن السلوك الانساني.

السلطة بين العلم والاخلاق

بمعنى أوضح قد يتصدر صاحب العلم أعلى المناصب، وربما يقود مجموعة او دائرة وقد يصل الامر الى قيادته لدولة ما، بسبب قدراته العلمية التي اكتسبها بسعيه وجهده ومواهبه، ولكن ما فائدة كل ذلك اذا لم تكن الاخلاق هي المعيار الذي يستند عليه صاحب السلطة في ادارة سلطته وصلحياته، ولذلك نلاحظ ان من يتخصص في علم ما، فإنه سيحقق ما يسعى إليه من تفوق وبسرعة تفوق كثيرا ما يسعى اليه الانسان في مجال بناء النفس.

يقول سماحة المرجع الشيرازي، آية الله العظمى، السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله) في كتابه الثمين الموسوم بـ (العلم النافع) بهذا الخصوص:

(إنَّ مَنْ يَتَخَصَّصُ فِي عِلْمٍ وَاحِدٍ وَيَسْتَفْرِغُ كُلَّ وَسْعِهِ وَجَهْدِهِ يَبْلُغُ أَعْلَى الدَّرَجَاتِ فِيهِ وَيَتَفَوَّقُ غَالِبًا عَلَى مَنْ كَانَ ذَلِكَ الْعِلْمَ أَحَدَ اهْتِمَامَاتِهِ، وَالْأَخْلَاقُ تَحْتَاجُ إِلَى التَّفَرُّغِ وَالْجِدِّ وَالْمَثَابِرَةِ مِنْ أَجْلِ بَلُوغِ الْمَرَاتِبِ الْعَالِيَةِ فِيهَا).

جميع العلوم تتطلب سعيًا وجهدًا حثيثًا لتحصيلها، ولكن الاخلاق تتطلب جهدًا مضاعفًا، بل يحتاج الانسان لكي يبني نفسه الى ارادة حديدية

تحيّد رغائب النفس الكثيرة، وتعطل الغرائز الدافعة للانسان نحو الوقوع في الزلل، لهذا غالبا ما يحتاج المجتمع الى الرمزية الاخلاقية، والى النموذج الاخلاقي المؤثر، لأن الانسان الخلق سواء كان عالما او غيره، يترك تأثيره الاخلاقي بسرعة ووضوح في المحيط الاجتماعي الذي يتحرك فيه.

الحاجة الى الرمز الاخلاقي

غالبا ما ترى الامم والشعوب والجماعات مهما تباين حجمها او عددها، بحاجة الى الرمز الاخلاقي الذي يتقدم الصفوف كنموذج مؤثر في الجميع، فكرا وسلوكا، لهذا يؤكد سماحة المرجع الشيرازي في كتابه المذكور، على أن:

(المستوى الذي يبلغه الأخلاقي - وطالب العلم الديني خاصة - يؤثر في أداء دوره في المجتمع. فقله وفعله وسيرته وتاريخه يشجع الناس نحو الفضائل الأخلاقية والاجتناب عن رذائلها إذا كان هو من أهل الفضيلة، ولكن إن كان عكس ذلك فسيُدفع الآخريين إلى العكس أيضاً).

لهذا لا يصح أن تكون هناك مجافاة بين العلم والاخلاق، بمعنى أن الانسان العالم والعارف ببواطن الامور وسواها، ينبغي أن يحصن نفسه مسبقا بقاعدة أخلاقية تحميه من الاخفاق، والانحراف والضعف تحت ضغط الحاجات المادية الجسدية وسواها.

إلتزام الفضائل والعناية بها

لذا لابد أن يدرّب الانسان نفسه على انتهاج سبل الفضيلة، وكبح نوازع الرذيلة التي تدفع نحوها النفس طمعا او طلبا لتحقيق مآرب لا مشروعة، من هنا ينبغي على من يسعى الى اكتساب العلم، أن يجعل من الفضيلة شعارا في

القول والفعل يطبقه في حياته العملية وسواها، لهذا يوجه سماحة المرجع الشيرازي قائلاً في هذا الصدد:

(إذاً على طالب العلم أن يولي الالتزام بالفضائل والأخلاق عناية خاصة لأنه كلما ارتفع مستواه فيهما ارتفع مستوى التزام الناس بهما بالتبع. وهذا أحد الفروق التي تميّز الأخلاق عن سائر العلوم والفنون كالفقه والأصول والبلاغة والفلسفة والخطابة وغيرها).

وكما ذكرنا ان هناك فوارق عديدة بين الاخلاق والعلوم، ولكن يمكن ان يشكل الطرفان رديفين بعضهما لبعض، بدلا من حالات التقاطع التي قد تحدث أحيانا، بين العلم والاخلاق، وهو ما يعزوه البعض الى حدوث التقاطع سياسيا بين النهج العلماني والديني، ولكن في ظل الاسلام لا تقاطع بين العلم والاخلاق، ولا تقاطع بين السياسة وبين الدين، أما الفارق فهو يكمن في الصعوبة التي تتجلى باكتساب الاخلاق، قياسا باكتساب العلم، يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا المجال:

(الفرق الآخر بين الأخلاق والعلوم الأخرى يكمن في صعوبته قياساً بها، فالرقي في الأخلاق أصعب منه في العلوم الأخرى). وفي المسار نفسه يضيف سماحته قائلاً:

(إنّ الأخلاق أصعب من الفقه لأنّ الأخلاق تعني تهذيب النفس وبناءها، وقد قال بعض اهل الخبرة: من الصعب أن يصبح المرء مجتهداً ولكن من الأصعب أن يصير إنساناً).

مقارعة الذات

لذا يتطلب الامر أن يرتقي الانسان بنفسه، وأن ينحو صوب تهذيب الذات وتشذيبها من المساوئ أيا كان نوعها او مصدرها، وطالما كان الصراع

بين الانسان ونفسه، فإنه صراع ينطوي على صعوبات جمّة، إذ يؤكد سماحة المرجع الشيرازي قائلاً بهذا الصدد:

(إنّ الارتقاء في الأخلاق والفضائل أصعب من الاجتهاد في الفقه؛ وإنّ ثمرته ونتيجته أبعد منالاً وأعسر حصولاً من الفقه).

إن رمزية الاخلاق، لا تعني أن يتصنع الانسان سلوكه مع الاخرين، بل لابد أن تكون الاخلاق متأصلة في ذاته ونابعة منها، أما التصنع فهو مكشوف ولا يصمد طويلاً، حيث ينكشف الوجه الحقيقي للانسان، بعيداً عن غطاء التصنع، ولهذا يؤكد سماحة المرجع الشيرازي على:

أن (المرء لا يلمس نتيجة سعيه إلا عندما يصبح ذا قلب سليم وتصبح الأخلاق والفضائل ملكات لديه، عندها يشعر بلذّة الأخلاق والوصول إلى مراتبها العالية، وعندها يعرف قيمة ترويض النفس ومخالفة الشهوات).

هل تصبح الاخلاق ملكة

وبهذا يمكن للاخلاق أن تصبح ملكة تتأصل في ذات الانسان، ولكن الامر يتطلب سعياً حثيثاً ومتواصلاً، لاكتساب الفضائل كسلوك أصيل يطبع نفسية الانسان وتوجهاته في الافعال والاقوال معاً، اذ يقول سماحة المرجع الشيرازي:

(لا تصبح الأخلاق ملكة عند الشخص إلا بعد أن يحارب نفسه ويخالفها، ويستمرّ في مخالفتها حتى تنمو عنده ملكة حبّ الخير في كلّ أبعاده. فإذا حصل على الملكة شعر باللذّة وبدأ يلمس نتيجة أتعابه في مجال الأخلاق والفضائل. وهذا لا يحصل بصورة سريعة بل هو بحاجة إلى وقت يستغرق عمر الفرد؛ لذلك أصبح الارتقاء في مدارج الأخلاق صعباً).

وفي كل الاحوال يحتاج المجتمع الى الرمزية الاخلاقية، إذ يكون

بمقدورها تأصيل السلوك الانساني السليم وتطويره، وتعميمه على الافراد والجماعات، لاسيما النخب المؤثرة كالعلماء والسياسيين والمثقفين وغيرهم، لكي تتكون للمجتمع قاعدة اخلاقية متينة، تصونه من التردّي والتراجع والنكوص.

شبكة النبا المعلوماتية - الخميس ٢٧/تشرين الأول/٢٠١١ - ٢٩/ذو

القعدة/١٤٣٢

(٤)

قول الحق والعمل به ركيزة لبناء واصلاح المجتمع

الشعوب المنهكة بفعل الجهل والتخلف، تسعى لاصلاح أوضاعها بالقول والعمل، فلا القول لوحده بقادر على إنقاذها، لأنه إذا أفرغ من جوهره العملي التطبيقي، وظل حبرا على ورق، فلا ينفع في مجال تطوير المجتمع، كذلك الحال مع العمل الذي لا يستند الى الاقوال العلمية، فهو ليس بقادر على تطوير المجتمع ايضا، لأن العمل من دون فكر راقٍ وتخطيط سليم، يصبح نوعا من الفوضى والعشوائية التي تضر أكثر مما تنفع، حتى لو جاءت في إطار الاعمال.

لهذا يؤكد - سماحة المرجع الديني، آية الله العظمى، السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظلّه)، في كتابه القيم الموسوم بـ (حلية الصالحين) - على أهمية وألوية أن يأتي القول في سياق الحق ودعمه وتثبيتته، لأن قول الحق يقود الى نتائج عملية ناجحة وشاخصة، فيؤكد سماحته في هذا الصدد بكتابه المذكور على: (إنّ قول الحق يعدّ من أهمّ أسس الصلاح والتقوى للفرد المسلم، يؤيد ذلك ما صدر عن أهل البيت سلام الله عليهم من القول

بالحقّ دائماً).

وقول الحقّ يمكن أن يظهر في شؤون الحياة والناس كافة، ولكن غالباً ما تتبعه درجة من المخاطرة، فهناك أقوال قد تؤدي بحياة قائلها، وربما تتسبب بنفيه وتشريده، هو وعائلته أو عزله وحبسه أعواماً أو عقوداً، خاصة إذا صدرت مثل هذه الأقوال ضد أنظمة سياسية قمعية، تكتم أفواه الناس ولا تسمح لهم بحرية التعبير، أو الفكر، أو إنتقاد العمل الحكومي، وهكذا يصبح قول الحقّ مصدر خطر على قائله، إذ يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا الخصوص بالكتاب نفسه: (إن أفضل الحقّ عندما يكون إظهاره والعمل بمقتضاه عزيزاً).

وربما يتجنب بعض الناس، مخاطر قول الحقّ، فيغض الطرف، ويتغافل عن الباطل وأهله، من أجل مصالح فردية أو عائلية، بيد أن هذا السلوك لا يمكن أن يبني مجتمعاً ناجحاً، ولا يمكن لقضية الإصلاح أن تصبح هدفاً للفرد والمجتمع، يقول سماحة المرجع الشيرازي في من يتجنب قول الحقّ بكتابه المذكور: (أمّا إذا اقتصر حياة الفرد على الجلوس في الدار دون أن يتكلّم بما يطلبه الحقّ منه، وتبعه الآخرون من أفراد المجتمع في الإحجام عن القول والتصريح أدّى ذلك إلى عدم العمل أيضاً، فعند ذلك لن يتحقّق الهدف المتمثّل ببناء مجتمع الصلاح والتقوى في المجتمع الإسلامي أبداً).

من جانب آخر هناك من يُدخل المراءاة في هذا الجانب، بمعنى أن هناك من يقول بالحقّ ولا يفعل به، وهو بذلك أسوأ من الصامت عن قول الحقّ، لأنه لا يطبقه على نفسه وعائلته ومصالحه، فلا بد أن يقترن قول الحقّ بالعمل الذي يليق به، ويؤازره ويدعمه، لهذا يذكر سماحة المرجع الشيرازي في هذا الصدد قائلاً: (لقد جرت العادة في القرآن الكريم والأحاديث

والروايات الشريفة على حثّ الإنسان على العمل أكثر من القول، نظراً لأنّ العمل هو الركيزة الأساسية في الإنسان).

ولذلك يفقد القول فحواه وفوائده، اذا بقي كلاماً مجرداً من التطبيق الفعلي، ولا يعني هذا الرأي أن نتخلى كلياً عن الاقوال، فالكلام هو الذي يحمل الافكار، وينقلها الى عقول الناس، ويساعد على تنويرهم وتطوير وعيهم، ومن ثم تقوية ايمانهم بالاصلاح والحق معاً، لهذا يؤكد سماحة المرجع الشيرازي بكتابه نفسه قائلاً: (إن المجتمع الصالح، بحاجة إلى القول كما هو بحاجة إلى العمل).

وفي كل الاحوال يبقى التمسك بقول الحق، أمراً مهماً ورائعاً، كونه يعبر عن الموقف الشجاع لقائله، ولكن هناك ظروف معينة ترتبط بأهمية قول الحق، تبعا لقيمة هذا القول والنتائج المتمخضة عنه، يقول سماحة المرجع الشيرازي، بهذا الخصوص في كتابه نفسه: (القول بالحق أمر حسنٌ جداً ونافعٌ، ولكن ما يجعله حلية للصالحين وزينة للمتقين هو عندما يكون إظهاره والعمل به عزيزاً ونادراً، بسبب المخاوف والمخاطر، كالتعذيب والحرمان والاعتقال وسائر الصنوف الأخرى التي يستخدمها الظالم لإرهاب من يجترئ على قول الحق بوجهه).

وهذه هي أساليب الانظمة القمعية، والحكومات السلطوية، وحكامها الطغاة، فهم لا يعملون بالحق، ولا يسمحون بمناصرتهم، او القول به من لدن الناس، لهذا تكون أداة القمع حاضرة، وربما يتعرض أصحاب الحق، الى ما هو أكبر وأخطر من التكميم، والاقصاء وما شابه من اساليب الحكام الطغاة، نقرأ في هذا المجال ما يقوله سماحة المرجع الشيرازي في كتابه (حلية الصالحين): (إن كلمة الحق كثيراً ما تؤدّي بقائلها إلى المشكلات

وحتى القتل).

ولكن ليس هناك طريق آخر أمام المجتمع الذي يهدف الى الاصلاح، والتخلص من الجهل والقمع والمرءاة، فالسير في طريق الحق، والعمل به، هو الاسلوب الامثل، لبناء الفرد والمجتمع الناجح والمزدهر، من هنا تأتي أهمية التمسك بالحق، كونه يشكل أساسا وركيزة كبرى، للشروع باصلاح المجتمع وتطويره.

لذا يرى سماحة المرجع الشيرازي في كتابه نفسه: (إن التمسك بقول الحق هو من أساس التقوى والصلاح، خصوصاً حينما يقلّ ناصره ويكثر مناوئوه ويعزّ قائله ويكثر الصامت عنه).

شبكة النبأ المعلوماتية - الخميس ٩/حزيران/٢٠١١ - ٧/رجب/

١٤٣٢.

(٥)

دور النموذج في بناء المجتمع السعيد

لابد لنا كمسلمين أن نقف طويلا عند شخصية الرسول العظيمة لاستلهام الدروس العظيمة التي خلفتها لنا، أفعالا وأفكارا، فكلها تستند الى ما جاء به الوحي الإلهي، من آيات مباركات وضحت منهج الحياة الجديد لمجتمع كان يقبع في درك الجاهلية والظلام آنذاك.

التأسي برسول الله

ومع ذلك تمكن رسولنا الكريم بأخلاقه العظيمة وأعماله الفذة أن يعطي النموذج الامثل للناس جميعا، فكان اسوة حسنة لمن يبحث عن الهداية والسير في الجادة الصواب، لهذا تقدم المسلمون في عهد

الرسول ﷺ بسبب تأثيره الكبير في عموم المجتمع، وتمسك المجتمع من ناحية اخرى بمنهج الرسول المستمد من القرآن الكريم.

في هذا الصدد يقول سماحة المرجع الديني، آية الله العظمى، السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله) في إحدى محاضراته القيمة: (أشير في المناسبة إلى نقطة واحدة أقف عندها قليلاً، وهي قضية التأسي برسول الله ﷺ. قال الله تعالى في كتابه الكريم: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ» - سورة الأحزاب: الآية ٢١-. ومعنى هذه الآية بعبارة بسيطة: أن تعلموا أيها المسلمون من النبي ﷺ كل شيء في حياتكم، واقتفوا أثره في كل ما كان يفعل في حياته).

ولم تقتصر قضية النموذج على مجموعة دون غيرها، ولا فرد دون غيره، بل هو نموذج يسترشد بسيرته الجميع، تحقيقاً للهدف الأشمل والأعم، لهذا لا يمثل النبي ﷺ، فئة دون غيرها، من المسلمين، بل هو نموذج لكل الانسانية الباحثة عن الخلاص والسبل الصحيحة في تطوير الحياة قُدماً، لهذا كانت الدعوة الى اتخاذ الرسول الاكرم أسوة شاملة، كما يتضح ذلك في تأكيد سماحة المرجع الشيرازي إذ يقول بهذا الخصوص: (إن الآية لم تجعل من النبي ﷺ أسوة لفئة خاصة، بل قالت «لكم» أي لكل المسلمين، فشملت العالم والكاسب والموظف والمعلم والتلميذ ورجل الدولة والمواطن، والرجل والمرأة، والغني والفقير، والمريض والمعافي، والطبيب والمهندس، ومن يقيم المجالس أو يدفع الأموال لإقامتها أو يجمع الأموال لها، أو يشترك فيها متحدثاً أو مستمعاً)...

ضرورة مطالعة تاريخ النبي

إن قضية الاسترشاد بالنموذج تستدعي معرفة واسعة بما يتصف ويتميز

به ذلك النموذج، ولا يصح أن نعتمد السماع فقط في هذا المجال، بل لابد أن يطلع الانسان بنفسه للتعرف على شخصية النموذج وقدراته وتطلعاته الانسانية الهادفة الى تطور الناس في منهج الحياة وميادينها كافة، لذا يوصي سماحة المرجع الشيرازي بأهمية أن يطلع الشباب وغيرهم بصورة اكيدة ومباشرة على تاريخ النبي الأكرم في حلقاته المشرفة التي اضاءت واقع وتاريخ المسلمين والانسانية جمعاء، يقول سماحة المرجع الشيرازي مؤكداً في هذا المجال: (إن وصيّي للجميع ولاسيما الشباب الأعزّاء أن يطالعوا بأنفسهم تاريخ نبيهم ﷺ والكتب في هذا المجال في متناول الجميع، فكتاب - بحار الأنوار- على سبيل المثال موجود في المكتبات، ليطلع الإخوة والأخوات الأعزّاء الأجزاء من الخامس عشر إلى الثاني والعشرين، فكلها تتحدث عن حياة وسيرة النبي المصطفى ﷺ).

لهذا السبب يؤكد سماحة المرجع الشيرازي قائلاً في محاضراته أيضاً: (لقد أمرنا الله تعالى في هذه الآية أن نتأسى برسوله ﷺ في كل شيء، ووصفه بأنه الأحسن في كل شيء، وأنه سبحانه أثنى عليه ﷺ في آية أخرى ثناءً خاصاً، وذلك في قوله تعالى: وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) - سورة القلم: ٤-

التأسي بالجانب الاخلاقي

ويتفق الجميع على الدور الجوهرى والاساسى للاخلاق في بناء الفرد والمجتمع، وما كان للدين أن ينتشر بهذه الصورة ويتغلغل في نفوس الناس لولا الطراز الاخلاقي العظيم الذي كان يتحلى به الرسول الكريم ﷺ، لذا جاء في محاضرة سماحة المرجع الشيرازي بهذا الخصوص، دعوة قوية للتمسك بالجانب الاخلاقي، اذ يقول سماحته: (لنصمم على العمل بهذه الآية

الكريمة، التي أمرتنا بالتأسي برسول الله ﷺ، ولتتخذ منه ﷺ أسوةً في حياتنا حقاً، ولتأسس به في جميع الأمور ولاسيما بأخلاقه ﷺ).

لذلك لا يقتصر الامر على جانب العبادات مع أهميتها، اذ لا بد للجانب العملي أن يحضر ويتحرك في الوسط البشري استرشاداً بالخلق العظيم، لذلك يؤكد سماحة المرجع قائلاً في هذا الصدد: (لقد بعث رسول الله ﷺ يبلغ الناس الإسلام وهو رسالة شاملة لكل شؤون الحياة، ولكننا مع ذلك نسمع أنه ﷺ قال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، ولم يبلغنا انه قال: إنما بعثت للصلاة أو الصوم والحج والخمس وغيرها من التشريعات والعقائد مع أنه ﷺ هو الذي أتى بها من قبل الله عز وجل. ولئن دل هذا على شيء فإنما يدل على أهمية الأخلاق في الإسلام؛ فكأنه ﷺ يقول تلخص بعثتي في مكارم الأخلاق وهي الغاية).

وكلنا نتفق على النجاح العظيم الذي تحقق للمسلمين في ظل القيادة المتميزة التي تحققت في زمن الرسول الأكرم ﷺ والامام علي بن ابي طالب صلوات الله عليه، لذلك كان منهج حياة المسلمين ابان حكومتها يسير بالاتجاه الصحيح، ولكن ما أن جاءت الحكومات المستبدة حتى بدأت رحلة تراجع المسلمين الى الوراء بسبب تنامي الجانب المادي على حساب الروحي الاخلاقي، إذ يقول سماحة المرجع الشيرازي: (لقد انحسر الإسلام ومنهجه في الحكم والحياة، - بعد الرسول وعلي ابن ابي طالب - ومعه غابت السعادة عن حياة الناس. ورغم مرور أكثر من أربعة عشر قرناً على ذلك التاريخ لم ينعم الناس بعدهما بما نعموا به في ظلّهما. وزاد شقاء الناس يوماً بعد يوم مع ابتعادهم عن الإسلام وترك التأسي بسيرة رسول الله ﷺ، حتى عاد ما لا وجود له اليوم هو السعادة، وما متوافر بكثرة هو الشقاء والمشاكل).

كيف يمكن أن نحقق السعادة

السعادة هي هدف الانسانية جمعاء، وهناك سبل ووسائل لتحقيقها، فإذا اراد المسلمون الحصول عليها، يجب أن يتمسكوا بإسوتهم، نبهم الأكرم ﷺ، فهو النموذج العظيم الذي يمكنهم من خلال التمسك به أن يتجاوزوا حالات التردى الى اجواء النجاح الدائمة، لذا يدعونا سماحة المرجع الشيرازي قائلاً في هذا المجال: (فلنزد من العمل بالآية والتأسي بالنبى الكريم، لكي نحقق السعادة؛ كل بمستواه ومن موقعه: الأب من موقعه، والأم من موقعها، والأبناء من مواقعهم، والراعي من موقعه، والرعية من موقعها، والرئيس من موقعه والمرؤوس من موقعه، وهكذا الكاسب والموظف والواعظ والمرجع، و... كل من موقعه في المجتمع، عليه أن يتأسى بالنبى ﷺ، لتغيير نفسه والمجتمع). ويضيف سماحته قائلاً: (وإذا لم يكن الفرد قادراً على تغيير العالم فهو قادر على تغيير ذاته. فلنجرب إذن، ولنحاول، ونبدأ بأنفسنا، في ترسيخ ومضاعفة التأسي برسول الله ﷺ، سنحسّ بالسعادة أكثر كلما ازددنا تأسيّاً به وقرباً منه ﷺ).

شبكة النبأ المعلوماتية - الخميس ١٩/كانون الثاني/٢٠١٢ -

٢٥ صفر/١٤٣٣

(٦)

العلم والأخلاق صنوان متلازمان يصنعان العقل السليم

النخبة المتنورة هي التي تقود المجتمع الى مرافئ الحياة المتوازنة والمستقرة دائماً، ولهذا يُنظر الى هذه النخبة بإجلال واحترام نظراً للدور التنويري الأساسي الذي تقوم ازاء شرائح المجتمع كافة، لذا لا بد أن يتوافر

المجتمع على نخبة طالبة للعلم ومنتورة في آن، كي تقوم بواجبها تجاه توضيح الحقائق الصحيحة التي تدخل في الحياة اليومية للانسان، هذا يعني أن طالب العلم ينبغي أن يكون ذا قاعدة علمية متطورة ومتجددة من خلال الاطلاع الدائم، للقيام بدور التنوير الذي يحتاجه المجتمع على نحو دائم.

الاطلاع على أحكام الله

عندما يبدأ طالب العلم مشروعه العلمي التثقيفي، قد يرافق رحلته في طلب العلم بعض العقبات، ربما يكون هو مصدرها، نتيجة للتقاعس مثلاً، وربما يكون مصدرها ظرف خارج عن قدرة الانسان وتدخله، لذلك عندما يتلکأ طالب العلم في تحصيل العلم، سيتعرض لنسبة معينة من الجهل، لا يصح أن ترافقه أو ترافق سيرته الحياتية ودوره في تطوير المجتمع، لذلك لابد أن يكون العالم الموجّه ملماً بما يقدمه للآخرين من نصح ومواعظ هم بحاجة إليها.

في هذا الخصوص، يقول سماحة المرجع الديني آية الله العظمى، السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله)، في كتابه القيم الموسوم بـ (العلم النافع): (قد لا يوجد في صفوف أهل العلم جاهل قاصر، فإنه لا يُقصد بالجاهل المقصّر من كان مستواه الدراسي أدنى أو كانت معلوماته أقل، بقدر ما ينطبق هذا الوصف على طالب العلم الذي يجهل بعض أحكام الله تعالى بسبب تقاعسه، فيعمل الحرام وهو لا يعلم - تقصيراً منه - أن عمله هذا حرام، وكان بمقدوره أن يعلم أنه حرام فيجتنب عنه).

كذلك تبقى مهمة تحصيل العلم والاستزادة من خطب ومواعظ المختصين، من واجب الانسان نفسه، بمعنى أن تحصيل العلم مهمة مشتركة بين الطرفين، حامل العلم ومن يحتاج إليه، والسبب أن المؤمن ملزم بمعرفة

أحكام الدين لكي يتجنب الوقوع في الخطأ والزلل أيا كان نوعه أو حجمه، لذا يقول سماحة المرجع الشيرازي في كتابه نفسه: (مادام المؤمن باذلاً عمره في سبيل الله سبحانه وتعالى، منفقاً وقته وساعاته ودقائق حياته في طاعة الله، مصلياً أو صائماً أو حاجاً أو معتكفاً أو قارئاً للقرآن، فليخصص حظاً منه للعلم، وأعني به العلم بأصول الدين وأحكام الإسلام وأخلاقه وآدابه).

ما هي أخلاق الاسلام

لا تنطوي الاخلاق الاسلامية على الحكم الاقتضائي فقط، بمعنى لا تنحصر في (المكروهات والمستحبات وحدها) بل تنطوي الاخلاق الاسلامية على الواجبات والمحرمات، فحين تراعي واجب احترام الآخر وعدم المساس بحقوقه، تعد هذه اخلاق اسلامية، كذلك الحال حين تتغاضى عن الاذى الذي تسببه للآخر، فيعد هذا خروجاً على الاخلاق الاسلامية، لذا يؤكد سماحة المرجع الشيرازي على مراعاة هذا الجانب قائلاً في هذا الصدد: (علينا بعلم الأخلاق أيضاً، فليست أخلاق الإسلام وآدابه كلها لا اقتضائية – حسب الاصطلاح العلمي – أي مستحبات ومكروهات، بل إنّ فيها الواجبات والمحرمات أيضاً).

وقد يحدث أحيانا تناقض بين الاخلاق والخصال الجيدة، وهو أمر لابد أن يتنبه له الانسان المؤمن وهو يعيش حياته اليومية بتفاصيلها الكثيرة، كذلك من واجب العالم والنخبة الدينية أن توضح الامور بجلاء لمن لا يعرفها، لكي لا يحدث هذا النوع من التضارب بين خصلة محمودة وبين الاحكام الشرعية، لذلك يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا المجال: (إنّ الكرم خصلة محمودة، وكذا السخاء والإنفاق وإقراء الضيف، فكل ذلك عمل محبّب ومقبول، ولكن إلى حيث لا يؤدي إلى ترك واجب أو

ارتكاب محرّم).

العلم يحمي الانسان من الخطأ

من أهم فوائد التلاقي الحاصل بين العلم والاخلاق، أنه يقي الانسان من الوقوع في ارتكاب معصية تغضب الله تعالى، فعندما يكون الانسان عالما وخلوقا في آن واحد، هذا سيساعده كثيرا على تجنب المحرمات، كما يقول سماحة المرجع الشيرازي بهذا الخصوص: (انّ الإنسان الذي عنده علم، لا يعمل الحرام في سبيل ترك مكروهه، ولا يترك واجبا من أجل الإتيان بعمل مستحب، وهو يتحمّل ما يُخجل عند الناس ولا يعمل ما يُسخط الله تعالى).

لهذا غالبا ما يشعر الانسان بحاجته الى المعرفة والعلم، لكي يتوخى الحيطة ولا يسقط في مواقع الزلل، اذ يقول سماحة المرجع الشيرازي: (إنّ كثيراً من مطالب أصول الدين يشعر الفرد - بل حتى كثير من أهل العلم - بالحاجة إلى تعلّمها سواء بالدراسة أو المطالعة أو المباحثة، وكذا الحال بالنسبة لكثير من الأحكام الشرعية. كما أننا بأمسّ الحاجة إلى تعبئة علمية لمعرفة كثير من الأحكام الشرعية وبالأخصّ تلك التي هي محلّ ابتلائنا).

أهمية مواسم الدراسة والتعليم

وطالما أن الجميع يعرف فوائد معرفة الاحكام والعمل في ضوئها، ناهيك عن المعرفة التي تشمل مجالات الحياة الاوسع، لذا مطلوب أن يبذل الانسان قصارى جهده لكي يتعلق بالمعرفة ويسعى اليها تحقيقا لحياة افضل، لذا يحثنا سماحة المرجع الشيرازي قائلاً: (لنخصّص بعض أوقاتنا - وبأقصى ما نستطيع - لتعبئة أنفسنا بالعلم في كلّ مجال مشروع وفي مجال العلم الديني خاصّة، ولنعلم أنّ موسم الدرس مناسبة جيّدة، وأنّ التسهيل من

الله تعالى).

ولا تنحصر أهمية المعرفة في من يجهلها أو يفتقد لها، بل حتى العلماء مطالبون بتحصيل المعرفة والعلم على نحو دائم، لأن سقف المعرفة والاخلاق لا تحده حدود معينة، إنه سقف لانهائي مهما سعى الانسان اليه، لذلك لا بد من انتهاز الفرص التي تزيد الانسان علما ومعرفة، كما نقرأ في قول سماحة المرجع الشيرازي بهذا الصدد: (نعم، لنتهز كل فرصة ولا نضيع حتى دقيقة واحدة، ولنحمل معنا الرسالة العملية التي قرأناها في أيام شبابنا من أولها إلى آخرها، فرب كثير منا لا يتذكر كثيراً منها، أو رب أمور لم يعد كثير منا ملتفتاً إليها، فإذا ما أتحت له فرصة ولو بمقدار خمس دقائق، قرأ ولو صفحة واحدة منها، حتى إذا تكررت يكون قد تخلص مما كان عنده من جهل مركب في بعض المسائل، حيث كان يتصور أنه يعرفها مع أنه لم يكن يعرفها على الوجه الصحيح).

شبكة النبا المعلوماتية - الخميس ٥/نيسان/٢٠١٢ - ١٤/جمادى

الأولى/١٤٣٣

الفصل الثاني: خطوات تربوية

(١)

الاصلاح والتغيير بين أساليب العنف ومزايا الحوار البناء

الفرد هو لبنة وأصل تكوين المجتمع، وكلما صحَّت الاصول والاسس صحَّ ما تلاها من تكوينات مجتمعية أو غيرها، لذا يتطلب بناء المجتمع أن نبني الفرد أولا وفق مزايا وفضائل أخلاقية وعرفية وضحَّها لنا الاسلام والسنة النبوية الشريفة وسيرة آل بيته الاطهار عليهم السلام، كونها نماذج سلوكية فكرية يمكن للانسان أن يتعلم منها ويبنى بهديها مسيرته الحياتية الصعبة والشائكة في ظل عصر مفخخ بالأخطاء والاعراءات والعنف والعنف المضاد، وفي ظل حكومات لاتهتم كثيرا بشعوبها ولا بسلام وحياة مجتمعاتها أو رعاياها.

في هذا الصدد، يقول سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي في كتاب عنوانه (من عبق المرجعية):

(لا شك في اختلاف ذاتيات الافراد فان الناس معادن كالذهب والفضة الا ان التربية العائلية والمحيط الاجتماعي والنظام الحاكم لها اكبر الاثر في اذكاء حالة العنف في النفوس واشعال جذوة العنف في المجتمع).

وظاهرة العنف لن تتولد من الفراغ، بمعنى لا بد أن تكون لها مسبباتها التي تنطلق من أرض الفكر والسلوك معا، لهذا غالبا ما تُسهم الحكومات

السيئة بصناعة الفرد العنيف ومن ثم المجتمع العنيف لاسباب عديدة، يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا الصدد بالكتاب المذكور نفسه: (تكمن جذور العنف في الجهل والعصبية والفهم الخاطئ للدين والاستبداد والدكتاتورية والحرمان الاجتماعي والظلم من قبل الحكومات والافراد الذي يولد العنف المضاد وغلق قنوات الحوار البناء او ضيق هذه القنوات). ويؤكد سماحته قائلا في المنحى نفسه:

(في اجواء الكبت والارهاب والاستبداد والدكتاتورية تنمو الاتجاهات المتطرفة والحركات التدميرية، لذا يجب توفير الحرية للمجتمع، وارساء دعائم العدالة الاجتماعية، وتوفير الفرص للجميع، واعطاء حقوق الفقراء والمحرومين، وقيام الانظمة العامة التي تحمي المجتمع من حاملي راية العنف).

لهذا حين تندلع تظاهرات هنا وهناك كما يحدث اليوم فربما تشوبها بعض مظاهر العنف، والسبب الحقيقي الذي يقف وراء هذه المظاهر العنيفة هو الحكومات المستبدة التي تعمّدت تجهيل المجتمع اضافة الى الحاضن الاجتماعي الذي يتحرك فيه الافراد وينمون فيه، فإذا كان حاضنا عنيفا، لا بد أنه يورث العنف للاشخاص الذين يعيشون فيه، لهذا لا بد أن ينبه المطالبون بالاصلاح والتغيير ومن يتبعهم من الجمهور الى الابتعاد عن ظاهرة العنف واللجوء الى الاساليب المتحضرة التي تكسبهم احترام العالم، ولا بد للمعنيين ومن يهمهم الامر من القضاء على هذه الظاهرة من خلال وسائل التثقيف وغيرها من السبل المؤدية الى ذلك.

يقول سماحة المرجع الشيرازي بهذا الخصوص:

(يمكن مكافحة العنف في المجتمع من خلال تعميم ثقافة اللاعنف وتوضيح ان العنف نار تحرق الكل ولا تستثني احدا).

ولهذا السبب يعارض الاسلام في تعاليمه مظاهر وأعمال العنف، ويدعو الى السلم واعتماد أساليب التمدن والحوار طريقا لتحقيق الاهداف التي يبحث عنها الانسان او المجتمع ويسعى الى تحقيقها، إذ يؤكد سماحة المرجع الشيرازي بأن الاسلام:

(يحرم العنف والارهاب والغدر والاعتيال ويحارب كل ما يؤدي الى الذعر والخوف والرعب والاضطراب في الناس الأمنين).

إن الابتعاد عن العنف بكل أشكاله يمثل ظاهرة حضارية تحاول المجتمعات المتوازنة أن تحققها وتصل إليها وتنشرها بين أفرادها وجماعاتها، حتى في حالات التظاهر والاضرابات وما شابه، حيث تلجأ الشعوب الى هذا السلوب من اجل تحقيق اصلاحات او تغييرات سياسية تحقق لها اهدافها، فهي تسعى الى ذلك بتجنب العنف واتخاذ السلم والتحصن والتمدن إسلوبا لتحقيق أهدافها، ولعل العنف الذي يرافق الانتفاضات الراهنة في عدد من دول الشرق الاوسط يعود اولا الى الحكومات التي تستخدم العنف ضد المتظاهرين، وفي الوقت نفسه تتهم المتظاهرين بأنهم يقفون وراء العنف، لكي تبرر هجماتها واعتداءاتها على المنتفضين.

ولكن يبقى هذا السلوب قاصرا، أيا كان الطرف الذي يلجأ إليه، فالعنف لايقود إلا للمزيد من العنف، لهذا لا بد من اعتماد سياسة نبذ العنف من اجل التغيير والاصلاح، كما يؤكد ذلك سماحة المرجع الشيرازي الذي يؤكد على أن:

(اسلوب الحوار - اولا- والمظاهرات والاضرابات - ثانيا- هي

الاجدى والاحمد عاقبة في السعي الى الاصلاح والتغيير).

شبكة النبأ المعلوماتية - الخميس ١٤/نيسان/٢٠١١ - ١٠/جمادى

(٢)

مسؤولية الآباء في رعاية الأبناء

يقول الله تعالى في كتابه الكريم: (أقيموا الدين)، الشورى: ١٣، هذه المسؤولية تقع على عاتق الجميع رجالاً ونساءً. فتارة أمر الله تعالى بالفروع أو المقدمات فيقول: (أقيموا الصلاة)، الأنعام: ٧٢، أو: (كتب عليكم الصيام)، البقرة: ١٨٣، وتارة أمر بالنتيجة: (أقيموا الدين).

هذا أمر بأداء كل ما من شأنه أن يساهم في إقامة الدين، كأداء الواجبات الشرعية المتقدمة، كذلك الدروس الحوزوية وبناء المساجد والحسينيات والمدارس، وطبع الكتب ونشرها، الخطابة والتأليف، التبليغ واكتساب المعلومات والعلوم الجديدة وغير ذلك مما تكون نتيجته إقامة الدين.

نعم، الإنسان وحده لا يمكن أن يوجد مقدمات بناء المجتمع المؤمن في كل مكان ولا يمكنه أن يسافر إلى كل البلدان ويقوم فيها بالدين، فهو معذور عما خرج عن قدرته، لكن لا يعفيه من العمل بقدر ما تيسر له.

فمن أجل الموقية، على الإنسان أن يلتزم بـ: الإخلاص، والإجتهاد بأن يعمل مجداً ويترك الكسل، لأن الدنيا دار عمل وعناء، ومن لا يعمل ويجد فيها لن يحصد في الآخرة سوى الحسرة والندامة.

والأخلاق: بأن يقتدي بأخلاق وسيرة النبي محمد ﷺ وأهل بيته عليه السلام فيتحلى بالصبر والحلم وغير ذلك.

فكل من يعمل بهذه الأمور الثلاثة أكثر، يبلغ درجة أعلى من التوفيق وهذه الأمور لها ركن واحد هو العزم والتصميم.

إن بمقدور كل مسلم ومسلمة أن ينجح في تعلم وتعليم علوم أهل البيت عليهم السلام ليكون عاملاً في هداية الآخرين، إن علو المهمة في سبيل التعلم يوجب النجاح في هذا الطريق.

إن العبادة من صلاة وصيام وحج وزيارة أهل البيت عليهم السلام لا تكون عبادة حقاً ما لم تقترن بالعلم ومعرفة الأحكام. فدرجة قبول العمل منوطة بدرجة التفقه في الدين.

روي عن الإمام السجاد (سلام الله عليه): (لا عبادة إلا بالتفقه).. فالذي يصلي لله سبحانه وتعالى، لكنه في الوقت نفسه يقطع رحمه أو يأكل المال الحرام أو يعق والديه ولا يرعى أطفاله. هل تبقى لمثل هذا الشخص عبادة؟ روي أن النبي محمد صلى الله عليه وآله نظر ذات مرة الى بعض الأطفال وقال: (ويل لأطفال آخر الزمان من آبائهم) فقيل: يا رسول الله، من آبائهم المشركين؟ فقال: (لا، من آبائهم المؤمنين.. لا يعلمونهم شيئاً من الفرائض، وإذا (تعلم) اولادهم منعوهم، ورضوا عنهم بعرض يسير من الدنيا، فأنا منهم بريء، وهم مني براء!) (المرأة والعائلة/ المرجع الديني السيد صادق الحسيني الشيرازي). من الضروري للآباء والأمهات أن يهتموا بتربية وتعليم أطفالهم، وأن لا تشغلهم شواغل الدنيا عن ذلك ما استطاعوا.

لكن، أي منهج نتبع؟ ومن أفضل المدارس التربوية في هذا المجال؟ انها، المدرسة المحمدية بالتأكيد، فلننهل منها.. كما يقول ويوجه المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله) هنا، الإشارة الى رعاية رسول الله محمد صلى الله عليه وآله، واهتمام الإسلام بالطفولة، ليرى العالم. الرسول الكريم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، قد جاء في وقت لا يحترم فيه إلا القوي، كما أن أفراد المجتمع ينظرون الى الأطفال نظرة ازدراء:

١- فهم يئدون البنات، ويدفنونهن أحياء. قال تعالى: (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم)، النحل: ٥٨، (وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت)، التكوير: ٨، ٩.

٢- لا يقبلون الأطفال، أو يلاعبونهم، كما قال أحد سادتهم عندما وفد على رسول الله ﷺ، ورآه يداعب أحفاده ويقبلهم، يا رسول الله! أتقبلون الصبيان؟. فقال رسول الله: نعم. فقال: إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم، فقال الرسول الكريم: (أرأيت إن نزع الله الرحمة من قلبك).

٣- كانوا لا يعطفون على الأيتام، بل يحاولون السطوة على أموالهم، مستغلين ضعفهم، وعجزهم، فأوصى القرآن الكريم أمة محمد ﷺ بهم خيراً، في مواقع كثيرة، ثم يؤكد الرسول الكريم، فيحث على ذلك بقوله: (أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين، وشبك السبابة والوسطى).

خرج النبي ﷺ في هذا المجتمع، فرسم خطة هي نموذج في العطف والشفقة على الطفولة، وأسلوب تربوي لم يسبق له نظير في الرعاية والتوجيه، لأطفال أصبحوا رجالاً موجهين، ومفكرين يقظين، فقادوا أمتهم أسمى المراتب، وحققوا مثاليات في الإدارة والقيادة، لأن نفوسهم جبلت على الخير، وطباعهم تعودت الحنان في وقت الرعاية، وفي سنن النضج والتفتح.

إذا كان علماء التربية في عصرنا الحاضر يرجعون كثيراً من أعمال الرجال، وتصرفاتهم، من حسن أو سوء، نجاح أو فشل، إلى التربية الأولى للطفل، وفي موطن نشأته الأولى بين البيت والمدرسة، وإلى الدروس التي يستقيها من والديه وموجهيه فيهما.

فإن المدرسة المحمدية قد سبقتهم بأربعة عشر قرناً، ووضعت في مناهجها التربوية، ضرورة العناية بهذه الفترة الزمنية. ورعاية الأطفال في سن

التفتح ونشيدان المعرفة، والاهتمام بهم في سن النضج والإدراك، وتوجيههم الوجهة السليمة التي تؤهلهم لمشاق الحياة، واحتمال صعابها، كما يقول الشاعر:

وينشأ ناشئ الفتيان منا... على ما كان عوده أبوه

نحس في هذا دروس عملية، يطبقها رسول الله ﷺ بنفسه، تتمثل في وقائع يدركها المتتبع لسيرته الطيبة، واستقراء لأخلاقه المثالية، وأسلوبه الفريد في تنشئة الأمة، وترسيخ دعائم المثاليات في نفوسنا، ونظراته الى براعم لم تتفتح، وأغصان لم يشتد عودها.

ففي بيته، ومع أبناء فاطمة الزهراء ؑ كان يحمل الحسن والحسين ؑ، يلاطفهما، يتيح لهما فرصة المرح واللعب حتى ولو كان في صلاته، وعبادته.

في إحدى صلاتي العشي، خرج رسول الله ﷺ، وهو حامل حسنا أو حسيناً، فتقدم النبي فوضعه، ثم كبر للصلاة. صلى، سجد سجدة أطالها، كان الصبي على ظهر رسول الله ﷺ وهو ساجد. لما قضى رسول الله ﷺ الصلاة، قال الناس: يا رسول الله، إنك سجدت بين ظهراني صلاتك سجدة أطلتها، حتى ظننا أنه قد حدث أمر ما، أو أنه يوحى إليك. قال: (كل ذلك لم يكن، ولكن أبني أرتحلني، فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته).

كان رسول الله ﷺ يخطب بالمسلمين، فجاء الحسن والحسين ؑ وعليهما قميصان، يمشيان، ويعثران، فنزل رسول الله ﷺ من المنبر فحملهما، ووضعهما بين يديه، ثم قال: صدق الله: (إنما أموالكم وأولادكم فتنة)، التغابن: ١٥،.. نظرت الى هذين الصبيين يمشيان، ويعثران، فلم أصبر حتى قطعت حديثي، ورفعتهما.

مع أمته، وسائر المسلمين، يحثهم على التواضع، ورعاية الصبيان، والاهتمام بهم، يذكر الرواة بأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يمر بالصبيان فيسلم عليهم.

ينهى عن الكذب على الأطفال، يعاملهم بلطف ولياقة، بل يهتم بأحاسيسهم الفطرية، لأنه يرى فيهم أمل الغد، وعدة المستقبل ورجاله.. فلا بد أن تتوطن نفوسهم على الروح العالية، ومثالية السلوك، هذا لن يكون إلا في مجتمع نشأ أفراده في حياتهم الأولى، على أسلوب متميز في المعاملة والتعاطف، ونهج واضح من التقدير والشعور بمكانة الجميع.

يفعل هذا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليغرس في نفوس أطفال الأمة الثقة بأنفسهم، والاعتداد بتعاليم ربهم.. لأن الأطفال هم المثبت الخصب لكل تقليد، وأخذ لكل خلق، عن طريق الاحتذاء والمحاكاة.

لو سرنا مع المنهج المحمدي الشريف، كما يشير السيد صادق الشيرازي، خطوات، لرأينا الاهتمام المتزايد، الذي لم تحظ به الطفولة في أي عصر من العصور.

هذه بعض الجوانب التي تعطي ملامح للرعاية والاهتمام، اللتين حظيت بهما الطفولة عند المسلمين، جاءت تعليمات هذا الدين تحث عليها، وسار عليها المسلمون اقتداء بالمنهج المحمدي، الذي رسم طريقا مميزا في العناية بالناشئة، ورعايتهم عقليا، صحيا، روحيا، حتى تتربى نفوسهم على الأصالة والثقة بالنفس، فيكون من ثمار هذا الغرس ما تحصده أجيال الأمة من أعمال مثمرة، فكيف طبق المنهج:

١- لم تكن هذه الرعاية قاصرة على من يعيش في كنفه، أو تحت سقف بيته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بل إن ذلك أسلوب ينتهجه لأمته، ومبدأ يرسمه ليقفوا أثره، ويسيروا على منهجه، كما في تربيته المباركة لأسماء بن زيد و أنس بن مالك،

عندما كانوا أطفالاً.

٢- الاهتمام يبدأ في العقيدة الإسلامية، منذ أن يتكون الجنين في بطن أمه، حتى يصير مشد العود، بالغاً مبلغ الرجال، قادراً على التصرف في شؤون نفسه، ولقد جعل الرسول الكريم ﷺ هذا الاهتمام جزءاً من تعاليم الدين.

٣- يأمر بالصلاة على الأطفال إذا ماتوا.

٤- يحث على العناية بالحامل، من أجل صحتها وسلامتها، ومحافظة

على جنينها.

٥- حتى السقط الذي لم يكتمل نموه عندما يخرج من بطن أمه ميتاً

يأمر الدين بتغسيله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه.. كجزء من اهتمام الإسلام بالفرد، واحترام مكانته.

٦- يرسخ في أمته التوجيه السليم للأطفال، رعايتهم عقلياً وسلوكياً.

يقول الحديث الشريف: (ما من مولود يولد إلا على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه،).

٧- يعودهم على شعائر الدين وهم صغار حتى تتوطن نفوسهم عليها

فيصبح ذلك مألوفاً لديهم، قال رسول الله ﷺ: (مروا أبناءكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع).

٨- كان النبي ﷺ أبا عطوفاً، للأطفال المسلمين عموماً، يفرح بقدمهم

للحياة، فيشارك في اختيار الأسماء، وتغيير ما لا يتلاءم مع نفسية الطفل الحساسة، أو نظرة المجتمع المتفائلة والمتشائمة، يحنو عليهم، يؤذن ويقيم في آذانهم، يدعو لهم، يعطيهم الطعام في يده الكريمة، يعالج ما يطرأ لهم من أمراض، يمازحهم، يحث على رعايتهم والعطف عليهم.

٩- يظهر شدة عطفه على الأطفال في منعه التفريق في السبي بين

الوالدة وولدها، فيقول ﷺ: (من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة).

١٠- لعل من أهم عناصر الحياة عند المسلمين في الوقت الحاضر الناحية المادية، فالرسول ﷺ لم يهمل هذا الجانب بالنسبة للطفل أو الجنين الذي يتوفى والده أو أحد ممن تربطه بهم صلة الميراث الشرعي، فقد كفل الإسلام ضمان حقوقه، وأعطى له نصيبه كاملاً، وتجعل الوصاية عليه لمن يرعى حق الله في ماله، ينميه حتى يكبر، ويستطيع التصرف في ماله، وجعل ولي أمر المسلمين ولياً لمن لا ولي له. قال تعالى: (فإن أنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم)، النساء: ٦.

شبكة النبأ المعلوماتية - الأربعاء ٩/شباط/٢٠١١ - ٥/ربيع

الأول/١٤٣٢

(٣)

غواية المعاصرة وحماية الشباب من مخاطر الزلل

ملامح العصر الراهن وملامحه تشكل تحدياً صارخاً للشباب بالدرجة الأولى ولسائر الناس الآخرين، أما نوع التحدي فيتمثل بوسائل الغواية التي ينطوي عليها العصر، لاسيما أننا نعيش ثورة المعلومات والاتصال بطريقة لم يسبق لها مثيل، حيث تتاح أمام الشاب سبل الانحراف في العالم الافتراضي، الذي بات يحتوي على كل المتناقضات التي تحتوي على الشر والخير في آن واحد، لهذا أصبحت حالات التحصين وحماية الشباب من غواية العصر أمراً محتوماً.

هنا يتضاعف العمل من أجل حماية الشباب من الانحراف، وهذا الأمر

يتطلب جهوداً مشتركة ومتنوعة، لا تتوقف على المحيط العائلي أو المدرسي أو الاعلامي وسواه، إنها جهود ينبغي أن تكون حثيثة ومخلصة لدر مخاطر العصر المعلوماتي في جانبه السيء على الشباب.

في هذا الصدد، يقول سماحة المرجع الديني، آية الله العظمى، السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظلّه) في إحدى محاضراته القيمة: (أمّا وصيّتي إلى الشباب فأقول لهم: لا تدعوا أياً من الشباب ينحرف إلى طريق الفساد، إنّ خير من يسوق الشباب صوب الخير والهداية هو أمثالهم من الشباب) ويضيف سماحته قائلاً: (ما أكثر الحالات - عبر التاريخ - التي أنقذ أخ أخاه أو أخته من الفساد والضلالة).

على أننا يجب أن ننتهج سبل الإصلاح الصحيحة في هذا المجال، فهناك طرق يمكن اتاحتها للشباب لكي يستدلوا بها على مكامن وسبل المسارات المتوازنة، وهي سبل كثيرة ومتعددة، لكن ينبغي اختيار ما هو أنسب منها للشباب، بمعنى يلائم ذائقتهم واعمارهم ومستوياتهم العقلية والفكرية، لكي يذهبوا الى البدائل الخاطئة، لذا يركّز سماحة المرجع الشيرازي في هذا المضمّر، على أهمية الأناة والاستدلال قائلاً في محاضراته: (لابدّ من إنقاذ الشباب - بالأناة والاستدلال - من الطرق المنحرفة وإرشادهم إلى نور أهل البيت سلام الله عليهم. وفي هذا المضمّر يجدر بالشباب أن يطالعوا رسالة الإمام الصادق سلام الله عليه إلى شيعته -الواردة في كتاب تحف العقول وبحار الأنوار وغيرهما- بدقّة وتأمّل، وأن يعملوا بها، ويكثرّوها، يوزّعوها على الآخرين).

وكلنا نتفق على ان عمر الشباب يجعله أكثر حماسة من غيره، وربما يقوده ذلك الى حالة من التزمّت بالرأي أو التوجّه، لذا لابد من مراعاة هذه

النقطة بدقة، عندما نحاول توجيه الشاب نحو السبل التي لا تؤدي به الى المزالق، بمعنى ينبغي أن نتعامل مع ذهن الشاب ونوازعه النفسية وسواها، بطرق سهلة ومقبولة تجعله يندفع إلينا ويتشبث بنا، بدلا من أن يتهرب منا بسبب سوء الاسلوب والتعامل وما شابه، خاصة أن تجربة الشاب في الحياة لا تزال طرية بعد، لذا يقول سماحة المرجع الشيرازي بهذا الخصوص: (ليتعامل الآباء والأمهات أيضاً بحسن مع أبنائهم، وأن يكونوا أصدقاء معهم، لا أن يأمرهم وينهوهم فقط. ليسعوا في دعوتهم إلى مكارم الأخلاق عن طريق الكلام اللين والقصص والأساليب المناسبة الأخرى، ولا ينسوا أن هؤلاء الأبناء لم يذوقوا مرارة الحياة ولم يكتسبوا التجارب بعد، ولكنهم في الوقت نفسه يتمتعون بفطرة أنقى وأنهم يتقبلون الخير أسرع من غيرهم. فعن الإمام الصادق سلام الله عليه أنه قال: عليك بالأحداث فإنهم أسرع إلى كل خير).

إن قضية اصلاح الشباب ليست مهمة يسيرة، بل تتطلب جهودا مكثفة لا بد أن تتحلى بالاقناع والسلاسة والكياسة أيضا، فكلما كان اسلوب التوجيه مقنعا ورقيقا وواضحا، كلما كان تقبل الشاب له اكثر وأكثر، وفي جميع الحالات لا يجوز التخلي عن الشاب، حتى لو أظهر نوعا من عدم القناعة او التفهم، بمعنى ينبغي مواصلة محاولات الاصلاح مرارا وتكرارا، حتى نضمن تحصيل الشباب من الزلل، يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا المجال: (ربّ شابّ يتغيّر بجملة واحدة، ولكن ليس كل الشباب هكذا، فقد يحتاج شابّ آخر إلى مئة جلسة حتى يهتدي ويسير في طريق الصلاح، فهل طول الفترة والجهود اللازمة مسوّغ للتخلّي عنه، كلاً بالطبع. لا بدّ من بذل الوقت والجهد لكلا الشائين).

إن الجهود التي يبذلها الأبوان مثلا في تربية اولادهما بالطرق السليمة،

قد لا تكون سهلة، وقد تنطوي على متاعب جمّة، لكن في نهاية المطاف يكون القطف مثمرا لهما وناجحا ومجزيا أيضا، لأن قيمة الولد الصالح كبيرة جدا، ليس في الحياة الاولى فحسب، إنما في الدار الاخرى أيضا، وقد وردت كثير من الاحاديث الشريفة التي تؤكد على أهمية التربية الصالحة للابناء (الذكور والاناث)، يقول سماحة المرجع الشيرازي بهذا الخصوص في محاضراته نفسها: (إنّ الولد الصالح أغلى من أيّ شيء، وكما أنّ لكلّ عمل صعوباته الخاصّة، فكذلك تربية الأولاد ليست مهمّة يسيرة ولكنّها تستحقّ ما يبذل في سبيلها، لأنّ الولد الصالح ينفع والديه في الدنيا وفي البرزخ والقيامة).

ربما يهتدي بعض الشباب بسهولة ويسر، وربما يعاند آخرون، أو تتعرّش محاولات الاصلاح لهم، لكن على العموم، تبقى فطرة الشاب على درجة من النقاء تتيح للمصلح أن يعيدها الى طريق الرشيد، نعم ربما نواجه عوائق وصعوبات في هذا المضمار، وهو أمر يرتبط بطبيعة النفس البشرية وتركيبتها، وليس فقط بالشباب وطبائعهم، لذا يتطلب الحال جهودا قد تكون استثنائية احيانا، بمعنى لا بد أن نبذل ما يكفي من الجهود، لاصلاح الشاب في جميع الحالات ولا ينبغي أن نركن الى اليأس والكف عن محاولات التوجيه والاصلاح، لأن الامر ينطوي على أمانة لا يجوز تجاوزها، او عدم الالتزام بها، لذا يقول سماحة المرجع الشيرازي: (إنّ للشباب فطرة نقية، ولكن لا بدّ من السعي والبناء حتى نهديهم إلى الطريق الصحيح).

وأخيرا إن العمل على تصحيح مسارات الشباب وهدايتهم الى الصواب، لا يمر من دون جزاء، مع أن الغاية الاولى من الاصلاح لا تكمن في طلب الجزاء، بل الهدف هو تحقيق حياة ناجحة للفرد والعائلة والمجتمع

عموماً، ومع ذلك يعدّ الاصلاح مصداقاً من اهم مصاديق الوفاء للرسول الأكرم ﷺ، كما نقرأ ذلك في قول سماحة المرجع الشيرازي: (لاشك أن السعي لنشر ثقافة وتعاليم أهل البيت سلام الله عليهم والأخلاق النبوية وإنقاذ الشباب من المزالق والمهاوي والأخذ بأيديهم نحو الخير والهداية والصلاح يُعدّ من أهم مصاديق الوفاء لرسول الله والعرفان بجميله وتوقيره والاعتراف بحرمة ﷺ).

شبكة النبأ المعلوماتية - الخميس ٨/آذار/٢٠١٢ - ١٤/ربيع

الثاني/١٤٣٣

(٤)

تربية الاجيال الصاعدة على الحوار ونبذ الفتنة

يسعى العلماء والمراجع العظام الى رسم الخطوات الصحيحة للمجتمع، لكي يسير في هديها، وصولاً الى مرفأ الامان والتعايش والاستقرار، فيطرحون أفكارهم في معظم كتاباتهم ومؤلفاتهم، وأقوالهم التي ترد في الخطب والمحاضرات والكلمات والبيانات، التي تُعلن في المناسبات الدينية او الوطنية او الاحداث الطارئة وما شابه، وهي موجهة الى الجميع، ساسة مسؤولين وعامة الناس، بمعنى أن العلماء لا يتركون فرصة مناسبة، إلا واستثمروها من اجل التصحيح، لكن تبقى معضلة التنفيذ قائمة لأنها تتعلق بقيادة المجتمع وبالمجتمع نفسه.

دور العلماء والمراجع العظام

مثل هذا المنهج السديد نجده في الخطابات والمحاضرات والمؤلفات، التي تصدر عن سماحة المرجع الديني آية الله العظمى، السيد صادق الحسيني

الشيرازي (دام ظلّه)، فسماحته لا يترك فرصة سانحة إلا ويبادر فيها، لطرح أفكاره وتصوراته عن سبل معالجة هذا الامر أو ذاك، فيما يتعلق بوضع المجتمع العراقي والامة الاسلامية عموماً، إذ أن سماحته غالباً ما يستقري الأوضاع الراهنة، استناداً الى الاسانيد المأخوذة من التجارب السابقة والراهنة للمسلمين ولغيرهم من الامم والمجتمعات، ثم يبني تصورات وأفكاره ليطرحها أمام الناس، علّهم يأخذون بها من أجل التصحيح نحو جادة الصواب.

وهذا ما نلاحظه بخصوص التأكيدات التي ترد في طروحات وأفكار المرجع الشيرازي، فقد أكد سماحته في توجيهاته للعراقيين خصوصاً، وعمامة المسلمين على خطوات مهمة، ينبغي أن تُتخذ كمسار واضح للجميع للعمل بها، كما نقرأ ذلك في قول سماحته: (إن العدو اللدود يتربص بالشعب العراقي المظلوم، ويحاول بشتى الوسائل أن يشعل فتنة طائفية بينهم، ومثل هذه الفتن لا تنتهي إلا بفشل الجميع، كما أنها تعبد الطريق لهيمنة الضلال والانحراف، والظلم والفساد، كما ألمع إلى ذلك القرآن الحكيم حيث يقول: ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم.. وقد أثبت التاريخ أن مثل هذه الفتن باءت بالإخفاق لكل الأطراف، وسببت هدر الطاقات، وضياع الفرص الذهبية، واصطياد العدو المشترك في الماء العكر. فاللازم على الجميع – في هذه المرحلة الحساسة والعصيبة – التزام الصبر والحلم.. كما إنه ينبغي تطويق الحكماء للفتن التي يراد إشعالها، والقضاء عليها في مهدها).

تغليب لغة الحوار

إن الشعوب عموماً لا يمكن لها أن تستقر وتتطور في ظل الفتن، والتجاذبات التي تحدث بين مكونات المجتمع، لذا يعد الوئام وسلامة

السرائر وتغليب لغة الحوار على سواها، من أهم الخطوات التي ينبغي للعراقيين أن يعتمدوها في تسيير شؤونهم وبحث علاقاتهم المتعددة، وهذا يتطلب وحدة الكلمة بالدرجة الأولى، أي أن تتوحد الافكار والتطلعات استنادا الى معالجة مكامن الفتن والاثارة، من خلال انتهاج مبدأ الحوار، وتعميق العلاقات الاخوية بين أبناء وجماعات الشعب الواحد، وهو أمر هام للعراقيين، لابد لهم من استخدامه بصورة صحيحة، لمعالجة الاخطاء ومواجهة اولئك المتصيدين في الماء العكر دائما، حيث يبثون الفرقة بين ابناء الشعب، ثم يحاولون جني الارباح من المشاكل التي تثار هنا وهناك بدفع منهم.

لذا أشار سماحة المرجع الشيرازي، الى ان مواجهة الفتنة الطائفية في العراق تبدأ من: (جمع كلمة المؤمنين واعتبارها واجب على الجميع، وذلك بنبد الخلافات القبلية، والإقليمية، والفئوية وغيرها، وحرص الصفوف، وجمع شمل الشعب العراقي الواعي والنبه، وعدم فسح المجال للرؤى المختلفة لكي تتسلل وتوجد الانشقاق والفرقة، وتمزق وحدة الصف والكلمة، فإنها هي الأخرى تعوق سير المؤمنين قدما إلى تحقيق الأهداف الإسلامية السامية، قال تعالى: إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم).

أهمية البناء السليم للمرأة

وإذا كانت الأفكار والطروحات توجه إلى عموم الناس، مسؤولين أو غيرهم، من أجل الحفاظ على وحدة الكلمة، فإن ثمة دورا مهما للمرأة في تطوير المجتمع، وكثيرا ما يؤكد عليه سماحة المرجع الشيرازي، إذ أن المرأة لها دورها التربوي الأسري المعروف في المجتمع، وطالما أننا نتفق على دور المرأة، فإن قيامها بواجباتها على الوجه الامثل، يتطلب بناء متينا لشخصيتها، لكي تنقل هذه المتانة بدورها الى الجيل الذي تقوم بتربيته وتنشئته، فالمرأة

ضعيفة الشخصية تصنع طفلاً ضعيف الشخصية أيضاً، والعكس يصح، لكن كيف يمكن للمجتمع ان يدعم المرأة لكي يحقق اهدافه في القضاء على الجهل والفتن وسواها؟ إن الطريق الى ذلك هو الاسلام الذي وضع الضوابط الصحيحة لبناء المرأة الناجحة، لهذا يقول سماحة المرجع الشيرازي بهذا الصدد: (إن الإسلام أكرم المرأة، وأعز قدرها، وأعلى شأنها، وسمح لها بمزاولة كل الأدوار المناسبة لها، واللائقة بكرامتها، والملائمة لتركبتها - كأنثى - واستثنى من ذلك أمرين: أحدهما: ما لا يناسبها تكويناً، إذ هي ريحانة. ثانيهما: اتخاذها سلعة رخيصة، تتجاذبها أسواق الميوعة وأندية الفساد).

الشباب رجال الغد المتحضر

إن بناء المجتمع بصورة صحيحة، يتطلب الاهتمام بجميع الشرائح التي يتكون منها، لأن القضاء على مصادر البلبلة والاثارة والصراعات الجانبية، تتطلب وعياً متطوراً لشرائح المجتمع، ومنها بل في المقدمة منها شريحة الشباب، فهم رجال الغد كما يصفهم سماحة المرجع الشيرازي، وكلنا نتفق على أن العراق في الوقت الراهن بأمس الحاجة للشباب الواعي، القادر على استيعاب صعوبة المرحلة، من خلال بناء العقل الشبابي، بالصورة السليمة التي تجعله قادراً على درء مخاطر الفتنة والتشتت والشرذمة، وهذا ما ينبغي أن تقوم به الجهات الرسمية والاهلية المعنية ببناء الشباب، يقول سماحة المرجع الشيرازي بهذا الخصوص: (لابد من الاهتمام بالشباب باعتبارهم رجال الغد، وبنائة المستقبل، عبر إرشادهم إلى الفضيلة والصواب، فإنه ينشأ فيهم القادة الأبرار، والزعماء الأخيار، والرؤساء الصالحون، والأمناء المصلحون، وهذا الأمر بحاجة إلى همّة كبيرة وشاملة من قبل كافة شرائح الأمة، لتعطي أحسن النتائج، وأطيب الثمار. لينشئوا جيلاً صالحاً، يبنون حضارة المستقبل على

أسس الفضيلة والتقوى، والرفاه والخير، والعدل والقسط).
 وكان سماحة المرجع الشيرازي قد دعا الشعب العراقي الى جمع
 الكلمة والوحدة والتماسك والالتزام بالصبر في مواجهة الفتن التي يحاول
 البعض ان يثيرها.

شبكة النبا المعلوماتية - الخميس ٨/كانون الأول/٢٠١١ - ١٢/محرم

الحرام/١٤٣٣

(٥)

أهمية الاسلوب التربوي في تدارك الانحراف قبل استفحاله

يسعى المصلحون والحكماء في الغالب الى وضع خطط فكرية عملية
 ناجحة لنشر حسن السلوك والتفكير بين عامة الناس ونشر الفضيلة بين
 شرائح وطبقات المجتمع وكبح جماح الرذيلة بكل انواعها من اجل الوصول
 الى مجتمع سليم متوازن ينظر الى الحياة بمنظار الخير ونبذ الشر بكل أشكاله.
 ولعل الفلاسفة والعلماء الذين أفنوا حياتهم من اجل صنع مجتمعات
 راقية، وضعوا اللبنة الاساسية لتحقيق ذلك في مؤلفاتهم ومدنهم الفاضلة،
 ناهيك عن سلوكهم الذي غالبا ما كان يترفع عن الصغائر ويسمو بالانسان الى
 المثل العليا التي ينبغي أن يتحلى بها الانسان بغض النظر عن انتمائه او عمره
 او الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها، ولذلك غالبا ما كان الاسلوب التربوي
 المرهف طريقا لهم واداة يرومون من خلالها تقويم الاخرين ووضع خطواتهم
 على الجادة السليمة.

وقد ورد في هذا الصدد بكتاب سماحة المرجع الديني السيد صادق
 الحسيني الشيرازي الموسوم بـ (العلم النافع) وهو كتاب له قيمته

التربوية المثلى:

(إذا كان في الناس - عموماً فضلاً عن المؤمنين - انحراف، فهو في الغالب انحراف سطحيّ في بداية أمره، لا يلبث أن يزول تدريجياً فيما إذا كان أسلوب مناصحتهم حسناً، ولكنه يتعمّق بواسطة الأساليب الخشنة؛ فإنّ السلوك الحسن غالباً ما يؤثر تأثيراً إيجابياً في الإنسان المنحرف ويقوم انحرافه. ومن النادر أن لا يؤثر هذا الأسلوب في التعامل مع الأفراد، خصوصاً إذا كانوا مؤمنين؛ ولذا عندما نبحث في بعض الجوانب المهمّة من تاريخ علمائنا الماضين رضوان الله عليهم، نرى أنّ هذا الأسلوب من الأخلاق في تصرفاتهم هو الذي فسح لهم الطريق لأن يبدعوا في مجال أعمالٍ ضخمة قد خلّدها التاريخ.

أمّا الذين لم يتوانوا عن إظهار ما في قلوبهم من مشاعر سلبية نحو هذا وذاك، فإنهم لم يستطيعوا إنجاز ما حقّقه أولئك الذين سما بهم سلوكهم الأخلاقي الرفيع في الوصول إلى ما وصلوا إليه).

بهذا المعنى فإن اللين في التوجيه والنصح والتعامل مع المنحرفين، أو مع أولئك الذي شرعوا بالسير في المسالك المنحرفة سيكون أكثر جدوى من غيره، وبهذا فإن قوة تأثير الأسلوب التربوي في التوجيه والتوعية ستكون مضاعفة وستؤدي إلى نتائج أفضل من غيرها، فالعنف والقوة والقسوة المفرطة ليس من شأنها النجاح في غرس السبل الصحيحة في النفوس المتذبذبة بين الإيمان وخلافه أو تلك التي تضع قدماً في أرض الرذيلة والآخرى في أرض الفضيلة، ولقد أثبتت التجارب على نجاح الأساليب التربوية ذات الطابع السمج المهدب أو الانساني على وجهه ويقول سماحة المرجع الشيرازي في كتابه نفسه حول هذا الموضوع:

(الناس عموماً يُستمالون باللين، وتؤلفهم الرأفة، وتنفرهم الحدة. فإذا استطاع الإنسان كسب ودّ الناس وألفتهم وعدم تنفيرهم عن نفسه، أصبح أكثر توفيقاً في أموره وأعماله.

نحن نحبّ الحلم، ونحبّ الدفع بالتي هي أحسن وغيرهما من الأمور الحسنة، فهكذا الآخرين. مثلاً: لو صدرت منا زلّة، فماذا نُحبّ أن نُكافأ به، هل سوى الحلم والصفح؟ كذلك لو صدرت من غيرنا تلك الزلّة، فإنه يحبّ الشيء نفسه، ويُحبّ أن نحلم ونصفح عنه.

فينبغي لنا دائماً أن نُحبّ لغيرنا ما نُحبّه لأنفسنا، ونظهر لغيرنا من أنفسنا ما نرجوه لنا من غيرنا، فالإنسان عند هذه الأمور التي تحدث، ينبغي له أن يضع نفسه مكان غيره، وغيره مكان نفسه).

ولعل الأمر المطلوب في هذا المجال سيتضاعف مع سمو الموقع الاجتماعي او المنزلة الدينية للإنسان، فكلما تصاعدت مسؤولية الإنسان الدينية والاخلاقية والتوجيهية ازاء الناس كلما تضاعفت مسؤولياته في مجال تربية الآخرين وتحصينهم ضد الانحراف لاسيما أولئك الذين لا يتمتعون بایمان مستقر له القدرة على حمايتهم من الزلل، وفي هذا الصدد جاء في كتاب سماحة المرجع الشيرازي (العلم النافع):

إن (السبب المهمّ الذي مكّن المجدّد الشيرازي رضوان الله عليه من محاربة الغزاة المحتلّين في زمانه وتعبئة كلّ الطاقات الشعبية ضدّهم، هو تجنّبّه عن الصغائر في الأمور وابتعاده عنها، لعلمه مسبقاً أنّ الإنسان إذا اشتغل - وهو بهذا المقام الرفيع - بنواقص فلان وفلان لا يسعه المجال لكي ينصرف لمكافحة الاستعمار).

وهكذا تكون طبيعة الاسلوب التربوي على قدر كبير من الاهمية كونها

تشكل مصدر التأثير سواء في الاتجاه الصحيح أو الخاطئ، فكلما كان المربي عارفا بمسؤولياته الكبيرة كلما كان اكثر قدرة على التأثير بمريديه وسامعيه من خلال رهافة الحس وقوة الاسلوب وامتلاك الحجة، ولعل العمر البشري لايسع أن يفرط الانسان المسؤول به وبأيامه وسنينه لانه مطالب بالتوجيه والتصحيح وفق الاسلوب الامثل، وفي هذا يقول سماحة المرجع الشيرازي:
(ليس للإنسان عُمران في هذه الحياة، فلو صرف عمره في الأمور التي هي أقل أهمية، فإنه سيُصرف بذلك عن الأمور المهمّة، وبمقدار ما نتأخّر في الأمور المهمّة يتقدم أعداؤنا فيها).

وهكذا ينبغي على الواعظين والمسؤولين على الرعية أن يستغلوا علمهم واعمارهم بالتوجيه التربوي الصحيح الذي يستميل النفوس ويضعها على جادة الصواب دائماً.

شبكة النبا المعلوماتية - السبت ٨/آب/٢٠٠٩ - ١٦/شعبان/١٤٣٠

الفصل الثالث: المرأة.. الدور والوظيفة

(١)

تحرير المرأة بين جمال الشكل وخواء المحتوى

كانت سلطة الرجل على المرأة ولا تزال مشار جدد متواصل بين المعنيين بهذا الامر وغيرهم ايضا، فالمرأة تعاني من التسلط الذكوري، لاسيما اذا غابت الضوابط التي تنظم العلاقة بين الطرفين، ومع ان المرأة تؤلف غالبية المجتمع البشري، لكن الرجل والمجتمع البشري، يميل على حقوق المرأة بسبب عدم الاحتكام الى التعاليم والمعايير التي تحكم هذه العلاقة.

يقول سماحة المرجع الشيرازي في احدي محاضراته القيمة التي تبحث في (حقوق المرأة في الاسلام) حول نسبة النساء الى الرجال: (يتألف المجتمع الإنساني من شقين، الذكور والإناث. وهذه الظاهرة سارية في الحياة الحيوانية والنباتية والجمادية أيضاً. فهكذا خلق الله الكون نصفه ذكور ونصفه إناث، * ومن كل شيء خلقنا زوجين* - الذاريات: ٤٩- . ولكن النصف من الذكور أقل عدداً من الإناث، فالأنثى تمثل النصف الأكبر عدداً في المجتمع. فما هو حكم الإسلام ونظرتة لها؟).

البون الكبير بين الشعار ومحتواه

ليس كل ما تسمعه من كلام جميل قابل للتطبيق عمليا، ولكن متى ما انطبق القول على فعل القائل وعمله عند ذاك يكون الكلام جميلا شكلا وجوهرا، ولذلك لا يعتد بالشعارات اذا لم تطبق عمليا على الارض، يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا الخصوص: (هناك في العالم حقائق وواقعات، وهناك ظواهر وشكليات. قد ترى شخصا يكلمك عن موضوع ما كلاماً جميلاً جداً ولكن هذا الكلام لا عمق له في قلبه لأنه لا يلتزم به. فمثلاً يدعو الناس إلى ترك شرب الخمر بينما هو رجل سكير، أو يدعو إلى الإسلام وهو أول المخالفين له. وربما ترى الرجل جالسا أمامك بوجه منطلق بشوش ولكن لو شق لك عن قلبه لرأيتة مليئا بالهموم والمشاكل. وهذا يعني وجود ظواهر وشكليات إلى جانب الحقائق والواقعات المخالفة والمناقضة). لذلك فإن تأثير العمل الواقعي والحقيقي يكون أكثرا وقعا وتأثيرا في نفس المتلقي، وكلما انطبق القول مع العمل صار أكثر جذبا للآخرين، لذا يؤكد سماحة المرجع الشيرازي قائلاً في هذا الصدد: (إنّ مثقالاً من الواقع والحقيقة يؤثر أكثر من قنطار من الظواهر الخاوية. فلو أنّ بين يديك الآن آلاف بل ملايين من البشر لكنهم موتى بلا أرواح، لما كلمك واحد منهم حتى حرفاً واحداً، ولكن لو تجلب طفلاً صغيراً عمره شهراً واحداً فقط لملاً لك البيت ضجيجاً. وما ذلك إلا لأن الطفل واقع وحقيقة، أما الموتى فلا أثر لهم وإن حدثتهم لم تسمع لهم جواباً، لأنه لا واقع للحياة فيهم. وهذه الدنيا صبغتها الظواهر. وعندما نأتي إلى قضية المرأة نلاحظ أنّ الشعارات التي تُرفع باسمها ليست سوى ظواهر وضجيج فارغ).

تحرير المرأة المعاصرة

للأسف عصرنا الراهن يتبجح بتحرير المرأة لاسيما في الغرب وفي الشرق ايضا، ولكن عدم تطبيق الشعارات والاقوال الجميلة بحق المرأة يجعل من هذه الشعارات ليست فارغة المحتوى وتافهة وحسب، وإنما تشكل ضررا عكسيا على كرامة المرأة، لذلك يؤشر سماحة المرجع الشيرازي هذا الخلل الواضح قائلا: (إن تحرير المرأة مثلاً كلمة جميلة ولكن عندما تنبش قلب هذه الكلمة لكي تعرف حقيقتها والواقع الذي تعيشه المرأة المعاصرة في ظلها تكتشف أن فيها تقييد المرأة وإذلالها وليس حريتها كما يزعمون). ويضيف سماحته قائلا في هذا المجال: (أما قول الله تعالى: * ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف* فكلمة جميلة الظاهر عميقة المحتوى؛ فلو بحثت التاريخ كله لما وجدت كلمة في جمال هذه الآية تجمع بين الواقع العميق وبين المظهر الجميل. إنها عبارة جميلة وذات مضمون رائع حقاً. إنها تتألف من أربع كلمات فقط ولكن لو أعطيت لأي عاقل ملتفت لقال إنها أحسن ما قيل في حق المرأة. ولو أردنا أن نوجز بتفكير وعمق كل ما للمرأة من حقوق وما عليها من واجبات لما وجدنا أجمل ولا أجمع من هذه الكلمة. فلو عرضت هذه الكلمة على عقلاء العالم وحكمائه سيقول لك كل منهم إنها تعبر عن تقسيم عادل).

الرجل والمرأة يكمل أحدهما الآخر

لذلك نحن جميعا نتفق على أهمية التكامل بين الرجل والمرأة في ادارة شؤون المجتمع، كونها تضطلع بدور أساس في ادامة زخم الحياة على مستويات عدة كالجانب التربوي والأسري وسواهما، لهذا فالعلاقة بين الرجل والمرأة ينبغي أن تتسم بالتكامل والتكافؤ ايضا، كما نلاحظ ذلك في قول

سماحة المرجع الشيرازي بمحاضرتة هذه: (إنّ مثل الرجل والمرأة في الحياة مثل العظم والغضروف في بدن الإنسان، وثم مثل آخر نضربه لتوضيح الموضوع - والأمثال كلّها من الطبيعة وكم لها من نظير - وهو أنّ الحياة مزيج من العقل والعاطفة، فإنّ الحياة لا تبني بالعقل وحده ولا بالعاطفة وحدها. فلو أنّ الحياة سُلِب منها العقل عادت فوضى لا نظام فيها، ولا وجدت مجلساً منعقدّاً بعض يتكلّم وبعض يستمع، فإنّ العقل هو الذي يحدد العاطفة ويؤطرّها). ويؤكد سماحته ايضاً بهذا الخصوص: (مثل المرأة والرجل في الحياة كمثّل العاطفة والعقل، ولكن ذلك لا يعني أنّ المرأة عاطفة بلا عقل، وأنّ الرجل عقل بلا عاطفة، بل بمعنى أنّ المرأة كيان عاطفي تترجّح فيه كفة تأثير العاطفة خلافاً للرجل - في الغالب - فهو كيان يتغلب فيه العقل على العاطفة).

أثر الفوارق البايولوجية

ومع الدعوة للتأزر والتعاون بين الطرفين هناك قضية مراعاة القدرات الجسمية وتناسبها مع طبيعة الاعمال المناطة بكل طرف حسب قدراته، إذ يقول سماحة المرجع الشيرازي: (من الطبيعي أن تختلف واجبات المرأة عن واجبات الرجل بسبب الاختلاف الموجود في طبيعتهما كما تختلف واجبات الغضروف عن العظم، والعاطفة عن العقل. فاستقامة البدن بالعظم وحركته بالغضروف ولو أردت أن تساوي بينهما فمعناه أنّك شللت البدن. وجاء في الحديث: لو أن الناس تساواوا لهلكوا).

ولكن هناك زيف واضح في التعامل مع المرأة وهناك غياب للمقاييس الصحيحة التي تضبط طرق التعاطي مع المرأة وحقوقها لاسيما في الغرب، لذا جاءت النتائج وخيمة، كما نقرأ ذلك في قول سماحة المرجع الشيرازي:

(انظر إلى إحصائيات الطلاق في أي بلد من البلاد الغربية المتمدنة منذ سنة ١٩٠٠م وإلى الآن (عام ١٩٧٩م) ترى معدلاتها في تصاعد مستمر. فالعلم يتقدم بالبشر إلى الفضاء ولكن مشاكله تتقدم به إلى الطلاق وانهدام الأسرة وتفكك العائلة وتفاقم المشاكل الزوجية، لماذا؟ لأن كلاً تخلّى عن بعض واجباته وقام بواجبات الآخر، مع أنه ليس كفوئاً لها، والحياة حياة الأكفأ، كما هو الحال في الحياة المادية).

وقد وضع الاسلام تعاليم واضحة لحفظ حقوق المرأة وكرامتها، وردت في القرآن الكريم وسيرة الرسول وآله عليهم الصلاة والسلام، فإن تم الأخذ بها نستطيع أن نصل الى مجتمع متوازن يرعى حقوق الجميع، وأولهم المرأة، لذلك يقول سماحة المرجع الشيرازي: (لم يتجاهل الإسلام كرامة المرأة واختيارها حتى في هذا المجال، فقد ترك لها الإرادة كاملة قبل الزواج، والحرية في أن لا تتزوج إلا بشرط أن تكون وكيلة عن الزوج في الطلاق، فيصبح لها هذا الحق كما للزوج، ولكنه مع ذلك يشجع في خطه العام على الزواج، ويقول للمرأة: أنا أضع أمامك طريق الحياة السعيدة حتى مع كون الطلاق بيد الرجل، ولكن في الوقت نفسه، ولكي لا تشعري بالإجبار والإكراه، لا أجبرك على شيء، وبإمكانك أن تضعي هذا الشرط قبل الزواج. وهذه المسألة طرحت في عهد الإمام الصادق سلام الله عليه).

شبكة النبأ المعلوماتية - الخميس ٢٢/آذار/٢٠١٢ - ٢٨/ربيع

الثاني/١٤٣٣

(٢)

دور المرأة في البناء الأسري الرصين

يتكون المجتمع في بلد معين من مجموع العوائل التي تنتمي إليه، ولم يكن النظام العائلي وليد العصر الراهن، ولا حتى التأريخ المنظور، بل تم تدشين النظام الاسري منذ القدم، وفقا لفطرة الانسان وميوله للاجتماع ببني جنسه، حيث تكونت التجمعات والقصبات ثم القرى الصغيرة وصولا الى المدن، وتمثل الأسرة النظام الاجتماعي لكل هذه الانواع من التجمعات البشرية.

هذا يشير بقوة الى الدور الكبير للمرأة في المجتمع، إنطلاقا من حضورها الحيوي داخل الاسرة، وتصدرها للمركز القيادي للاسرة بالتقاسم مع الرجل، حيث تتوزع المسؤوليات وفقا للقدرات الموجودة لدى كل منهما، فأصبحت مسؤولية الرجل الضرب في الارض، والبحث عن الرزق، ومصدر العيش العائلي، فيما نشط دور المرأة داخل البيت، في المجال التربوي كونها الأم الراعية للاسرة، من هنا انطلق الشاعر في قوله ذائع الصيت:
(الأم مدرسة إذا أعددتها... أعددت شعبا طيب الاعراق).

وطالما أن المرأة تتصدى لدور قيادي مهم في اطار العائلة، فإن هذه المسؤولية تتطلب شخصية قوية وناجحة لبناء الأسرة الناجحة، والشخصية القوية لا بد أن تعرف نفسها وقدراتها ومواهبها، لكي تتمكن من معرفة الدور الذي ستنجح فيه وفقا لطاقتها وإمكانياتها.

يقول سماحة المرجع الديني، آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظلّه) في كتابه القيم الموسوم بـ (المرأة والعائلة)

بهذا الخصوص:

(هناك مطلبان: الأول أن تعرف المرأة نفسها، والثاني أن تعرف وظيفتها. أما بالنسبة للمطلب الأول، فإذا ما عرف الإنسان نفسه، فإنه سيؤدي وظيفته على نحو أحسن، أما إذا لم يعرفها جيداً، فإنه لا يستطيع أن يؤدي وظيفته)

ويضيف سماحة المرجع الشيرازي مخاطباً المرأة حول المطلب الثاني: (وظيفتك أيتها المرأة ثقيلة جداً، وواجبك أن تعرفي دين الله سبحانه، وأن تبُلّغي ذلك للآخرين، ليس فقط بالنقل، وإنما بالبيان والإفصاح أيضاً، وردّ الشبهات عبر عقد الجلسات، وإدارتها على نحو جيد).

ولا يتوقف دور المرأة عند هذا الحد، أي أنه لا ينحصر في المحيط العائلي الضيق، بل يتعداه إلى المجتمع عموماً، بمعنى إن المرأة مسؤولة أيضاً تجاه المجتمع الذي تعيش فيه، يقول سماحة المرجع الشيرازي بهذا الصدد في كتابه نفسه:

(هناك الكثير من الشابات والشباب الذين هم بحاجة إلى من يساعدهم ويأخذ بأيديهم ليقوموا ببناء الأسرة الصالحة. فقد أمر أئمة أهل البيت عليهم الصلاة والسلام بأن يتحمّل المؤمنون مسؤولياتهم الاجتماعية).

وفيما يتعلق بالطرق التربوية الصحيحة، فإن المرأة باعتبارها المعلم التربوي الأول لاطفالها بحكم تواجدها الدائم في البيت وطبيعة عملها، لا بد أن تفهم الاساليب التربوية السليمة وتطبقها بنجاح أثناء تربيتها لأطفالها، ولا ينحصر ذلك بالأسرة فقط، بل يتعداها إلى عموم أطفال المجتمع، يقول سماحة المرجع الشيرازي بكتابه نفسه:

(بالنسبة إلى التربية، فليست كلّ التربية من الأب والأم، لأولادهما هو

إصدار الأمر والنهي فهم بحاجة إلى التربية العملية الصالحة، فالطفل لا ينصاع لأمر والديه بالصدق في الحديث - ولو تكرر ذلك منهما مئة مرة - إذا رأى منهما الكذب).

ويضيف سماحته قائلاً:

(ثم إن وظيفة حدود التربية لا تقتصر على أن يربي الوالدان ولدهما، فهما مسؤولان عن تربية أطفال المجتمع ما تيسر، ففي الحديث: كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته).

ولدينا من النساء كما يذكر التأريخ من كان لهن الدور الاجتماعي الاصلاحى الكبير، ليس في حدود المحيط الاسرى مع أهميته، ولكن هناك نساء يتمتعن بقدرات كبيرة وطاقات اصلاحية كامنة، فيما لو توفرت الارادة والاصرار على توظيفها، فإنها يمكن أن تساعد المجتمع على التقدم الى أمام خطوات ملموسة، إذ يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا المجال بكتابه نفسه:

(أما بالنسبة إلى قيام النساء بقضاء حوائج الناس وتقديم الخدمة لهم، فمن جملة ذلك تأسيس المدارس المنزلية لإيجاد الفرص لتعليم الأخريات أو جمع المساعدات الخيرية لهم عبر إشراك المتمكنين في مشروع كهذا. كما أن بمستطاع النساء المؤمنات أن يعملن على تأسيس المؤسسات الخيرية الخاصة بالزواج).

وهناك نسوة نذرن أنفسهن لمساعدة الآخرين وبث السعادة في نفوسهم، وتطوير قدراتهم لاسيما الشباب والشابات وهن في مستقبل العمر، لأن نجاح الاسرة والمجتمع يتطلب كثيرا من الصبر والجهد والتعاون، ونكران الذات والتضحية من اجل الآخرين، ولعل طبيعة المرأة تجعلها أكثر اندفاعا

لمساعدة الآخرين والتضحية من أجلهم، نظراً لامتلاكها العاطفة الانسانية المتوقدة على الدوام، ولن يخسر الانسان إذا زرع السعادة في قلوب الآخرين ووضع خطواتهم على الجادة الصواب، إذ يؤكد سماحة المرجع الشيرازي في الصدد قائلاً:

(من الأمور التي يجدر الالتفات إليها والتفكير فيها منذ بداية سن الشباب، معرفة الشيء الذي يكون مصدراً للسعادة، فنصمّم على تحصيله لنكون من السعداء إن شاء الله تعالى. فالسعادة ليست بالمال، فما أكثر الذين عندهم أموال طائلة ولكنهم لا ينعمون بالسعادة بل لا ينامون نومة راحة. كما ليست السعادة بالعلم؛ فليس كل من بلغ درجة عالية من العلم كان سعيداً فربّ شخص انتحر وكان عالماً. وليست السعادة بالجاه والشهرة عند الناس، ولا النسب الشريف أو الحسب الرفيع).

إنما تكمن السعادة في مساعد الآخرين، ومن بينهم الشباب والشابات كي تمكنوا من بناء الاسرة الناجحة، والمرأة الناجحة ذات الشخصية القوية المتعلمة، قادرة على تحقيق هذا الهدف الاجتماعي الاخلاقي الكبير.

شبكة النبأ المعلوماتية - الخميس ١٢/آيار/٢٠١١ - ٨/جمادى

الآخرة/١٤٣٢

(٣)

خطورة التعامل الذكوري المزدوج مع حرية المرأة

الاشياء والملامح الظاهرة قد لا تعبّر عن الجوهر في بعض الحالات، بمعنى قد يتعارض الشكل مع الجوهر، فحين يبدو الشكل جميلاً، هذا لا يعني أن الجوهر جميل بالضرورة، فربما يحدث تناقض بين الاثنين، وربما

يحدث تشابه أيضا، ولعل الأديان والفلسفة والأفكار البناة، جاءت وعملت بقوة واستمرار، لكي تقلص الهوة الواسعة بين شكل ونوايا الإنسان وجوهره، وبين قول الإنسان وفعله، وعلى العموم فإن الإنسان السليم في سريرته ومظهره، هو ذلك الذي تقل التقاطعات والتناقضات بين شكله وجوهره، وبين قوله وفعله، فلا تحدث الازدواجية بين أفعاله وجوهره من جهة، وبين أقواله وشكله من جهة أخرى.

بين الحقائق والشكليات

قد يقول الرجل كلاما جميلا بشأن المرأة، والتعامل معها وحفظ كرامتها وحقوقها، لكن حين تأتي مرحلة تحويل القول الى فعل، سوف لا نلمس شيئا واضحا وحقيقيا، وهنا تبقى الكلمات من دون غطاء فعلي لها، يؤكد سلامتها وصحتها وسلامة من يقولها أو ينطق بها، وهذا يؤكد عدم التطابق بين القول والفعل، ويؤكد ازدواجية التعامل مع الآخر أيضا.

يقول سماحة المرجع الديني، آية الله العظمى، السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله)، بهذا الشأن في إحدى محاضراته القيمة: (هناك في العالم حقائق وواقعيات، وهناك ظواهر وشكليات. قد ترى شخصا يكلمك عن موضوع ما كلاما جميلا جدا ولكن هذا الكلام لا عمق له في قلبه لأنه لا يلتزم به. فمثلا يدعو الناس إلى ترك شرب الخمر بينما هو رجل سكير، أو يدعو إلى الإسلام وهو أول المخالفين له). ويضيف سماحته قائلا أيضا: (وربما ترى الرجل جالسا أمامك بوجه منطلق بشوش ولكن لو شق لك عن قلبه لرأيتة مليئا بالهموم والمشاكل. وهذا يعني وجود ظواهر وشكليات إلى جانب الحقائق والواقعيات المخالفة والمناقضة).

ويتشابه الزيف في معناه وتأثيره مع العدم أو الموت، فالشيء المزيف

وغير الصحيح لن يطول تأثيره ولن يحقق مبتغاه، إذ أن حبل الكذب قصير، وسرعان ما يتم اكتشاف ازدواجية الانسان المتناقض في قوله وفعله، لذا فإن تأثير الحقائق واضح وجلي، بل تأثيره عميق جدا، على العكس من الاشكال الفارغة، أو الأكاذيب التي قد تنظلي على الناس في بداياتها، لكن الامر لن يطول بها حتى تنكشف، فتبدو وكأنها خالية من التأثير تماما، كما نقرأ ذلك في قول سماحة المرجع الشيرازي إذ يقول بهذا الخصوص: (إن مثقالاً من الواقع والحقيقة يؤثر أكثر من قنطار من الظواهر الخاوية. فلو أن بين يديك الآن آلاف بل ملايين من البشر لكنهم موتى بلا أرواح، لما كلمك واحد منهم حتى حرفاً واحداً، ولكن لو تجلب طفلاً صغيراً عمره شهر واحد فقط لمألاً لك البيت ضجيجاً. وما ذلك إلا لأن الطفل واقع وحقيقة، أما الموتى فلا أثر لهم وإن حدثتهم لم تسمع لهم جواباً، لأنه لا واقع للحياة فيهم).

المرأة والشعارات الفارغة

إن الاسلام بتعاليمه الجليلة السمحاء، وضع للمرأة حقوقها التي تليق بكرامتها، كمرية وانسانية تتقاسم الحياة مع الرجل، بكل ما تنطوي عليه من صعوبات ومشقة، ولكن بعض الاقوام تعاملت مع المرأة كسلعة، لاسيما الغرب، حيث تُشترى المرأة وتباع في المجال الجنسي مثلا والافلام الاباحية، وهنا يبدو التقاطع كبيرا بين تبجحيات الغرب بخصوص المرأة وحقوقها، وبين ما يحدث على الارض فعلا، يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا المجال: (عندما نأتي إلى قضية المرأة نلاحظ أن الشعارات التي تُرفع باسمها ليست سوى ظواهر وضجيج فارغ). ويفضح سماحة المرجع الشيرازي الزيف والواقع الذي تعيشه المرأة المعاصرة، في ظل النظرة الذكورية المزدوجة، التي يتم فيها التعامل مع المرأة، خاصة في العالم الذي يدعي

حفظ حريتها وكرامتها، اذ يقول سماحته في هذا الصدد: إن (تحرير المرأة مثلاً كلمة جميلة ولكن عندما تنبش قلب هذه الكلمة لكي تعرف حقيقتها والواقع الذي تعيشه المرأة المعاصرة في ظلها تكتشف أن فيها تقييد المرأة وإذلالها وليس حريتها كما يزعمون).

مع أن الجميع يتفق على أن المرأة، عنصر فاعل ومكمل للرجل في مواصلة الحياة وتذليل مصاعبها، بل يذهب بعض المصلحين والمفكرين، الى الأهمية القصوى لدور المرأة في الحياة، لاسيما الجانب التربوي والاسري، لهذا لا بد أن يؤمن الرجل بالعلاقة التكاملية مع المرأة، فعندما يقال أن المرأة نصف المجتمع، لا يعني هذا القول الجانب الاحصائي فقط، بل الجانب العملي الذي تتبناه المرأة وتنجزه مع الرجل فعلياً، هنا يذكر لنا سماحة المرجع الشيرازي، مثالا في هذا المجال فيقول في محاضراته القيمة: (لاحظوا بدن الإنسان وهيكله تجدونه مدينياً في حركته إلى العظام والغضاريف، والغضروف لا هو لحم ولا هو عظم بل حالة فيما بينهما وهو الرابط بين مفاصل العظام. فلو أن جسم الإنسان كان كله عظماً لما تمكن أن يدير رأسه ولا أن يرفع يده ولا أن يمشي بل سيكون مضطراً لأن يبقى ممدداً طيلة الوقت في حالة واحدة، لأن الغضروف هو الذي يساعد المفاصل على الحركة والقبض والبسط، وهذا شيء واضح. ومن ثم كان بدن الإنسان محتاجاً إلى العظم والغضروف معاً ليكمل أحدهما الآخر في مهمة الحركة والقيام بأعباء الحياة).

المرأة عنصر مكمل للرجل

وهكذا يؤكد سماحة المرجع الشيرازي على: (أن مثل الرجل والمرأة في الحياة مثل العظم والغضروف في بدن الإنسان)، ولعل الغرض هنا بالغ

الوضوح، فطالما أن المرأة عنصر فاعل ومكمل بالتساوي لدور الرجل، فإن إلغاء النظرة المزدوجة بات مطلوباً من الجميع، لأننا نتفق جميعاً على أن المرأة شريكة قوية للرجل في هذه الحياة، لذلك يذكر سماحة المرجع الشيرازي مثلاً آخر بهذا الخصوص قائلاً: (مثل آخر نضربه لتوضيح الموضوع - والأمثال كلها من الطبيعة وكم لها من نظير - وهو أن الحياة مزيج من العقل والعاطفة، فإن الحياة لا تبني بالعقل وحده ولا بالعاطفة وحدها. فلو أن الحياة سُلِب منها العقل عادت فوضى لا نظام فيها، ولا وجدت مجلساً منعقداً بعض يتكلم وبعض يستمع، فإن العقل هو الذي يحدد العاطفة ويؤطرها. كذلك لا تستقيم الحياة لو كانت خلواً من العاطفة وكانت كلها عقلاً).

ويضيف سماحته أيضاً: (مثل المرأة والرجل في الحياة كمثل العاطفة والعقل، ولكن ذلك لا يعني أن المرأة عاطفة بلا عقل، وأن الرجل عقل بلا عاطفة) بمعنى أن حالة التوازن المطلوبة، وأن القضاء على التعامل المزدوج مع المرأة أمر بالغ الضرورة للمجتمع الذي يريد أن يبني نفسه بصورة صحيحة وسليمة.

شبكة النبأ المعلوماتية - الخميس ١٦/شباط/٢٠١٢ - ٢٣/ربيع

الأول/١٤٣٣

(٤)

الرجل والمرأة تمايز واختلاف يسهم بتطوير الحياة

نشأت الحياة البشرية وتأسست وتطاولت حتى وصلت الى ما وصلت إليه من تطور ورقي وذلك بتكاتف وتفاعل قطبين أساسيين هما الرجل والمرأة، فهذان القطبان متداخلان في الأنشطة الفكرية والعملية على الرغم من حالات الاختلاف والتقاطع بينهما سواء من الناحية البيولوجية أو من ناحية المهام الملقاة على عاتق كل قطب منهما لادامة الحياة وتطويرها بما يحقق تواصلًا مضطربًا لمسيرة الانسان.

إن الاختلاف والتقاطع الذي يفصل بين الإثنين يتمثل بطبيعة الخلق والتكوين الجسماني لكليهما على المستوى المادي، أما على المستوى الفكري فإن العاطفة غالبًا ما تمثل نمطًا شعوريًا للمرأة يجعلها غاية في الرقة الأمر الذي يقل كثير في النمط التفكيري للرجل حيث العقل هو المتحكم به أكثر من عنصر العاطفة، وفي ضوء ذلك تراكمت خبرات الانسان وتخصص الرجل في مجالات عملية تناسب قواه وأدواره المطلوبة لتنشيط الحياة وادامتها، فيما تخصصت المرأة بأعمال تناسبها أيضا من الناحية البيولوجية والشعورية، وبرغم هذا الاختلاف بين مهمام الطرفين لكن التداخل في مهامهما كان ولا يزال وسيبقى رافدا ضروريا او حتميا لمواصلة مسيرة الحياة، بكلمة أخرى أن الرجل والمرأة كلاهما يكمل الآخر، وأن أوجه الاختلاف بينهما هي من قبيل الاختلاف بين الضوء والظلام والليل والنهار والابيض والاسود، إذ نلاحظ أن لقيمة لأحد هذين الطرفين من دون وجود الطرف الآخر، فهل هناك فائدة للضوء الأبدي مثلا؟ وهل ثمة قيمة للظلام الدائم إذا

هيمن على حياتنا؟ ولذلك يرى سماحة المرجع الديني السيد صادق الحسيني الشيرازي أن المرأة تكمل الرجل ويصحّ العكس أيضاً، إذ يقول سماحته في كتابه القيم الذي يحمل عنوان (حقوق المرأة في الاسلام):

(لاحظوا بدن الإنسان وهيكله تجدونه مديناً في حركته إلى العظام والعضلات. فلو أنّ جسم الإنسان كان كلّه عظماً لما تمكن أن يدير رأسه ولا أن يرفع يده ولا أن يمشي بل سيكون مضطراً لأن يبقى ممدداً طيلة الوقت في حالة واحدة.

كذلك إذا كان بدن الإنسان كلّه عضلات ولا عظم في جسمه، فإنّه أيضاً لا يقوى على الحركة بل سيظل كتلة ملقاة على الأرض لا يتمكن أن يجلس أو يسير لأنّ قوة العظم وشدته هي التي تحمل الإنسان وتجعله يقوى على القيام والعود وحمل الأشياء ...

ومن ثم كان بدن الإنسان محتاجاً إلى العظم والعضل معاً ليكمل أحدهما الآخر في مهمة الحركة والقيام بأعباء الحياة. إنّ مثل الرجل والمرأة في الحياة مثل العظم والعضل في بدن الإنسان).

وهكذا يتطلب (جسد) الحياة تعاوناً وتكاملاً بين (العظم والعضل) وهما ممثلان بالرجل والمرأة) وفي حال غياب أحدهما سوف يتعطل جسد الحياة قطعاً، غير أن الامر الذي فرضته طبيعة الحياة نفسها على الانسان هو أن يتخصص بالادوار التي تناسب قدراته الجسدية والفكرية، بمعنى أن هنالك مهام لا ينبغي للرجل أن يقوم بها لأنها لا تناسب قدراته وينطبق الأمر ذاته على المرأة أيضاً، فلا يجوز مثلاً أن تزج المرأة نفسها في أعمال البناء الشاقة التي تتطلب مقدرة جسمانية كبيرة لا يستطيع وضعها الجسماني أن يوفرها من أجل تحمّل أعباء البناء الشاقة، وإذا حدث ذلك وزجت المرأة نفسها في

هذا المجال الشاق فإن ذلك يأتي من باب الشذوذ وليس القاعدة، لأن الاعمال الشاقة هي من حصة الرجل الذي يتوفر على قدرات عضلية كبيرة تجعله متمكنا وناجحا في اداء دوره في هذا المجال، ولكن هذا الاختلاف في الادوار لا يعني التقاطع بل الحياة تتطلب تداخل وتعاون كلا القطبين، وفي هذا الصدد يقول المرجع الشيرازي في كتابه نفسه:

(إنّ الحياة لا تبني بالعقل وحده ولا بالعاطفة وحدها. فلو أنّ الحياة سُلب منها العقل عادت فوضى لا نظام فيها، كذلك لا تستقيم الحياة لو كانت خلواً من العاطفة وكانت كلّها عقلاً).

ويضيف المرجع الشيرازي:

(ولكن ذلك لا يعني أنّ المرأة عاطفة بلا عقل، وأنّ الرجل عقل بلا عاطفة، بل بمعنى أنّ المرأة كيان عاطفي تترجّح فيه كفة تأثير العاطفة خلافاً للرجل - في الغالب - فهو كيان يتغلب فيه العقل على العاطفة. ومن الطبيعي أن تختلف واجبات المرأة عن واجبات الرجل بسبب الاختلاف الموجود في طبيعتهما كما تختلف واجبات العضل عن العظم. فاستقامة البدن بالعظام وحركته بالعضلات، ولو أردت أن تساوي بينهما فمعناه أنّك شللت البدن).

وبهذا يكون تبادل الادوار بين العقل والعاطفة بمثابة شلل للجسم البشري، وكذا الحال اذا ما تبادل الرجل والمرأة دوريهما (إلاّ إضطرارا وهي من الحالات الشاذة) فإن من شأن ذلك أن يقود الى شلل الحياة او تلكؤها في أفضل الحالات، ولعل ذلك يدخل في باب التنظيم الذي يُعدُّ عنصرا أساسيا في تطوير الحياة البشرية، إذ يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا الجانب: (لو أردت أن تساوي بين المرأة والرجل في كلّ الأمور تكون كمن يحمل أطنانا من الحديد في سيارة صغيرة، ويحمل الشاحنات الكبيرة بضعة

أجهزة دقيقة. فلا السيارة الصغيرة ستكون قادرة على حمل تلك الأطنان، ولا الشاحنات استُفيد منها بالوجه الصحيح. وقد روي عن الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه: لا يزال الناس بخير ما تفاوتوا، فإذا استوتوا هلكوا، - أمالي الصدوق: ٥٣١ ح ٩ مجلس ٦٨- . وهكذا يمكن أن نقول باطمئنان إن الاختلاف بين أدوار الرجل والمرأة لن يشكل عقبة في مسيرة الحياة، بل التخصص وفقا للقدرات البيولوجية والشعورية لكل منهما هو الذي يُسهم بإدامة الحياة وتطويرها.

شبكة النبا المعلوماتية - الاحد ٢٦/تموز/٢٠٠٩ - ٣/شعبان/١٤٣٠

(٥)

دور المرأة في تطوير العائلة والمجتمع

للمرأة مكانتها الكبيرة في المجتمع، وهذه المكانة تنبع من دورها المتفرد وأعمالها التي تكاد تكون عصية على الجنس الآخر إستنادا الى الطبيعة التي حباها الله تعالى بها، كقوة العاطفة والصبر على الصعاب وما شابه، لكن الشرط الذي يدعم هذا الدور ويؤكد صحته وقوته ويرسخ مكانة المرأة ويطورها هو أهمية أن تعرف المرأة نفسها ووظيفتها في الحياة على نحو شامل.

بمعنى أكثر وضوحا، لا مكان للعشوائية في تحديد الأدوار والمقامات، فإذا أرادت المرأة أن تعظم مكانتها في المجتمع، مطلوب منها أن تدرس نفسها أولا وتعرفها بصورة جيدة ثم تعرف طاقاتها وامكانياتها وسبل توظيفها بالطرق الصحيحة في خدمة المجتمع، وبهذه المعرفة التي لا مناص منها تستطيع المرأة أن تحقق ما تصبو إليه من دور ووظيفة كونها العنصر المهم

الموازي للرجل في بناء المجتمع.

ويقول سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني

الشيرازي (دام ظله) في كتابه القيم الموسوم بـ (المرأة والعائلة):

(هناك مطلبان: الأول أن تعرف المرأة نفسها، والثاني أن تعرف

وظيفتها. أما بالنسبة للمطلب الأول، فإذا ما عرف الإنسان نفسه، فإنه سيؤدي

وظيفته على نحو أحسن، أما إذا لم يعرفها جيداً، فإنه لا يستطيع أن يؤدي

وظيفته، ففي الحديث: من عرف نفسه فقد عرف ربه).

إذن ليس الامر محددًا بالمرأة مع أهميته، بل على الانسان بوجه عام أن

يعرف نفسه كي يحدد طبيعة الوظائف التي يمكن أن ينجزها على الوجه

الأمثل، وهذا يقودنا الى الاهمية القصوى التي تتمثل بوجود معرفة المرأة

لنفسها وإمكانياتها، لأنها اذا جهلت ذلك سوف تجهل قدراتها وبالتالي تجهل

طبيعة النشاطات والاعمال التي يمكن ان تقوم بها مشاركة منها في بناء

مجتمع معاصر له القدرة على مجاراة مقومات الراهن بالطريقة المثلى.

وقد بين العلم الفسيولوجي بوضوح أن الطبيعية التكوينية (الجسمانية)

للمرأة تحتم عليها طرازا معينًا من الوظائف والاعمال، وبالتالي في ضوئها

تحدد أدوارها، لاسيما اذا تعلق الامر في المحيط العائلي، فالأم هي الراعية

الاولى لاولادها وبناتها وهي الاكثر احتكاكا بهم وتواجدا معهم، لذا فإن

أقوالها وأعمالها لها تأثير كبير ومباشر في تشكيل شخصيات أطفالها، كما أن

الشحنات العاطفية التي تملأ البيت بها لا يمكن أن تتحقق غيرها، مما يضيفي

على الاجواء العائلية نمطا من المشاعر الانسانية الهادئة الرقيقة التي تتطلبها

كل عائلة.

لذلك لا يجوز أن ننتهج العشوائية في تحديد أعمال ووظائف المرأة

وطبيعة أدورها في العائلة وفي المجتمع عموماً، حيث ورد في كتاب سماحة المرجع الشيرازي نفسه قولاً بهذا الخصوص مفاده:

(قال الإمام علي سلام الله عليه: «المرأة ريحانة»، هذه الكلمة لم يقلها الإمام سلام الله عليه للرجال فقط ليوصيهم بالنساء وحسب، وإنما أراد سلام الله عليه من خلالها أن يعبر عن واقع، ويثبت حقيقة يستدعي من المرأة نفسها أن تدرك ماهيتها).

أي أنه من واجب المرأة أن تستكنه ذاتها وتعرف خصائصها، وليس هذه محصوراً بالرجل أو المجتمع عامة، بمعنى على المرأة أن تعرف بأنها (ريحانة) كما وصفها الامام علي عليه السلام واستناداً الى هذه الطبيعة ينبغي أن تتحدد ادوارها، فإذا تعلق الامر بالعائلة فإن دور (الريحانة) هو توفير الاجواء المناسبة للعائلة كي تعيش بأفضل طريقة ممكنة والتركيز على جانب بناء الشخصية لاعضاء العائلة الجدد وهم الابناء والبنات.

أما اذا تعلق الامر بالمجتمع على وجه عام فإن دور المرأة يجب أن يؤخذ من طبيعتها أيضاً ويُرسم وفقاً لمواصفات هذه الطبيعة التي تخص المرأة وحدها، كما أوصى بذلك الاسلام، وهو أمر يتعلق بالمحافظة على كرامتها وشخصيتها وعزتها ودورها الرئيس في بناء العائلة والمجتمع في آن واحد.

ولا تُحسب مواصفات الرقة الموجودة في المرأة ضعفاً او انتقاصاً منها بل على العكس من ذلك إنما تكمن ملامح كمالها في طبيعتها الرقيقة، ويضرب سماحة المرجع الشيرازي في هذا الصدد مثالا عن ذلك يقول فيه:

(الفرق بين الورد وغيره من الأشياء، يكمن في ضعفه، وهذا الضعف بعينه هو كماله؛ يعني لو وضعنا - مثلاً - قطعة من الحديد تحت أشعة

الشمس لعشر سنين، لم يحدث لها شيء، ولكن لو جعلنا وردة تحت حرارة الشمس مدة خمس دقائق، ذبلت، فهل هذا ضعف في الورد أم كمال؟ هذا كمال).

وهكذا يدل هذا القول أن قوة المرأة تكمن في طبيعتها السمحاء الرقيقة التي تنسجم تماما مع دورها التربوي الكبير في المحيط العائلي والمجتمعي على نحو عام، وأن أي تفسير يذهب خلافا لذلك ليس له من الصحة نصيب، لذلك ينبغي أن يُدعم هذا الدور التربوي الهام بالتخطيط.

بكلمة أوضح على المرأة أن تخطط للقيام بدورها الهام هذا، وأن لا تتركه للعشوائية أو اللامبالاة، وكلما كان التخطيط سليما في هذا الجانب تجيء النتائج كما هو متوقع لها، ويؤكد سماحة المرجع الشيرازي على هذا الجانب بقوله:

(هناك أشخاص يعيشون من دون تخطيط، ويقولون أن كل ما يأتي فهو خير، ولكن الصحيح أن يخطط الإنسان لنفسه: أولاً: أن يخطط ويعزم السير على ما خطط. ثانياً: والأهم من ذلك أن يعرف الهدف الذي يخطط له، فإن الهدف من الحياة ليس الأكل والنوم والسفر وما شابه).

شبكة النبأ المعلوماتية - السبت ١٧/نيسان/٢٠١٠ - ٢/جمادى

الأولى/١٤٣١

الباب الثالث

الثقافة المعاصرة وبناء المجتمع الإسلامي

- ◆ المسؤولية الكبرى في نشر جوهر الإسلام
- ◆ الثقافة المعاصرة ركيزة المجتمع لمواكبة الحداثة
- ◆ الثقافة ودورها في بناء المجتمع المعاصر
- ◆ الثقافة جوهر القوة
- ◆ الثقافة والتقدم صنوان لا يفترقان لإزدهار الشعوب
- ◆ مسؤولية المثقفين والعلماء تجاه الأجيال الصاعدة

(١)

المسؤولية الكبرى في نشر جوهر الإسلام

مع مرور الزمن يصبح الانسان أكثر تحضرا، وأكثر قربا من الحقائق السليمة، وأكثر تفهما للصواب، ولما يتوافق مع الفطرة الانسانية، ولهذا يأمل العلماء والمصلحون والاخلاقيون، أن يبنوا مجتمعا إنسانيا قائما على العدل والمساواة والاحترام المتبادل والتعاون ومساعدة الآخر واحترام فكره ورأيه، والسماح بحرية تداول الافكار والعقائد، ويبقى عقل الانسان وتجربته وحنكته هي الفيصل في اختياراته.

الصراع بين الحرية والسلطة

ولهذا يميل الانسان الى الفطرة، ويحبذ السلام والوئام على غيره، ويميل الى الكشف عن الفكر السليم والمبادئ التي تساعد على تحقيق العيش الكريم وتحفظ حقوقه وحياته، لكن هذا الهدف يتعارض مع أهداف الطغاة، فحرية الانسان تعني إضعاف سلطات الطاغية وفضحه وكشف اساليبه وظلمه للناس من اجل تدعيم سلطته وبقائه هو واولاده وذويه وبطانته متحكمين بقراب الناس ومصائرهم. فحدث الصراع بين الحرية والسلطة على مر التاريخ، وهبطت الاديان السماوية لكي تشرح للانسان حقوقه وحياته وتمهد له السير في الطريق السليم، وهكذا فعل الاسلام منذ أن بعث النبي الاكرم ﷺ رسولا لمجتمع كان يجهل حقوقه وكان يتحكم به نفر ضال

ويتلاعب بمصائره، وهكذا تطلب الامر الى نشر الاسلام والفكر الصحيح الذي يفضح الطغاة، الامر الذي جعل من العلماء وأخيار الناس من المفكرين والمصلحين وغيرهم، اهدافا دائمة لغضب وبطش الحكام، يقول سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظلّه)، في احدى محاضراته القيمة بهذا الخصوص: (مرّت فترات طويلة في السابق لم يكن العمل فيها هيناً وسهلاً، وكان الطواغيت وأعداء الله يقتلون المئات والآلاف بل عشرات الآلاف ومئات الآلاف من أجل كلمة واحدة. فما أكثر الذين عذبوا وقتلوا من أجل ذكر اسم أهل البيت سلام الله عليهم في معظم بلاد الدنيا).

المسؤولية المضاعفة

إن نشر الفكر الاسلامي وجوهره الصحيح يتطلب جهودا كبيرة جدا، ويتطلب التخطيط الدقيق والاخلاص في العمل، ولا تتحدد هذه المسؤولية بفئة او جهة معينة، فالجميع مسؤولون عن توضيح الاهداف الانسانية العظيمة في جوهر الاسلام، قد تكون المسؤولية متفاوتة بين هذا وذاك من الناس حسب علمه وتجاربه ومعرفته، لكن الجميع يبقى مسؤولا في إيصال الهدف الصحيح للجوهر الاسلامي الى ابعد نقطة في الارض، لهذا يؤكد سماحة المرجع الشيرازي قائلاً في هذا الصدد: (إن مسؤوليتنا اليوم في ظلّ المتاح من الحريات أكبر بكثير؛ والمهمة واحدة وهي الإيصال. علينا أن نوصل رسالة الإسلام والتشيع إلى العالم أجمع، تحقيقاً لقوله تعالى: - إلى الناس جميعاً - ولا شك أن هذا يتطلب الكثير من العمل، وبحاجة إلى طاقات ومقدّمات كثيرة. فعلى من تقع مسؤولية إعداد مقدمات الوجود؟ إنها مسؤولية عامّة مشتركة تقع على عاتق الجميع. كلنا مكلفون بتهيئة هذه

المقدمات، كلٌّ حسب مستواه وطاقته).

وقد يجد البعض مصاعب تحول بينه وبين نشر الفكر الإسلامي المشرق، لكن في كل الأحوال هناك فرص وبدائل تتيح للانسان، أن يمضي في هذا الخط ليحقق هدفه، لكن هذا يتطلب بطبيعة الحال اصرارا وجهدا عمليا واضحا، إذ يقول سماحة المرجع الشيرازي: (إذن يمكن التغيير حتى بأبسط الوسائل ولكن ذلك يتطلب جهداً وعملاً دؤوباً).

الارادة الانسانية في نشر الحق

لذا فإن نشر المنهج الإسلامي السليم بين بني الانسان ينبغي أن يكون هدفا حاضرا على الدوام، وأن لا تقف الاعذار حائلا بين الانسان وبين تحقيق هذا الهدف، لاسيما أن العالم اليوم بأمس الحاجة الى الفكر السليم، الذي يساعد الانسان على خلق حياة عصرية متوازنة، بمعنى أن ارادة الانسان في نشر المنهج الصحيح الذي يستند الى الحق، لا يقف امامها عائق او ينبغي أن تكون الارادة الانسانية في هذا المجال اكبر واقوى من جميع المعوقات، وقد قال سماحة المرجع الشيرازي بهذا الخصوص: (ذكروا في أحوال العلامة المجلسي أن شخصاً بعد زمانه يركب البحر مع جماعة فتعرضت سفينتهم لأموج عاتية وتمزقت على أثرها وغرق كثير من ركابها. وكان من بينهم شخص متشبث بخشية فأوصل نفسه إلى جزيرة ما، وعندما حلّ بين أهلها رأى أنهم جميعاً من أتباع أهل البيت سلام الله عليهم. وهذا الأمر كان مستغرباً في تلك العصور. فمن الذي وصل لهؤلاء وهداهم إلى التشيع؟ وعادةً الجزر النائية المنقطعة في البحار لا يتدين أهلها بدين غالباً، لأنه لا يصلهم أحد بسهولة لكي ينقل إليهم ديناً ما. وبعد التحقيق تبين له أن شخصاً مثله قبل عدة من السنين قد كسرت سفينته في عرض البحر واستطاع أن

يوصل نفسه إلى هذه الجزيرة عبر قطعة منها تشبث بها وكان يحمل معه أحد كتب العلامة المجلسي، وعندما رأى إن هؤلاء لا دين لهم ولا يعرفون شيئاً من أصول العقائد والأحكام ما عدا تلك المبادئ الفطرية العامة التي فطر الله الناس عليها. شمّر عن ساعد الجد واستطاع بعد التوكل على الله تعالى أن يغيّرهم جميعاً مستفيداً من ذلك الكتاب، أي أصبح كتاب واحد سبباً لهداية جزيرة بأكملها).

وبهذا فإن السعي والاصرار والتواصل والعمل المباشر لتحقيق الهدف الصحيح، هو الذي يحقق الاهداف المبتغاة، بمعنى يجب على الانسان أن يقدم مصلحة الاسلام على مصلحته الفردية حتى لو تعلق الامر براحة جسمه او اعضاءه، ولا يجوز التذرع بالمصاعب واللجوء الى الكسل وما شابه، فقد أكد سماحة المرجع الشيرازي في هذا المجال قائلاً: (مما لا شك فيه أن ذلك الرجل عندما حلّ في تلك الجزيرة لم يفكر في الاستراحة أو العمل بالزراعة مثلاً، وإنما بذل جهوداً كبيرة، وظلّ يتنقل بين أهلها يعرض عليهم تعاليم الإسلام وأهل البيت سلام الله عليهم حتى استطاع أن يحقق ذلك التغيير الكبير فيهم، وقد ساعده في ذلك أنهم كانوا أرضاً خصبة مهياًة لتقبل الأفكار الصحيحة؛ لأن معاول التخريب الفكري والعقيدي المضادة لم تعمل فيهم، ولم يكن هناك من يعاكسه في عمله أو يحاربه، فكانت الأرضية والأجواء مهياًة له من هذه الجهة).

مسؤولية العلماء أكبر

لذا فإن دور العلماء له خصوصيته في هذا المجال، وهو يختلف قطعاً عن ادوار الفئات والشرائح الاخرى، لأنه أكثر تأثيراً في الآخرين ويقوم على الاقناع والتجربة والقرائن، لهذا يكون دور العلماء في هذا الجانب أساسياً، لذا

يخاطب سماحته العلماء قائلًا لهم: (رسالتكم أيها العلماء الإبلاغ للعالم أجمع. ولا تنحصر مهمتكم في الإيصال للعالم الإسلامي وحده، فلو وصلت الصورة الحقيقية للرسول الأكرم ﷺ والإمام الصادق سلام الله عليه للعالم المسيحي وذنبا اليهود وأوساط المجوس وأجواء المشركين وغيرهم من الملحدين وهكذا لغيرت كثيراً من النظرة للإسلام والتشيع وحوّلت الكثيرين).

ويضيف سماحته قائلًا: (لا يحدثنا التاريخ عن التغير بين علماء النصارى فقط، بل كان هناك أيضاً من اليهود من أسلم وتشيع. وقد نقلوا قصصاً عنهم في العراق وغيره. ومنهم من ألف كتباً بعد تحوّلهم وهم ليسوا قلة).

هكذا كان دور المبلغين كبيراً وعظيماً في الوقت نفسه، ولكنهم وعوا وعرفوا حقيقة دورهم ومدى خطورته، لهذا أكد سماحة المرجع الشيرازي قائلًا في هذا المجال: (لقد استطاع المبلغون الصادقون أن يحدثوا كل هذا التغير رغم صعوبة الظروف وقلة الحريات وضعف الإمكانيات ووسائل التعبير والإيصال في السابق، فلماذا لا نتوقع التغير ونحن في هذا العصر الذي يمتاز بالانفتاح والحريات؟)

شبكة النبأ المعلوماتية - الخميس ٢٩/كانون الأول/٢٠١١ -

٤/صفر/١٤٣٣

(٢)

الثقافة المعاصرة ركيزة المجتمع لمواكبة الحداثة

التكوين المجتمعي ينطوي على عدة بُنى أساسية، يرتكز إليها المجتمع في عمليات التطور والبناء المتواصل والسليم، فالبنية السياسية تسهم في إدارة شؤون البلد، فيما يتعلق بسبل العيش الكريم، وحفظ كرامة الانسان، ودرء خطر الفقر والامتهان عنه، ناهيك عما يتعلق بالسياسة، من امور وجوانب متعددة، منها الصحة والتعليم، وحماية الامن الداخلي والخارجي، وغير ذلك مما يترتب على القادة السياسيين من اعمال.

ينطبق هذا الامر على البنية الاقتصادية، وكذلك على البنية الاجتماعية، وعموم البنى التي تدخل في عملية استقرار وتطور المجتمع، لكن البنية الأهم التي ينبغي أن تأخذ دورها كاملاً، في عملية البناء هي البنية الثقافية، إذ تُعدّ هذه البنية ركيزة مهمة للبنى الأخرى، فإذا صحّت الثقافة تصح السياسة والاقتصاد والاجتماع، وعموم البنى المساهمة في بناء المجتمع.

يقول سماحة المرجع الديني، آية الله العظمى، السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله)، في كتابه الموسوم بـ (العلم النافع) عن بنية الثقافة ودور العمل الثقافي في دعم البنى الأخرى وتقويمها: (العمل الثقافي من أهم الأعمال في المجتمع، فهو يمثل البناء التحتي لغيره من الأعمال).

بمعنى أن ثقافة الفرد وهو العضو الاساس في بناء المجتمع، هي التي تحدد طبيعة شخصيته وافكاره وسلوكه، وكلما كانت ثقافته معتدلة جيدة قائمة على ركائز العدل والمساواة والتسامح والتكافل والتعايش واحترام الرأي، كلما كان اسرع في التغيير نحو الافضل، أي أنه حتى لو كان يؤمن بما

هو مخالف او مضاد للثقافة السليمة، فإنه بالاقناع والصبر واطهار الحجج، يتغير رويدا الى الثقافة الأصح، في هذا الصدد يقول سماحة المرجع الشيرازي في كتابه المذكور نفسه:

إن (تغيير المواقف والعقائد والإعلان عنه ليس بالأمر الهين، فهو يغير تاريخه، بل ونوعية وجوده. ولكن الفكرة النيرة تهز الإنسان - المنصف الواعي - وتدفعه إلى مزيد من البحث؛ وصولاً للحقيقة الكاملة).

وهكذا كلما صحّت البنية الثقافية، كلما تضاعفت فرص التطور والاستقرار والتطلع الى حياة معاصرة، تكفل للإنسان حقوقه المشروعة المتعارف عليها، ولا يمكن تغيير المواقف والثقافات الرديئة، إلا بما يتضاد معها من أفكار وثقافات انسانية سليمة التوجه والمسارات، وكما يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا الخصوص: (فقد يهزم التاجر زميله التاجر، والسياسي نظيره، ولكن الفكر والثقافة لا يهزمان بالمال أو القوّة السياسية أو العسكرية، بل لابدّ لمن أراد خوض الميدان الثقافي الهادف إلى التغيير أن يكون متسلّحاً بسلاح الفكر والثقافة).

ويظهر دور الثقافة قويا وأساسيا في تغيير الشعوب والمجتمعات نحو الافضل، من خلال قدرتها على درء خطر الثقافات الهابطة، اللانسانية التي تشجع على الاستهانة بحرية وكرامة الانسان، وتعمق جهله بحقوقه وحرياته التي كفلتها له السماء عبر تعاليم الاسلام، التي أنارت عقول وقلوب المجتمع الجاهلي وحولته الى قوة ثقافية انسانية سياسية هائلة في وقتها، لذلك كما يقول سماحة المرجع الشيرازي: (إنّ الثقافة الصائبة وحدها القادرة على مواجهة وتصحيح ما نراه من ثقافة ضحلة في عالم اليوم، لأنّ القوّة أو المال أو غير ذلك يعجز عن مواجهة الثقافات وتغييرها، إذ لا يقارع الثقافة

إلا الثقافة).

لذلك لابد للمجتمع لكي يكون معاصرا ومواكبا لحدائثة العالم، أن يتتهج الثقافة الصائبة، وأن يحارب بها الثقافات التي لا تحترم انسانية الانسان وحقوقه، وبهذا تكون الثقافة عنصر مهم لحماية الفكر والسلوك المتحضر، يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا المجال بكتابه (العلم النافع): (إن مسألة الثقافة من أهم المسائل في كل أمة وحضارة. وقد يصح ما يقال بأن العالم يدور على عجلة الاقتصاد والسياسة، ولكن الأصح من ذلك هو القول بأن الثقافة هي التي توجه الاقتصاد والسياسة. فبقدر ما يحمل الفرد من ثقافة وعلم في كلا المجالين، فإنه لا يخسر ولا يُغلب).

وفي حال حدوث التراجع الاجتماعي والتردي في مفاصل الحياة الاخرى، وشيوع الضلال والجهل، فإن السبب هو عدم حصول الانسان، على عنصر التثقيف المطلوب، وهنا يؤكد سماحة المرجع الشيرازي قائلاً: إن (ما نراه في عامة الناس من عدم الاهتمام إلى نور الحق هو التعصب الناشئ من الجهل وعدم انكشاف البيئنة، الأمر الذي يحتاج إلى وسائل وفرص كفيلة بذلك).

لذلك نحن بأمس الحاجة الى الفكر الانساني المتنور، الذي يضع مصالح الآخرين فوق مصالح الذات، ويدعم التسامح والرحمة والتكافل والبحث الدائم عن فرص التطور، ومواكبة الأحداث الجديدة في العالم، من اجل تكون بنية ثقافية سليمة، تدعم البنى الأخرى للمجتمع، وتدفع به نحو الاستقرار والتطور، وهذا يتطلب كما يقول سماحة المرجع الشيرازي: من (العاملين في السلك الثقافي عموماً أن يعرضوا على الناس عين ما يريد أئمة أهل البيت سلام الله عليهم، فهم أعلام الهداية وأنوارها).

شبكة النبأ المعلوماتية - الخميس ١٤/تموز/٢٠١١ - ١٢/شعبان/

(٣)

الثقافة ودورها في بناء المجتمع المعاصر

جُبل الإنسان في تفكيره وسلوكه على حالة الاكتساب من الآخر من جهة وعلى ما يورث له من سمات وخصال ومواصفات بايولوجية وغيرها من والديه واجداده، بمعنى أن ثمة نزعة تسكن الانسان وتحرك تطلعاته تتعلق بحبه لكسب المعرفة من خلال الاحتكاك بالآخر ولا يقتصر الامر على المعرفة النظرية بل تتعداها الى المعرفة العملية ايضا.

وبهذا فإن درجة المعرفة ونوعها يتوقف على المحيط المعرفي الذي يحتوي أنشطة الانسان وعلى نوع المتوارث من السلف، فكلما كان المحيط متميزا بثقافة إنسانية متحضرة كلما كان الانسان الذي ينشط في هذا المحيط أقرب في ثقافته الى هذا الطراز من التفكير والسلوك ايضا، والعكس يصح، وينطبق هذا القول على المواصفات المتوارثة أيضا.

وإذا كان الامر محسوما مع الموروث من المواصفات الجسمانية والخصال الاخرى، فإن درجة الحسم هذه لا تنطبق على المحيط المعرفي الذي يؤثر في بناء شخصية الانسان، وعلى هذا الاساس تتحدد انماط السلوك والافكار لهذا الفرد او ذاك وبالتالي لهذا المجتمع او ذاك، وهنا يتضح بجلاء كبير دور الثقافة الانسانية المعاصرة في بناء المجتمع، كون الثقافة هي النبع المعنوي الذي يسهم الى حد كبير في بناء شخصية الفرد والمجتمع وفقا لتلك الثقافة سموا او نكوصا وتراجعا، وعن أهمية الثقافة ودورها في البناء الايجابي للفرد والمجتمع يقول سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي في كتابه القيم الموسوم بـ (العلم النافع):

(إنّ مسألة الثقافة من أهمّ المسائل في كلّ أمة وحضارة. وقد يصحّ ما يقال بأنّ العالم يدور على عجلة الاقتصاد والسياسة، ولكنّ الأصحّ من ذلك هو القول بأنّ الثقافة هي التي توجّه الاقتصاد والسياسة. فبقدر ما يحمل الفرد من ثقافة وعلم في كلا المجالين، فإنّه لا يخسر ولا يُغلب).

وهكذا نرى أنّ الثقافة لا تنحصر في مجالها الذاتي فحسب بل ينتقل تأثيرها الى المجالات الحياتية الأخرى، بمعنى أنّ الثقافة المعاصرة المتحضرة بمقدورها أن تعكس إيجابياتها على طبيعة الأنشطة السياسية كافة من خلال تثقيف السياسيين وتنويرهم وتطوير مهاراتهم التي تتعلق بالادارة وصنع القرار وما شابه، كذلك الحال مع الاقتصاد الذي سيكون قويا منظما ورسينا وفقا للثقافة التي تتدخل ببناء الاشخاص القائمين على ادارة العمليات الاقتصادية المتنوعة.

ولعلنا نلاحظ بوضوح ذلك الاهتمام الكبير الذي تبديه الامم والشعوب في مجالات التثقيف، لأنها تعرف مدى الدور الهام بل والأساسي للثقافة على وجه العموم، لهذا تحاول بعض الشعوب والامم أن تفرض أنماطها الثقافية على الآخرين، لأنها تعرف أن أقصر الطرق للسيطرة على الآخرين هو التأثير الثقافي عليهم من خلال تزويب ثقافتهم الأصيلة وتوريثهم بثقافات بديلة ليس لها جذور متأصلة في تلك الشعوب، لهذا يؤكد سماحة المرجع الشيرازي على الدور الهام للثقافة الاسلامية في هذا المجال، لأن السياسة تعجز عن مقارعة الثقافة الدخيلة وكذلك الاقتصاد، إذ يقول سماحة المرجع الشيرازي في كتابه نفسه بهذا الصدد:

(إنّ الثقافة الصائبة وحدها القادرة على مواجهة وتصحيح ما نراه من ثقافة ضحلة في عالم اليوم، لأنّ القوّة أو المال أو غير ذلك يعجز عن مواجهة

الثقافات وتغييرها، إذ لا يقارع الثقافة إلا الثقافة. فقد يهزم التاجر زميله التاجر، والسياسي نظيره، ولكن الفكر والثقافة لا يهزمان بالمال أو القوة السياسية أو العسكرية، بل لا بدّ لمن أراد خوض الميدان الثقافي الهادف إلى التغيير أن يكون مسلّحاً بسلاح الفكر والثقافة. ومن هنا كان العمل الثقافي من أهمّ الأعمال في المجتمع، فهو يمثّل البناء التحتي لغيره من الأعمال).

إذن بالإضافة إلى الدور المحلي للثقافة في تطوير الأمة فإن بمقدورها صد الثقافات الدخيلة التي تحاول محوها أو تدويرها وبالتالي جعل الأمة تابعة لها كما مع الشعوب المتخلفة التي تعرضت إلى موجات ثقافية دخيلة حاولت (وتمكنت في بعض الحالات) أن تلغي الثقافات الأصيلة بأخرى وافدة عليها من أمم وشعوب أخرى، ناهيك عن دور الثقافة في البناء السليم للبنية التحتية والفوقية للمجتمع ولعموم انشطته الفكرية والعملية في آن.

فالثقافة القائمة على أسس سليمة بإمكانها أن تغير الأفراد سلوكاً وتنقله إلى ما هو أفضل وبالتالي صناعة المجتمع المتطور، على أن هذا الأمر لا يتم بين ليلة وضحاها، أي أن تغيير القناعات بأخرى أكثر تطوراً يحتاج إلى صبر وجهد ينبغي أن يُبذل من قبل المعنيين من أجل تغيير الفرد والمجتمع من حال ثقافي متردٍ إلى آخر أكثر رفعة وسموًا، إذ يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا الصدد بكتابه نفسه:

(ولا يعني تغيير الإنسان بسبب فكرة أو كلمة ضرورة أن يحدث التحوّل المعلن لديه دفعةً واحدة، لأنّ تغيير المواقف والعقائد والإعلان عنه ليس بالأمر الهين، فهو يغيّر تاريخه، بل ونوعية وجوده. ولكن الفكرة النيرة تهزّ الإنسان - المنصف الواعي - وتدفعه إلى مزيد من البحث؛ وصولاً للحقيقة الكاملة، وإذا اتّضحت له البيئة آمن، إلا أن يكون معانداً، والمعاندون قليلون،

أمّا ما نراه في عامّة الناس من عدم الاهتمام إلى نور الحقّ فهو التعصّب الناشئ من الجهل وعدم انكشاف البيّنة، الأمر الذي يحتاج إلى وسائل وفرص كفيلة بذلك).

من هنا يبدو دور الثقافة أكثر وضوحاً في بناء المجتمعات إلّا أننا يجب أن نضع في حساباتنا بأن الوصول إلى هذا الهدف يحتاج إلى جهد وصبر ومثابرة متواصلة في هذا الميدان الحيوي.

شبكة النبأ المعلوماتية - السبت ٥/كانون الاول/٢٠٠٩ - ١٧/ذو

الحجة/١٤٣٠

(٤)

الثقافة جوهر القوة

يحملنا عنوان هذا الموضوع إلى الجدل القائم بين أفضلية الشكل والجوهر، فلقد دأب الانسان في علومه الانسانية والعلمية وغيرها على المقارنة بين أهمية الجوهر وألويته وبين ضرورة الشكل كونه المكمل الذي لا مناص منه للجوهر، وهكذا يمكننا اعتبار الاقتصاد والسياسة هما شكل الدولة او المجتمع وأن الثقافة هي جوهره.

بمعنى لو توصلنا من خلال جهودنا إلى بناء اقتصادي جيد ونظام سياسي مقبول، هل يمكن لنا أن نتخيل تراجع الثقافة او غيابها في هذا المجال، وإذا اردنا أن نصوغ السؤال بطريقة أخرى نقول، هل يمكن ان نبني اقتصاداً قوياً ونظاماً سياسياً ناجحاً من دون الاعتماد على ثقافة فاعلة تدعم تحقيق هذا الهدف؟.

إن الإجابة تبدو بديهية تماماً، فمن دون ثقافة رصينة لا يمكن أن نبني

بنى تحتية رصينة للسياسة والاقتصاد معا، ولعل التجارب الانسانية المنظورة أظهرت لنا بالدلائل القاطعة أن المال وحده لا يصنع أمة، وأن الساسة الاقوياء لا يصنعون شيئا ملحوظا في مجتمعات وشعوب متخلفة، لذا فإن الثقافة هي التي تشكل جوهر القوة الاقتصادية والسياسية وأساسها، أما المال والساسة الاقوياء فهم الشكل الذي لا يستطيع بمفرده أن يقدم نموذجا جيدا لمجتمع ناجح.

ويؤكد سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي على الدور الهام للثقافة في صناعة الساسة والاقتصاديين الناجحين كما يرد ذلك في كتابه القيم الموسوم بـ (العلم النافع) إذ يقول: (إن مسألة الثقافة من أهم المسائل في كل أمة وحضارة. وقد يصح ما يقال بأن العالم يدور على عجلة الاقتصاد والسياسة، ولكن الأصح من ذلك هو القول بأن الثقافة هي التي توجه الاقتصاد والسياسة. فبقدر ما يحمل الفرد من ثقافة وعلم في كلا المجالين، فإنه لا يخسر ولا يُغلب).

بمعنى أن التسليح بالثقافة هو تسليح بجوهر راسخ يتقدم الشكل بل ويقوده ويوجه خطواته نحو الطريق السليم، فالثقافة الايجابية هنا تصنع لنا سياسي (جوهرى) لا يتمتع بروح أحادية المسار والتوجه كأن يكون (عسكريا قويا وحازما وذا شخصية عسكرية متميزة) بل الثقافة تعمق الجوهر الانساني للقائد العسكري فتخلق (القائد المثقف) الذي سينتهي بشعبه او امته الى الرفعة والسمو والنمط الحياتي القويم، كما انتهى عظماء الانسانية بشعوبهم كرسولنا الاكرم ﷺ الذي قفز بالعرب والمسلمين والانسانية جمعاء من حقول الظلام الى فضاءات النور اللامحدودة، والشيء نفسه ينطبق على دور الثقافة في بناء الاقتصادي الناجح.

لذا يُفترض بنا أن نعي القيمة العليا للثقافة ودورها في تحويل المال الى منتج حضاري إذا كان مصدره ايجابيا، او الحد من خطورة المال اذا كان مصدره سلبيا وهنا يؤكد سماحة المرجع الشيرازي على هذا الدور الحيوي للثقافة فيقول في كتابه نفسه:

(إنّ الثقافة الصائبة وحدها القادرة على مواجهة وتصحيح ما نراه من ثقافة ضحلة في عالم اليوم، لأنّ القوّة أو المال أو غير ذلك يعجز عن مواجهة الثقافات وتغييرها، إذ لا يقارع الثقافة إلاّ الثقافة).

وهنا يتضح لنا تماما أن الثقافة بعمقها ومساراتها وآلياتها المتنوعة يمكنها أن تتحكم بتوجيه المال وتحويله الى المسارات الخادمة للانسان وتطلعاته نحو بناء امة انسانية النوازع والسلوك معا، كما أشار سماحة المرجع الشيرازي الى استحالة مقارعة الثقافة المضادة بالمال او غيره، بمعنى أن التخلف والجهل لا يُقارع بالمال وحده مهما كثر (ولنا بالعراق الثري/ الفقير خير دليل) بل لا بد أن نستثمر الثقافة كجوهر يتقدم الركب لمقارعة اشكال التخلف المتمثلة بالفوضى السياسية والاقتصادية.

وهنا يبرز دور المثقف في بناء المجتمع الناجح سواء كان سياسيا او اقتصاديا او غيرهما، بمعنى ان من الشروط التي لا يجوز التغاضي عن توافرها في السياسي والاقتصادي هو شرط التحصيل الثقافي، ليس الاكاديمي فحسب بل ما يتعلق بالموهبة والرؤية والذكاء والحكمة وعمق التجربة وما شاكل ذلك، إذ يقول سماحة المرجع الشيرازي في كتابه الثمين (العلم النافع): (لابدّ لمن أراد خوض الميدان الثقافي الهادف إلى التغيير أن يكون متسلّحاً بسلاح الفكر والثقافة).

ثم يؤكد سماحة المرجع على دور الثقافة كجوهر داعم للشكل الذي

يمثل وعاء يحتوي أنشطة المجتمع المختلفة ومنها الاقتصاد والسياسة كأهم دعامتين يرتكز إليهما بناء الدولة المعاصرة، ولذلك يقول سماحته: (من هنا كان العمل الثقافي من أهم الأعمال في المجتمع، فهو يمثل البناء التحتي لغيره من الأعمال). وهذا يؤكد بل ويثمن دور الثقافة الكبير في ترصين الأسس التي تنبني عليها مقومات المجتمع والدولة الناجحة في آن واحد.

شبكة النبا المعلوماتية - السبت ٣١/ تشرين الثاني/ ٢٠٠٩ - ١١/ ذو

القعدة/ ١٤٣٠

(٤)

الثقافة والتقدم صنوان لا يفترقان لإزدهار الشعوب

التقدم والازدهار والتطور من أهداف الانسان الكبيرة، سواء كان فرداً أو جماعة، وهكذا هي الطبيعة البشرية، غالباً ما تدفع بالانسان نحو التغيير الأفضل، لكن تبقى الوسائل وجودة التخطيط والأفعال الاجرائية المبرمجة هي التي تتحكم بالنتائج التي تتمخض عن الجهد المبذول من أجل الرفعة والتقدم الفردي او العام.

وتشارك طبيعة الثقافة بقوة في صنع القيم التي تسهم بالحركة الفكرية والعملية للمجتمع، وقد تنحدر الثقافة وتنتشر أفكار هابطة وسلوكيات لا تليق بالانسان، لذلك لا بد أن تكون الثقافة المعتمدة رصينة ومستمدة من الجذور الانسانية الصائبة، كما هو الحال مع القيم المستقاة من التعاليم الاسلامية الراقية.

يقول سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني

الشيرازي (دام ظله) بهذا الصدد في كتابه الموسوم بـ (العلم النافع):

(إنّ الثقافة الصائبة وحدها القادرة على مواجهة وتصحيح ما نراه من ثقافة ضحلة في عالم اليوم، لأنّ القوّة أو المال أو غير ذلك يعجز عن مواجهة الثقافات وتغييرها، إذ لا يقارع الثقافة إلاّ الثقافة).

وهكذا يكون المال ضعيفا ازاء قوة الثقافة، فما بالك لو كانت تستقر على ركائز قوية وصائبة، هذا يعني استحالة ضربها بالمال او الاساليب المادية الاخرى، لكن الخطر الفكري المضاد للثقافات الاخرى هو الذي يشكل حالة الخطر التي قد تدمر الثقافة الرصينة وتحل محلها ثقافات هابطة تدمر بدورها القيم الانسانية الصحيحة، وهو ما يحد من حالة التقدم التي يهدف إليها المجتمع، لذا لا بد من البحث عن الوسائل المساعدة في هذا المجال، وهنا يؤكد سماحة المرجع الشيرازي أهمية تقويم النفس أولا وتنقيتها لكي تصبح عاملا فاعلا ومساعدة على التقدم إذ يقول سماحته في هذا الجانب بكتابه نفسه:

(لا يمكن للنفس البشريّة أن تستقيم هكذا بسهولة وبسرعة من دون حاجة إلى ترويض ومقدّمات، بل هي بحاجة إلى رياضة مستمرة).

والترويض هنا يعني التعلم والتدريب على كيفية اكتساب الثقافة الصائبة، وهنا تبدو مسؤولية الفرد كبيرة في هذا الجانب، أي لا بد للشخص أن يبذل جهدا فرديا كبيرا في تحصيل الثقافة، فالشعوب التي حققت ما تتبغى من رفعة وتطور لم تصل الى تلك النتائج الباهرة لولا انبثاق الشعور الفردي اولا ثم العام ثانيا، بضرورة التنقيف الذاتي لزيادة الوعي ومن ثم تحقيق درجات أعلى من التقدم في مجالات الحياة المتنوعة.

ويؤكد سماحة المرجع الشيرازي بكتابه نفسه في هذا المجال على أن: (زمام الأمر بأيدينا نحن وليس بأيدي غيرنا، وكلّ واحد منا زمام نفسه بيده). بمعنى أن الارادة الفردية في تحصيل الوعي المطلوب والثقافة الجادة

تتعلق أولاً بزمام النفس او بالجهد الفردي المبذول في هذا الصدد، ومن ثم تصبح ظاهرة عامة او فعل جماعي مشترك، كما هو الحال في حالة انتشار القراءة في بعض المجتمعات الاوربية واعتبار القراءة غذاءً عقلياً ومعرفياً لايمكن الاستغناء عنه كما هو الحال مع الزاد المغذي لأعضاء الجسد.

ويؤكد سماحة المرجع الشيرازي على أهمية الاسلوب المشجع على التعاطي السليم مع الثقافة الجادة، إذ لا بد أن تتسم الكلمات والافكار باللطف والبساطة وجمال البيان والتعبير لأن هذه الامور تعد من المحفزات لهضم الثقافة، ويقول سماحته في هذا الجانب:

(يعتبر القلم والبيان في هداية الناس وإرشادهم بمثابة إناء الإرشاد وظرفه ووعائه. فالطعام مهما كان لذيذاً وطيباً إلا أنه قد لا يستساغ فيما لو وُضع في إناء أو وعاء غير نظيف أو غير صحي، فترى الإنسان لا يفكر أن يمدّ يده نحو مثل هذا الطعام ليرى إن كان لذيذاً أم لا، وذلك لوجوده في وعاء غير مناسب. أمّا إذا جيء بطعام عاديّ ولكن في إناء نظيف وجميل فسوف تتناوله الأعين قبل الأيدي بشوق).

وهكذا يكون الاقبال الفردي والجماعي على هضم الثقافة الجادة متواصلاً، وهو ما يساعد على توفير فرص التقدم بسبب زيادة الوعي والتنوير والفهم لطبيعة مجريات الحياة، من خلال صنع وترسيخ المنظومة القيمية التي تساعد الانسان والمجتمع معا على تحقيق فرص تقدم متواترة، وهو ما فعلته الامم والشعوب التي كانت تقبع في مهاوي الظلام ثم تمكنت بعد ذلك، بتعاقد مستمر بين الثقافة والتقدم، من تحقيق درجات متقدمة لحياة حرة وضامنة لكرامة الانسان.

شبكة النبأ المعلوماتية - الخميس ٢١/تشرين الأول/٢٠١٠ - ١٣/ذو

(٥)

مسؤولية المثقفين والعلماء تجاه الأجيال الصاعدة

تعاني الطبقات الأوسع من الشعوب الإسلامية، من قلة الوعي في الغالب، بسبب إنتشار الامية بين صفوف الفقراء، حيث تقف الحكومات النفعية عائقا بينهم وبين العلم والاطلاع والمعرفة، لذلك تسهل عملية تدجينهم من قبل الحكومات، لكي لا يشكلوا تهديدا لعروش الحكام المتسلطين على رقاب العباد، لهذا السبب لا بد أن تتصدى النخب المتعلمة لهذه المسؤولية الكبيرة، ونعني بها تنوير الفقراء وغير المتعلمين بمواطن الخير والحق وفرزها عن بؤر الشر والباطل، وهي مهمة صعبة وشاقة، ولكنها تبقى من مسؤولية رجالات العلم والثقافة، وإن أي تردد أو تباطؤ أو خلل منهم في هذا الصدد، يؤدي الى عواقب وخيمة.

من هنا جاء تركيز سماحة المرجع الديني، آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله) على هذا الموضوع، حين استقبل سماحته وفدا تكون من مئات العلماء والفضلاء والمبليغين والمثقفين وطلاب العلوم الدينية، ممن وفدوا الى بيت المرجع الشيرازي بمدينة قم المقدسة، للاستفادة من توجيهات سماحته القيمة فيما يخص هذا الشهر الفضيل، وذلك مساء يوم الأربعاء الموافق للخامس والعشرين من شهر شعبان المعظم، وقد أكد سماحته قائلا في كلمته بهذا الخصوص: (إذا تهاون العلماء في تعريف الحق وبيانه للناس، وفي بيان الباطل، ولم يؤدوا مسؤوليتهم كما يجدر في هذا المجال، فسيصاب الناس بالحيرة ويضلوا ويتبعوا الباطل).

وهكذا يتبين لنا حجم الدور الكبير الملقى على عاتق المثقفين،

والعلماء، والمصلحين عموماً، حيث تترتب عليهم أعباء ضخ الواعي بصورة متواصلة، الى عقول الناس البسطاء، وهذه المهمة تمثل واجبا أخلاقيا لا بد من القيام به، حيث يتساءل سماحة المرجع الشيرازي بكلمته نفسها قائلاً:

(من يتحمل مسؤولية تبيين الحق للناس وتبيين مصداقه الحقيقي كي يتبعوه، ومن يتحمل مسؤولية تبيين الباطل وفضحه، كي لا ينطلي على الناس؟ أليست هي مسؤولية العلماء وطلبة العلوم الدينية والمثقفين؟ ويالها من مسؤولية خطيرة).

وهكذا يبدو واجب العلماء والمثقفين واضحاً ومفهوماً، لكنه يتطلب ارادات قادرة على تحويل الطاقات الكامنة لدى العلماء، الى حزم متراصة من الوعي، الذي ينبغي أن يُبث على نحو متواصل للرعية، وهو عمل واجب ولا مناص منه، لذا قال سماحة المرجع الشيرازي في كلمته المذكورة نفسها:

(يجب على العلماء والمثقفين في كل زمان أن يسعوا إلى إزالة الحجب عن وجه الحق والحقيقة، وأن يبينوا الحق ويعرفونه للناس، فهذا الأمر من أوجب الواجبات، لأنه سبيل هداية الناس وسعادتهم).

ولا ننسى أن هناك فرقاً مضادة تحاول النيل من المسلمين، من خلال بث المعلومات المغلوطة، وترويج الثقافات المناوئة، هنا يكون الجهد المطلوب مضاعفاً من اجل فضح الدساس المعادية، حيث أكد سماحة المرجع الشيرازي قائلاً بهذا الخصوص: (يسعى الأعداء اليوم إلى ترويج الشبهات في المجتمع، ويحاولون سوق الشباب إلى المفاسد وإلى ارتكاب أن يتصدوا لهذه المحاولات، ويقوموا بدقّة وحكمة برّد الشبهات وفضح أصحابها وأصحاب الباطل، وأن يسعوا إلى نشر معارف أهل البيت الأطهار صلوات الله عليهم).

ولن تكون هذه المهمة سهلة بطبيعة الحال، لذلك يؤكد سماحة

المرجع الشيرازي قائلاً بهذا الصدد: على أهل العلم (أن يتحلّوا بالصبر، وأن يصمدوا ولا يتوانوا أبداً، وأن يبذلوا قصارى جهدهم في هذا المجال، وعليهم أيضاً أن يعطوا الأولوية في ممارسة الهداية إلى جيل الشباب). ويضيف سماحته قائلاً: (يجب على العلماء والمثقفين اليوم أن يعرفوا مسؤوليتهم المهمة والخطيرة جيداً. فمسؤولية أهل العلم هي التمييز بين الحق والباطل، وتبيين ذلك وتعريفه للناس كافة، وكذلك مسؤوليتهم تعريف الإسلام الحقيقي المتمثل بإسلام النبي وآله صلوات الله عليهم أجمعين للبشرية كلها). ولهذا لا بد أن نستثمر جميعاً هذا الشهر المبارك، من أجل تطوير النفس وبنائها بما يتلاءم مع وسائل العصر، لكي تتحقق طموحاتنا المشروعة، في بناء النفس وإبعادها عن مهاوي العصيان والرديلة، إذ يقول سماحة المرجع الشيرازي: (نحن على أعتاب شهر رمضان المبارك، وهذا الشهر هو أفضل فرصة وأفضل مناسبة لتزكية النفس).

ثم يدعو سماحته الجميع من الحاضرين أو غيرهم إلى ضرورة استثمار شهر رمضان المبارك على الوجه الأمثل، لاسيما في قضية أداء الواجبات وتنوير البسطاء من المسلمين وتوضيح الحقوق والحريات التي يستحقونها من أجل تحقيق الحياة الكريمة التي تليق بالإنسان، لهذا أكد سماحته قائلاً للجميع: (لنسع إلى الاستفادة من شهر رمضان المبارك استفادة أكثر وأفضل مما سبق، وإلى القيام بمسؤولياتنا الخطيرة وأدائها بعلمنا وبعملنا وقلمنا).

شبكة النبأ المعلوماتية - الخميس ٤/آب/٢٠١١ - ٣/رمضان/١٤٣٢

الباب الرابع الفكر الحسيني أساس البناء والإصلاح

- ◆ طريق الهدى يكمن في نشر الفكر الحسيني الخالد
- ◆ الشعائر الحسينية منهج لبناء الحياة المعاصرة
- ◆ عاشوراء... وهج متجدد لمأثرة سيد الشهداء
- ◆ مدرسة عاشوراء وحضورها الحي في ضمير الأمة
- ◆ عاشوراء، ملحمة عظيمة ومنار للأجيال
- ◆ ذكرى عاشوراء وتجدد القيم الإنسانية العظيمة
- ◆ زيارة الأربعين ملحمة التضحية وولادة جديدة
- ◆ دور الإمام الحسين في تثبيت الإسلام
- ◆ الإسلام والتواصل مع متطلبات العصر
- ◆ الشباب وتحقيق الأهداف الحسينية الخالدة
- ◆ شبابنا وضرورة التفاعل مع المجالس الحسينية
- ◆ عبرة دروس من الملحمة الحسينية الخالدة
- ◆ الإصلاح العام هو الهدف السامي للإمام الحسين عليه السلام
- ◆ الأهمية القصوى لاستلهاام دروس عاشوراء

(١)

طريق الهدى يكمن في نشر الفكر الحسيني الخالد

يستعيد المسلمون كل عام، ذكرى استشهاد أبي الاحرار الامام الحسين عليه السلام، على طريق التحرر والانعقاد من ظلم الحكام الفاسدين، ونظرا للظروف العصبية التي يمر بها الاسلام والمسلمون، بسبب الهجمة المتواصلة للحد من انتشاره وتأثيره في الناس كافة، لذا لا بد أن تتبلور السبل الدقيقة والمخطط لها من لدن المعنيين، للعمل وفقا لها، وتفعيل مبادئ الاسلام الحنيف، إستنادا الى هدي القرآن الكريم، والسنة النبوية، وعلوم أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين.

إستثمار ذكرى استشهاد أبي الاحرار

لذا تأتي هذه الذكرى العظيمة، لتصب في الجهود التي يبذلها المخلصون من أتباع آل البيت عليهم السلام، والشرفاء في العالم الاسلامي أجمع بل وأيضا كانوا في هذه المعمورة، وذلك لإيصال رسالة الحسين عليه السلام، الى أبعد المديات، وفقا للسبل المتاحة، والسبب أن العمل الصحيح والمركّز في هذا المجال، يفتح الابواب واسعة نحو طريق الهدى وخير الانسان.

ففي كلمة لسماحة المرجع الديني، آية الله العظمى، السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله)، على أعتاب حلول شهر محرّم الحرام، وذكرى

استشهاد الإمام الحسين صلوات الله عليه، قال فيها سماحته: (لا شك أنه إذا أوصلنا رسالة وتعاليم أهل البيت صلوات الله عليهم إلى الناس كما يجب، فهذا يعني - يقيناً - أننا قد دللناهم على طريق الهدى. فمن أراد منهم الحياة الخالدة فسيبتع أهل البيت صلوات الله عليهم، ومن يبتعد عن أهل البيت صلوات الله عليهم فإنه يريد الهلاك).

رسالة الهدى والنجاح

إن هدف الناس المخلصين لله ولرسوله ولآل بيته الاطهار عليهم السلام، واضح ولا يحتاج الى تفسير أو تأويل، إنه باختصار مؤازرة الحق ورفض الباطل والظلم، مهما كانت طبيعته او مصدره، حاكما أو رئيسا أو مسؤولا أو مديرا أو أيا كان عنوانه، فالمهم هو أن يعيش الانسان في كنف الحرية والسلام، والعدل والمساواة بين الجميع، هذا هو الاسلام وهذا هو الهدف الذي قدم الحسين عليه السلام، روحه من أجل أن يتحقق، ليرفل الناس بحياة حرة كريمة، لكن نتفق جميعا على أن الزمن لا يخلو من الناس الأذعياء، من أصحاب المصالح الدنيوية اللامشروعة، أولئك المراؤون، أصحاب الوجوه المتعددة، فهم الذين يشكلون خطرا داهما ودائما على الاسلام والمسلمين، بل وعلى الانسانية جمعاء.

لهذا يقول سماحة المرجع الشيرازي في كلمته المذكورة نفسها: (إن بعض الذين تكلموا عن الدين، فإنهم لا يتكلمون حرصاً عليه وحباً به وله، بل لأجل مصالحهم الدنيوية ومنافعهم الشخصية. فالدين عندهم وسيلة لتحصيل المكاسب الدنيوية ليس إلا. فهم إن أحسوا بالخطر على حياتهم تراهم يتركون الدين ويتعدون عنه).

وهكذا يبدو خطر هؤلاء واضحا، فهم لا يعبؤون بالدين وأهله، بل

بمصالحهم، لذا تجدهم قنّاصي فرص يركبون الموجة، متلونين، باحثين عن منافعهم وملذاتهم على الدوام، حتى لو كان الدين وسيلتهم الى اهدافهم غير المشروعة، لأنهم لا يتورعون عن ارتكاب الزلل والاكاذيب والغش والخداع للوصول الى مآربهم، لهذا نجد المخلصين حقا أقل من هؤلاء والسبب واضح، أن الحق حالة شاقة وصعبة على الانسان، وتتطلب منه بذل التضحيات الجسام، أما الباطل فلا أسهل منه قط، لكنه عين البلاء، حيث يودي بالانسان في نهاية المطاف الى التهلكة والعصيان معا، لذلك يؤكد سماحة المرجع الشيرازي قائلاً في هذا الصدد: إن (حبّ الدنيا وعبادة الدنيا هي حال أكثر الناس إلا ما استثني منهم، وهم قلة قليلة).

خطر المخادعين المرائين

مثل هذا الصنف المخادع من البشر لا ينحصر في عصر دون غيره، فهم موجودون في كل الازمنة والامكنة، يرافقهم وجود الظلم ايضا، حيث يتوالد الحكام الطغاة أو المسؤولين القساة في كل حين، وهم أولئك الذين يتركز جل اهتمامهم في مصالحهم وتحقيق شهواتهم والخضوع لرغباتهم، حتى لو جاء ذلك على حساب الآخرين، وهم في الغالب الشعوب المغلوبة على أمرها، لهذا يبرز الصراع بين الحق وسواه وبين العدل وسواه، كما تتحدث لنا تجارب التاريخ والامم عن ذلك بإسهاب، لهذا لا بد من الدور المصحح للاخطاء، والمصححون هم العظماء الذين خلدهم التاريخ في أبهى وأنصح صفحاته. فكما يعلم العالم أجمع أن الامام الحسين عليه السلام ضرب المثل الأعلى في الايثار والتضحية من اجل الانسانية، حين وقف بوجه الحكم الاموي المنحرف، لتعود مسيرة الاسلام الى جادة الصواب، ولذلك يتطلب عصرنا الراهن أناسا مخلصين، دائما لديهم الاستعداد الكافي للتضحية من اجل

المبادئ الحسينية، المستمدة من جذور الاسلام الصحيحة، على أننا نتوقع وجود المخادعين في كل حين، الامر الذي يتطلب أن نحسب حسابهم دائما. لذلك يقول سماحة المرجع الشيرازي في كلمته نفسها بهذا الخصوص: (في العصور السابقة، أي في عصر سلطة الأمويين، والعباسيين، والعثمانيين، وغيرهم من الحكّام المستبدّين والطّغاة، امتحن الكثير من المؤمنين في سبيل أهل البيت والإمام الحسين صلوات الله عليهم، فتركوا أهلهم، وهجروا أوطانهم، وتغرّبوا في البلدان لسنين طويلة، وبعضهم قضى نحبه في بلاد الغربية).

الامتثال لأهل البيت دائما

لذا نحن بأمرّ الحاجة لنشر الفكر الحسيني بمبادئه الانسانية الخلاقة، ولن يتم ذلك إلا من خلال الامتثال التام والمتواصل بأقوال وأفعال أهل البيت صلوات الله عليهم، ثم تكوين القاعدة البشرية المطلوبة لنشر هذا الفكر، والتي ينبغي أن تقوم بمهامها باستعداد كامل للتضحية بكل شيء، من أجل خدمة الحسين عليه السلام، وأهدافه التي باتت معروفة للقاصي والداني في آن واحد، ولا يختلف اثنان بأننا في عصرنا الراهن لانزال نراوح في مكاننا دونما تقدم او تطور، إلا اذا كان الامر يتعلق بتقليد الغرب، باستثناء المخلصين من اتباع أهل البيت، اولئك الذين نذروا أنفسهم وأموالهم وذويهم في خدمة سيد الشهداء عليه السلام، تحقيقا لعالم آمن مستقر ينطوي على حياة حرة كريمة يستحقها الانسان، طالما كان قريبا الى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله، ومتصلا بأهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين، من خلال نشر الفكر الحسيني بالوسائل المتاحة، والإبقاء على هذا الفكر الانساني متوقدا أبدا، ليضيء درب المسلمين والانسانية جمعاء نحو الخير والساداد.

لذا يقول سماحة المرجع الشيرازي في كلمته نفسها: (إن أهل البيت صلوات الله عليهم هم الملاك في كل شيء، فيجب أن نمثل لهم ولأقوالهم وأفعالهم وتقريراتهم، فهم صلوات الله عليهم: المتقدم لهم مارق، والمتأخر عنهم زاهق، واللازم لهم لاحق).

شبكة النبأ المعلوماتية - الخميس ١/كانون الأول/٢٠١١ - ٥/محرم

الحرام/١٤٣٣

(٢)

الشعائر الحسينية منهج لبناء الحياة المعاصرة

من الأقوال والقواعد المتفق عليها بين جميع الافراد والامم، قاعدة (لا يصح إلا الصحيح)، وقد أثبتت مسيرة الانسانية عبر مراحلها الشاقة، صحة هذه القاعدة، لسبب بسيط أن الافكار والافعال الصحيحة تستند الى الحق، وفي قاعدة اخرى (الحق يعلو ولا يُعلى عليه) وهكذا نلاحظ الترابط الجوهرى بين القاعدتين المذكورتين واستنادهما الى بعضهما، الامر الذي يؤكد أن الصحيح والحق صنوان لا يفترقان ابدا، ناهيك عن كونهما أساسا للنجاح الدنيوي والأخروي على حد سواء.

الشعائر من تقوى القلوب

ولا يختلف المؤمنون في أن (الشعائر من تقوى القلوب)، فكلما التزم الانسان بالشعائر كلما كان أقرب الى الله تعالى والى التقوى الشاملة، وهذا هو عين الحق والصحيح، اذن طالما أن الشعائر حق، وأن منهجها ينتمي الى الصحيح دائما، فإن فعلها وحضورها وتأثيرها يبقى ازليا، وأن من يقف ضدها سيصاب عاجلا أم آجلا بالخسارة والخذلان.

ففي كلمة بهذا الخصوص، ألقاها سماحة المرجع الديني، آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله)، بحشد من المؤمنين، قال فيها سماحة المرجع: (على الرغم من كل تلك المحاولات في محاربة وعرقلة الشعائر الحسينية نرى ونجد اليوم أن العزاء الحسيني قد انتشر في الدنيا كلها. فالبهلوي الأول وياسين الهاشمي وأمثالهما ظنوا أنهم يقدرون على عرقلة الشعائر الحسينية ومنعها، ولكنهم خابوا وفشلوا، فلو كان بإمكانهم اليوم أن يُخرجوا رؤوسهم من قبورهم ويروا اتساع العزاء الحسيني لرأوا خيبتهم وخسرانهم وفشل محاولاتهم. فهؤلاء ومن تبعهم ويتبعهم في محاربة الشعائر الحسينية، في الواقع هم تعساء بل لا عقل لهم ومجانين، بل أسوأ من ذلك).

خطر اللامبالاة والكسل

ولكن مع ذلك يحتاج الحق الى من يؤازره دائما، ويحتاج الفعل والفكر الصحيح الى الاسناد والتقويم والتصويب الدائم كذلك، بمعنى لا بد أن يكون هناك تواصل دائم مع الحق والصحيح من الافكار والافعال، والسبب لأن الجهات المعادية لذلك موجودة دائما، وهي تقوم بدورها التخريبي والتشكيكي دائما، لأنها تقف الى جانب الباطل ولا يروق لها الحق ابدا، لذلك ليس صحيحا أن يُصاب المؤمنون باللامبالاة والكسل والتراجع ازاء الشعائر الحسينية، ولا بد من مغادرة هذا الاسلوب الى العمل الفاعل والدائم، وذلك لاسناد الشعائر الحسينية وتعزيدها وإقامتها على الدوام، وفي جميع الظروف التي تسنح لذلك، لذا يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا الصدد: (إن اللامبالاة تجاه الشعائر الحسينية وتجاه كل ما يرتبط بالإمام الحسين صلوات الله عليه، لا معنى لها. فلذا يجب علينا أن نقوم بخدمة القضية الحسينية وتعظيمها وإحيائها بكل ما نملك ونقدر عليه).

حماية الشعائر ونشرها

وطالما أن المغرضين موجودون على الدوام، وأن اصحاب الباطل يتشبثون بخبثهم ومحاربتهم للشعائر وللحق عموماً، فإن التنبّه لهذا الامر ينبغي ان يكون حاضراً ومتوثباً على الدوام، من لدن اصحاب الحق ومسانديه على الظلم والشر والباطل، وقد يواجه المؤمنون مصاعب كثيرة وكبيرة اثناء عملهم المتواصل، والمؤمن في خدمة الشعائر الحسينية واقامتها، لكن هذا لا يعني التخلي او الانسحاب تحت مثل هذه الضغوط أو غيرها، بمعنى ينبغي أن يكون هناك اصرار على حماية وادامة الشعائر الحسينية على الدوام.

لذا يؤكد سماحة المرجع الشيرازي في كلمته هذه قائلاً: (يجب علينا أن لا نستسلم وأن لا ننسحب من خدمتنا للشعائر الحسينية إذا واجهتنا أدنى صعوبة أو أذى).

وهذا الهدف يتطلب وسائل كثيرة، ينبغي أن يلجأ إليها المؤمنون بالفكر الحسيني والشعائر الحسينية، لا سيما الشباب، بمعنى لابد أن يكون العمل لادامة الشعائر مخططاً ومنهجياً وعلمياً في آن، ولا بد ايضاً من استثمار وسائل الاعلام الحديثة، كالفصائيات وسواها في هذا المجال، وينبغي توظيف القدرات التكنولوجية بأقصى ما يمكن من اجل نشر الفكر الحسيني الى ابعد المديات الممكنة، ويؤكد سماحة المرجع الشيرازي قائلاً في هذا الصدد: (ينبغي الاستفادة من التكنولوجيا الجديدة، المتيسرة اليوم للجميع، أحسن وأفضل استفادة، في إيصال ثقافة عاشوراء إلى البشرية كافة، بمختلف لغاتهم. وعلينا أن لا ننسى بأن العمل الإعلامي هو نصف القضية والنصف الآخر والمكمل لها بل والأهم هو الدفاع والحماية، فإن العمل على توسيع رقعة إقامة الشعائر الحسينية المقدّسة بحاجة إلى الحماية والدفاع من قبل الجميع،

وبالخصوص الشباب).

فوائد الشعائر الحسينية

ويبقى العمل المخلص في هذا المجال، أي على طريق خدمة الفكر الحسيني، ذا فائدة كبيرة للانسان قبل غيره، بمعنى انه سيكون بخدمته وموقفه هذا، اكثر قربا الى الله تعالى، والى رسوله الاعظم وآل بيته الاطهار عليهم السلام، ناهيك عن السمو في الجانب الروحي والايماي للانسان، حيث تتصاعد في ذاته وتيرة الايمان الصحيح، ويتحصن ضد الزلل في جميع المجالات، وهو ما يعود عليه بالريح في الدنيا والآخرة معا، يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا الصدد بكلمته المذكورة نفسها: (نحن وأنتم بإقامتنا للشعائر الحسينية وتعظيمها، نكون في الواقع نحن المستفيدين، حيث نبغي بذلك علو الدرجات، ولكي نزداد قرباً إلى الله تعالى وإلى أهل البيت وأن تشملنا رعايتهم ودعاءهم صلوات الله عليهم، وإلا فإن أي شيء وأي عمل، مهما كبر وعظم، فإنه لا يجبر دم الإمام الحسين صلوات الله عليه أبداً، كما صرحت بذلك الروايات الشريفة).

وطالما أن الفائدة الفردية والجماعية مضمونة، على الصعيدين المادي والروحي معا، فإن العمل المتواصل على نشر هذه الشعائر يعد من أعمال وافكار الخير، لانها تهدف اولا واخيرا الى تقويم شخصية وفكر الانسان وعمله، وتهدف الى حماية الانسان من الانحدار في وادي العصيان وما شابه، لذلك ينبغي أن تتضاعف اعداد البشر الذين يدعمون هذا الخط، الذي يهدف بدوره الى ترسيخ ركائز الحق والخير في نفوس البشرية جمعاء، لذا يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا المجال: (لا شك كلما كثر المحامون والمدافعون، ازدادت الشعائر الحسينية نمواً، واتسعت رقعتها وانتشرت في

الدنيا أكثر. وهذا الأمر لا يتحقق إلا بالجدّ والاهتمام).

شبكة النبأ المعلوماتية - الخميس ١٥/كانون الأول/٢٠١١ -

١٩/محرم الحرام/١٤٣٣

(٣)

عاشوراء... وهج متجدد لمأثرة سيد الشهداء

في محرم من كل عام نعيش الذكرى المتجددة لاستشهاد أبي الاحرار الامام الحسين بن علي عليه السلام، حيث تتوشح مدينة الحسين المقدسة بالحزن والسواد على ما تعرض له آل البيت الاطهار من ظلم وتجاوزات لا انسانية قامت بها زمرة ضالة ظالمة تدّعي الاسلام زورا وبهتانا.

إن ارض كربلاء المقدسة تغص شوارعها وازقتها وساحاتها كالعادة بملايين الزوار الذين يأتون اليها من عموم مدن العراق والعالم، كي يحيوا الشعائر الحسينية المباركة.

وتنتصب عشرات التكايا في امكنة متعددة في مركز المدينة المقدسة وفي احيائها وخارجها ايضا وهي مضاءة ومتوهجة بالقناديل والثريات والمصابيح التي تشع بالايمان الراسخ في قلوب المسلمين وشيعة أمير المؤمنين واتباع اهل البيت الذين طهرهم الله تعالى من الرجس، ناهيك عن وهج المنائر والقباب الشامخة في سماء كربلاء أبدا.

وقد جاء في الكتاب القيم الموسوم بـ (اضاءات مرجعية) لسماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي حول هذه المناسبة العظيمة:

(يظل علينا شهر محرم الحرام، شهر الإمام أبي عبد الله الحسين سلام

الله عليه، شهر التضحيات الكبرى، وشهر مقارعة الحق - متمثلاً في الصفوة الطيبة من آل البيت وأصحابهم الأبرار - مع الباطل - متمثلاً في الحكومة الأموية الظالمة وأتباعها من عبيد الدنيا).

وهكذا تكون هذه الواقعة المتجددة ابداً من كل عام معياراً لقياس وكشف الظلم وإفرازاته التي تنعكس على البشرية أجمع، ودافعاً عظيماً على رفضه أياً كان مصدره والوقوف بوجه الطغاة مهما قويت شكيمتهم واشتد جبروتهم القائم على الظلم والقهر والبطش بالآخرين (الرعية) من دون مراعاة لحرمة الانسان وحقوقه التي أقرتها الاديان السماوية والنواميس والاعراف البشرية التي فصلت بين افعال الخير والشر عبر معايير الرشد والبطولة كما هي ماثرة سيد الشهداء عليه السلام حين اعلن قبل اكثر من الف واربعمئة سنة تحديه للطاغوت الاموي الظالم الذي حاول بكل ما يستطيع تغيير المسار الانساني القائم على العدل والتضحية والايثار وعموم المبادئ التي تضع نفسها بخدمة الانسان، ولهذا بقيت هذه الثورة الحسينية خالدة ما بقيت الدهور ومهما امتد الزمان، حيث يقول سماحة المرجع الشيرازي في كتابه بهذا الصدد:

(فهذا هو اسم الإمام الحسين سلام الله عليه يطبق أطراف الدنيا، وهذا هو علمه الخفاق يرفرف في كل بقعة، وهذا هو خطه - الذي هو خط رسول الله وأمير المؤمنين عليهما الصلاة والسلام - يزداد في كل يوم إنتشاراً وتألقاً، وهذه هي المجالس تعقد باسمه من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب، وهؤلاء هم الالوف والالوف من الخطباء، والشعراء، والكتاب يرددون اسمه الشريف، وهذه هي الملايين تهتدي إلى سبيل الحق ببركته).

وهكذا يتجدد منظر المواكب والتكيات الحسينية المباركة، وهي تتسابق

لتقديم نشاطاتها في ساحات وشوارع المدينة التي تزدان على الرغم من حزنها بملايين الاجساد والارواح المؤمنة، التي تندفق على المدينة المقدسة كي تطوف حول مرقد الامام الحسين واخيه العباس عليهما السلام، مستذكرة وقائع هذه الواقعة التي انتصرت للحق واصبحت منارا هاديا لثوار الارض ضد الظلم من دون استثناء.

ولعلنا لا نأتي بجديد حين نعدد مقومات الثورة الحسينية واهدافها التي تمثلت بالعزة والتضحية والاخلاق وغيرها من القيم العظيمة، حيث نقرأ في كتاب سماحة المرجع الشيرازي في هذا المجال:

(وأما الأخلاق فيكفي موقفه-الامام الحسين ع- تجاه الحر وأصحابه، حيث إعترضوه في كتيبة مدججة بالسلاح مؤلفة من ألف فارس ليسلموه إلى ابن زياد، لكنه سلام الله عليه لما رأهم عطاشى قال لأصحابه: إسقوا القوم وأرووهم من الماء ورشفوا الخيل ترشيفاً).

وهكذا يمكن للانسان أن يأخذ خصاله واخلاقه وكل ما يقوم شخصيته من فكر الحسين عليه السلام ومبادئه الخالدة المستمدة من تعاليم الاسلام الحنيف وسيرة جده الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وأبيه وامه سلام الله عليهما، وكما يقول سماحة المرجع الشيرازي في كتابه القيم هذا:

(وكلما كانت نسبة التعلم من الإمام الحسين سلام الله عليه أكثر، كان القرب إليه أكثر).

وهكذا يتجدد وهج الايمان لهذه الواقعة الخالدة كلما مر عليها عام آخر، وكأنها مع تقادم الزمن تستعيد قوتها وألقها ورسوخها بين العالم أجمع، لتقول للتاريخ إن الامام الحسين عليه السلام هو مصباح الهدى وسفينة النجاة.

شبكة النبأ المعلوماتية- السبت ١٩/كانون الاول/٢٠٠٩ - ٢/محرم/

(٤)

مدرسة عاشوراء وحضورها الحي في ضمير الأمة

الحاضر لا يستقيم ولا يمكن له الوقوف على قدمين قويتين، ما لم يأخذ من تجارب الماضي، ويستمد منها قوته ومساراته الصحيحة في الحياة الشائكة المتعرجة، ومن أعظم تجارب الماضي، وأكثرها خلودا في التأريخ الانساني، ملحمة عاشوراء واحداثها، التي تتجدد على مستوى الفكر والفعل، مع تقادم الازمان، نظرا لأصالتها وانحيازها التام، الى جانب الانسان، ضد الطغيان وأوجه الظلم كافة.

ولهذا شكّلت عاشوراء ومضامينها، مدرسة حية وشاخصة، أمام البصائر والابصار، ينهل منها من يرغب من الناس، أفكار الفضيلة، والسمو والترفع عن الصغائر، ناهيك عن الزخم الكبير المتواصل، الذي يستمدّه الانسان منها، ليقف ضد الظلم مهما كان حجمه، او نوعه، او مصدره، ولذلك أصبحت عاشوراء مدرسة خالدة، بأفكارها، ومنطلقاتها، وقيمها الانسانية التي نتزود منها في كل حين.

يقول سماحة المرجع الديني، آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظلّه)، في كتاب (من عبق المرجعية) حول المدرسة العاشورائية: (في كل مرة تحيا ذكرى عاشوراء ينهل محبو الامام الحسين (عليه السلاو) قيما ومفاهيم جديدة من مدرسة عاشوراء الخالدة).

وهكذا تتجدد هذه الذكرى، بمفاهيمها وقيمها التي رفضت الظلم، ووقفت بوجه الطاغوت الاموي، وانتصرت للحق، الذي جاء به الاسلام، ودافع عنه وأشاعه كقيمة عليا بين المجتمع الاسلامي، ولهذا بقيت القيم

العاشورائية خالدة، وعظيمة، كونها تتواءم مع فطرة الانسان، وتوجهاته نحو العيش بسلام، في ظل قيم ومبادئ ترفع من شأنه، وتحفظ كرامته، وبهذا اكتسبت عاشوراء خلودها وعظمتها، إذ يقول سماحة الامام الشيرازي في هذا الصدد بالكتاب نفسه: (جعلت عاشوراء الاخيار يطأطئون رؤوسهم إجلالا لعظمة صاحب الذكرى).

ولم يقتصر نهج الاصلاح، والاستفادة من قيم المدرسة العاشورائية، على الحياة وتنظيمها، وتوجيه مساراتها نحو سبل الصواب، بل تعدت ذلك الى النجاح في ضمان حسن العاقبة، في الحياة الاخرى، حيث يبقى الرضا الالهي، هو الهدف الأهم لكل الناس، وفي هذا الصدد يؤكد سماحة المرجع الشيرازي قائلاً: (يتزود المؤمنون من دروس عاشوراء الغنية لديناهم وآخرتهم).

ولكن ينبغي أن لا ننسى بأن المدرسة العاشورائية العظيمة، وصلت إلينا بعد التضحيات الجسيمة، التي قدمها المؤمنون، واتباع اهل البيت، صلوات الله عليهم، على طريق نصره الامام الحسين عليه السلام، والعمل بأهدافه نحو الاصلاح، حيث واجهوا شتى الصعاب والمخاطر، لاسيما من قبل الحكام الطغاة، الذين كانت قيم عاشوراء، ولا تزال تشكل خطراً عليهم، يقول سماحة المرجع الشيرازي، حول هذا الموضوع بالكتاب نفسه: (لا ننسى بأن ذكرى عاشوراء مرت بمسيرة طويلة من التحولات وان التضحيات التي قدمها الاسلاف والوالهون بسيد الشهداء - سلام الله عليه - هي التي اوصلت إلينا هذه المدرسة العاشورائية المناهضة للظلم والعريقة بأهدافها المقدسة).

ومثلما وصلت إلينا مدرسة عاشوراء وقيمها، من خلال تضحيات السابقين، من المؤمنين الصالحين، لا بد أن نوصلها الى الاجيال القادمة،

بالتضحيات الجسام أيضا، فهي أمانة بأعناقنا، وهي هدف أساسي من أهدافنا، إذ يقول سماحة المرجع الشيرازي حول هذا الموضوع: (لا يمكننا ان ندعي الانتماء لمدرسة عاشوراء ما لم نرخص الغالي والنفيس في سبيل ديمومة اهدافها العالية، وأن نسلم هذه الامانة الحسينية السماوية الى الاجيال اللاحقة مصانة لا تشوبها شائبة، وفي الوقت نفسه فاعلة وبعيدة عن أي زيغ او حرف، وهذا يتم في حال خلصت النوايا، وأبعدت المصالح الشخصية، ليحل محلها هدف تحقيق مرضاة الله عز وجل).

ولذلك لا بد أن تبقى قيم عاشوراء، شاخصة في اذهاننا وأعمالنا، فالاصلاح يبدأ بالنفس أولا، وعلينا أن نتخذ من هذه القيم الشريفة، معيارا لصحة أعمالنا، واقوالنا ايضا، وقبل أن نطالب الآخرين بالالتزام هذه القيم والمبادئ، ينبغي أن نطبقها على انفسنا أولا، كي نكون أمثلة حية، لخلود القيم العاشورائية، في ضمائرنا، وضمير الامة الاسلامية جمعاء.

شبكة النبأ المعلوماتية - الخميس ٦/كانون الثاني/٢٠١١ -

٣٠/محرم/١٤٣٢

(٥)

عاشوراء ملحمة عظيمة ومنار للأجيال

في شهر عاشوراء، تتجدد قيم الحياة النبيلة، وتغدو قريبة المنال لكل انسان يسعى إليها، باستذكاره لقيم ومبادئ الامام الحسين عليه السلام التي نهض من اجلها وثار ضد الطغيان مطالباً بها، لذا فإن كل إنسان في مثل هذا الشهر تكون المبادئ السمحاء طوع بنائه، فيمكنه أن يجدد أفكاره ومسارات حياته، ويراجع نفسه، ويمسح عنها أدرانها وأخطاءها التي علقت به نتيجة

لضعف النفس.

فهذا الشهر له خصوصية لا تشبه بقية الشهور، إذ يقول سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله) في كتاب (من عقب المرجعية) بهذا الخصوص:

(ان لمحرم خصوصية وتميزا، فبحلول هذا الموسم وبمجرد ان يهل هلال هذا الشهر يتبادر الى الذهن اسم الامام الحسين - عليه السلام - حيث قتل في العاشر منه مظلوما شهيدا).

ومع هذا الاستذكار السنوي المتواصل، يكون الانسان أكثر استعدادا لمساندة الحق، مستمدا رؤيته وايمانه هذا من رؤية ومبادئ واقعة الطف التي هزّت عرش الطغيان قبل قرون وقرون، ففي كل ذكرى وفي كل مرة (كما يقول سماحة المرجع الشيرازي):

(تحيا فيها ذكرى عاشوراء ينهل محبو الامام الحسين - عليه السلام - قيما ومفاهيم جديدة من مدرسة عاشوراء الخالدة).

ذلك أن عاشوراء ليست مناسبة دينية فحسب، ولا هي مناسبة لاداء الشعائر فقط، إنما هي تجديد للاهداف التي نادى بها الامام الحسين عليه السلام، والتي قدم ازاءها حياته ثمنا لمقارعة الظلم والانحراف السياسي والاخلاقي، الذي حاول فيه بنو أمية، كي ينحرفوا بالاسلام عن مساره، وكي يجيروا الدين لمصالحهم الفردية، في الحفاظ على الكرسي بوسائل الظلم والتجهيل والتقتيل، وكبت الآراء وكل الوسائل التي تساعد على البقاء لأطول زمن في كرسي العرش، الذي هزته الثورة الحسينية، ولا تزال تعلن مقارعتها لبؤر الظلم واصحابه في أي مكان وزمان، لاسيما البلدان الاسلامية التي تتخذ من الاسلام شكلا لها، في الوقت الذي اصبحت بعيدة كل البعد عن

جوهره الخلاق.

لذا فإن قضية الامام الحسين عليه السلام والتعريف بها، تعني التعريف بالحرية وبأهمية المطالبة بالحقوق الانسانية التي تحفظ كرامة الانسان، يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا الصدد بالكتاب نفسه:

(ما اكثر الناس الذين لا يعرفون الحسين وقضيته واهداف نهضته! وما أثقل مسؤوليتنا إذن!؟).

فالتعريف بالفكر الحسيني المناهض للطغاة، كان ولا يزال مسارا فكريا وعمليا ذا طابع استراتيجي يصب في صالح الانسان، ولهذا السبب تعاضمت المسؤولية على من يهمله هذا المسار الفكري العملي، من علماء ومفكرين ومعنيين بتنوير الانسانية بهذا المسار الذي يهتم المسلمين والانسانية جمعاء.

وثمة الكثير من السبل والوسائل التي يمكننا والمعنيون اعتمادها، لكي نؤدي هذا الدور الكبير، في نشر الفكر الحسيني، خدمة للحرية وأصحابها، ولابد أن يتقدم الاهتمام بالتعامل مع وسائل الاتصال الحديثة، وتوظيفها في هذا المجال، بالاضافة الى السبل الاخرى التي تساعد في تحقيق الاهداف المطلوبة، إذ يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا المجال بكتاب (من عبق المرجعية):

(ان التعريف بالحسين وقضيته من خلال اقامة مجالس العزاء والشعائر الحسينية من جانب والعمل على تحقيق هدف الامام الحسين المتمثل بانقاذ العباد من جهالة الكفر وضلالة الباطل الى نور الحق والاسلام والايمان، من جانب آخر، هما ضمن المسؤولية الملقاة علينا جميعا تجاه الثأر للإمام الحسين عليه السلام)

وأخيرا... تبقى قضية الحسين عليه السلام فنارا شاهقا تهتدي به سفن الحق ما

بقيت الانسانية على وجه المعمورة، كونها تتسق وفطرة الانسان وتوجهات الانسانية نحو الخير والسلام والتحرر من الطغيان بكل اشكاله وصوره. وهنا يؤكد سماحة المرجع الشيرازي على أن: (عاشوراء ملحمة عظيمة ومضيئة للأجيال على مر العصور).

شبكة النبأ المعلوماتية - الخميس ٩/كانون الأول/٢٠١٠ - ٢/محرم/

١٤٣٢

(٦)

ذكرى عاشوراء وتجدد القيم الانسانية العظيمة

في كل عام جديد نعيش فيه ذكرى عاشوراء، فنتجدد القيم الانسانية النبيلة وتسمو بنا روحيا بما ينعكس على الفكر والسلوك الذي يؤدي بالنتيجة الى مخافة الله تعالى وهي رأس الحكمة التي تجعل من الانسان في حالة انتباه دائم بعدم التجاوز على حدود الله تعالى، ممثلة بعدم التجاوز على حقوق الآخرين وهو مطلب يقع على رأس قائمة متطلبات الايمان الحقيقي والالتزام بقيم عاشوراء التي رسّخها فينا الامام الحسين عليه السلام مقابل التضحية بروحه الطاهرة وأهله وذويه وصحبه عليهم السلام أجمعين.

نعم كل المسلمين بل كل شرفاء العالم يتفقون على أن الامام الحسين عليه السلام يتصدر الاحرار في أي زمان ومكان وأن مبادئه وما دعا إليه من قيم خالدة جاءت لخير الانسان وإصلاحه ممثلة بمقارعة الانحراف والتسلط والهيمنة الفردية على جموع البسطاء من الناس واستلاب حرياتهم وآرائهم وأموالهم لصالح الفرد الحاكم وحاشيته ومصالحه التي لا تعدو كونها مصالح دنيوية آنية زائلة.

وقد جاء في إحدى المحاضرات القيمة لسماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي بهذا الصدد:

(مرة أخرى يطل علينا شهر محرّم الحرام وذكرى عاشوراء حيث تمّ إحياء هذه المناسبة منذ استشهاد سيد الشهداء الإمام الحسين سلام الله عليه إلى يومنا هذا ألفاً وعدة مئات من المرّات، وفي كل مرّة ينهل فيها محبّو الإمام قيماً ومفاهيم جديدة من مدرسة عاشوراء الخالدة، وهو ما أبقى على قلب هذه الملحمة العظيمة مضيئاً يخطف الأبصار عبر العصور، وجعل الأغيار يطأطئون رؤوسهم إجلالاً لعظمة صاحب الذكرى، والمؤمنين يتزودون من هذه المدرسة الغنية لدنياهم وأخراهم).

إن هذه الذكرى الانسانية المضمنة بدماء الحسين عليه السلام وذويه وصحبه الأكرمين، إنما حفرت أحداثها وحيثياتها وقيمها في أنصع صفحات التاريخ، حيث الامتداد المتنامي لهذه المدرسة الحسينية التي وجد فيها الانسان ضالته في تقويم الحياة ومشاربها ومساراتها الشائكة والمتداخلة، وقد قدم المؤمنون أنفسهم وأغلى ما يملكون من أجل هذه المدرسة ومن أجل أن تتنامى في نهجها التنويري الذي يهدف في اول ما يهدف إليه، زيادة وعي الناس بحقوقهم وشحذ هممهم على مقارعة المناهج الخاطئة من الساسة المتجبرين او غيرهم، ولعلنا لا نأتي بجديد حين نقول، إن رسوخ هذه الذكرى العظيمة جاء على خلفية مساع وتضحيات جسام من لدن المؤمنين، حيث يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذه المحاضرة:

(لا ننسى بأنّ ذكرى عاشوراء مرّت بمسيرة طويلة من التحوّلات، وأنّ التضحيات التي قدّمها الأسلاف والوالهون بسيد الشهداء سلام الله عليه هي التي أوصلت إلينا هذه المدرسة العاشورائية المناهضة للظلم، العريقة

بأهدافها المقدسة.

ولا يمكننا أن ندعي انتماءنا لهذه المدرسة ما لم نرخص الغالي والنفيس في سبيل تحقيق أهدافها العالية، وأن نسلّم هذه الأمانة الحسينية، السماوية، إلى الأجيال اللاحقة مصونة لا تشوبها شائبة، وفي الوقت نفسه فاعلة ومحفوظة من أي زيغ أو حرف، طبعاً إذا خلصت النوايا، وذابت المصالح الشخصية، ليحلّ محلّها تحقيق مرضاة الله عزّ وجلّ).

وهكذا يبدو لنا الهدف جلياً وواضحاً، فعاشوراء كذكرى متجددة إنما تهدف إلى تجديد القيم العظيمة وترسيخها في النفوس تحقيقاً للهدف الأسمى الذي يتمثل بالوصول إلى مرضاة الله تعالى وهي غاية الغايات لكل بني البشر، أو ينبغي أن تكون كذلك، وبهذا تتمظهر الغاية بالفائدة العامة لعموم البشر، بمعنى أن ما تهدف إليه المدرسة العاشورائية هو نشر ثقافة القيم الانسانية العظيمة التي ينبغي أن تسود على كل القيم الاخرى كونها تهدف في اول ما تهدف إليه إلى تحصين الانسان من الزلل وإسعاده في الدنيا بما يقترن بمرضاة الله جلّ وعلا.

من هنا تبدو الاهداف واضحة، ولهذا ينبغي السعي في هذا الاتجاه عبر مسالك متعددة تعمل على ترسيخ عاشوراء (ذكرى ومبادئ وقيما خالدة) ويؤكد سماحة المرجع الشيرازي على هذا الجانب فيقول في محاضراته القيمة نفسها:

(أولى مهام محبّي أهل البيت سلام الله عليهم إعلاء شأن عاشوراء وثقافة عاشوراء، وبرامج عاشوراء، ومجالس عاشوراء، ومواكب عاشوراء وإحياء كل ما يتعلّق بها ويخلّد ذكراها، ولا يخفى أنّها مسألة محفوفة بالمشاقّ والصعاب، لكنّها مشاقّ عاقبتها الثواب الجزيل والأجر الجميل).

وبطبيعة الحال كل الاهداف الانسانية العظيمة تحتاج الى همم وارادات قوية توازي عظمة الاهداف المراد تحقيقها، وفي هذا المجال تحديدا ينبغي أن تتوهج إرادات ومساعي المؤمنين الخيرين الذين يعملون بصفاء النوايا وقوة الارادات المؤمنة على خدمة الانسان من خلال خدمتهم لمبادئ الامام الحسين عليه السلام في ذكرى عاشوراء التي ما لبثت تتجدد مع تجدد الزمن.

شبكة النبأ المعلوماتية - السبت ١٦/كانون الثاني/٢٠٠٩ - ٣٠/محرم/

١٤٣١

(٧)

زيارة الأربعين ملحمة التضحية وولادة جديدة

الخلود لا يتحقق إلا للعظماء الذين حصلوا على هذه المرتبة بعد أن قدموا ما يوازيها من مواقف وأفكار وجهود نبئت جذورها في ارض الواقع لتثمر مبادئ عظيمة تنهل من عطائها الإنسانية ما بقيت الحياة، وهكذا هو الإمام الحسين بن علي عليه السلام الذي سطر أروع ملحمة في تأريخ البشرية قارعت الطغاة وأسقطتهم من عروشهم، ولتعلو راية الحق بدماء الحسين عليه السلام وذويه وصحبه الطاهرين.

وهكذا تخلدت ملحمة الطف، وهكذا يحني التأريخ هامته لها، وهي تمتد في أعماق الزمان لتثري عقول المؤمنين وتزيدهم وهجا وإصرارا على ولوج سبل الحق أيا كانت التضحيات، تمتليء شوارع وساحات وبيوت كربلاء المقدسة بزوار سيد الشهداء عليه السلام وتتدفق الجموع المليونية على المرقد الشريف لتؤكد سلامة الموقف ورسوخه وتجدهد للإمام الحسين عليه السلام، وهذه هي سمات الخلود التي استندت إلى قيم الحق الذي لا يعلو عليه

شيء، وبهذا الخصوص يقول سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد محمد صادق الحسيني الشيرازي في إحدى محاضراته القيمة التي تتعلق بقضية عاشوراء:

(مرة أخرى يطل علينا شهر محرّم الحرام وذكرى عاشوراء حيث تمّ إحياء هذه المناسبة منذ استشهاد سيد الشهداء الإمام الحسين سلام الله عليه إلى يومنا هذا ألفاً وعدة مئات من المرّات، وفي كل مرّة ينهل فيها محبّو الإمام قيماً ومفاهيم جديدة من مدرسة عاشوراء الخالدة، وهو ما أبقى على قس هذه الملحمة العظيمة مضيئاً يخطف الأبصار عبر العصور، وجعل الأغيار يطأطئون رؤوسهم إجلالاً لعظمة صاحب الذكرى، والمؤمنين يتزوّدون من هذه المدرسة الغنية لدنياهم وأخراهم).

نعم هي حالة ولادة متجددة للقيم العظيمة التي أفرزتها ثورة الحسين عليه السلام فلا خنوع ولا قبول للظلم ولا مهادنة لمن يستبيح محارم الانسان ولا مساومة مع الطغاة، ساسة كانوا او غيرهم، فقد علمنا الحسين عليه السلام كيف نحول الظلم الى نصر كما قال الزعيم الهندي الراحل غاندي، وعلمنا عليه السلام أيضاً كيف نجدد القيم ونطورها مع تطور الزمن وتجدد العصور وكيف نحولها الى طاقات كبيرة نستمد منها روحية العمل الانساني الباهر، حيث لا مجال لأرباب السوء والضعينة بين من يحملون راية الحق.

على أننا نفهم تماماً أن ما وصلنا من ملحمة الطف الخالدة ومآثرها العظيمة تقف وراءه جهود المحبين المؤمنين المستعدين أبداً للتضحية والإيثار بالنفس والمال والأهل، إذ يقول سماحة المرجع الشيرازي بهذا الخصوص في محاضراته القيمة:

(لا ننسى بأنّ ذكرى عاشوراء مرّت بمسيرة طويلة من التحوّلات، وأنّ

التضحيات التي قدّمها الأسلاف والوالهون بسيد الشهداء سلام الله عليه هي التي أوصلت إلينا هذه المدرسة العاشورائية المناهضة للظلم العريقة بأهدافها المقدسة).

لأننا ينبغي أن نفهم أن رسوخ القيم العظيمة في مجتمع ما لن تأتي جزافاً ولا تتحقق بلا جهد خلاق وعظيم يقف وراءها، فمسيرة الانسان هي سلسلة من المواقف والتضحيات الكبيرة التي تصل الى التضحية بأعلى ما يملكه الانسان وهي روحه كما فعل سيد الشهداء عليه السلام حين قدم روحه قرباناً على مذبح الحرية للتخلص من الطغاة والاطاحة بهم من عروشهم العالية صوب الحضيض، وهذا ما يتطلب منا جميعاً أن نسعى ونجدد سعينا الجاد لترسيخ قيم الحق الحسينية الخالدة في نفوس الجميع ضمن مساع فردية وجماعية متأزرة في هذا الاتجاه، إذ يقول سماحة المرجع الشيرازي بهذا المجال:

(لا يمكننا أن ندعي انتماءنا لهذه المدرسة ما لم نرخص الغالي والنفيس في سبيل تحقيق أهدافها العالية، وأن نسلّم هذه الأمانة الحسينية، السماوية، إلى الأجيال اللاحقة مصونة لا تشوبها شائبة، وفي الوقت نفسه فاعلة ومحفوظة من أي زيغ أو حرف، طبعاً إذا خلصت النوايا، وذابت المصالح الشخصية، ليحلّ محلّها تحقيق مرضاة الله عزّ وجلّ).

ولعلنا نقر بل ونؤمن بأن السعي نحو تحقيق الاهداف العظيمة ينبغي أن يأتي ضمن عملية واضحة ودقيقة من التخطيط والبرمجة التي تنظم السعي مهما تعددت أهدافه او سبله، فالعمل العشوائي بطبيعة الحال لا يتوافق مع الاهداف العظيمة التي تتمثل بتخليد وتجديد الفكر الحسيني وإيصاله الى أبعد بقاع الارض تحقيقاً لمصلحة الانسان بغض النظر عن المكان، فسواء

كان في الغرب او الشرق، في الشمال او الجنوب من المعمورة، فإن الهدف منه واضح كل الوضوح، لكن نحن نعرف أن أهل القضية هم أكثر اندفاعا من غيرهم لإيصالها للآخرين، ولذلك يرى سماحة المرجع الشيرازي أنه من أولى مهام محبّي أهل البيت سلام الله عليهم:

(إعلاء شأن عاشوراء وثقافة عاشوراء، وبرامج عاشوراء، ومجالس عاشوراء، ومواكب عاشوراء وإحياء كل ما يتعلّق بها ويخلّد ذكراها، ولا يخفى أنّها مسألة محفوفة بالمشاقّ والصعاب، لكنّها مشاقّ عاقبتها الثواب الجزيل والأجر الجميل. فالذين قدّموا في هذا الطريق الخدمات الجليلة للإمام الحسين سلام الله عليه، وتحملوا في سبيله العناء والعذاب، سيسجّل لهم ذلك بأحرف من نور في سفر التاريخ).

وهكذا نتفق جميعا على أن القيم العظيمة ينبغي أن يدعمها السعي العظيم المبرمج لكي تتحقق النتائج المرجوة، ولهذا كانت وستبقى أربعينية الامام الحسين عليه السلام مناسبة لتجديد القيم الحسينية وترسيخها بعد نشرها بين الناس الى ابعد المديات، تحقيقا لمنفعة المسلمين بل والانسانية جمعاء.

شبكة النّبأ المعلوماتية - الاثنين ٨/شباط/٢٠١٠ - ٢٣/صفر/١٤٣١

(٧)

دور الإمام الحسين في تثبيت الإسلام

بدأ الإسلام بفرد واحد هو خاتم الانبياء محمد صلى الله عليه وآله، ونما ليصبح هذا الفرد مئات الملايين يتوزعون على ارجاء المعمورة كلها، ولكن بين بداية الفرد (النبي الأكرم -ص-) ومئات الملايين من المسلمين رحلة طويلة وشاقة تخللتها ردّات وانتهاكات ومحاولات يائسة لكنها خطيرة لتدمير الاسلام

ومحوه من الوجود، وهي محاولات واضحة ومؤشرة ومرصودة من لدن التأريخ وصفحاته التي لاتغض الطرف عن مثل هذه الانتهاكات الصارخة بحق الاسلام.

وقد كان دور الامام الحسين عليه السلام واضحا وخالدا في إقامة الاسلام واسناده وتثبيته بعد أن كاد الامويون أن ينحرفوا به الى الاهداف التي تخدم مصالحهم الفردية الدنيوية في آن واحد، وبعد أن صار الدين في عهدهم وسيلة للكسب والنفوذ الذاتي على حساب المسلمين جميعا، لا سيما الفقراء والبسطاء منهم، فكانت ارادة الله عز وجل التي جعلت من دم الامام الحسين الطهور سبيلا الى عزة الاسلام وثباته وبذلك كانت هذه المكانة كبيرة وعظيمة عند الله تعالى.

يقول سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي في إحدى محاضراته القيمة التي حملت عنوان (الامام الحسين عليه السلام أقام الدين): (إن الإمام الحسين سلام الله عليه أقام دين جدّه صلى الله عليه وآله، ولولاه لما قامت للدين الإسلامي قائمة).

وهذا ما سنبينه خلال البحث؛ عسى أن نكون قد تحدثنا عن الإمام الحسين سلام الله عليه وفضلته ووفينا ببعض ما علينا تجاهه ولو بمقدار ما تحمله رأس الأبرة من بلل البحر! ذلك أن الحديث عن الحسين سلام الله عليه حديث عن الله سبحانه والقرآن وعن الرسالة والحق وعن كل فضيلة). ولكن إذا كانت هذه مكانة الامام الحسين عليه السلام في السماء، ترى هل قام أهل الأرض بما ينبغي عليهم تجاه الامام الحسين عليه السلام؟ إنه سؤال موجه الى الجميع لا سيما المسلمين منهم، فحين ضحى الامام بدمه وروحه وذويه وصحبه الكرام الطاهرين، وهو أعلى ما يملك الانسان، ترى هل قابلنا نحن

بنو البشر والمسلمون على وجه الخصوص هذه التضحية وهذا الايثار العظيم بما يناسبه او حتى ولو جزء منه؟

لقد جاء في محاضرة سماحة المرجع الشيرازي ما يؤكد عظمة الامام الحسين عليه السلام في السماوات حيث قال: (عن الإمام الحسين سلام الله عليه قال: «أتيت يوماً جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله، فرأيت أباي بن كعب جالساً عنده، فقال جدّي: مرحباً بك يا زين السماوات والأرض! فقال أباي: يا رسول الله! وهل أحد سواك زين السماوات والأرض؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله يا أباي بن كعب والذي بعثني بالحق نبياً، إنّ الحسين بن علي في السماوات أعظم مما هو في الأرض، واسمه مكتوب عن يمين العرش: إن الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة.) مدينة المعاجز، للسيد هاشم البحراني، ج ٤، ص ٥١.

إذن ما هو الدور المطلوب من المسلمين ازاء ما قدمه الامام عليه السلام للاسلام والمسلمين طرا وهو يتصدى بدمه وروحه وذويه وصحبه للطواغيت الذين جبروا المبادئ الاسلامية العظيمة لخدمة مصالحهم الدنيوية الدنيئة، وهل وظّف المسلمون هذه المكانة العظيمة للامام عليه السلام بما يصب في صالحهم وصالح الاسلام؟

لقد أفاد الانسان من هذه الواقعة (واقعة الطف) والملحمة الفريدة ووظيفها لصالحه ليس المسلمين حصراً وقد ذكر سماحة المرجع الشيرازي في محاضراته القيمة بهذا الخصوص: (ينقل الشيخ محمد شريعت رحمته الله أحد علماء الشيعة الذين عاصرتهم (أصله من كراچي، وكان يسكن في النجف الأشرف وكربلاء المقدّسة) أنه كانت تربطه صداقة بقسّ مسيحي فقال له يوماً: أنتم الشيعة عندكم الحسين سلام الله عليه ولكنكم لا تستفيدون منه كما ينبغي.

ولو كان عندنا الحسين فقط لركزنا في كل شبر من الأرض علماً باسم الحسين نجمع الناس حوله ونبلّغهم ديننا ولما تركنا إنساناً على وجه الأرض إلاّ دعوناه إليه).

وإذا كان المسيحي ينظر الى ملحمة الطف بهذه الرؤية الانسانية الثاقبة، فهل قمنا بما يجب ازاء ذلك؟ خاصة اننا نعيش هذه الايام ذكرى عاشوراء وما تمخضت عنه من وقائع واحداث أثبتت بما لا يقبل الشك بأن الاسلوب الوحيد الذي يجب أن ينتهجه الانسان ضد الطواغيت هو رفض الظلم والقهر والتجاوز على الحقوق والالتزام بمنهج النبي الاكرم واهل البيت عليهم السلام، ولعل هذه اهم الدروس التي ينبغي معرفتها والتوغل في جوهرها والتمسك بها خدمة للاسلام وللمسلمين انفسهم قبل غيرهم، على أننا يجب أن نقر بأن دور الامام الحسين عليه السلام كان وسيبقى خالداً خلود الدهر، وذلك في دعمه لحرية الانسان وعلو شأنه من خلال تثبيت الاسلام وإقامته وإقامة فرائضه، إذ يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا المجال: (لولا الحسين لكان اسم الرسول صلى الله عليه وآله - وكما تمنى معاوية - حاله حال اسم أبي بكر وعمر، لا يزداد أن يُقال: كان محمد. أمّا رفعه في الأذان مقروناً بالرسالة كل يوم خمس مرات، وامتداده في استمرار تعاليمه في الصلاة والصوم والمساجد والحجّ والدين كلّ فكل ذلك رهين دم الحسين سلام الله عليه، وهذا معنى مخاطبتنا له سلام الله عليه في الزيارة: «أشهد أنك قد أقيمت الصلاة» لأنه لولا الحسين لما صلّى أحد).

شبكة النبأ المعلوماتية - السبت ٩/كانون الثاني/٢٠٠٩ - ٢٣/محرم/

(٨)

الإسلام والتواصل مع متطلبات العصر

لا يُخفى أن مجتمعاتنا الاسلامية لا تزال بحاجة الى توعية كبيرة ومتواصلة من أجل أن تتوافق مع العصر وتحافظ بهويتها الاسلامية الانسانية في الوقت نفسه، بمعنى ربما يرى بعضهم أن هناك تعارضا بين سمات العصر وبين مبادئ الاسلام الذي يحرص على أن يصون كرامة الإنسان ويعلي من شأنه. ولكن هل فعلا هناك تناقض بين الإسلام وطبيعة العصر؟.

إن الاجابة الدقيقة عن هذا التساؤل يمكن أن تؤخذ من جوهر التعاليم الاسلامية الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وسيرة أهل بيت النبوة الاطهار عليهم السلام، ولدينا في كفاح الامام الحسين عليه السلام وطبيعة صراعه الذي خاضه ضد الظلم والطغيان دلائل واضحة تشير الى أن الاسلام مع الحق والعدل والمساواة وهي سمات ينبغي أن يتجدد بها العصر الراهن وما يليه من العصور كونها مبادئ إنسانية شاملة تصب في تعضيد الكرامة البشرية والحفاظ عليها.

وبهذا الصدد يقول سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله) في إحدى محاضراته القيمة الموسومة بـ (عاشوراء دروس وعبر) يقول:

(إن للمدرسة الحسينية عطاءً لا ينفد، ومكاسب لا تبلى، وهي تجسّد عظمة سيد الشهداء سلام الله عليه. فالحسين إمامنا ومثلنا الأعلى، فلنرَ ماذا قدّم لنا حتى نسلك طريقه ونتبع أثره).

وهذا ما يقودنا الى الاسترشاد بسيرة الامام الحسين عليه السلام والأخذ منها

في معالجة شؤون العصر والتعايش معه وفقاً لتطلعات المسلمين نحو حياة أفضل تضمن لهم واقعا ينسجم مع التمسك بما يريد الله تعالى من الانسان في حياته وبعد مماته ايضا، لذا فإننا مطالبون في هذه الحالة بالمحافظة القصوى على المزايا والمكاسب التي حصلنا عليها من دروس وعبر الملحمة الحسينية الخالدة، ومن هذه العبر المهمة هي مواجهة العنف بالسلام كما تعامل إمامنا عليه السلام مع من حاربوه، يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا المجال:

(أحد الأعمال التي قام بها الإمام الحسين سلام الله عليه هي تقديمه الماء لأصحاب الحرّ الرياحي، فمن هم يا ترى أصحاب الحرّ. إنهم جماعة كلفهم ابن زياد بمهمة اقتياد الإمام الحسين سلام الله عليه إليه، وكان الحسين قد قال: «حتى لو استسلمت لهم، فلن يتورّعوا عن قتلي»، نعم، إنهم جاءوا لمحاربة الحسين سلام الله عليه وقتله في حال عدم استسلامه، لكن الحرّ رجع إلى نفسه وتاب في يوم عاشوراء بعد الذي بدر منه في البداية، فتاب الله عليه وكذلك الإمام سلام الله عليه عفا عنه. والآن لنرَ ماذا فعل أصحاب الحرّ؟ فريق منهم رمى الإمام بوابل من سهامه، وفريق آخر حاربه بالرمح والسيف، وأولئك الذين لم يكن معهم سلاح أمطروه بقطع الخشب والحجارة، كما ساهم بعضهم في قتل علي الأكبر سلام الله عليه، ومنهم من رمى أبا الفضل العباس بالسهام. وكان الإمام سلام الله عليه يعرفهم ويعرف نواياهم، لكن مع ذلك سقاهم الماء، وهنا نسأل دون أن نعترض: «يا أبا عبد الله لماذا سقيتهم الماء؟». الجواب هو أن الله تعالى يريد من الإنسان أن يخدم أخاه الإنسان صالحاً كان أم شريراً).

إن هذا الدرس الكبير هو احد الدروس العظيمة المستقاة من سيرة

الامام الحسين عليه السلام وهي تعلمنا كيف نتعامل مع بعضنا في حالات التضاد والصراع وما شابه، بل هي تطلب منا أن نتعامل بلا عنف حتى مع أعدائنا، فأى درس عظيم هذا، وماذا تريد الحضارة الانسانية الناجحة أكثر من ذلك؟ إن قمة التحضرّ البشري هي أن يصل الانسان الى حالة العفو والرحمة حتى عن أعدائه، وهذا درس ينبغي أن يتمسك به المسلمون وهم يتعاملون مع العصر الراهن القائم على الاحتراب والتنافس والصراع العجيب على موائد الدنيا، في ظل هجمة شرسة تحاول أن تلتصق بالاسلام مبادئ لا تمت له بأية صلة، فيقال هنا وهناك بأن الاسلام لا يصلح للتعامل مع العصر، ولعل من أهم الاسباب أننا لم نتعلم كيف نصون المبادئ الحسينية او أننا لم نوظفها لصالحنا بالوجه الأمثل.

لقد أكد سماحة المرجع الشيرازي على أهمية أن نؤدي أمانتنا ازاء الامام الحسين عليه السلام وفكره من جهة وازاء الشباب من جهة أخرى، حيث تتطلب مسؤوليتنا أن نفتح الافاق أمام الافكار والمبادئ العظيمة ونجعلها في متناول الشباب والناس عموماً لكي يهتدوا بها ويطبّقوها في التعامل مع العصر ومستجداته، إذ قال سماحة المرجع الشيرازي في هذا الصدد:

(إنّ شبابنا هم أمانة الله وأهل البيت سلام الله عليهم في أعناقنا، وقد حافظ أسلافنا على الأمانة على أحسن وجه وسلمّونا الدين ومضوا، لذلك علينا أن نسعى بدورنا أن نصون الأمانة الواصلة إلينا على أتمّ صورة، لنسلمّها إلى الأجيال من بعدنا).

لهذا السبب فإن الاسلام بهذه المبادئ العظيمة هو أفضل من يستطيع التواصل مع حاجات العصر والانسان معاً، استناداً الى إنسانية مبادئه وتعاليمه، التي طبّقت على أفضل وجه من لدن الانبياء والاولياء والائمة

الطاهرين عليه السلام، ولنا في مآثر الفكر الحسيني دليلاً واضحاً على تواءم وانسجام الاسلام مع سمات ومتطلبات العصر الراهن وكل عصر.

شبكة النبأ المعلوماتية - السبت ٢٩/أيار/٢٠١٠ - ١٣/جمادى

الآخرة/١٤٣١

(٩)

الشباب وتحقيق الأهداف الحسينية الخالدة

عظماء التاريخ البشري هم اولئك الذين خلدتهم أعمالهم واقوالهم وأفكارهم ومبادئهم التي تحولت من صيغتها اللغوية الى حقل العمل الملموس على ارض الواقع، ووضعت مضامينها في خدمة الانسان كي ترتقي به الى ما يليق بكيانه وجوهره، فكلنا نتفق على أن القول وحده لا يكفي والفكر من دون ان يتحول الى حقل الملموس لا دور له في تحسين الحياة البشرية وتقويمها لما هو أفضل وأصح.

ولعل العلامات التاريخية الراكزة أكثر وضوحاً من غيرها بل هي على رأس الوقفات الخالدة التي يجعلها الانسان ما بقي الزمن وما بقيت الحياة قائمة، كما هو الحال مع سيد الشهداء الامام الحسين عليه السلام ووقفته ضد الظلم والاستبداد والطاغوت وحرف الاسلام عن مساره ومبادئه وتعاليمه لكي يصبح تحت سطوة الفردية التي تضع مصلحتها فوق مصالح الملاء، وهنا يتطلب الامر جهوداً استثنائية لكبح جماح السلوك الأناني وتدعيم المنهج الحسيني وتعويضه من لدن الجميع خدمة لأهداف الامام الحسين عليه السلام التي هي خدمة للانسان قبل غيره.

وهنا ينبغي مراعاة الشباب وكسبهم وزجهم في هذا المجال حيث

يقول سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي في عدد من محاضراته التي تختص بعاشوراء:

(إنّ شبابنا هم أمانة الله وأهل البيت سلام الله عليهم في أعناقنا، وقد حافظ أسلافنا على الأمانة على أحسن وجه وسلّمونا الدين ومضوا، لذلك علينا أن نسعى بدورنا أن نصون الأمانة الواصلة إلينا على أتمّ صورة، لنسلمها إلى الأجيال من بعدنا، فلنحاول أن لا يُحرم أيّ شابّ في محلّتنا أو عشيرتنا أو بين أصدقائنا من المشاركة في الحسينيات ومجالس العزاء، وإذا كنّا نعرف شباباً كهؤلاء فلنشجّعهم على المشاركة في هذه المجالس، ولندفع الشباب نحو المواكب الحسينية والتي هي حبل النجاة من الضلال والجهل بكلّ وسيلة متاحة، ولنكرّر محاولتنا معهم مرة وثانية وثالثة... وهكذا، ولا نياس من عدم استجابتهم، حتى ينضمّوا إلى الصفوف الحسينية).

إن حفظ الامانة يوجب عملية التركيز على الشباب وزجهم في اجواء الايمان وينبغي عدم اليأس في التعامل معهم في هذا المجال بل تكرار محاولات الاقناع من خلال شرح وتوضيح المنهج الحسيني القائم على العدل والمساواة والتسامح وعمل الخير ورفض الظلم أيا كان نوعه او مصدره، ولعل هذا النوع من الانشطة يشكل حافزا قويا وعمليا لتحقيق الاهداف العظيمة التي استشهد من اجلها الامام الحسين عليه السلام وهنا يؤكد المرجع الشيرازي على اهمية المجالس الحسينية ودورها الكبير في تحقيق الوثام بين أهل الشأن إذ يقول سماحته في احدى محاضراته القيّمة بهذا الخصوص:

(لنحاول دفع الشباب باتجاه المواكب والشعائر الحسينية، فهذه المسألة تحظى بأهمية كبيرة، خاصة في عالم اليوم حيث تحاول وسائل الأعلام المضلّة وبشكل واسع إغراء الشباب وجذبهم نحوها. وعلينا أن نعلم بأنّ كلّ

حسينية هي بيت من بيوت الإمام سيد الشهداء سلام الله عليه، فلنحاول تجنيب هذه الحسينيات من أن تتحوّل إلى مسرح لطرح الخلافات والنزاعات، بل على العكس، لنجعل منها أماكن للاجتماعات والوحدة والوئام).

ولعلنا سنجد في المبادئ الحسينية ما نبحت عنه من تنوع وتعدد في الرؤى والافكار والمواظب الكبيرة التي تصب في الصالح العام، ومنها إمكانية الاعتبار والاستفادة من دروس التجربة القائمة على التحرر بأقصة درجاته، حيث الحرية بأقصى درجاتها هي التي دفعت بالامام الحسين عليه السلام لكي يتخذ من الثورة سبيلا لاصلاح القادة السياسيين الذين وظفوا الدين للوصول الى مصالحهم السلطوية الظالمة وادامة تربعهم على عرش الزيف والانحراف والتجاوز على حقوق الرعية.

ولو اراد الباحث أن يغوص في واقعة الطف الخالدة وحيثياتها فإنه سيصل الى مقاصده سواء في قوة المبدأ او التجربة او الفكر، حيث يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا الصدد:

(إن قضية الإمام الحسين سلام الله عليه تتميز بميزتين هما العبرة والعبرة، وهاتان الميزتان متلازمتان. من هنا، فإنّ الذي يحظى بمنزلة أرفع وحرمة أكبر عند سيّد الشهداء سلام الله عليه هو الأقدّر على أخذ العبرة من الإمام سلام الله عليه وذرف الدمعة والعبرة عليه، وعلى قدر السعي في هاتين المسألتين يكون الثواب والجائزة، بعبارة أخرى، إن توقّع الإمام الحسين سلام الله عليه من الأفراد يتناسب مع منزلتهم ومقامهم).

وهنا سنتفق على ان هدف الامام الحسين عليه السلام لم ينحصر بفئة معينة بل بالعباد كما يقول المرجع الشيرازي هنا (فالإمام سلام الله عليه أراد أن

ينجي العباد من الجهل والضلال والتهيه، لذلك إذا أردنا أن نتقرب منه أكثر علينا أن نبذل كل ما نملك في خدمة هذه القضية).

وهكذا أصبح من المطلوب أن نركز جهودنا على السعي من اجل تحقيق الاهداف الحسينية التي قدم من اجلها سيد الشهداء عليه السلام أغلى ما يملك، روحا واهلا وصحابة، حيث يلخص سماحة المرجع الشيرازي رؤيته في هذا المجال بقوله:

(وخلاصة القول، إن الإمام الحسين سلام الله عليه استشهد لثلاثة أهداف: أصول الدين، والأحكام الشرعية، والأخلاق الإسلامية، فمن أراد البرهنة على ولاءه لسيد الشهداء سلام الله عليه وأهدافه السامية عليه أن يسعى لتحقيق هذه الأهداف الثلاثة التي استشهد من أجلها الإمام سلام الله عليه، وأن يضعها على رأس أولوياته، لتقر عين الإمام الحسين سلام الله عليه والإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف. ولنعلم بأنه على قدر هممنا في المضي في هذا الدرب، تكون عنايتهما ولطفهما تجاهنا).

شبكة النبأ المعلوماتية - السبت ٢/كانون الثاني/٢٠٠٩ - ١٦/محرم/

١٤٣١

(١٠)

شبابنا وضرورة التفاعل مع المجالس الحسينية

المجالس الحسينية، تعد وسيلة مهمة، من وسائل التنقيف على الفكر الحسيني، وكذلك تُعدّ وسيلة للتعريف بمبادئ أهل البيت عليهم السلام، التي تُعد بدورها، ركيزة أساسية لمن يرغب أن تسود حياته، الاعمال التي تخدم الانسانية، وتساعد في بناء حياة كريمة، توازي كرامة الانسان، وقيمته عند

الله تعالى.

وللمجالس الحسينية بركات كثيرة، وكبيرة، يمكن أن يلمسها الانسان في حياته، قبل آخرته، وفي هذا المجال، يقول سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظلّه)، في كتاب (من عبق المرجعية): (من يقيم مجالس العزاء الحسينية العامة والخاصة يحظى ببركات دنيوية جلية تسبق بركات الأخروية).

وتبقى المجالس الحسينية، في مضمونها واهدافها، دافعا مهما لهداية الانسان، نحو السير في طرق النجاة، والنجاح معا، كونها تعود بالبركات الالهية المتعددة، على الانسان وذويه، لهذا يمكن لرب الاسرة، وهو المسؤول الاول عن اسرته، أن يستضيء بهداية هذه المجالس، التي تحيي فكر الامام الحسين عليه السلام وأئمة أهل البيت الاطهار، وتجعل من هذا الفكر مشعلا مضيئا لحياة العائلة، وأفرادها صغارا وكبارا. يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا الصدد بالكتاب نفسه: (يمكنكم أن تضيئوا مصباح الهداية الحسيني في بيوتكم، وذلك من خلال اقامة مجالس العزاء الحسينية العامة، فمن تمكن من فعل ذلك فهنيئا له، ومن لم يتمكن فليقم مجالس عزاء خاصة في بيته، وإذا تعذر ذلك ايضا فيمكنه اقامة مجلس عزاء لاسرته فقط مع مشاركة جار او قريب له).

هكذا تكون اقامة هذه المجالس المباركة، على هذه الدرجة من الاهمية، بالنسبة للانسان عموما، والشباب خصوصا، كونهم يقتحمون مجالات الحياة، بحماسة وقوة، وبذلك يكون الشباب، هم الاحوج لمن يدلهم على الطريق الصواب، وهم يقتحمون مصاعب الحياة، لينبوا حاضرهم ومستقبلهم، وليس هناك أفضل من مبادئ الامام الحسين عليه السلام، كي تساعدهم

في حفظ أنفسهم، من الزلل والفشل في آن واحد، ولذلك فالمجالس الحسينية تقدم للشباب، ما ينقصهم في هذا المجال، إذ يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا المجال: (لنحاول ان لا يحرم اي شاب في محلتنا العزاء، واذا كنا نعرف شبابا كهؤلاء فلنشجعهم على المشاركة في هذه المجالس).

ولعل الدافع في هذا المجال لا يحتاج الى شرح وتفصيل، فالمجلس الحسيني، يقدم للشباب مشورة صحيحة، تيسر له المسير في طريق النجاح، وتحصيل البركات، من خلال الحضور، والتفاعل البناء مع هذه المجالس، وما يدور فيها من افكار، جلّها يصب في صالح الانسان، لذلك يؤكد سماحة المرجع الشيرازي، على ضرورة دفع الشباب بهذا الاتجاه، اذ يقول سماحته بهذا الصدد: (لندفع الشباب نحو المواقب الحسينية والتي هي حبل النجاة من الضلال والجهل بكل وسيلة متاحة، ولنكرر محاولتنا معهم مرة وثانية وثالثة... وهكذا).

ويضيف سماحة المرجع الشيرازي، مؤكداً على ضرورة تشجيع الشباب في هذا الاتجاه، قائلاً للمعنيين بأمورهم، سواء كانوا آبائهم أو غيرهم من المعنيين بشؤونهم: (ينبغي ان لا نياس من عدم استجابة بعض الشباب للمشاركة في مجالس العزاء الحسيني، حتى ينضموا الى الصفوف الحسينية). على أننا يجب أن نتنبه الى أمر، يفضله الامام الحسين عليه السلام ويحبذه، ممن يسرون في خطه، وعلى نهجه، وهو أفضلية أن تقترن أقوال الفضيلة، والاصلاح، بالعمل، والتطبيق الفعلي، إذ يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا الصدد: (مما يرضي الامام الحسين عليه السلام ان يرى الشعائر التي تقوم باسمه مصحوبة بالفضيلة والاخلاق الاسلامية في كافة المجالات).

لهذا من المفيد أن يحضر شبابنا هذه المجالس المباركة، وأن يتفاعلوا

معها، ويأخذوا منها العبر والنصائح، التي توجههم نحو سبل النجاح، على أن لا ينسى أحد منهم، أهمية تطبيق المبادئ الحسينية في حياته العملية، لكي يحقق الاستقرار والنجاح الأكيد.

شبكة النبأ المعلوماتية - الخميس ٢٣/كانون الأول/٢٠١٠ -

١٦/محرم/١٤٣٢

(١١)

عبر دروس من الملحمة الحسينية الخالدة

في كل عام، وفي زيارة الاربعين، تغادر جموع الزائرين المليونية، مدينة كربلاء المقدسة، بعد أن تكون قد احييت ذكرى أربعينية أبي الاحرار، الامام الحسين عليه السلام، وتكون هذه الجموع قد أعطت للعالم أجمع، درسا مهما في حب الامام، ونصرته والسير على هدى مبادئه، وأهدافه، التي دعت بالقول والفعل الى مقارعة الظلم والطغيان، والعمل على حفظ كرامة الانسان، بكل السبل والوسائل المتاحة، ومما يثير الفرح في القلوب حقا، أن وسائل الاعلام تنقل عادة وقائع هذه الزيارة العظيمة، الى ملايين بل الى مليارات البشر، الذين يتابعون بصورة مباشرة، تأدية طقوس الزيارة، حيث تكتظ مدينة كربلاء المقدسة، بسيول متدفقة من الزائرين السائرين على أقدامهم، ليل نهار، على مدى أيام وأسابيع متتابة، لكي يصلوا الى المرقد الشريف، ويعلنوا سيرهم على هدى المبادئ الحسينية الخالدة.

وهكذا فإن كل زيارة اربعينية يبلغ أعداد الزائرين فيها، حسب الاحصاءات الرسمية الموثوقة اكثر من (١٥) مليون زائر، تثبت بأن وهج الفكر الحسيني، في تزايد وسمو متواصل، وأن وقفة سيد الشهداء عليه السلام، وذويه،

وصحبه الطاهرين، وهم قلة في العدة والعدد، لم تذهب سدى، إذ يقول سماحة المرجع الديني، آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله)، في كتابه الموسوم بـ (إضاءات):

(لقد أسفرت هذه المواجهة غير المتكافئة - من ناحية العدة والعدد - عن إنتصار الحق وإندحار الباطل. وآثار هذا الإنتصار واضحة في كل زمان ومكان وخاصة في شهري محرم وصفر، وبالأخص في يوم عاشوراء).

وهكذا تشعّ مبادئ الملحمة الحسينية، بأفكارها المضيئة على المسلمين، والعالم الاجمع، فتستقطب الأخيار، من أبعد الاماكن في عموم المعمورة، ليعلنوا انتماءهم الى هذا الفكر الانساني العظيم، ولينتموا بقلوبهم، قبل أقوالهم الى خط الحسين عليه السلام، الذي لم يكن في يوم ما، حكرا على احد دون غيره، فالحسين عليه السلام بإنسانية أهدافه ومبادئه المعلنة والمعروفة للجميع، يستقطب تأييد الجميع ومحبتهم، ولهذا وقفت معه الملايين، ولاتزال في تزايد مستمر، إذ يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا المجال بكتابه نفسه: (هذا هو إسم الإمام الحسين سلام الله عليه يطبق أطراف الدنيا، وهذا هو عَلمه الخفاق يرفرف في كل بقعة، وهذا هو خطه - الذي هو خط رسول الله وأمير المؤمنين عليهما الصلاة والسلام - يزداد في كل يوم إنتشاراً وتألقاً، وهذه هي المجالس تعقد باسمه من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب، وهؤلاء هم الالوف والالوف من الخطباء، والشعراء، والكتاب يرددون إسمه الشريف، وهذه هي الملايين تهتدي إلى سبيل الحق ببركته).

وهذا ما يؤكد، أن الله تعالى قد أوفى بوعده لأوليائه الصالحين، فجعل من الامام الحسين عليه السلام، فكرا خالدا، وجعل له حضورا أبديا، ما بقي الدهر، حيث يذكر سماحة المرجع الشيرازي بهذا الصدد قائلا:

(وبذلك تحقق وعد الله تعالى للإمام الحسين -سلام الله عليه- بالانتصار، وقد نقلت الأحاديث الشريفة عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فيما ذكرته عقيلة الهاشميين زينب الكبرى سلام الله عليها للإمام السجاد سلام الله عليه: وينصبون لهذا الطف علما لقبر أبيك سيد الشهداء، لا يدرس أثره، ولا يعفو رسمه على كرور الليالي والإيام، وليجتهدن أئمة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطميسته، فلا يزداد أثره إلا ظهوراً، وأمره إلا علواً).

ويؤكد سماحة المرجع الشيرازي على الجميع، بأهمية الاهتداء بالفكر الحسيني الخالد، ويحثنا سماحته، على وجوب التحلي بالمبادئ الحسينية العظيمة، التي قدم الامام عليه السلام نفسه وذويه، من اجل تثبيتها في نفوس الناس، وأخلاقياتهم، فهناك قيم انسانية عليا، ينبغي على المسلم أن يتمسك بها، وهي القيم التي أراد الامام الحسين عليه السلام غرسها في نفوسنا، لكي نطبقها في أقوالنا وأعمالنا معا، ولكي تكون هذه المبادئ، أكثر يسرا وعموم الناس، وتصبح نموذجا يسعى إليه الجميع، لتحقيق الاصلاح الذاتي الفردي والجمعي معا، وي طرح سماحة المرجع الشيرازي بهذا الشأن، ثلاثة أهداف، يمكن للمسلمين وللناس جميعا، أن يهتدوا بها، فيقول سماحته بكتابه نفسه حول الهدف الاول:

(أن نتعلم من الإمام الحسين -سلام الله عليه- دروس الإعتماد على الله تعالى، والعزة، والتضحية، والأخلاق، وكل فضيلة).

أما الإعتماد على الله سبحانه، فقد روي أن الإمام الحسين -سلام الله عليه- يوم عاشوراء، رفع يديه إلى السماء وقال: «اللهم أنت ثقتي في كل كرب، ورجائي في كل شدة». وأما العزة فقد روي أنه سلام الله عليه قال: «من أقر بالذل طائعا فليس منا أهل البيت». وأما التضحية، فقد ضحى سلام

الله عليه في سبيل الله تعالى، بنفسه الكريمة، وباسرته الميامين، حتى الطفل الرضيع، كما وضحي بأصحابه الأخيار. وقد ورد في التوقيع الرفيع في زيارته سلام الله عليه: «السلام على عبد الله بن الحسين الطفل الرضيع والمرمي الصريع، المتشحط دماً... المذبوح في حجر أبيه». وأما الأخلاق فيكفي موقفه تجاه الحر وأصحابه، حيث إعترضوه في كتيبة مدججة بالسلاح مؤلفة من ألف فارس ليسلموه إلى ابن زياد، لكنه سلام الله عليه لما رأهم عطاشى قال لأصحابه: «إسقوا القوم وأرووهم من الماء ورشفوا الخيل ترشيفاً».

ويؤكد سماحة المرجع الشيرازي في الهدف الثاني، على أهمية ووجوب إنقاذ عباد الله، من أية محنة يتعرضون لها، ويشمل هذا الهدف كما هو واضح، التعاون، والتكافل، والمساعدة، وكل ما يمكن أن يقدمه الانسان، لأخيه الانسان، من معونة قادر على تقديمها، إذ يقول سماحته في الكتاب نفسه:

(أن نحاول تحقيق أكبر قدر ممكن لواحد من أسمى أهداف الإمام الحسين سلام الله عليه في نهضته المباركة، وهو -إنقاذ عباد الله، بما لهذه الكلمة من معنى واسع - فقد ورد في الزيارة المروية عن الإمام الصادق سلام الله عليه، وهو يخاطب الله تعالى بشأن الإمام الحسين سلام الله عليه: وبذل مهجته فيك ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة. ويتم ذلك بالإستفادة من موسم عاشوراء - بكل الوسائل المتاحة والمشروعة- لهداية الناس في جميع أنحاء العالم عبر المجالس، والموكب، والمسيرات، وغيرها، وبعقد المجالس الحسينية على إمتداد السنة لهذه الغاية).

أما الهدف الآخر الذي يؤكد عليه سماحة المرجع الشيرازي، تزامنا مع هذه الزيارة الخالدة، فهو ضرورة التعبئة المركزة، والعمل على بناء العراق

بصورة سليمة ومتوازنة، لتعويض العراقيين عما أصابهم من حيف، وظلم، وإجحاف في زمن الدكتاتوريات، فيدعو سماحته الى أهمية:

(التعبئة المركزة - في هذه المناسبة العظيمة - لإنقاذ بلد الإمام أمير المؤمنين والإمام الحسين وسائر الأئمة الأطهار سلام الله عليهم -عراق المظلوم- من المآسي التي يمر بها الآن، بعد ما قضى عقودا سوداء تحت أقسى أشكال الوحشية والإستبداد).

وهكذا تقدم لنا هذه الزيارة الخالدة والراسخة، في قلوب وعقول الملايين، بكل ما تنطوي عليه من مبادئ، وأخلاقيات رائعة، دروسا في كيفية التعاطي السليم مع الحياة، لبناء الذات وإصلاح النفس، من اجل الارتقاء والسمو، بعد الإهتداء بمبادئ إمامنا أبي الاحرار عليه السلام.

شبكة النبأ المعلوماتية - الخميس ٢٧/كانون الثاني/٢٠١١ - ٢٢/

صفر/١٤٣٢

(١٢)

الإصلاح العام هو الهدف السامي للإمام الحسين عليه السلام

حين نعيش ذكرى أربعينية الامام الحسين عليه السلام، ونتعطر بعبير دمه الزكي الذي شرف تربة كربلاء، بل أرض العراق، بل الارض كلها، لابد لنا في هذه المناسبة العظيمة، أن نستذكر الهدف العظيم الذي جعل سيد الشهداء يقدم روحه وذويه وأصحابه الاطهار، فداء لتحقيق ذلك الهدف، ولعل الاصلاح كلمة ترددت كثيرا على أفواه العلماء والخطباء والمثقفين والمعنيين عموما، وهي في جوهرها تعني عملية إنقاذ واسعة للمسلمين من الدرك الخطير، الذي تهاوت فيه أمة كانت تتقدم العالم أجمع، لتتحول بفعل الشر

والاشرار، الى أمة تقبع في أسفل أدراج الجهل والتخلف والحرمان، ليس لشيء سوى تركها للمبادئ الاسلامية الانسانية العظيمة، وانزوائها في الزوايا المادية المظلمة للنشاط البشري عموما، فوصلت بذلك الى الدرك الاسفل، فيما تتوفر فرص عظيمة ومتكررة لانتشال الامة من واقعها المزري، لتعود الى دورها المتصدر في قيادة العالم (المحتقن) الى مرافئ الاستقرار والتراحم والتقارب، والعيش في ظل مبادئ انسانية جلها الانصاف والعدالة وحماية حقوق الآخر قبل حقوق الذات.

الحاجة الى عملية اصلاح شاملة

لذا فإن عملية الاصلاح الشاملة لا بد أن تتفعل دائما في مثل هذه المناسبات العظيمة، استرشادا بالهدف الأعظم للإمام الحسين عليه السلام، وهو القيام بعملية اصلاح واسعة وشاملة للنفوس والقلوب والنوايا والافعال. وقد جاء في كلمة توجيهية لسماحة المرجع الديني، آية الله العظمى، السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظلّه)، بمناسبة زيارة أربعينية الامام الحسين، حثَّ فيها المسلمين على استذكار الهدف السامي، الذي قدم من اجله الامام أسمى ما يملك، فقد ورد في كلمة سماحة المرجع الشيرازي بهذه المناسبة: (لقد كان الاصلاح العام هو الهدف السامي للإمام الحسين عليه السلام الذي بذل الدم والمال والجاه والأولاد والأعزاء في سبيله، وعالم اليوم حائر يصطلي بنيران الأزمات، تطحن عظامه وسائل العنف والبغضاء والإرهاب ويختنق بالآلام الكآبة والأمراض النفسية، فما احوجه إلى مبادئ اصلاحية متأقنة، كاحتياجه إلى الهواء والغذاء، ومبادئ الحسين عليه السلام الإنسانية والأخلاقية العظيمة، والتي رواها بدمه الزكي ودماء اهل بيته واصحابه الأبرار، هي البلسم لجراح كل الدنيا، فضلا عن الأمة الإسلامية المستهدفة بسهام

الطائفية، وتيارات الإرهاب التكفيري، والفضائيات الموبوءة، والمحن القاسية، والتناحرات الجاهلية).

السعي المتواصل لتحقيق الهدف

إن وسائل النهضة لا يمكن أن تتوافر من دون السعي المتواصل والمخلص لتحقيقها، ولا بد للعمل والتخطيط السليم أن يأخذ دوره في هذا المجال، ولا بد من مواكبة العصر واستثمار وسائله لخدمة القضية الحسينية ومبادئها، خاصة ما يتعلق بوسائل الاتصال الحديثة، وأهمية توظيفها في نشر الفكر الحسيني ومبادئه الخلاقة، والكفيلة بنقل أمة الاسلام بل العالم أجمع الى مرفأ الاطمئنان والسكينة والسلام، لذا يحث سماحة المرجع الشيرازي على الاستفادة القصوى من وسائل الاعلام قائلًا: (ينبغي الاستفادة من التكنولوجيا الجديدة، المتيسرة اليوم للجميع، أحسن وأفضل استفادة، في إيصال ثقافة عاشوراء إلى البشرية كافة، بمختلف لغاتهم. وعلينا أن لا ننسى بأن العمل الإعلامي هو نصف القضية والنصف الآخر والمكمل لها بل والأهم هو الدفاع والحماية، فإن العمل على توسيع رقعة إقامة الشعائر الحسينية المقدسة بحاجة إلى الحماية والدفاع من قبل الجميع، وبالخصوص الشباب) و (كذلك نحن بأمس حاجة إلى المسارح والمعارض والإعلام المقروء والمسلسلات التخصصية التي تخاطب عقول الشباب، والنساء، والأطفال، والمتقنين، والفلاحين، والعمال، ورجال الدين، وبأمس حاجة ايضاً إلى منظمات شبابية حسينية مثقفة، تدرك اهداف النهضة المقدسة، وإلى المعاهد والجامعات والمكتبات العامة).

أهمية توفير المناخات المطلوبة

إن عملية الإصلاح تتعلق بتوفير المناخات المناسبة لتفعيل النهضة الفكرية المطلوبة، فمن دون زيادة سعة الوعي لدى المسلمين وتوسيع آفاق تفكيرهم، وتنمية قدراتهم على التعامل مع العالم الحديث، فإن الأمر يبقى في غاية الصعوبة، وأن الجهل سيبقى مستشرياً بين أوساط المسلمين، وأن اللحاق بالركب المتطور قد يصبح مسحياً، وهنا لا بد من معرفة أن التطور لا يعني الجانب المادي فحسب، إنما لا بد من تحقيق التطور الروحاني بالتساوي مع المادي إن لم يفوق عليه، لأن الروحي يحقق التوازن المطلوب في تحييد الغرائز البشرية وجعلها أقرب إلى الحكمة والإصلاح، لهذا فإن النهضة تحتاج إلى جهود مخطط لها مسبقاً، إذ يقول سماحة المرجع الشيرازي بهذا الخصوص: (إن هذه النهضة الفكرية هي من مسؤولية المؤمنين والحسينيين، ولا سيما النخبة من العلماء والمفكرين) ويقترح سماحته في هذا السياق أيضاً (أن يشتري الزائر كتاباً واحداً ويقرؤه، ويهديه لأبنائه وأخوته وأصدقائه، وكذلك أن يسعى لطبع نسخة واحدة من كتاب إسلامي توعوي، فلو فعل خمسة عشر مليون زائر ذلك معناه: كم ستطبع من الكتب، وكم ستتحرّك العقول وتستنير).

ولابد أن يتنبّه القائمون على نشر النهضة الحسينية، إلى أهمية فهم واستيعاب المبادئ الحسينية من لدن الوسط الإنساني المستهدف، وهذا يتطلب حملة تثقيفية واسعة ومتواصلة ومنظمة أيضاً، أي لا تخضع للعشوائية التي لا تجدي نفعاً في تحقيق الأهداف الفكرية الضخمة، لذا يقول سماحة المرجع الشيرازي: (من بنود هذه الحركة الفكرية: فهم واستيعاب مبادئ وعبر النهضة الحسينية، ومحاولة نقلها إلى الآخرين، وتربية الجيل الجديد

عليها عبر التثقيف العائلي والجامعي وضمن المناهج التربوية العامة لطلاب المدارس، والمعاهد، والحوزات، والجامعات).

أهمية مصادر التمويل وتنظيمها

وكما هو معروف للجميع أن الاهداف الفكرية الضخمة، تتطلب تمويلا يوازيها في الضخامة والسعة، وهو أمر لا بد أن يكفله المعنيون بالامر، اذ ليس من الصحيح أن تترك الجوانب المالية للصدفة، او للمتبرعين حسب رغباتهم، بل لا بد أن يكون هناك تخطيط مالي ناجح في هذا الصدد، له القدرة على تحقيق الوفورات المالية اللازمة، لتحقيق الهدف الفكري الاسلامي الانساني الكبير، لذا يؤكد سماحة المرجع الشيرازي بكلمته التوجيهية في هذا المجال قائلاً: (لرشد الحركة الثقافية الاصلاحية يجدر تأسيس أوقاف خاصة بها، أوقاف معتبرة ذات عائد غزير يسد شطراً من النفقات، كالعمارات والأسواق والفنادق والأرصدة البنكية والمصانع. ومن وسائل هذه النهضة الثقافية أيضاً تركيز وتطوير الخطاب المنبري كماً وكيفاً، وتخطيطاً لإنتاج جيل من الخطباء الأقوياء العلماء، بلغات مختلفة، وأساليب عمل متطورة وتخصصات حيوية، وتأسيس ميثاق يرشد رجال المنبر إلى الأولويات والمسؤوليات وبيان الخطوط الأساسية للعمل الخطابي، وإقامة مؤتمرات وندوات وتأسيس معاهد وإصدار دوريات تخصصية).

وهكذا يمكن أن تتحقق الحركة الاصلاحية الحسينية الشاملة، من خلال تشارك الجهود كافة، في الجوانب الفكرية والارشادية والمالية والتنظيمية وغيرها.

شبكة النبأ المعلوماتية - الخميس ١٢/كانون الثاني/٢٠١٢ - ١٨/

صفر/١٤٣٣

(١٣)

الاهمية القصوى لاستلهاام دروس عاشوراء

من بدهاهة القول أن نؤكد على أن مدرسة عاشوراء تميزت بمبادئها الانسانية التي سعت منذ البدء ولا تزال الى رفع قيمة الانسان وحفظ كرامته ودفع الظلم عنه وزرع النور في عقله وسلوكه وهو يخوض مجاهيل النفس والحياة معا.

فلم تأت وقفة الحسين عليه السلام لتسجل لها حضورا وقتيا أو آنيا ثم تمضي كالأحداث التي تلفها بطون التأريخ وتدفعها الى النسيان التام، بل جاءت هذا الوقفة وهي تحمل معها أسباب خلودها وبقائها كونها الفنار العالي الذي يهدي الجميع الى سواء السبيل وسلامة الموقف وصلاحيه التفكير والفعل معا، ولذلك لم تقتصر مدرسة عاشوراء ومضامينها على جانب دون غيره ولم تتخذ من احادية التوجه والهدف طريقا لها، بل هي مدرسة الشمول الانساني الذي يحفظ للانسان قيما ومبادئ تحميه من الزلل، لذلك تتميز هذه المدرسة بالدعوة الى ملاصقة القول بالعمل، ولا تكتفي بجانب دون آخر.

يقول سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله) في كتابه القيم الموسوم بـ (إحياء عاشوراء) بهذا الصدد: (إن المشاركة والخدمة في المجالس الحسينية فيها ثواب عظيم، ولكن الامر لا ينتهي عند هذا الحد، فلم يكن يوم عاشوراء مناسبة للندب والتعزية حسب، بل كان وما يزال وقفة للتأسي بدروسه والاقتداء بأبطاله، فيجب علينا أن نقددي بسيد الشهداء عليه السلام وأن نتأسى به في جميع شؤوننا).

وثمة مزايا قد يصعب علينا حصرها تنطوي عليها مدرسة عاشوراء التي

تمخضت عنها وقفة الامام الحسين عليه السلام، ولكن تبقى أهمية الاصلاح تنصدر هذه الميزات كونها تشكل دافعا اساسيا لارتقاء الانسان وبلوغه الاهداف السامية من خلال انتهاجه الاعتدال والتسامح والسعي نحو الهدف المبتغى على ضوء مشعل الهداية لمدرسة عاشوراء، وفي هذا المجال يؤكد سماحة المرجع الشيرازي في كتابه نفسه على:

(ان من بين ما تميزت به قضية الامام الحسين سلام الله عليه ميزتين هامتين هما: العبرة والعبرة، وتكاد تكون هاتان الميزتان متلازمتين، فالذي يحظى بمنزلة أرفع وحرمة أكبر عند سيد الشهداء هو الاقدر على الجود في العبرة وأخذ العبرة من قضية الامام).

وهذا يؤكد بصورة قاطعة أن من يؤمن بالإمام الحسين عليه السلام ومبادئه العظيمة عليه أن يلتزم بها ويطبقها في حياته العملية، لأن ايمانه هذا يبقى ناقصا اذا اقتصر على جانب القول فقط، لذلك علينا جميعا أن نكسب رضا الامام الحسين عليه السلام من خلال دمج القول بالفعل والايمان بالعمل، وهي في جميع الاحوال تصب في صالح الانسان سواء كان فردا او جماعة، بمعنى أن الالتزام بتطبيق المبادئ الحسينية والعمل فيها قولاً وفعلاً تعود على الجميع بنتائج رائعة تدعم الوجود الانساني وتقوده الى السمو والتدرج المتواصل في الارتقاء والتطور المرفق بالاحترام والتكافل والتعايش والتسامح وجميع القيم التي تصنع الحياة اللائقة بالإنسان، لهذا كانت ولا تزال وستبقى مدرسة عاشوراء مدرسة العبر والدروس التي لا تنضب قط، إذ يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا الصدد بكتابه المذكور نفسه:

(ان الامام الحسين صلوات الله عليه باستشهاده قد فتح مدرسة العبرة للجميع ليقارعوا الظلم ويتحملوا الشدائد والمصاعب حتى يذوقوا السعادة).

وكل الدلائل تشير الى أن الامام الحسين عليه السلام قدم ما يكفي من دروس خالدة للمسلمين وبنى الانسان عموماً، وما على الانسان سوى أن يتبع الطريق الصواب الذي يتمثل بالسير وفق النهج الحسيني المضيئ والقادر على نقله دائماً من جهالة الظلام الى رحاب النور الفكري والعملية الخلاق، حيث يذكر سماحة المرجع الشيرازي حول هذا الموضوع في كتابه نفسه:

(سيد الشهداء هياً لنا أسباب الهداية ومهد طريقها للناس، عندما قدم دمه الزكي من أجل النجاة من الضلالة والجهالة ليرتقي الناس الى السعادة والفلاح).

ويؤكد سماحة المرجع الشيرازي حول الدروس المستفادة من وقفة الامام الحسين عليه السلام، مضيفاً في هذا الصدد:

(من اهم الدروس في سفر واقعة استشهاد الامام أبي عبد الله هو انعتاق النفس من قيود الجهل وحلقة الظلال، وسلوك طريق الهداية، وهو بلا شك هدف عظيم وسام الى الدرجة التي حملت سيد الشهداء سلام الله عليه أن يضحي بنفسه من اجل بلوغه).

لذلك لا بد أن يتنبه الجميع وفي مقدمتهم المسلمون الى أهمية ربط القول بالفعل، والانتباه الى أن الايمان بالإمام الحسين عليه السلام لا يعني أن تبكي عليه فقط، بل من المهم لكي تكسب ثواب البكاء أن تعمل بتوجيهات الامام عليه السلام ومبادئه التي تدعوك الى عدم التجاوز على حقوق الغير والتعامل بنزاهة وعدل ومساواة في محيط عملك سواء داخل العائلة او الدائرة او الوزارة او المؤسسة او المعمل وما الى ذلك من اعمال، إذ ينبغي على محب الحسين عليه السلام أن يذرف عليه العبرة ويأخذ منه العبرة لصنع الحياة التي تليق بالجميع، وفي هذا الصدد يقول سماحة المرجع الشيرازي في كتابه

القيّم نفسه:

(ان شهادة الامام سلام الاله عليه هي اختبار للناس وإتمام للحجة، وفي ذات الوقت مشعل هداية ونجاة من الجهل والتيه والظلمة).

شبكة النبأ المعلوماتية - الخميس ٢٠/كانون الثاني/٢٠١١ -

١٤/صفر/١٤٣٢

الباب الخامس

منهج الحرية وآفاق التحرر

- ◆ جوهر الحرية في تعاليم الاسلام
- ◆ الحرية من منظور إسلامي
- ◆ الإسلام وجوهر الحرية المعاصرة
- ◆ الحرية الفكرية والعملية في المنظور الاسلامي
- ◆ الحرية ركيزة في ارتقاء المجتمع
- ◆ نعمة الحرية وكيفية اغتنامها
- ◆ الحرية في الإسلام وطغاة العصر الراهن
- ◆ عالم اليوم... عالم الحرية والانفتاح والتنوع
- ◆ نهاية عصر القمع وتنامي عصر التحرر
- ◆ إزاحة الطغاة... ديناميكية الحياة وعالم الحرية المرتقب
- ◆ انتفاضة الشعب البحريني وحرمة إراقة الدماء
- ◆ انتفاضة البحرين وواجب اهتمام المسلم بأخيه المسلم

(١)

جوهر الحرية في تعاليم الاسلام

الحرية هي مطلب الانسان في كل زمان ومكان، وهي الهدف الأسمى لكل الافكار العظيمة التي قدمها المصلحون والمفكرون على مذبح الحرية الذي شهد تضحيات عظيمة دونها التأريخ بأحرف من ذهب.

والحرية شكلا وجوهرا هي مبدأ نظري بحاجة الى التطبيق على الأرض، فأن تدعي الحرية والتحرر وتدعو الى ذلك شيء، وأن تطبق هذه الاقوال والمضامين على ارض الواقع شيء آخر.

الدين الاسلامي رفع مبدأ الحرية شعارا عظيما في تعاليمه وطبق ذلك تطبيقا عمليا لا يمكن لأحد إغفاله او نكرانه، في هذا المجال يقول سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي دام ظلّه في كتابه الموسوم بـ (الحرية في الاسلام) عن حرية اختيار الدين في الاسلام:

(من أصول الإسلام المسلّمة والمؤكّدة مسألة حرية اختيار الدين؛ قال تعالى: (لا إكراه في الدين). بل ليكن معلوماً - قبل كل شيء - أنّ الإسلام وحده هو دين الحرّية. فحتّى المدارس والمبادئ الأخرى التي ظهرت منذ قرون وما زالت ترفع شعار الحرّية لا واقع للحرية فيها سوى الاسم. أمّا الإسلام فهو دين الحريات مبدأً وشعاراً، وقولاً وعملاً. وهذا موضوع طويل

يتطلب من الباحث أن يطالع الفقه الإسلامي بتعمق - من أوله إلى آخره - لكي يعرف كيف أن الإسلام التزم بمبدأ (لا إكراه في الدين) في مختلف مجالات الحياة).

ويورد المرجع الشيرازي وقائع تدعم أقواله وآرائه يستمدّها من سيرة رسول الله ﷺ، حيث يقول في كتابه القيم هذا:

(لقد شنّ أهل مكة حرباً ظالمة على رسول الله ﷺ قلّ نظيرها في التاريخ. فلقد عُرف ﷺ بينهم بالصدق والأمانة حتى لقبوه بالصادق الأمين، ولكنهم مع ذلك حاربوه - إلا قليلاً منهم - عسكرياً واجتماعياً واقتصادياً ونفسياً، حتى بلغ الأمر بهم أنهم كانوا لا يردّون تحيته إذا حيّاهم^(١).

فكان الشخص منهم - وهو مشرك - يخشى إذا ردّ تحية النبي ﷺ أن يراه الرائي من المشركين فلا يتبايعون معه بعد ذلك ولا يزوّجونه ولا يتزوّجون منه.

وطردوا رسول الله ﷺ ومن معه إلى أطراف مكة، وحاصروهم في شعب أبي طالب وفرضوا العزلة عليهم، فكان لا يحقّ لهم دخول مكة، وإذا

(١) لاشك أن النبي ﷺ لم يكن يحييهم بتحية الإسلام وهي: السلام عليكم، بل كان يحييهم بأنواع التحيات الأخرى؛ فهنا مسألة وهي أنه يجوز للمسلم أن يحيي الكفار بمختلف التحيات باستثناء تحية الإسلام، ولا يجوز له أن يقولها إلا لمسلم، بل أن يقول له: أنعم صباحاً أو أنعم مساءً، أهلاً وسهلاً، تحية طيبة وما أشبه، لأن كلمة «السلام عليكم» مختصة بالإسلام والمسلمين دون غيرهم، ووردت فيها أحاديث عن النبي ﷺ وأهل بيته المعصومين عليهم الصلاة والسلام، تؤكد أن رسول الله ﷺ كان يحيي المشركين بمختلف التحيات إلا كلمة «السلام عليكم»، فلقد وُضعت للمسلمين خاصة. فإذا حيى مسلم مسلماً قال له: «السلام عليكم» والحديث المعروف الذي لا بدّ وأن كثيراً منكم سمعه وهو «تحية الإسلام السلام» يعني أن هذه التحية خاصة بالإسلام. (عنه حفظه الله).

دخلها أحدهم فدمه يهدر. واستمرت الحالة هذه مدة ثلاث سنين. وبعدما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة شنّ عليه مشركو مكة عشرات الحروب ساندهم فيها اليهود والمنافقون. ودامت الحالة عشرين سنة بمختلف أساليب الحروب حتى أذن الله له بالفتح^(١)..

وجاء ﷺ مكة فاتحاً.. وأصبحت مكة في قبضته وتحت سلطته. ورغم كلّ ما فعله المشركون من أهل مكة مع رسول الله ﷺ إلا أنّ التاريخ لم يحدثنا أنه ﷺ أجبر ولو شخصاً واحداً على الإسلام، ولو أنه ﷺ أراد أن يجبر أهل مكة على الإسلام لأسلموا كلّهم تحت وطأة السيف، لكنّه ﷺ لم يفعل ذلك ولم يجبر أحداً على الإسلام. أمّا دعوى إسلام أبي سفيان فكان بتحريض وتخويف من العباس بن عبد المطلب (عمّ النبي) وليس من النبي ﷺ نفسه، فالعباس هو الذي طلب من أبي سفيان أن يُسلم حفاظاً على دمه لئلا يقتله النبي ﷺ، وكلام العباس ليس حجة ولا تشريعاً، بل كان من عند نفسه.

ولو أنّ أبا سفيان لم يسلم لما أجبره رسول الله ﷺ على الإسلام. فكثيرون من أمثال أبي سفيان كانوا موجودين في مكة ولم يقتل النبي ﷺ أحداً منهم بسبب عدم إسلامه، ولا أجبر أحداً على الإسلام، بل تركهم على دينهم مع أنّه باطل وخرافي لكيلا يسلبهم حرية الفكر والدين.

هكذا روى التاريخ عن سلوك نبينا ﷺ: يحاربه قومه مع ما يعرفونه من صدقه وأمانته ونبله وكرمه وأخلاقه، بمختلف أنواع الحروب القاسية ويطردونه من موطنه ومسقط رأسه، ثم يتركهم أحراراً وما يختارون من دين

(١) كلّ تلك الوقائع مسطورة في كتب التاريخ والسير. انظر على سبيل المثال: الصحيح من سيرة

وطريقة حياة؟! لقد كان رسول الله ﷺ يهديهم وينصحهم ويوضح لهم طريق الرشد ويميزه عن طريق الغي ثم يترك الاختيار لهم (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)^(١)، (قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى)^(٢)، (وهديناه النجدين)^(٣)، (إننا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً)^(٤) /// آيات

هذا هو أسلوب الإسلام، لا ضغط ولا إكراه فيه.

وهكذا الحال في سيرة رسول الله ﷺ مع اليهود والنصارى.

فلقد ردَّ ﷺ عشرات الحروب والاعتداءات التي شنَّها أهل الكتاب دون أن يجبر أحداً منهم على الإسلام. لم يسجّل التاريخ ولو حالة واحدة يكون فيها رسول الله ﷺ قد أجبر ذمياً على اعتناق الإسلام، والتاريخ حافل بسيرة النبي المصطفى ﷺ، وسجّل وحفظ الدقائق عن حياته. فالعلامة المجلسي رحمه الله وحده خصَّص في موسوعته (بحار الأنوار) عشرة مجلّدات الواحد منها في أربعمئة صفحة أي ما مجموعه أربعة آلاف صفحة أو أكثر كلّها عن رسول الله ﷺ وحروبه وأخلاقه وسيرته مع المسلمين ومع المشركين وأهل الكتاب. لا تجدون فيها موقفاً واحداً أجبر فيه رسول الله ﷺ نصرانياً أو يهودياً على اعتناق الإسلام، بل تجدون أنه ﷺ كان له صديق نصراني أو جار يهودي دون أن يجبره على اعتناق الإسلام مع أنه كان الحاكم الأعلى في الجزيرة العربية وكان بيده السيف والمال والقوة الكافية).

(١) الكهف: ٢٩.

(٢) البقرة: ٢٥٦.

(٣) البلد: ١٠.

(٤) الإنسان: ٣.

هذه بعض الوقائع التي تشكلت منها سيرة رسولنا الأكرم ﷺ والتي تدعم دعوة الدين الاسلامي الى حرية الاختيار الديني والعقائدي، وهي دليل قاطع على ان الاسلام يمتلك فضاءات واسعة للحرية قولاً وتطبيقاً، ويذكر المرجع الشيرازي في كتابه هذا جانباً من سيرة أمير المؤمنين سلام الله عليه كدلائل قاطعة على الجانب التطبيقي للحرية فيقول:

(ولو انتقلنا من رسول الله ﷺ إلى أهل بيته سلام الله عليهم لرأينا الحالة نفسها. فها هو الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه قد كان مبتلىً بأشخاص ذوي نفسيات وضيعة تردّ عليه وتقطع كلامه وتجادله بالباطل بل حتى تتناول عليه، وهو مع ذلك لا يأمر بقتلهم وسجنهم ونحو ذلك، وهو الحاكم الأعلى الذي بايعته الأمة قاطبة ناهيك عن كونه مُنصباً من قبل رسول الله ﷺ وبأمر من العليّ القدير، بل كان يجيهم ويترك لهم حرية العقيدة ما لم يتأمرُوا ويلجأوا إلى استعمال القوة والسيف.

عاش في عصر الإمام شخص يُسمّى ابن الكوا، وكان مشاغباً وذا مشاكل ومتاعب، يردّ على أمير المؤمنين سلام الله عليه ويناقشه دائماً، حتى والإمام على المنبر، ومع ذلك تركه الإمام وشأنه يعيش في المجتمع دون أن يفرض عليه شيئاً^(١).

وهناك جرثومة أخرى ومنافق آخر يُدعى عمرو بن حريث، من طراز معاوية وأبيه، ومهما يُقال فيه من عيوب النفس ودناءة الخلق فقليل بحقّه، كان ممّن يحضر المسجد ويستمع إلى خطب أمير المؤمنين سلام الله عليه ثم يقطع حديثه متهكماً. وإذا أخبر أمير المؤمنين سلام الله عليه عن أمور غير ظاهرة - أي غيبية - ترك ابن حريث أعماله وجرى خلف ما أخبر به أمير

(١) أفرد الشيخ الطبرسي عنواناً مستقلاً في مسائله في كتاب الاحتجاج: ١ / ٣٨٤ - ٣٨٩ فراجع.

المؤمنين سلام الله عليه يزعم أنه يريد أن يكشف للناس كذب أبي تراب!! وظلّت هذه الحسرة في نفس ابن حريث تنغصص عليه حياته حتى ذهب إلى قبره همماً ونكداً دون أن يفلح في كشف ولو كذبة - حسب ما يزعم - لأبي تراب؛ وكأنه قد غفل - حاله حال المنافقين - أنه لا يتردد على لسان أبي تراب سوى الصدق والواقع. عاش هذا المنافق في ظلّ عليّ سلام الله عليه وبعده، والإمام عليّ سلام الله عليه لم يصنع معه أيّ شيء، ولم يقل له يوماً تخلّ عما أنت عليه وإلاّ ضربت عنقك! لأنّه إمام الإسلام؛ دين حرية الفكر والعقيدة.

أجل، إنّ من عرف الحقّ ولم يترك الباطل فإنّ مصيره يوم القيامة إلى جهنّم وبئس المصير. أمّا في الدنيا ف (لا إكراه في الدين) ليتمّ الامتحان ويُعرف الطالح من الصالح، ويُميّز الخبيث من الطيّب. فإنّ ابن حريث هذا امتدّ به العمر حتى كان من الشهود ضدّ ميثم التمار رضوان الله عليه حينما أراد الطغاة الطغام من بني أمية قتله، فقال في حقّه - ليدلي بشهادته ضده لكونه من أصحاب عليّ الحقّ ومواليه -: «هذا الكذاب مولى الكذاب» - يعني الإمام عليّ بن أبي طالب سلام الله عليه مولى الصادقين وإمام المتّقين -^(١).
أرأيت نفسية هذا المنافق؟! إنّ رجلاً مثل هذا عاش مع أمير المؤمنين سلام الله عليه ثلاثين سنة وكان سلام الله عليه رئيساً وحاكماً بيده القوّة، ومع ذلك لم ينل منه!

فهل يوجد في تاريخ العالم رئيس كعليّ؟! وهل رأيتم سماحة كسماحة الإسلام؟ وهل رأيتم حرية كقوله تعالى: (لا إكراه في الدين)؟!

(١) انظر اختيار معرفة الرجال للطوسي: ١ / ٢٩٦ رقم ١٤٠ ترجمة ميثم، ففيه ما يكفي لتعريف

حال ابن حريث.

عن ابن عباس قال: مرَّ أمير المؤمنين سلام الله عليه بالحسن البصري وهو يتوضأ فقال: يا حسن أسبغ الوضوء. فقال: يا أمير المؤمنين لقد قتلت بالأمس أناساً يشهدون أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنَّ محمداً عبده ورسوله، يصلُّون الخمس ويسبغون الوضوء.

فقال له أمير المؤمنين سلام الله عليه: «قد كان ما رأيت فما منعك أن تعين علينا عدوتنا؟» فقال: والله لأصدقنك يا أمير المؤمنين، لقد خرجت في أوَّل يوم فاغتسلتُ وتحنطتُ وصببتُ عليَّ سلاحي، وأنا لا أشك في أنَّ التخلف عن أمِّ المؤمنين عائشة هو الكفر، فلما انتهيت إلى موضع من الخريبة ناداني مناد: يا حسن إلى أين؟ ارجع فإنَّ القاتل والمقتول في النار!

فرجعت ذعراً وجلست في بيتي فلما كان في اليوم الثاني لم أشكَّ أن التخلف عن أمِّ المؤمنين عائشة هو الكفر، فتحنطتُ وصببتُ عليَّ سلاحي وخرجت إلى القتال حتى انتهيت إلى موضع من الخريبة فناداني مناد من خلفي: يا حسن إلى أين؟ مرّة بعد أخرى، فإنَّ القاتل والمقتول في النار!

قال علي سلام الله عليه: «أصدقك، أفندري من ذلك المنادي؟» قال: لا.

قال سلام الله عليه: «ذلك أخوك إبليس، وصدقك إنَّ القاتل والمقتول

منهم في النار».

فقال الحسن البصري: الآن عرفتُ يا أمير المؤمنين أنَّ القوم هلكي»^(١).

حقاً هل يجرؤ أحد من الرعية أن يكلم رئيساً بهذا الكلام - والإمام مع

ذلك يلاطفه ويحاوره - حتى في عصرنا هذا؛ حيث يمضي على صدر

الإسلام أربعة عشر قرناً، وتطوّر العالم حتى صار يسمّى عصرنا بعصر

الحرّيات؟!!

(١) الاحتجاج: ١ / ٢٥٠.

لقد قتل وشرّد «لينين» - رئيس جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق وأمين سرّ الحزب الشيوعي السوفيتي - وحده في عصر الحرية والتقدم خمسة ملايين إنسان من أجل تطبيق مادّة قانونية واحدة من قانون المزارع الجماعية في الاتحاد السوفياتي السابق!!

وفي العراق - الذي حكمه أمير المؤمنين بحريّة بلا نظير - كان أحد الرؤساء يوماً ما يخطب فانبرى أحد المواطنين ليردّ عليه ويناقشه، فقام الجلاوزة باعتقاله وسجنه وتعذيبه وقتله، لأنّه قال كلمة يتتقد فيها رئيساً في القرن العشرين!!

وحدثت قصة شبيهة لهذه القصة في بلد آخر - كما طالعنا الصحف حينها - وحلّ به المصير نفسه!! كلّ ذلك ونحن في ما يُسمّى بعصر الحريات.

فهل هذه هي الحرية حقاً أم الحرية الموجودة في ظلّ الإسلام؟! لقد أقصي الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه خمساً وعشرين سنة ثم توجّهت إليه الأئمة وتزاحمت على بابه للبيعة حتى لقد وطئ الحسنان^(١). ومع ذلك ذكر المؤرخون - سنة وشيعة - أنّ الإمام بعدما بويع، ارتقى المنبر في مسجد رسول الله ﷺ وكان المسجد مكتظاً بالناس الذين حضروا لاستماع أوّل خطبة لابن عمّ رسول الله ﷺ ووصيّه وخليفته الحقيقي الذي أبعده عن قيادة المسلمين خمساً وعشرين سنة، بعد أن آل إليه الحكم الظاهري، ثم أمر جماعة من أصحابه على رأسهم ابنه الإمام الحسن سلام الله عليه أن يذهبوا إلى الكوفة وينظروا هل فيها من لا يرضى بخلافته. فقال الناس بأجمعهم: رضينا بأمر المؤمنين ونطيع أمره ولا نتخلّف عن دعوته، والله لو لم يستنصرنا

(١) نهج البلاغة: ٤٨، الخطبة الشقشقية. الحسنان - بسكون السين - الإبهامان من القدمين.

لنصرناه، سمعاً وطاعة^(١). بل حتى طلحة والزبير لم يتخلفا عن بيعة أمير المؤمنين سلام الله عليه عندما انعقدت له، ولكنهما نكثا بعد ذلك، ولم يعترض أي أحد في هذا الأمر ولو حصل لما عاقبه الإمام بالقتل أو السجن أو الضرب ولا قال له شيئاً من شأنه أن يهينه أو ينال منه، فهل رأيتم أو سمعتم مثل هذا في عصر الديمقراطية الحديثة؟! والتي تعني - من جملة ما تعنيه - حكم الأكثرية، فلو حصل شخص ما على واحد وخمسين في المئة من الأصوات فهذا يخوِّله لأن يصبح رئيساً للبلاد - وهذا يعدّ من أكبر أخطاء الديمقراطية، وبحته موكول إلى محلّه - أمّا الإمام علي سلام الله عليه فقد بايعته الأكثرية المطلقة من الناس ومع ذلك يصعد المنبر لبيحث إن كان هناك معارض له أم لا، وليبحث عن سبب معارضته له! فهل تجدون لهذا نظيراً في التاريخ؟! التاريخ!

لقد كتب محبوبو «صلاح الدين الأيوبي» أنه قتل قرابة مليون إنسان - في عصر كان سلاحه السيف - ليس لشيء إلا لأنهم يختلفون معه في الرأي. فأين هذا من سيرة النبي ﷺ الذي حاربه قومه عشرين سنة وأخرجوه من داره، ولكنّه عندما عاد إليهم ظافراً بنصر الله وعزّته وقدرته لم يجبر أحداً منهم على اتباع دينه، بل قال: «مَنْ أغلق بابه فهو آمن، ومَنْ ألقى سلاحه فهو آمن، ومَنْ دخل دار أبي سفيان فهو آمن»^(٢). ولم يقل مَنْ أسلم وشهد الشهادتين فهو آمن، مع أن مهمّته ﷺ هي تبليغ الشهادتين؛ لأنّ حرية الرأي في نظام الله وقانون الإسلام لا تقلّ تقديساً عن الشهادتين. فالإسلام يسعى لجعل الناس أحراراً. قال تعالى: (يضع عنهم إصرهم

(١) راجع: الأمالي للطوسي: ٣٢٥ - ٣٣١ ح ٢٣.

(٢) تفسير القمّي: ٢ / ٢٩٥ تفسير سورة الحجرات.

والأغلال التي كانت عليهم^(١).

شبكة النبأ المعلوماتية - السبت ٢١/آذار/٢٠٠٩ - ٢٣/ربيع الاول/

١٤٣٠

(٢)

الحرية من منظور إسلامي

قد يبدو الحديث عن الحرية كمفهوم من بديهيات الكلام، نظرا لكثرة ما تردد عن هذا المفهوم من آراء وتفسيرات في بحوث ودراسات ومؤلفات المصلحين والمفكرين والفلاسفة القدماء والمعاصرين وغيرهم، ولم يُخطئ بعض الفلاسفة حين قالوا ان بعض المفاهيم (ومن بينها الحرية) تتجدد وتتحدث مع توالي الاعوام والحقب التاريخية المتوالية، غير أن جوهرها يبقى ثابتا ما بقيت الحياة قائمة، ولعل الاشكالية تكمن في تلك المقارنات المتعجلة التي يعقدها البعض بين نظرة الاسلام للحرية وتعامله معها وبين نظرة الآخرين لها ومن بينهم الغرب بطبيعة الحال.

فثمة من يرى أن الغرب هم أهل الحرية وهم من فتح الابواب والسبل لترسيخها في حين -كما يرى هذا البعض- ان الاسلام ينطوي على كثير من المحرمات والنواهي التي تحد من الحرية الفردية او الجمعية، لكن من يطلق مثل هذه الأقاويل لم يكلف نفسه عناء الاطلاع على مبادئ الاسلام في هذا الصدد ولا يفهم نظرتة الى جوهر الحرية الانسانية وليس الى شكلها، ولعل جوهر نظرة الاسلام الى الحرية يكمن في هذه الجملة الواضحة النقية التي لا

(١) الأعراف: ١٥٧.

تقبل التحريف او التأويل (لا إكراه في الدين).

إن نظرة الاسلام للحرية تبدأ ولا تنتهي بهذه الآية الكريمة، ولقد أسهب سماحة المرجع الديني السيد صادق الحسيني الشيرازي في تبيان مفهوم الحرية وتوضيحه والخوض في جوهره لكي يضع النقاط على الحروف ويوضح ماتعنيه الحرية للاسلام إذ جاء في كتاب سماحته (الحرية في الاسلام) حول هذا الموضوع:

(يقول الإسلام: اعمل ما تشاء، فلك حرية العمل شريطة أن لا تضر غيرك؛ فإنه «لا ضرر ولا ضرار في الإسلام»، مستدرك الوسائل: ١٢ / ٣٠٨ باب ١٣ ح ٤. والإسلام يضرب بشدة على يد الظالم ومن يريد إلحاق الضرر بالآخرين، وبعد ذلك فأنت حرّ في كلّ أمورك، في ذهابك ومجيئك وسفرك وعلاقاتك، فلا ضغط ولا جبر ولا إكراه ولا كبت للحرية في الإسلام، ولكن ثمة توجيهات وإرشادات تبين لك السلوك الأحسن، تقول: هذا صحيح وهذا مستحبّ وهذا مفضّل وهذا مكروه).

ووفقاً لهذا الطرح فإن الانسان غير مقيّد بجانب فكري او سلوكي محدد كما يرى الاسلام لكن الامر الهام الذي لا يمكن إغفاله هنا، هو التزام الانسان نفسه بعدم التجاوز على الآخرين أو إحداث الضرر المعنوي او المادي لهم، هذا هو شرط الاسلام على من يريد أن يمارس حريته حتى في اختياره للدين، فحين نتمعن بجملة (لا إكراه في الدين) فسوف نعرف تماماً ما تعنيه وما تريد ان يفعله المسلم او غيره، فهو حرّ إلا فيما يتعلق بدرجة الضرر التي قد تسببها حريته للآخرين، وقد ورد في هذا الصدد بكتاب سماحة المرجع الديني الشيرازي (الحرية في الاسلام):

(من أصول الإسلام المسلمة والمؤكّدة مسألة حرية اختيار الدين؛ قال

تعالى: لا إكراه في الدين. بل ليكن معلوماً - قبل كل شيء - أن الإسلام وحده هو دين الحرية. فحتى المدارس والمبادئ الأخرى التي ظهرت منذ قرون وما زالت ترفع شعار الحرية لا واقع للحرية فيها سوى الاسم. أمّا الإسلام فهو دين الحريات مبدأً وشعاراً، وقولاً وعملاً. وهذا موضوع طويل يتطلب من الباحث أن يطالع الفقه الإسلامي بعمق - من أوله إلى آخره - لكي يعرف كيف أن الإسلام التزم بمبدأ -لا إكراه في الدين- في مختلف مجالات الحياة).

لذلك من الأمور البديهية أن يطلع الباحث على موضوع البحث الذي يناقشه، فلا يجوز أن يلصق هذه التهمة أو تلك بهذا المبدأ أو الدين أو الرأي قبل أن يطلع على رؤاه ومبادئه ونظراته الى الحرية على سبيل المثال، لذا نرى أن النظرة القاصرة التي تتهم الاسلام بتحديد الحرية ووضع العراقيل والنواهي بوجهها ما هي إلاّ تهمة لا تصمد اما الوقائع التي تحدث على الارض، حيث لا محددات للحرية في الاسلام إلاّ في حالات الضرر للنفس او الضرر بالآخر، كما نقرأ ذلك في كتاب (الحرية في الاسلام):

(هناك تهمة وجّهها بعض المستشرقين إلى الإسلام ويردّها بعض الشباب الذين لا يعرفون الإسلام حق معرفته. فهم يقولون: إنّ الإسلام كلّه محرّمات وقيود ونواه. ونحن نقول لهم: بالعكس تماماً فإنّ الحرية الموجودة في الإسلام لا يوجد لها نظير في أيّ مكان!

خذوا أكثر بلدان العالم ادعاءً للحرية كفرنسا والولايات المتحدة مثلاً، ترى القيود الكثيرة للسفر منها وإليها، وفي جوانب كثيرة أخرى. فهذه القيود موجودة في كلّ دول العالم وإن كانت في بلداننا أشدّ. أمّا الإسلام فلا يوجد فيه مثل هذا، فلا يقول لك الإسلام: أين تسكن؟ وأين تذهب؟ وكيف

تذهب؟ ومتى تذهب؟ بل يقول لك: إن الله خلقك وهو الذي أعطاك الفكر والعقل فلا تكن عبد غيرك، ولا يجب أن تخبر الدولة عن خروجك ودخولك، وإقامتك ورحيلك، وما تستورد وما تصدر - غير المحرمات - لكن الإسلام يضع لك التوجيهات ويقول لك إن التزمت بها تفلح وإلا تخسر!

إن مثل هذه التهم الجاهزة لم تعد تنطلي على المتابع اللبيب الذي يبحث عن الجوهر قبل الشكل والذي يستند في إطلاق أحكامه على الدلائل والقرائن الواضحة، ويستند الى ما يحدث على أرض الواقع، فالقول بأن الاسلام ينطوي على الكثير من المحرمات والنواهي سيظل ناقصا وغير مقبول من دون البحث عن ماهية هذه المحرمات ونوعها ودرجة إضرارها بالآخرين، وعندما يتبين للباحث أهمية الالتزام بهذه المحرمات وعدم تجاوزها سيفهم ان الحرية في الاسلام هي جوهر الصلاح والنجاح والتقدم البشري، وكمثال حين حرّم الاسلام الزنا فإن أضراره معروفة للجميع وقد اكتشفها الغرب بنفسه وعانى منها كثيرا، لذا فإن تحريم الزنا ليس تحديدا لحرية الانسان بل حفاظا عليه بالدرجة الاولى وهكذا ينطبق هذا المثل على الامور والجوانب الاخرى التي تتعلق بالحرية كمفهوم وسلوك أيضا.

شبكة النبا المعلوماتية - الاحد ١٩/تموز/٢٠٠٩ - ٢٦/رجب/١٤٣٠

(٣)

الإسلام وجوهر الحرية المعاصرة

عندما نشط الفكر الانساني في مراحلہ الاولى، بدأ الانسان ينتقل من حالة أدنى في العيش الى حالة أفضل، ثم أصبحت اللغة بديلا للاشارات، وانبثق دور التدوين وتم اكتشاف الكتابة لتبدأ البشرية قفزاتها المتسارعة

صوب السمو والتنامي المضطرد الى ما هو افضل وأرقى من الحالات التي تهتم الانسان على الصعيدين الفكري والعملي، ومنذ ذلك الوقت صعودا الى الراهن المُعاش، يؤكد المصلحون والفلاسفة وأصحاب الفكر الحر على دور الحرية الخلاق في ما انجزه الانسان عبر مسيرته الطويلة والشاقة من مكتسبات كانت لا تخطر على بال أحد إلا في ساحة الخيال فقط.

ولعلنا لا نأتي بجديد حين نقول بأن الاسلام -وهو خاتم الاديان السماوية-، إرتكز على نحو كبير ولافت على جوهر الحرية واعتمدها أساسا متينا في مبادئه وتعاليمه واكد على انها السبيل الأصوب والاقرب الى التحضر والرقي وسلامة الانسان وتطوره وتشذيب نوازعه المغرضة في آن، ولعلنا نضع في مقدمة ما دعى إليه الاسلام وارتكز عليه في طروحاته هو مجال الحرية الجوهرية عبر الآية الكريمة التي تعلن على رؤوس الملائم: (لا إكراه في الدين).

إن هذه الآية القرآنية الكريمة حين تشخص أمام عيون الانسان (كائنا من كان) فهي لوحدها تعدّ ركيزة عظيمة تدل على ان الدين الاسلامي الحنيف قدم للبشرية جمعاء حلا مركزيا لشؤونها يمكنها اعتماده في معالجة وتذليل مشاكلها الشمولية التي تتعلق بالسياسة والفكر والاقتصاد والطب والعلوم الانسانية كافة، لأن هذه الحلول والمبادئ ركزت على جوهر الحرية وجعلته أساسا راسخا وهاما لمقومات التطور البشري.

ولعل في ذلك ميزة للاسلام كما نقرأ هذا في الكتاب القيم الموسوم بـ (الحرية في الاسلام) لسماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي إذ يقول: (من أصول الإسلام المسلّمة والمؤكّدة مسألة حرية اختيار الدين؛ قال تعالى: " لا إكراه في الدين". بل ليكن معلوماً - قبل

كلّ شيء - أن الإسلام وحده هو دين الحرية. فحتّى المدارس والمبادئ الأخرى التي ظهرت منذ قرون وما زالت ترفع شعار الحرية لا واقع للحرية فيها سوى الاسم).

ولذلك حين نقول ان الاسلام هو دين الحرية شكلا وجوهرا، فإن الوقائع والافكار والتوجهات تشير الى ذلك بوضوح، ولعلنا نجد في سيرّ أنبيائنا وأئمتنا عليهم السلام وكل الافذاذ العظماء من الشخصيات الاسلامية الخالدة نماذج للحرية هي قمة في حضورها ووهجها الفكري الانساني الخلاق، ولعل الاشتراط الأروع والأجمل والأصح في ممارستنا للحرية الشخصية او الفكرية او غيرها، هو شرط عدم إلحاق الضرر بالآخرين او التجاوز على حقوقهم، وهذا هو ما يراه الدين الاسلامي ويؤكد عليه بقوة، حيث يقول سماحة المرجع الشيرازي في كتابه نفسه بهذا الصدد:

(يقول الإسلام: اعمل ما تشاء، فلك حرية العمل شريطة أن لا تضرّ غيرك؛ فإنه «لا ضرر ولا ضرار في الإسلام» والإسلام يضرب بشدّة على يد الظالم ومَن يريد إلحاق الضرر بالآخرين، وبعد ذلك فأنت حرّ في كلّ أمورك، في ذهابك ومجيئك وسفرك وعلاقاتك، فلا ضغط ولا جبر ولا إكراه ولا كبت للحرية في الإسلام).

فما أروعها من سمة وما أجله من شرط انساني يتجلى فيه الصواب والمسار الفطري، إذ حتى السجية التي تسوق سرائر الانسان فهي توجهه بهذا الاتجاه الفطري الراكز في أعماقه، بمعنى ان الانسان بفطرته وخصاله الأصلية يرفض التجاوز والاعتداء والإضرار بالآخرين رفضا قاطعا، وجاءت حرية الاسلام لتؤكد على هذا المبدأ الذي يفتح آفاق الحرية على مصاريعها لكنه يحمي الآخرين من الضرر الذي قد يلحقه بهم المتجاوزون في الفكر او

التطبيق، في حين كانت الأديان الأخرى تقتل لمجرد إبداء الرأي كما حدث ذلك في أوربا (القرون الوسطى) حيث نقرأ ذلك في كتاب سماحة المرجع الشيرازي الذي يقول فيه:

(فلنقرأ عن الإسلام، ولنقرأ عن غيره أيضاً ثم نقارن بينهما. ففي القرون الوسطى كان العالم في الغرب يُقتل لمجرد إبداء رأيه في قضية ما وإن كانت علمية محضة لا علاقة لها بالدين وتشريعاته!).

لهذا سيبقى التركيز على جوهر الحرية قائماً، بمعنى أننا سنظل باحثين عن الحرية ومطالبين بها كونها حجر الزاوية في الفعل الإبداعي البشري على وجه العموم وهذا هو ما يدفع إليه الإسلام شريطة أن يحذر المفكر أو الفاعل وهو يمارس حريته على أن لا يضر بالآخرين وهو مطلب إنساني جوهري وكبير لا غبار عليه أبداً، وهو ما دأب عليه المصلحون والمفكرون والعلماء المسلمون وهم يضعون أفكارهم الجليلة في خدمة المجتمع الإنساني عموماً.

شبكة النبأ المعلوماتية - السبت ٢١/ تشرين الثاني/ ٢٠٠٩ - ٢٣/ ذو

القعدة/١٤٣٠

(٤)

الحرية الفكرية والعملية في المنظور الإسلامي

من بدهة القول أن يؤكد العلماء والمعنيون على أن الحرية هي جوهر الإسلام وذلك من خلال الإشارات اللفظية والعملية التي قدمها لنا القرآن الكريم في الكثير من آياته الكريمة، ناهيك عن السيرة العملية لنبينا الأكرم محمد ﷺ وسلوكه الواضح للعيان إبان قيادته للدولة الإسلامية في عصر الرسالة.

وليس في قولنا جديد حين نقول بأن تطور الانسان والحرية صنوان متلازمان، فلا تطور ولا رقي ولا سؤدد من دون الحرية الفكرية والعملية والعكس صحيح بطبيعة الحال، وهذا ما تؤكد الآيات القرآنية الكريمة ومنها (لا إكراه في الدين) وهي من التعاليم الإلهية القاطعة التي تضع الفكر في مصاف التقديس، من هنا كانت الحرية الفكرية غاية الاسلام ووسيلته في آن واحد وثمة آية قرآنية أخرى تؤكد على حرية الفكر بما لا يدع مجالاً للتشكيك حيث تقول الآية الكريمة (فمن شاء منكم فليؤمن ومن شاء فليكفر) فأى معنى عظيم تنطوي عليه هذه الآية الكريمة مع أن جوهر الدين والاسلام هو الايمان القاطع بدين الله تعالى ومع ذلك ثمة هامش للحرية متاح للانسان مع أن ترك هذا الهامش بحد ذاته دليل على عظمة الدين الاسلامي وحمية انتهاج تعاليمه ومبادئه الانسانية المعطاء.

وفي هذا المجال يؤكد سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظلّه) في الكتاب الموسوم بـ (من عبث المرجعية): لقد (التزم الاسلام بمبدأ لا إكراه في الدين في مختلف مجالات الحياة).

وهكذا لا بد من التأكيد على أن حرية الفكر تقع في الصميم مما يهدف إليه الاسلام، مع التعاضد التام بين الفكر والعمل، فالاسلام الذي يدعو الى الحرية الفكرية لا يكبل الانسان في مجالات الحياة كافة ولم يستخدم النبي ﷺ وهو قائد الدولة الاسلامية وسائل الاجبار والقسر مع الآخرين لدفعهم الى الايمان بالاسلام، إذ يقول سماحة المرجع الشيرازي بهذا الصدد في الكتاب نفسه: (لم يقتل النبي ﷺ أحداً من المشركين بسبب عدم إسلامه، ولا أجبر أحداً على الاسلام، بل تركهم على دينهم).

ويضيف سماحة المرجع الشيرازي قائلاً: (كان لرسول الله ﷺ الصديق المسيحي والجار اليهودي، دون أن يجبر أحدا منهم على الاسلام، مع أنه كان الحاكم الأعلى في الجزيرة العربية، وكان بيده السيف والمال والقوة الكافية).

وهذا ما يدل على نحو قاطع على المنهج التحرري للاسلام والرؤية الثابتة لدور الحرية في بناء المجتمعات السليمة، فلا اكراه في عموم مجالات الحياة الفكرية او العملية شريطة أن لا يؤدي ذلك الى التجاوز على حقوق الآخرين، وهذا هو جوهر الحرية الصحيحة، فلا حرية قط مع الافكار والاعمال التي تتجاوز على الآخرين وحررياتهم ومعتقداتهم وافكارهم وأعمالهم التي يؤمنون بها، ولا حرية مع الدعوات التي تحاول أن تحط من قيمة الانسان أيا كان انتسابه وتوجهاته في حالة كف أذاه عن عامة الناس، وبخلاف ذلك لا وجود للحرية بمعناها الأصح والأمثل. وهنا يؤكد سماحة المرجع الشيرازي في الكتاب نفسه على أن الاسلام: (يقول لك: إعمل ما تشاء، فلك حرية العمل شريطة ألا تضر غيرك، فإنه لا ضرر ولا ضرار في الاسلام).

وهذا هو الشرط الاساس في ممارسة الانسان لحرياته سلوكا وقولا، وخلاف ذلك فإن أي تجاوز على الآخرين ليس من الحرية بشيء. بيد أن الاسلام لا يقف مكتوف الايدي ازاء الظواهر والافكار والسلوكيات الخاطئة، بمعنى لا بد أن يكون هناك دور تنويري ارشادي لا أكثر، أي بعيدا عن الاكراه ولكن لا يصل هذا الدور بعدم التدخل الى درجة الصمت التام بل لا بد من عملية التوجيه الطوعية وهنا يقول سماحة المرجع الشيرازي في الكتاب نفسه: (لا ضغط ولا جبر ولا اكراه ولا كبت للحرية في

الاسلام، ولكن ثمة توجيهات وارشادات تبين لك السلوك الأحسن، تقول: هذا صحيح وهذا مستحب وهذا مفضل وهذا مكروه).

وتبقى لك الحرية في الاختيار ولا بد للانسان الذي يتعامل بروية وحكمة مع تعاليم من هذا النوع أن يعرف أين تكمن مصلحته طالما أن جميع النصائح والتوجيهات لا تأتي من باب الإلتزام والقسر بل الاختيار الحكيم لما يقع في صالح الانسان أولاً وأخيراً، كما يؤكد سماحة المرجع الشيرازي على: أن (حرية الرأي في نظام الله وقانون الاسلام أكثر تقديسا من الشهادتين، فالاسلام يريد أن يجعل الناس أحرارا).

فأية عظمة بعد هذا القول وهذا الجوهر الذي يمثل رؤية الاسلام للانسان وتعامله مع رحلة الحياة التي تبقى الطريق الوحيد للوصول الى خالق الكون والانسان ولكن وفقا لخيارات الانسان نفسه وحريته التي يأمل الاسلام أن لا يحدها شيء سوى الفعل والفكر الذي يتجاوز على حقوق الآخرين.

شبكة النبأ المعلوماتية - السبت ٩/تموز/٢٠١٠ - ٢٧/رجب/١٤٣١

(٤)

الحرية ركيزة في ارتقاء المجتمع

لم يكف الفلاسفة والعلماء عن طرح أفكارهم التنويرية التي تقف الى جانب الانسان في سعيه الدؤوب لبناء المجتمع المثالي، وقد استمد معظم هؤلاء العلماء والمهتمون رؤاهم وأفكارهم من التعاليم الواردة في الاديان السماوية، إذ يشكل الاسلام المنبع الأعظم للأفكار الانسانية التي تحث على التطور والتحديث والتفاعل المتبادل الذي يخدم البشرية ويضع خطواتها على الطريق السليم.

فالإنسان حين بدأ مشواره القاسي مع الحياة، لم يكن مشدبا بعد من خطاياها ولا نوازعه المضمخة بنوايا الشر، وغالبا ما كانت تحكمه المصلحة الذاتية التي كانت تعميه عن رؤية مصالح غيره، فيلجأ الى القوة والعنف لتحسين مصالحه وتعظيمها حتى لو تحقق ذلك على حساب الآخرين أفرادا أو أمما، وهذا ما حدثنا به التاريخ البشري المتلاحق، حيث المعارك الطاحنة بين بني البشر لتأمين الحياة الأفضل على حساب الغير، وهو أمر بات مفروضا ومستهجنا في عالم اليوم.

حدث هذا بفضل الاسلام الذي دعا الناس اجمع من دون استثناء - وأولهم المسلمين- الى احترام الآخرين وحياتهم، ومنح الجميع حرية التفكير والعمل وحرية طرح الرأي والرأي الآخر، بل وأثنى كثيرا على أهمية المشاورة قبل اتخاذ القرارات من لدن المعنيين وهم كبار او قادة القوم لكي يتحقق شرط الحرية الذي يؤدي بدوره الى تحقيق أفضل النتائج في مجال البناء الأمثل للمجتمع.

في هذا الصدد، يقول سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله) في كتابه المتميز (السياسة من واقع الاسلام):

(الإنسان حرّ بنظر الإسلام في مزاولة كل أنواع الأعمال، بمختلف أشكالها، وأحوالها، في أي زمان ومكان ما لم يضرّ بالآخرين).
ولعلنا نتفق على أن حرية العمل متأتية من حرية الرأي، وهكذا يستمد الإنسان حريته العملية من حريته الفكرية التي أتاحها له الاسلام شريطة أن لا يتسبب ذلك العمل بأذى للغير وهو مالا تقبله التعاليم الاسلامية مثلما يرفضه المنطق الانساني القويم تماما، ويضيف سماحة المرجع الشيرازي قائلا في

هذا المجال بكتابه نفسه:

(إنّ الإسلام يعطي لكل فرد من المسلمين، بل وحتى لغير المسلمين من سائر البشر، كامل الحرّية في جميع المجالات المشروعة، مادام لا يضر بحريّة غيره).

وهكذا نلاحظ تركيزا كبيرا يوليه الاسلام لحرية الرأي والعمل، والسبب كما هو واضح، أن أجواء الحرية تسهم على نحو كبير بخلق عناصر النجاح والتقدم والمعاصرة التي تتطلبها حياتنا الراهنة، استنادا الى قانون التجدد الذي لا بد للانسان أن يؤمن به ويحسب حسابه ويسعى الى تجديد أفكاره ورؤاه وأعماله، في ظل الشرط الذي اقترحه الاسلام والمنطق الانساني معا، متمثلا بعدم الاضرار بمصالح الآخرين، فليس من العدل بشيء أن تتسبب حريتك في الأذى لغيرك مهما كان حدود الضرر، لأن الأهم في التقدم والتطور والحرية نفسها أن يتحقق الوئام والانسجام بين الجميع في ظل نظام حياتي يضع توافر المواصفات الانسانية في المقدمة من أهدافه.

ولكن يبقى الاسلام حريصا على حرية الآخرين، إذ يقول سماحة المرجع الشيرازي بهذا الصدد في كتابه نفسه:

(أول ما يبدأ الإسلام بتحرير الناس فيه: الفكر، واختيار الدين فإنّ الإسلام لا يجبر الناس على دين معيّن أبداً، ولو كانوا في بلاد الإسلام وتحت رعايته وحمايته).

والأهم عند الاسلام أن يكون الانسان سعيدا وناجحا في حياته، بل هدف الاسلام أن يتحقق الخير لعموم الناس، إذ يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا المجال:

(إنّ الإسلام جاء لإسعاد البشر حتى الذي لا يؤمن بالإسلام يريد له

الخير ويحب له النجاة... إنها من أبعاد الحرّية في الإسلام).
والهدف الأهم في المسعى الاسلامي أن تُشاع الحرية من دون إلحاق
الضرر بالآخرين، عند ذاك سوف تُشاع حرية العمل والانتاج المتنوع في ظل
منظومة سلوك عصري متوازن قائم على مراعاة حقوق الآخرين وآرائهم
ومشاعرهم، مما يؤدي بالنتيجة الى تحقيق المجتمع العصري الناجح.

شبكة النّبأ المعلوماتية - الخميس ٢٨/تشرين الأول/٢٠١٠ - ٢٠/ذو

القعدة/١٤٣١

(٥)

نعمة الحرية وكيفية اغتنامها

من بدهة القول، أن نتفق على أن الحرية هي الهدف الاول، الذي
يسعى الانسان لتحقيقه، فردا كان أو جماعات، من أجل ضمان الاستقلالية
التامة في الفكر والسلوك، حيث الحرية، هي الحيز الأوسع والأنسب، لتحريك
الطاقات المبدعة الكامنة في أعماق الذات، ومن ثم توظيفها على النحو
الافضل، لخدمة الانسان والجماعة، في الوقت عينه.

وطالما أن الانسان أتى هذا العالم وهو يحمل هوية التحرر في يده
وقلبه، فإن أية محاولات، تحاول أن تسلب منه هذه الهوية، ستكون بمثابة
التجاوز على حقوقه، وتعد محاولة آثمة لترويضه وتدجينه، إلا فيما يتعلق
بامتثال الانسان لتعاليم الدين الواضحة، والاعراف التي يتفق عليها المحيط
البشري، الذي يتحرك فيه الانسان.

ولهذا يبقى الانسان متعطشا لحرّيته، كونه مجبولا عليها منذ الولادة،
ولهذا ايضا، يقارع بقوة كل الاساليب والسلطات التي تحاول أن تصادر هذه

الحرية او تحد منها بطريقة او أخرى، حتى لو كان العنف هو الاداة التي تحاول أن تسلب من الانسان هويته وحريته، فالانسان في الغالب وفقا لسجايه التي جُبل عليها، لا يخشى العنف ولا يمتثل لقسوته، مع أنه مظهر من مظاهر الاعتداء الصارخة على كرامة الانسان، إذ يقول سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظلّه) في الكتاب القيم الذي يحمل عنوان (من عقب المرجعية):

(العنف هو استخدام القوة المعتدية).

وهكذا توضّح لنا هذه الجملة المركّزة طبيعة العنف، والاسباب التي تقف وراءه، حيث السعي الدؤوب للسلطات المستبدة لمصادرة حرية الناس، الامر الذي يؤدي الى التصادم بين إرادتين، إرادة الحرية وإرادة الطغيان، ومع ذلك يوجّه الاسلام بضرورة تجنب العنف، واللجوء الى الاساليب التي تمنع اراقة الدماء وتسعى في الوقت ذاته الى حفظ الحريات، إذ يؤكد سماحة المرجع الشيرازي في هذا الصدد على أن:

(اسلوب الحوار اولا والمظاهرات السلمية ثانيا، هي الاجدى والاحمد عاقبة، في السعي الى الاصلاح والتغيير، وفي التاريخ البعيد، كما في التاريخ القريب، نماذج كثيرة تؤيد ذلك).

ولكن تبقى حرية الانسان هي الأكثر تقديسا في نظر الاسلام، فلا شيء يماثل الحرية الانسانية في دفع الانسان نحو التطور والابداع، ولهذا تؤكد التعاليم الاسلامية على أهمية الحفاظ على حرية الانسان من المساس او التجاوز، كونها تعمل بالضد من الطبيعة والفطرة التي خلقت وفقها الانسان، حيث النزوع الفطري نحو الحرية، ولهذا السبب، يؤكد سماحة المرجع الشيرازي في الكتاب نفسه على أن:

(حرية الرأي في نظام الاسلام، اكثر تقديسا حتى من الشهادتين، فالاسلام يريد ان يجعل الناس احرارا).

ولهذا السبب أيضا، واستنادا الى فهم الطبيعة الانسانية النازعة الى التحرر والابداع على نحو دائم، أكد الاسلام على الاهمية القصوى لتجنب مصادرة آراء الناس، أو إجبارهم بالقسر والقوة على اتخاذ موقف ما أو انتهاج منهج ما، فقط هناك الاقناع وسيلة للاسلام لهداية الناس، أما الضغط عليهم والتضييق على حرياتهم، وقسرهم على شيء ما او هدف لا يقتنعون به، فهو سلوك مرفوض تماما، لهذا يؤكد سماحة المرجع الشيرازي في الكتاب نفسه على أن: (الحريات الموجودة في الاسلام لا نظير لها في التاريخ).

ويؤكد سماحته أيضا قائلا في هذا الصدد: إن (الحرية التي يمنحها الاسلام في مختلف المجالات، ليس لها نظير، ولا شيء يقرب منها في تاريخ العالم، حتى في هذا اليوم المسمى بعصر الحريات).

وطالما أن السلطات السياسية، لاسيما في الدول العربية والاسلامية التي تتخذ من الدين الاسلامي دينا رسميا لها، وتدعي الانتساب إليه شكلا لا تطبيقا، طالما أنها تغفل أهمية حرية الانسان والشعب عموما، فإنها لا يمكن أن تصمد أمام تعطش شعوبها، واندفاعها المتجدد نحو الحرية، وخير الامثلة أمامنا وأكثرها حضورا وقربا منا، ما حدث في تونس، حيث الانتفاضة الشعبية التي أجبرت الحاكم على الفرار، واطاحت بنظامه التسلطي القمعي، وهو ما تجدد في مصر مع نظامها الذي أغفل حريات الناس، وتجاوز على حقوقهم، من خلال استشرء الفساد المالي والسياسي والمجتمعي ايضا، الامر الذي دفع بالجماهير الى الانتفاض والمطالبة بحرياتها.

وهكذا تبقى الحرية مطلبا أزليا للانسان، ينبغي عليه أن يفتنمها في

تطوير حياته وتحسينها، وما على الحكومات سوى أن تفهم، بأن بقاءها مقترن بالمحافظة على حريات الشعوب، وزوالها مرتبط بالتجاوز على حرياتهم، فالحرية كما يقول سماحة المرجع الشيرازي: (نعمة إلهية عظمى ينبغي اغتنامها على احسن وجه).

شبكة النبأ المعلوماتية - الخميس ٣/شباط/٢٠١١ - ٢٩/صفر/١٤٣٢

(٦)

الحرية في الإسلام وطغاة العصر الراهن!

يفسر لنا سماحة المرجع الديني، آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله) مفردة ومعنى الطاغوت، في كتابه القيم الموسوم بـ (الحرية في الاسلام) موضحاً بأن (الطاغوت من الطغيان وهو التجاوز عن الحد)، والحد هنا هو حد الله تعالى، والذي تتفرع منه جميع الحدود المتعارف عليها، في أحكام الشرع، وفي السنن والاعراف والاخلاق المتفق عليها عموماً.

ولا ينحصر التحجيم وكبت الحريات، على أفعال الناس وأعمالهم المختلفة، بل هناك طغيان فكري، يرفض الفكر الواعي المتحرر ويقارعه، كونه يقف الى جانب السلطان، ويؤازره في انتهاكاته ضد الشعب، متجاوزاً بذلك حدود الله تعالى، يقول سماحة المرجع الشيرازي في كتابه المذكور بهذا الخصوص: (يستعمل الطغيان في الفكر أيضاً، ويراد به عادة المناهج المنحرفة عن سبيل الله تعالى، ومن هنا تُطلق كلمة الطاغوت على مَنْ كان في قمة الفكر المنحرف).

جرائم الطغاة

فالحاكم الطاغية هو كل من حاول التجاوز على الحدود المتعارفة، والمتفق عليها، ضمن الضوابط الدينية والعرفية والاخلاقية، أما بخصوص السياسة، فهناك حريات وحقوق وواجبات، تدركها الدساتير لتنظم العلاقة بين الحاكم والمحكوم، شريطة أن تحظى بالقبول الشعبي الواعي، وما عداها فهي دساتير شكلية، يدبجها كتبة الحكام الطغاة، كغطاء لجرائمهم البشعة ضد شعوبهم.

والتجارب التي لا تزال ساخنة، تؤكد لنا أن الحكام الطغاة لا يعترفون بالدستور، ولا بالحريات الفردية او الجماعية، ودائما يعتقدون بأنهم على صواب، حتى لو أدت قراراتهم الفردية الى الخراب الشامل لحياة الشعوب، هذا ما قام به طغاة الغرب والشرق، فلم تخل جهات الارض منهم على مر التاريخ، فهذا (لينين - رئيس جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق وأمين سرّ الحزب الشيوعي السوفيتي - يقتل ويشردّ وحده في عصر الحرية والتقدم خمسة ملايين إنسان من أجل تطبيق مادة قانونية واحدة من قانون المزارع الجماعية في الاتحاد السوفياتي السابق!!) كما يذكر لنا سماحة المرجع الشيرازي في كتابه نفسه.

لا إكراه في الدين

من ناحية أخرى، ليس هناك حالة إكراه في الدين الاسلامي، ولا ينبغي أن تكون، إذ يذكر لنا سماحة المرجع الشيرازي، في كتابه (الحرية في الاسلام) قائلاً بهذا الصدد: (من أصول الإسلام المسلمة والمؤكّدة مسألة حرية اختيار الدين؛ قال تعالى: لا إكراه في الدين). أما الحال مع طغاة العصر فهو يختلف تماما، هناك مسار واحد يفرضونه على الشعوب، وهو أن تسيّر

الناس في طريقهم ومسارهم، من دون رأي أو صوت معارض، وإلا فإن القصاص، عقوبة أرواحهم وأملاكهم وأبناءهم، وبهذا تنتهك الحريات أيما انتهاك، وتصادر الآراء أيما مصادرة، بينما في الاسلام والحكومات الاسلامية التي خلدها التاريخ في حلقاتها المشرقة، لا تتجاوز على حرية الفرد، يؤكد سماحة المرجع الشيرازي على هذا الجانب قائلاً: (ليكن معلوماً - قبل كل شيء - أن الإسلام وحده هو دين الحرية. فحتى المدارس والمبادئ الأخرى التي ظهرت منذ قرون وما زالت ترفع شعار الحرية لا واقع للحرية فيها سوى الاسم. أما الإسلام فهو دين الحريات مبدأً وشعاراً، وقولاً وعملاً).

أنت حر في الاسلام

لهذا لا يعترف الاسلام، بالحكام الذين يتجاوزون على الحريات، ويضربون حولها الاسوار الشاهقة، إذ يرى الاسلام، أن الوضع الطبيعي لحركة الناس، والاشياء، والحياة برمتها، ينبغي أن تحكمه الحرية، شريطة عدم الاضرار بالغير، يذكر لنا سماحة المرجع الشيرازي، حول هذا الموضوع في كتابه نفسه: (يقول الإسلام: اعمل ما تشاء، فلك حرية العمل شريطة أن لا تضر غيرك).

وهكذا يمكن أن تنتظم الحياة، وفقاً لهذا القانون الاسلامي، لتصبح حاضنة ملائمة للفرد والجماعة، بل لشعوب العالم أجمع، لتعيش في اجواء الحرية، التي لا يحكمها حاكم او طغيان، سوى شرط لا يرفضه عاقل، وهو أن لا تضر غيرك عندما تمارس حرياتك المتعارف والمتفق عليها.

بل ينبئنا التاريخ، أن النبي الاكرم ﷺ، وهو قائد الدولة الاسلامية في نشأتها الاولى، قدم انموذجا للقائد المتحرر والمتسامح مع الجميع، حتى مع أعدائه الذين ظلموه، وتجاوزوا عليه وعلى ذويه واصحابه الاطهار، إذ نقرأ

في كتاب المرجع الشيرازي بهذا الصدد: (هكذا روى التاريخ عن سلوك نبينا ﷺ: يحاربه قومه مع ما يعرفونه من صدقه وأمانته ونبله وكرم أخلاقه، بمختلف أنواع الحروب القاسية ويطردونه من موطنه ومسقط رأسه، ثم يتركهم أحراراً وما يختارون من دين وطريقة حياة؟!).

نموذج الحاكم الاسلامي

ويتكرر منهج التحرر، في حكومة علي بن أبي طالب ؑ، فنجد النموذج الامثل للحاكم الذي يرعى شعبه، ويساعدهم على معرفة حقوقهم والعمل بحرياتهم، بعيدا عن القسر والظلم والاجبار، تحت ضغط المصالح السلطوية، التي غالبا ما تعمي بصيرة الطغاة، بل التسامح والنصح والتوجيه يشمل حتى المعادين للحكومة الاسلامية، وهنا تتضح بجلاء تام أجواء الحرية، التي كانت تعم العلاقات المتبادلة بين الحكومة والشعب او الافراد، فهم احرار في آرائهم تماما، ما لم يلجأوا الى القوة والسيف.

يذكر لنا سماحة المرجع الشيرازي، قائلا في هذا المجال بكتابه المذكور نفسه: (ها هو الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه قد كان مبتلىً بأشخاص ذوي نفسيات وضيعة تردّ عليه وتقطع كلامه وتجادله بالباطل بل حتى تتناول عليه، وهو مع ذلك لا يأمر بقتلهم وسجنهم ونحو ذلك، وهو الحاكم الأعلى الذي بايعته الأمة قاطبة ناهيك عن كونه مُنصباً من قبل رسول الله ﷺ وبأمر من العليّ القدير، بل كان يجيهم ويترك لهم حرية العقيدة ما لم يتآمروا ويلجأوا إلى استعمال القوة والسيف).

الحق وطغاة العصر

على خلاف ذلك، ينحرف الطغاة عن جادة الحق، وهم يعرفونه حق المعرفة، لكنهم يتمسكون بالباطل، تحت ضغط اطماعهم، ومصالحهم ونفوسهم المصابة بالضعف والهوان، وهم يعطون بذلك صورة واضحة عن قمع الحريات ومصادرة الآراء، حماية لعروشهم التي ستهتز وتسقط عاجلا أم آجلا، كما تخبرنا بذلك أحداث التاريخ والوقائع الحاضرة أيضا.

ومع ذلك ينسى طغاة العصر أو يتناسون، مصيرهم الذي ينتظرهم، فهم مهددون بالسقوط في الدنيا، ومحاسبون على جرائمهم في الآخرة، لذا يقول سماحة المرجع الشيرازي بهذا الخصوص: (إن من عرف الحق ولم يترك الباطل فإن مصيره يوم القيامة إلى جهنم وبئس المصير. أما في الدنيا فـ لا إكراه في الدين - ليتم الامتحان ويُعرف الطالح من الصالح، ويُميز الخبيث من الطيب).

شبكة النبأ المعلوماتية - الخميس ٦/ تشرين الأول/ ٢٠١١ - ٨/ ذو

القعدة/١٤٣٢

(٧)

عالم اليوم... عالم الحرية والانفتاح والتنوع

يتغابى الحكام القمعيون دائما، عندما يتعلق الامر بإطلاق الحريات لشعوبهم، لأن هؤلاء الحكام، بسبب إستبدادهم وتفضيلهم لمصالحهم، يشعرون أن الحرية تشكل خطرا عليهم وعلى عروشهم، بل وعلى أهدافهم كافة، لهذا يكون القمع وتكميم الافواه وإقصاء المعارضين وتهميشهم وعزلهم عن ساحة الفعل والتأثير، من أهم الاساليب التي يحاربون بها شعوبهم.

وطالما أن العالم، يسير بخطوات حثيثة ومتسارعة، نحو الانفتاح، بسبب وسائل الاتصال الحديثة، والاحتكاك الدائم بالتجارب الديمقراطية الناجحة، فإن الشعور بالحاجة الى التحرر يتزايد لدى الشعوب المحكومة بالحديد والنار، ولهذا لم يعد هذا العصر مناسباً للدكتاتوريات القائمة لشعوبها.

نعم كل الدلائل والوقائع الساخنة والمتسارعة تشير الى انتهاء عصر الدكتاتوريات، وتواصل سقوط العروش السلطوية، لاسيما في منطقة الشرق الاوسط حيث بدأت الانظمة القمعية تنهار تباعاً بفعل الانتفاضات الشبابية الشعبية التي اشتعل أوارها وبدا يتناقل كالنار في الهشيم من دولة الى أخرى، وذلك بسبب عصر الانفتاح.

يقول سماحة المرجع الديني، آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي، في كلمات توجيهية سديدة، بمناسبة ما يجري من احداث متسارعة في الشرق الاوسط:

(إن عالم اليوم هو عالم الحرية والانفتاح، وإن ممارسات الاضطهاد والكبت من قبل الحكام تجاه شعوبهم لا طائل لهم منها سوى الفضيحة والندم).

وهذا ما يتحقق فعلاً على ارض الواقع السياسي، حيث تساقط الحكام الانفراديون من عروشهم واحداً تلو الآخر بسبب سياساتهم التي تحجر على شعوبهم وتحرمهم من ابسط الحريات في عالم سمته الانفتاح والتحرر، والمشكلة أن الحكام الذين تساقطوا ومن سيأتيه الدور لاحقاً لا يريدون فهم المعادلة الجديدة القائمة على الانفتاح والحرية، ولم يتأملوا بتجارب الماضي القريب ولا البعيد لكي يستفيدوا منها ويصححوا مساراتهم بما يحفظ حقوق الشعوب والسلطة معاً، إذ يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا الصدد:

(لو أن الحكّام اليوم يتأمّلون في تاريخ من مضى من الحكّام أمثالهم لأعادوا النظر في تصرفاتهم وأفعالهم مع شعوبهم، ولما أقدموا على حرق تاريخهم بأيديهم).

نعم إن هؤلاء الحكّام يحرقون تاريخهم وحاضرهم ومستقبلهم بأيديهم بسبب سياساتهم الرعناء تجاه شعوبهم، ويبدو أنهم لم يفهموا حتى هذه اللحظة ولا يريدون أن يفهموا بأن سياسة الاستبداد هي التي تتسبب بإسقاطهم من عروشهم، كما يؤكد سماحة المرجع الشيرازي ذلك بقوله: (إن الحكومة التي تبتني أساسها على الاستبداد وهضم حقوق الناس المشروعة هي حكومة زائلة وفانية لا محالة).

ويؤكد سماحته في هذا المجال أيضا: (إن استعانة الحكومات بالقمع والسلاح في تعاملها مع الناس الأبرياء والعزل ينبي عن ضعف تلك الحكومات، وستكون العاقبة للمستضعفين).

ولهذا يقدم سماحة المرجع الشيرازي نصائحه لهؤلاء الحكّام، ويؤكد مرارا على أن الظلم والقمع والاستبداد هو العدو الأول للحكّام، كما يرد في إحدى توجيهاته السديدة: (على الحكّام أن يكفّوا عن ظلم الأبرياء، وأن لا يلبّطوا أيديهم بدماء المستضعفين، لأنهم سوف لا يجنون من هذه الأفعال إلا الغضب والسخط من الله تعالى).

ويؤكد سماحته على أن الحوار هو الأسلوب المناسب لتحقيق التوازن بين المطالب المشروعة للشعب وبين متطلبات السلطة الحاكمة، وكذلك المظاهرات السلمية التي تعتبر الأجدى من غيرها، كما يؤكد سماحته قائلا بهذا الخصوص: (إن أسلوب الحوار أولاً والمظاهرات السلمية ثانياً، هي الأجدى والأحمد عاقبة، في السعي إلى الإصلاح، وفي التاريخ البعيد، كما في

التاريخ القريب، نماذج كثيرة تؤيد ذلك).

لذا لا بد أن تفهم الحكومات بأن عالم اليوم ليس هو عالم الامس، وأن سمة الانفتاح لم تعد تسمح للحاكم المستبد بالقدرة على مواصلة الظلم والقمع وعزل الشعب، بل لا بد من توفير الحريات المطلوبة للشعوب، وإذا ارادت الحكومة ان تستمر في حكمها، فعليها أن تحمي الحريات بنفسها وتطورها وتنميتها كونها الحاضنة الصحية التي تساعد على حفظ العلاقة المتوازنة بين الشعب وحكومته، ولهذا السبب يؤكد سماحة المرجع الشيرازي في توجيهاته على: (ان عالم اليوم وجيل اليوم يبحث عن الحقيقة والسعادة، وهذا لا يتأتى إلا في ظل الحرية بما في الكلمة من معنى، وفي إطار العدل بما للكلمة من شمول، والممارسات الظالمة للحكام ليست إلا سداً أمام طموح الشعوب في نيل الحرية المشروعة التي تنتهي إلى انتصار المظلوم على الظالم).

وما على الحكام والحكومات المستبدة أن تفهم هذا الدرس بصورة صحيحة ودقيقة لتجنب نفسها من السقوط الحتمي.

شبكة النبا المعلوماتية - الخميس ٢٤/آذار/٢٠١١ - ١٨/ربيع الثاني /

١٤٣٢

(٨)

نهاية عصر القمع وتنامي عصر التحرر

في جملة من التوجيهات والإرشادات التي وجهها مؤخرًا سماحة المرجع الديني، آية الله العظمى، السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله) حول الحرية، أكد فيها سماحته على صفات الحاكم في الإسلام، وعاقبة

الذين يحكمون الناس بالقمع والاضطهاد والكبت والظلم ويصادرون الحقوق المشروعة وغيرها. وتطرق فيها سماحته الى أهمية الحرية في عالم اليوم، لبناء المجتمع المتوازن والقادر على مواكبة ما يستجد في ساحات العلم والمعرفة، وصنع الحياة الأفضل، لاسيما ما يتعلق بحقوق الشعوب وضرورة مراعاتها من لدن الحكام.

عالم الحرية والانفتاح

يقول سماحة المرجع الشيرازي في جانب من توجيهاته المهمة: (إن عالم اليوم هو عالم الحرية والانفتاح، وإن ممارسات الاضطهاد والكبت من قبل الحكام تجاه شعوبهم لا طائل لهم منها سوى الفضيحة والندم). وهو ما أفصح عنه واقع الاحداث الاخيرة التي انتهت بإسقاط بعض العروش، التي بنت نفسها على دماء وارواح وحقوق الشعوب، فمع تقدم الوعي واتساع وسائل الاتصال، والانفتاح التام بين امم وشعوب العالم، الامر الذي يتيح مجالا اوسع للحرريات والمسارات الصحيحة، لذا اصبح من العسير جدا على الدكتاتوريات، أن تجد لها مكانا في عالم اليوم، حتى لو بذلت قصارى جهدها وأساليبها القمعية المعروفة، وهذا ما يؤكد نهاية عصر القمع، يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا المجال: (إن عالم اليوم وجيل اليوم يبحث عن الحقيقة والسعادة، وهذا لا يتأتى إلا في ظل الحرية بما في هذه الكلمة من معنى، وفي إطار العدل بما للكلمة من شمول).

إن نتائج الربيع العربي التي تمخضت عن الانتفاضات والاحتجاجات الكبيرة، أعطت درسا فعليا للقادة المتجبرين، لذا كان على الباقيين منهم أن يتعظوا ويفهموا الدرس جيدا، إذ يقول سماحة المرجع الشيرازي: (لو أن الحكام اليوم يتأملون في تاريخ من مضى من الحكام أمثالهم لأعادوا النظر في

تصرفاتهم وأفعالهم مع شعوبهم، ولما أقدموا على حرق تاريخهم بأيديهم). وهذا ما يؤكد فشل أساليب القمع بكل أنواعها وصورها على النجاح في اطفاء جذوة الوعي لدى الغالبية العظمى من الناس حتى بسطائهم، لذلك بات القمع وسيلة للتعجيل بسقوط الانظمة المستبدة وليس حاميا لها، لذلك يؤكد سماحة المرجع الشيرازي في توجيهاته على: (إن الحكومة التي تبني أساسها على الاستبداد وهضم حقوق الناس المشروعة هي حكومة زائلة وفانية لا محالة).

معادلة القمع وضعف الحكومة

الحكومات القوية تستمد قوتها وثباتها من درجة مشروعيتها المستمدة من رضى الشعب عنها، ومجيئها عبر صناديق الانتخاب، وليس عن طريق القوة الغاشمة، فالحكومات التي تنتهج العنف والقمع سبيلا لتثبيت اركانها، تؤكد ضعفها بهذا الاسلوب وقرب زوالها، وهو أمر تؤكد التجارب التاريخية والوقائع الراهنة ايضا، يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا الصدد: (إن استعانة الحكومات بالقمع والسلاح في تعاملها مع الناس الأبرياء والعزل ينبئ عن ضعف تلك الحكومات، وستكون العاقبة للمستضعفين). لذا ليس هناك سبل اخرى أمام الحكام وحكوماتهم، سوى انتهاج مبدأ الشورى والانتخاب وفق الضوابط المعروفة، فالوصول الى كرسي الحكم ينبغي أن يكون باتفاق تام بين ابناء الشعب على حكومته، ويجب أن يتم هذا في اجواء حرية واضحة، أما المطلوب من الحكام فهو أن يفهموا بأن عصر القمع قد ولى، وأن الحرية هي وحدها التي تتيح لهم سبل البقاء في الساحة السياسية وفق مبدأ التنافس الصحيح مع الآخرين لقيادة الشعوب، لذا يحذر سماحة المرجع الشيرازي الحكام قائلا: (على الحكام أن يكفوا عن ظلم الأبرياء، وأن لا

يلطّخوا أيديهم بدماء المستضعفين، لأنهم سوف لا يجنون من هذه الأفعال إلا الغضب والسخط من الله تعالى، فالله تعالى قد خاطب الظالمين بخطاب شديد، حيث قال عزّ من قائل: «وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا».

الاسلام وحرية الرأي

لقد أكدت مبادئ وتعاليم الاسلام على أهمية الاستشارة في ادارة شؤون الناس، وهذا دليل قاطع على المنظور الاسلامي الراسخ لاهمية الحرية، وجعلها من الاسس القويمة لمواصلة الحياة وتنظيم العلاقة بين الحاكم والمحكوم، لذا يؤكد سماحة المرجع الشيرازي على: (إن حرية الرأي في نظام الإسلام، من الأسس القويمة، فالإسلام يجعل الناس أحرارا).

نعم إن الاسلام يحرر الانسان بدءا من الذات عبورا الى الخارج، ويطلب الاسلام بانتهاج الحرية كاسلوب حياة تساعد الناس على اختيار ما يصلح لقيادتهم، بالاضافة الى اختيار السبل السليمة لحياتهم، مع حضور مسؤولية النخب المعنية بزيادة الوعي الجمعي لعموم الناس ومساعدتهم على معرفة ما يصلح لهم في تسيير حياتهم، لذلك فإن الحرية في المنظور الاسلامي تختلف عن سواها من الحريات، كما يؤكد ذلك سماحة المرجع الشيرازي حيث يقول: (ان الحرية التي يمنحها الإسلام في مختلف المجالات، ليس لها نظير، ولا شيء يقرب منها في تاريخ العالم، حتى في هذا اليوم المسمى بعصر الحريات، والإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في حكومته كان يمنح للناس الحرية في المظاهرات ضد شخصه بدون استمارة وقيود، وكان يلبي مطالبهم).

شبكة النبا المعلوماتية - الخميس ٩/شباط/٢٠١٢ - ١٦/ربيع الأول/

(٩)

إزاحة الطغاة... ديناميكية الحياة وعالم الحرية المرتقب

يؤكد سماحة المرجع الديني، آية الله العظمى، السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله)، على التجدد الديناميكي المتواصل لعالم اليوم، وبينه النخب كافة، على أهمية ملاحظة ما يحدث الآن، في إطار النزعة التحديثية لشعوب الشرق الاوسط، ويذكر الحكام على أن العصر الراهن، هو عصر الحرية، وعصر (حوار الحضارات وليس تصادمها) وهو هدف جماهيري، ترسمه وتخطط له عقول النخب الناجحة، وتأخذ القيادات الذكية المتوقدة على عاتقها، تنفيذ البرمجة التحديثية على الارض.

وهو ما يجري من وقائع يلحظها المعينون وغيرهم، حيث تتجدد الانتفاضات في معظم دول الشرق الاوسط، كما نلاحظ ذلك فيما يحدث الآن في البحرين، حيث تصدّت مجموعة من المنظمات المعارضة، والقيادات الشبابية وغيرها لمهمة التغيير والعصرنة.

ونظرا للمرحلة المحورية الحرجة التي تمر بها شعوب الشرق الاوسط، حيث تتطلع الجماهير الى كسح وإزالة أنظمتها السياسية العجفاء، والاتيان بأنظمة معاصرة، شكلها وجوهرها التحديث والتطور، فإن سماحة المرجع الشيرازي يطل على الجميع بأفكاره ورؤاه السديدة، ويضعها بين أيدي المعنيين من شباب الامة المتحمس، والناهض لتجديد الحياة برمتها، وقد وجه سماحته ببعض الخطوات الفكرية والعملية التي تضع أمام الحكام مرآة الحقيقة، لتكشف أخطاءهم وتُظهر لهم مدى الوهم العميق الذي يتلبس عقولهم وبصائرهم، فهم لا يزالون متمسكين بعنصر القمع كإسلوب عقيم

لحماية عروشهم، بينما قانون الحياة ودينامية الحركة المتسارعة للشعوب تنبئ بغير ذلك تماما، إنها تقول للحكام السلطويين كفى لقد انتهت اللعبة، وعليكم أن تعرفوا بأنكم وصلتم الى آخر المطاف، وأن سيول التجديد الهادرة تتدفق نحو عروشكم لتقتلعها من جذورها.

وهو ما يحدث الآن على الارض فعلا، ودائما يكون الحكام المتغطرسون هم السبب، إذ يقول سماحة المرجع الشيرازي بهذا الصدد في توجيهاته الاخيرة التي جاءت منسجمة ومتوافقة مع الانتفاضات الشعبية المستعرة:

(لو أن الحكام اليوم يتأملون في تاريخ من مضى من الحكام أمثالهم، لأعادوا النظر في تصرفاتهم وأفعالهم مع شعوبهم، ولما أقدموا على حرق تاريخهم بأيديهم).

ويحذر سماحته من أن (الحكومة التي تبتني أساسها على الاستبداد وهضم حقوق الناس المشروعة هي حكومة زائلة وفانية لا محالة).

إن قانون التطور الطبيعي يرفض التقوقع، ويتطلع الى التغيير، فيما يستमित الحكام، كي يجعلوا من الرتبة والنمطية والسكونية، قانونا للحياة، حتى يطمئنوا على سلامة عروشهم، وهذا التضارب بين النزوع الطبيعي للتجديد، وبين تشبث الطغاة بالقديم الساكن، هو الذي يحرك بؤرة الصراع بين الطرفين (الحاكم والجماهير)، لهذا يحاول الحكام كثر الاموال، من خلال الفساد والاستئثار بالثروات على حساب الشعب، من دون أن يقتنعوا بأن قانون الحياة الصحيح، سيطيح بآمالهم بالبقاء أكثر في سدة الحكم، فيؤكد سماحة المرجع الشيرازي مشيرا في توجيهاته الى: (إن الفساد الإداري والاستئثار بأموال الناس وإيداعها في حسابات خاصة في البنوك الأجنبية أدى

إلى المزيد من الحرمان والبطالة والتخلف والمرض والجهل وسوء الخدمات مما عمق جراح المظلومين والمسحوقين من أبناء هذه الشعوب وجر عليها أنواع المآسي والمحن).

الامر الذي دفع الجماهير، باتجاه معاضدة قانون التغيير الوطني، الذي يتسارع من خلال الاحتجاج، والانتفاض على السكون، والركون الى النمطية، لهذا يقول سماحة المرجع الشيرازي: (ان هذه الاحتجاجات العارمة إنما تنم عن روح وطنية وإصلاحية وتدعو للتغيير الجذري وهذا حق إنساني مشروع).

بيد أن الحكام الطغاة لا يتواءم ذلك مع اهدافهم، ومصالحهم المحصورة بحماية العرش، مهما كانت الدواعي والاسباب، الامر الذي يدفع بهم الى مواصلة القمع، ومضاعفة التسلط، والتجاوز على الشعب، وصولا الى القتل الجماعي، كما حدث في البحرين مثالا، لكن هذا الاسلوب، بدلا من أن يحد من حركة الحياة الى امام، فإنه يعجل بتقادمها وازالة العروش الخاوية، كما يؤكد ذلك سماحة المرجع الشيرازي مذكرا الطغاة: (بأن استخدام وسائل العنف وإطلاق الرصاص الحي على المحتجين الأبرياء موقف غير مقبول ويزيد الجماهير تصميمًا وإصرارًا للمضي في طريق التغيير وان حوادث القتل التي ارتكبت خلال هذه الاحتجاجات مشمولة بقوله تعالى: (مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا) المائدة: ٣٢.

ولكن في آخر المطاف، سيستمر المسار الحركي الدينامي التقدمي لطبيعة الحياة، ويعلو الحق، ويسقط المتجبرون، والسبب واضح وبسيط، يؤشره سماحة المرجع الشيرازي حين يقول: (إن عالم اليوم وجيل اليوم يبحث عن الحقيقة والسعادة، وهذا لا يتأتى إلا في ظل الحرية بما في الكلمة

من معنى، وفي إطار العدل بما للكلمة من شمول، والممارسات الظالمة للحكام ليست إلا سداً أمام طموح الشعوب في نيل الحرية المشروعة التي تنتهي إلى انتصار المظلوم على الظالم).

شبكة النبا المعلوماتية - الخميس ٢٣/حزيران/٢٠١١ - ٢٠/رجب/

١٤٣٢

(١٠)

انتفاضة الشعب البحريني وحرمة إراقة الدماء

في دعاء للإمام السجاد عليه السلام، جاء في جزء منه (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَدِرُ إِيَّاكَ مِنْ مَظْلُومٍ ظَلِمَ بِحَضْرَتِي فَلَمْ أَنْصُرْهُ)، هذا النص يؤكد حرمة الصمت حيال الظلم، وما يفعله الظالمون في من هم أقل قوة وقدرة منهم، كما هو الحال فيما يحدث بين الحاكم والمحكوم، لاسيما في البلدان التي لم تترسخ فيها المؤسسات الدستورية بعد، ومنها حكومات دول تقع في منطقة الانتفاضات الجماهيرية العارمة، التي أسقطت وزعزعت حكومات دكتاتورية عديدة، ولا يزال أوارها مشتعلا حتى اللحظة.

إن الصمت حيال الظلم وأصحابه وأدواته لا يصح مطلقاً، ليس بالنسبة للنخب والقادة المصلحين فحسب، بل للأفراد العاديين أيضاً، فالجميع بغض النظر عن صفاته وقدراته وامتيازاته وبساطته، الجميع مطالبون بإعلان الرفض الواضح للظلم، والعمل على مقارعته، تحت شتى الأسباب والتبريرات.

والشعب البحريني، حاله حال الشعوب الأخرى، التي ثارت ضمن دول الشرق الأوسط، وثورته هذا الشعب لم تأت جزافاً، ولا اعتباطاً، ولا بطراً، بل هناك حقوق ضائعة، وحرابات مسلوبة، وحياة لا ترقى لكرامة الإنسان، بسبب

سياسات الحكومة التي ظلمت شعبها، من هنا جاء صوت سماحة المرجع الديني، آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله)، في بياناته الصادرة عن مكتبه في كربلاء المقدسة، ليقف مع الحق والعدل ضد الظلم وأصحابه إذ قال سماحته:

(لأهمية ما يجري في دولة البحرين وبعض الدول الإسلامية الأخرى من أحداث فأننا، نبدي بالغ أسفنا وعميق حزننا على أرواح الشهداء، ونطالب السلطات البحرينية للاستماع لمطالب أبناء شعبها وعدم استخدام القوة في قمع المتظاهرين فالعنف لا يولد إلا عنفاً).

ويتضمن موقف سماحة المرجع الشيرازي، دعوة واضحة لتحقيق المطالب المشروعة للشعب البحريني، فأضاف سماحته قائلاً:

(ندعو إلى تحقيق مطالب الشعب البحريني المؤمن الأبي، وأن يواصلوا المطالبة بحقوقهم وبالطرق السلمية الحضارية التي تتعاطف معها جميع دول العالم، وعدم الإنجرار إلى دوامة العنف).

إن رفض الظلم ودعوة الشعب الى مواصلة الاحتجاج، لنيل الحقوق والحريات، هو جانب من جوانب الموقف الرفض لما تقوم به حكومة البحرين، من اعتداءات لا انسانية على شعبها، ومع ذلك فإن سماحة المرجع الشيرازي - إستنادا الى إيمانه القاطع بمبدأ اللاعنف - يدعو الجماهير المحتجة، الى عدم اللجوء للعنف مهما كانت المبررات، وينبغي ان يظهر الوجه المتحضر للشعب، في انتفاضته كي يعطي الانطباع الاصيل للمسلم، الذي يذهب في اعماله واقواله الى تجنب العنف بقدر المستطاع.

كما أن الدعوة تشمل الحكومة البحرينية، التي ينبغي عليها التعامل بالحسنى مع شعبها، إذ يقول سماحته في هذا الصدد:

(على حكومة البحرين أن تتفهّم مطالب المتظاهرين وتتبع معهم الحسنى في تعاملها، ولا يصحّ للأقلية أن تمارس سياسة الإكراه والتسلّط على الأكثرية بما لا يشتهون ولا يرغبون).

ويرافق دعوة سماحة المرجع الشيرازي منهج تحرري، يدعو المعنيين من الحكومة الى تبني السبل والطرائق الدستورية التي تضمن حريات الانسان، وتؤكد على التداول السلمي للسلطة، وتشيع ثقافة القبول بالتعددية والأكثرية، لأن العنف والسلاح والقوة ثبت فشلها الذريع في معالجة أمور من هذا النوع، أي أن استخدام البطش مع الشعوب، يؤدي حتما الى إسقاط الحكومات، مهما كانت قدراتها وسلطاتها، لذا يؤكد سماحة المرجع الشيرازي بهذا الخصوص على:

(إن التاريخ أثبت ان السلاح لم يكن يوماً من الأيام علاجاً ناجعاً لمواجهة أصحاب الحقوق والمظلومين، بل إن العمل برأي الأكثرية وإقرار نظام التعددية، والتداول السلمي للسلطة وتوفير الحريات، والعمل بالشورى والالتزام بالعدل والإحسان هو الطريق الأمثل لتحقيق الاستقرار والأمن وتجنّب الأزمات، وهو الحلّ للسير في بناء دولة الحقوق والحريات والعدل والفضيلة والتقوى).

وطالما أن التعاليم الاسلامية، تدعو الى الجنوح نحو السلم، فإن هذا المبدأ ينبغي أن يتسبّد على غيره من المبادئ والاساليب التي تذهب الى العنف والبطش وما شابه، وهكذا يؤكد سماحة المرجع الشيرازي، على أهمية عدم إراقة الدماء مهما كانت المبررات، قائلاً في هذا الصدد:

(لذا فإننا نوّكد مرة أخرى حرمة إراقة الدماء وتضييع الحقوق، سائلين المولى عزّ وجلّ أن يكفي المؤمنين في شتى بلاد الإسلام شرور الفتن

ومكائد السوء، وأن يرحم شهدائهم، ويلهم ذويهم الصبر والسلوان، وأن يعجلّ بشفاء جرحاهم، وأن يبلغهم ما يبتغون، إنه سميع مجيب.

شبكة النبأ المعلوماتية - الخميس ٢١/نيسان/٢٠١١ - ١٧/جمادى
الاولى/١٤٣٢.

الباب السادس

مفاهيم سياسية

الفصل الأول: السلم.. قراءة إسلامية

- ◆ الإسلام دين السلم والسلام
- ◆ السلم العالمي من منظور إسلامي
- ◆ السلم والأمن والوئام جوهر الإسلام
- ◆ سياسة العفو والتراحم في المنظور الإسلامي

الفصل الثاني: الإصلاح في البناء السياسي

- ◆ الحكومة الاستشارية ومنظومة التطبيقات المتطورة
- ◆ ضوابط وأسس العلاقات الخارجية في منظور الإسلام
- ◆ الروح الوطنية الإصلاحية مصدر الاحتجاجات الجماهيرية
- ◆ الفوارق الشاسعة بين سياسة الإسلام وسياسة الشيطان

الفصل الثالث: التنمية والإقتصاد

- ◆ الضمان الاجتماعي والاستقرار السياسي الأكد
- ◆ النظام الزراعي وتطوره في المنظور الإسلامي
- ◆ الإقتصاد الأمثل في المنظور الإسلامي
- ◆ المساواة... ركن الاستقرار في المجتمعات
- ◆ الضمان الاجتماعي في الإسلام
- ◆ تنمية الزراعة والعمران في النموذج الإسلامي
- ◆ السياسة الصحية من منظور إسلامي
- ◆ التأمين الاجتماعي

الفصل الأول: السلم.. قراءة إسلامية

(١)

الاسلام دين السلم والسلام

صور العنف التي يلصقها البعض بالاسلام، لا تستطيع أن تثبت صحتها وأصالتها، لسبب بسيط جدا، أن جوهر الاسلام ينبذ العنف كليا، ويجنح الى السلم والتوافق والوئام، كما نطلع على ذلك في جميع التعاليم القرآنية وما جاء في السنة النبوية من أحاديث شريفة، ناهيك عن سيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام، وقد أثبتت كل التجارب العملية أو الفكرية نبذ الاسلام لمظاهر العنف قاطبة.

الاسلام يحارب الخوف

وكما هو معروف، أن الاسلام دين سكينه واطمئنان، وذلك بسبب انحيازه الكلي للسلم، كما نقرأ ذلك مثلا في الآية الكريمة التي تقول (ألا بذكر الله تطمئن القلوب)، بمعنى أن مجرد ذكر الله، يمنح الانسان أمانا واستقرارا تاما، لهذا طرح الاسلام مشروعه الفكري الانساني القائم على حفظ الحقوق اولا، واعتماد الفطرة في الاختيار وما شابه ثانيا، بالاضافة الى محاربة الاسلام لمظاهر العنف كافة، كما نقرأ ذلك في قول سماحة المرجع الديني،

آية الله العظمى، السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظلّه) الوارد بكتاب (من عقب المرجعية) إذ يقول سماحته: (يحرم الاسلام العنف والارهاب، والغدر والاعتقال، ويحارب كل ما يؤدي الى الذعر والخوف، والرعب والاضطراب في الناس الآمنين)، ولا ينحصر سعي الاسلام لنشر السلم والامان والاستقرار بين المسلمين فحسب، إنما بين سائر الامم، كما يؤكد ذلك سماحة المرجع الشيرازي قائلاً، إن: (الاسلام دين السلم والسلام، ويعمل على نشر الامن والامان والسلم والسلام في العالم).

ويضيف سماحته قائلاً أيضاً: (يرى الاسلام وجوب استتباب الأمن، في الداخل وفي الخارج، ففي الداخل ينفي الجريمة، وفي الخارج لا يتعدى على أحد، ويقف أمام المعتدين).

يحرم على المسلم بدء القتال

لذا فإن مبدأ نبذ العنف من الركائز الاساسية التي اعتمدها الاسلام في منهجه، من الناحيتين الفكرية والتطبيقية، وهكذا يندر بل يحرمّ كلياً على المسلمين أن يبدؤوا القتال، إلا دفاعاً عن النفس، كما نلاحظ ذلك في قول سماحة المرجع الشيرازي: (لا يعتدي الاسلام على أحد إطلاقاً، ومن مال من الدول الى السلم، مال الاسلام إليه).

لهذا يسعى الاسلام الى مكافحة العنف، وتربية المجتمع على مبادئ السلم، وتعميم ثقافة اللاعنف بين عموم افراد وشرائح المجتمع، ويبيّن الاسلام بوضوح الاضرار الفادحة للعنف، حيث يؤدي العنف الى مساوئ كبيرة نفسية واجتماعية ودينية وغيرها، كما أن الاسلام يحذر من أن العنف والقهر والحروب، تساعد على خلق الاجواء التسلطية الاستبدادية، التي تنمّي بدورها النعرات المتطرفة، والجماعات التي تنحو الى التدمير بدلا من البناء،

يقول سماحة المرجع الشيرازي بهذا الخصوص في الكتاب نفسه: (يمكن مكافحة العنف في المجتمع، من خلال تعميم ثقافة اللاعنف، وتوضيح ان العنف نار تحرق الكل، ولا تستثني احدا، وبيان مضار العنف النفسية، والاجتماعية، والدينية، وتوفير الحرية للمجتمع، لانه في اجواء الكبت والارهاب والاستبداد والديكتاتورية، تنمو الاتجاهات المتطرفة والحركات التدميرية).

ومن الامور المهمة التي يؤشرها الدين الاسلامي بوضوح، خطر الجهل على المجتمع عموما، ناهيك عن خطر التعصب والقبلية، وإساءة فهم الجوهر الحقيقي للدين، من خلال التفاسير الخاطئة والتأويلات القاصرة لبعض الآيات القرآنية الكريمة، واستخدامها كغطاء لتشويه الدين، وزجه في ميادين العنف والتدمير والقتل، مما يعطي صورة مشوهة عن الاسلام، إذ نقرأ قول سماحة المرجع الشيرازي بهذا الصدد: (تكمن جذور العنف في الجهل والعصبية، والفهم الخاطى للدين، والاستبداد، والحرمان الاجتماعي، والظلم من قبل الحكومات).

الإساءة للمقدس الاسلامي

وهناك مشكلة كبيرة تتكون بسبب العنف وتسيء الى الاسلام وجوهره الانساني العميق، لاسيما حين يستخدم العنف بصورة خاطئة بغطاء ديني مكشوف، حيث يؤدي ذلك الى الحاق اfdح الاضرار بالمقدس الاسلامي، وتشويه الدين، كما نقرأ في قول سماحة المرجع الشيرازي: إن (العنف ضار بالاهداف المقدسة الكبرى، على المدى البعيد، وإن فرض انه حقق بعض المكاسب الآنية السريعة).

وقد دأب بعض الجماعات المتطرفة التي تدعي الانتماء الى الاسلام،

وتذهب أكثر في ادعاءاتها، حين تقول بأنها تمثل بأفعالها واقوالها جوهر الدين الاسلامي، في حين أنها تسيء للاسلام بقوة، وتمنح الآخرين حججا لوصف الاسلام بالعنف والقتل والتدمير، ناهيك عن الاساليب العجيبة التي يتبعها هؤلاء المتطرفون في القتل والتفجير والتفخيخ وازهاق الارواح البريئة، وكل هذا يأتي حسب قولهم من جوهر الاسلام، لكن الدين الاسلامي الحقيقي، ينبذ كل ما يمت للعنف بصلة، ولا يجيز العدوان على الآخر مهما كانت الاسباب، باستثناء مسألة الدفاع عن النفس، كما كان يفعل الامام علي عليه السلام، عندما يدخل الحرب مجبرا بسبب اضطراره للدفاع عن ارواح وممتلكات وحرمات المسلمين آنذاك، لهذا تعد جميع العمليات القهرية ذات الطابع العنيف للجماعات المتطرفة خارج الاسلام، ولا تمت له بأدنى صلة، يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا المجال بالكتاب المذكور نفسه: (من اضرار العنف، انه يشوه صورة الاسلام في الازهان، ويعطي ذريعة للاعداء، كي يسموا الاسلام بالعنف، والهمجية، والوحشية).

أسباب العنف ومظاهره

ويعزو سماحة المرجع الشيرازي، إذكاء حالات العنف في المجتمع الاسلامي، الى اسباب عديدة، منها على سبيل المثال اختلاف التكوين الفكري والنفسي والبيئي للانسان نفسه، حيث معادن الناس ليست متشابهة، كما أن التربية بأنواعها المتعددة لها الاثر الكبير في هذا الجانب، فالتربية العائلية هي المعلم الاول للانسان عندما يبدأ حياته وليدا، ثم طفلا، ثم صبيا يافعا، ثم شابا، كذلك هناك تأثير المحيط الاجتماعي الذي ينشط فيه الانسان، ومزايا هذا المحيط سلبا وايجابا، وثمة تأثير كبير جدا على سلوك الانسان، يتمثل أيضا بطبيعة النظام السياسي الحاكم، حيث تجتمع هذه الاسباب معا، لتدفع

بالإنسان الى استخدام العنف كوسيلة لتحقيق افكاره واهدافه، وهو اسلوب يرفضه الاسلام بشكل قاطع، كما نقرأ ذلك في قول سماحة المرجع الشيرازي في هذا الجانب: (لاشك في اختلاف ذاتيات الافراد، فإن الناس معادن كالفضة والذهب، إلا أن التربية العائلية، والمحيط الاجتماعي، والنظام الحاكم، لها اكبر الاثر في اذكاء حالة العنف في النفوس، واشعال جذوة العنف في المجتمع).

لذا ينبغي أن تقوم العائلة، والمحيط الاجتماعي، والنظام السياسي، بالدور المطلوب منهم، في هذا السياق، من اجل المحافظة على الجوهر الاسلامي الرافض للعنف بكل أشكاله.

شبكة النبأ المعلوماتية - الخميس ١٠/آيار/٢٠١٢ - ١٨/جمادى

الآخر/١٤٣٣.

(٢)

السلم العالمي من منظور إسلامي

لم ترتق البشرية وتتقدم وتصل الى ما وصلت إليه لولا الاتفاق المبرم بين أعضائها (أمم وشعوبا وأفرادا) على أهمية تحقيق السلام على المستوى العالمي، وليس بالضرورة أن يُبرم هذا الاتفاق تحريرا بل هناك رؤى متطابقة بين الجميع تؤكد أولوية سيادة السلام على العنف في التعاملات المتبادلة بين عموم سكان الارض.

ولكن هل وصلت الانسانية الى هذه الرؤى قفزة واحدة وهل كان الانسان في أوائل نشأته من التحضر والرقي بحيث جعل السلم والسلام من أوائل مبادئه وأهدافه؟. كلا، إن الانسان في بداية نشأته كان يعيش الحياة

البداية التي لا تجعله يتميز كثيرا على الكائنات الاخرى من حيث ادامة حياته وتأمين طعامه وشرابه بطرق الصيد التي كانت تمارسها معظم المخلوقات التي قاسمته الارض، ولكن تطورت مراحل الرقي على يد الفكر القادم من الاديان والفلسفة والحكمة التي بثتها عقول وارادات انسانية عظيمة في نفوس البشر لكي يتطوروا ويصبحوا سادة الارض والمسؤولين عن تطورها ورفيها.

وجاء الاسلام ليضع السلام في المرتبة الاولى من اهدافه لسبب بسيط هو ان السلام يقدم الاجواء الملائمة للابداع والتطور، بل لايمكن أن يتقدم الانسان خطوة واحدة في ظل العنف، لهذا ركّز الاسلام على مبدأ السلم كاسلوب حياتي ينظم العلاقات الانسانية بين الجماعات والافراد من اجل تحقيق الهدف الأسمى متمثلا بديمومة الارتقاء البشري.

في هذا الصدد يؤكد سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله) كما ورد ذلك في كتاب (من عبق المرجعية) على ان:

(الاسلام دين السلم والسلام، ويعمل على نشر الأمن والأمان والسلم والسلام في العالم، ويسعى في اطفاء نار الحرب، وإخماد لهيبها، وانتزاع فتيلها من بين الناس، باجتثاث العوامل الداعية للحرب، وزرع العوامل المشجعة على المحبة والوئام، وعلى الصلح والصفاء، وعلى متاركة الحرب، والهدنة وإن كان العدو يدعو إليها مخادعة).

لذلك فإن الاسلام يصرّح بوضوح عبر تعاليمه المستمدة من النصوص القرآنية المباركة والاحاديث النبوية الشريفة وأقوال أئمة أهل البيت عليهم السلام، على أن السلم هو المطلب الأهم للمجتمعات كافة كونه الدريئة التي تصد خطر العنف بجميع أشكاله سواء كان عدوانا ماديا ملموسا او جاء على شكل

افكار عدوانية شريرة، لهذا السبب وكما أكد سماحة المرجع الشيرازي: (يحرّم الاسلام العنف والارهاب، والغدر والاغتيال، ويحارب كل ما يؤدي الى الذعر والخوف، والرعب والاضطراب في الناس الآمنين). ويضيف سماحة المرجع الشيرازي قائلاً في هذا المجال:

(يرى الاسلام وجوب استتباب الامن، في الداخل وفي الخارج، ففي الداخل ينفي الجريمة، وفي الخارج لا يعتدي على أحد، ويقف أمام المعتدين).

هذه الرؤية الاسلامية لأهمية السلام تؤكد حاجة المجتمع العالمي الى ضرورة توافر الارادات القادرة على إشاعة السلم كمبدأ حياة جمعي يصب في الصالح البشري على الدوام.

حتى في حالة التجاوز والعدوان يحاول الاسلام أن يقدم التسامح على غيره، بمعنى أوضح أن الاسلام يعطي الانسان او المعتدى عليه حق المطالبة برفع العدوان وصدّه والمطالبة بمعاقبة المعتدي، ولكن في الوقت نفسه، فضّل الانسان التفاهم والتوافق والتراضي بين جميع الاطراف من منطلق أخلاقي يشجع الانسان على انتهاج مبدأ التسامح كرديف لمنهج السلم، وفي هذا الصدد يقول سماحة المرجع الشيرازي:

(لأهمية الاخلاق الانسانية في الاسلام أردف القرآن الحكيم بعض الاحكام المرتبطة بالعقوبات بذكر العفو، حيث يشفعها بالجانب الاخلاقي، ويصف العفو فيها بأنه أقرب للتقوى).

ومن الطبيعي أن السلم يحتاج الى بعض المقومات الداعمة التي تسهم بصناعة مجتمع مسالم وفاعل في آن واحد، وهذه المقومات يمكن نشرها كعناصر دعم لانتشار السلم كمنهج حياتي تسير عليه الامم والشعوب

والجماعات والافراد ايضا، ومن بين هذه المقومات الداعمة للسلم الآداب الاجتماعية التي يقول عنها سماحة المرجع الشيرازي بأنها:

(مرتبطة بحياة الانسان الاجتماعية مثل آداب المعاشرة مع الوالدين، والأهل والأولاد، والأقرباء والارحام، والجار والاصدقاء، والتلميذ والاستاذ، ومع كل الناس، بل كل الموجودات، وقد جاء الاسلام في ذلك بأفضل التعاليم والآداب مما يضمن تطبيقها السلم والسلام، والأمن والاستقرار، والتآلف والتعارف، والمحبة والوثام بين جميع الناس، وكل افراد البشر).

وهكذا لا بد من البحث عن العناصر والمشاركات التي تدعم السلم وتنشر السلام في ربوع العالم، وهذا هو ديدن الاسلام كفكر وكتعاليم وكتطبيق لا بد أن يتجسد في الواقع العملي للبشرية جمعاء وصولا الى حالة الوثام والاستقرار المشجعة والدافعة نحو الرقي والتطور الدائم لبني الانسان أينما كان في ربوع المعمورة.

شبكة النبأ المعلوماتية - الخميس ٢٣/أيلول/٢٠١٠ - ١٣/شوال/

١٤٣١

(٣)

السلم والأمن والوثام جوهر الإسلام

من البديهي أن نقرّ بميل الانسان الى الاجتماع والتشارك ونبذه في الغالب للعزلة والانفراد، ودافعه في ذلك حالة التنافس التي تؤجج طاقاته الفكرية والعملية فتدفعه لاستثمارها من اجل تحقيق التقدم لذاته ومن معه، لكن الاجتماع والتشارك والتنافس المتواصل بين الأضداد لها انعكاساتها السلبية ما يؤدي الى حدوث الصراعات والمشاحنات واعتماد الاساليب التي

لا تليق بالإنسان كونه سيّدا لكائنات الأرض كما أراد له الله تعالى . ونتيجة لتكاثر الإنسانية وتنافسها الدائم نحو التطور والتقدم الى أمام، نشأت الصراعات وتجدّرت بين أمم الأرض وشعوبها، إبتداء من الافراد الى الجماعات الصغيرة ثم الى الدول فالأمم، وهكذا صار السلام والوئام شغل الإنسان الشاغل في العصر الراهن. فقد مرت الإنسانية بسلسلة من الحروب الطاحنة التي أكلت الأخضر واليابس ناهيك عن الأوبئة والجهل وما شابهه، فكان لا بد من وسائل متحضّرة ترتفع بروح الإنسانية فوق الضغائن والدسائس والحروب التي لا تبقي ولا تذر.

وجاء الاسلام وتعاليمه السمحاء لكي يسهم بتكوين رؤية جديدة لدى الإنسانية في تعاملها على مستوى الافراد والجماعات ولكي يحد أو يخفف من حدة الصراع المنبثق من طبيعة تكوين الإنسان أصلا، حيث الحاجة الى تشذيب الطبيعة البشرية وتقويمها وتوجيهها نحو الخير والسلم والوئام الفردي والجماعي في آن، لهذا كان للاسلام رؤيته الواضحة في هذا الجانب حيث يؤكد سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله) في كتاب (من عقب المرجعية) على أن:

(الاسلام دين السلم والسلام ويعمل على نشر الامن والامان والسلم والسلام في العالم ويسعى في اطفاء نار الحرب واخماد لهيبها وانتزاع فتيلها من بين الناس باجتثاث العوامل الداعية للحرب وزرع العوامل المشجعة على المحبة والوئام وعلى الصلح والصفاء).

وطالما أن حالات الصراع متعددة ومتجددة استنادا الى الطبيعة البشرية النازعة الى التنافس لاسيما اذا انتفت الضوابط التي تحكم الصراعات، فإن الاسلام ركّز في مبادئه وتعاليمه الواضحة على أهمية بل وقطعية تحريم

التجاوز والاعتداء مهما كان نوعه حيث أكد سماحة المرجع الشيرازي في قول آخر بالكتاب نفسه على أن الاسلام:

(يحرم العنف والارهاب والغدر والاعتيال ويحارب كل ما يؤدي الى الذعر والخوف والرعب والاضطراب في الناس الآمنين).

وهكذا تدفع التعاليم الاسلامية بالوعي الانساني نحو السلام وتعمل على تحييد الذات المتعصبة وتؤكد على ضرورة العدل والمساواة والتكافؤ في فرص التعليم والعمل والامن وفي كل مجالات الحياة من اجل أن تسود حالة من التفاهم والتشارك السلمي بين الجميع، ومثل هذه العناصر الهامة لاستمرارية الحياة لا يمكن أن تتحقق في ظل حالة من الاحتراب والتنافس السلبي، لهذا تؤكد جميع التعاليم الاسلامية على ضرورة استتباب السلم بين عموم فئات وطبقات وأفراد المجتمع، إذ يقول سماحة المرجع الشيرازي حول هذا الموضوع في الكتاب نفسه:

(يرى الاسلام وجوب استتباب الامن في الداخل وفي الخارج ففي الداخل ينفي الجريمة وفي الخارج لا يعتدي على احد ويقف امام المعتدين).

فالسلم بطبيعة الحال ليس داخليا فحسب أي بين أفراد وجماعات الشعب الواحد، بل لابد من سيادة السلام في المجتمع العالمي أجمع، لكن تبقى المجتمعات تشكل اللبنة الأساسية للسلام العالمي، بمعنى كلما كانت المجتمعات آمنة مستقرة على انفراد كلما تحقق نوع من السلام الشامل لعموم البشرية، لهذا يركّز الاسلام على أهمية نجاح المجتمعات منفردة في بناء السلام والطمأنينة الداخلية لأنها ستقود الى السلام العالمي قطعاً، وهنا يؤكد سماحة المرجع الشيرازي أيضا على أن الاسلام:

(ينفي الجريمة من جذورها، فإن اسباب الجريمة هي الفقر، المغريات، الجهل، العدا، المشاكل، وأشبه ذلك، والاسلام يعالجها حتى ينفىها، فاذا انتفت اختفت الجريمة تلقائيا).

وهكذا يكون الاسلام في جوهره مساندا للطبيعة البشرية المسالمة المنتجة المبدعة في آن، وهذه هي صورة الاسلام وجوهره الحقيقي، وليس الصور والمشاهد المرفوضة التي يحاول بعضهم أن يلصقوها بالاسلام وهو منها براء، فالاسلام يرفض العنف والحروب والاقتتال إلا في حالة الدفاع عن النفس وهو أمر تكفله السماء والارض معا.

وهنا يؤكد سماحة المرجع الشيرازي على أن الاسلام:

(لا يعتدي على احد اطلاقا ومن مال من الدول الى السلم مال الاسلام اليه، واذا وقع عليه عدوان دافع الاسلام عن نفسه وعن الامة بأنظف صورة واذا اعتدى احد من الدول عليه رد الاسلام على اعتدائه بأقل ما يمكن لايقافه عند حده).

فهذه هي صورة الاسلام وجوهره الحقيقي، أما المحاولات التي تحاول أن تظهر الاسلام وتعاليمه بمظهر آخر فليس الاسلام منها ولا هي من الاسلام بشيء، لأن جوهر الاسلام الحق هو السلام والأمن والمحبة والوئام.

شبكة النبأ المعلوماتية - السبت ٢٦/حزيران/٢٠١٠ - ١٣/رجب/

الفصل الثاني: الإصلاح في البناء السياسي

(١)

الحكومة الاستشارية ومنظومة التطبيقات المتطورة

الحكومة الاستشارية تقابل في معناها المفهوم المعاصر للحكومة الديمقراطية، ولكنها تتقدم عليها في جوانب عديدة سنأتي على ذكرها، وتتكون الحكومة الاستشارية من منظومة ادارية منسجمة ومتجانسة من حيث الفكر والتطبيق، حيث تدمج بين السياسة والاقتصاد والضمان الاجتماعي، في ادارة تعتمد الاستشارة والابتعاد عن رأي الفرد أو الحاكم الاعلى أو حتى الحزب الواحد.

الإصلاح التدريجي للمجتمع

لذلك ليس هناك جانب قسري في ادارة شؤون الدولة، بل هناك ضوابط متفق عليها مسبقا، وهي في الغالب مستمدة من تعاليم القرآن الكريم، والسيرة النبوية الشريفة، وسيرة أهل البيت عليهم السلام، لذلك غالبا ما يأتي الإصلاح بصورة متدرجة، فيكون أكثر وضوحا وسهولة في التطبيق، وليس هناك فرض على الانسان ما لم تتم القناعة التامة لديه، لهذا يجري الإصلاح تدريجيا وفقا لقناعات الافراد من دون قسر أو إجبار.

عن هذا الجانب يقول سماحة المرجع الديني آية الله العظمى، السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظلّه) في كتاب (من عبق المرجعية): إن (الاسلام لا يفاجئ الامة بإصلاحاته، وانما يتدرج معهم في تطبيق الاصلاحات، فأولا يهيئ لمن يعترف بأعمالهم ما يناسبهم من اعمال، ثم يدر عليهم من خزينة الدولة ما يساعدهم في شؤونهم، حتى يتم لهم العمل الذي يريدون مزاولته، فهل يسمح احد لنفسه ممن لا يقر الاسلام، عمله ولا يعترف به، أن يتمرد على النظام الاسلامي بعد أن هيا الاسلام له عملا يناسب مقامه، من الاعمال الحرة النافعة، وساعده حتى تمكن من مزاولته بكل عز ورفاه؟).

سياسة الحكومة الاستشارية

إن الربط واضح في الحكومة الاستشارية، بين السياسة والاقتصاد، لأن نجاح الحكومة في ادارة شؤون الرعية، مرتبط بنجاح العلاقة بين السياسة والاقتصاد وتداخل احدهما مع الاخر، والاعتماد المتبادل بينهما، فلا سياسة مستقلة ناجحة من دون اقتصاد ناجح ويصح العكس ايضا، ولذلك كانت الحكومة الاسلامية الاستشارية الناجحة، تحرص أشد الحرص على سلامة الاقتصاد وعدالة السياسة، لأن الامور الحياتية التي تخص الامة تتعلق بهذين الجانبين، ومن البديهي أن نقول، كلما صحّت السياسة صحّ الاقتصاد وبالعكس، الامر الذي ينعكس بدوره على الاوضاع العامة التي تخص افراد المجتمع، يقول سماحة المرجع الشيرازي بهذا الخصوص في الكتاب المذكور نفسه: لقد (أكد القرآن اكثر من مرة على الاقتصاد السليم، والسياسة العادلة، والفضيلة، وقد أعلنها رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين علي بن ابي طالب ؑ قولاً، ومارساها في أعمالهما طيلة حكومتهما المثالية الفريدة). لذلك عندما يطلق النظام السياسي على حكومته تسمية الحكومة

الاسلامية، ينبغي أن يعطي هذه التسمية وهذه الصفة حقها، وطالما كان الهدف هو تطبيق التعاليم الاسلامية من لدن الحكومة، فإن النتائج ستكون سليمة حتما، لاسيما في الجانب الاقتصادي، فلا يجوز أن ينتشر الفقر والحرمان والجهل في ظل الحكومة الاستشارية الاسلامية، كما أن الحاكم الاسلامي ملزم بالقضاء على الفقر وتطبيق برنامج شامل للضمان الاجتماعي والصحي وسواه، ليكفل العيش الكريم للناس عموما، ويعمل هو ومنظومته الحكومية المتشعبة على نشر حالة الرفاه بين عموم مكونات المجتمع، يقول سماحة المرجع الشيرازي بهذا الخصوص: (في البلد الاسلامي في وقت حكم الاسلام الصحيح، يلزم أن لا يوجد حتى فقير واحد، فالضمان الاجتماعي في الاسلام يحتم على الحاكم الاسلامي أن يزيل الفقر نهائيا).

العدالة وتطبيق المساواة

وتضمن الحكومة الاستشارية الاسلامية شرط العدالة وتطبيق المساواة، واطاحة الفرص امام الجميع، ولعل المفارقة الكبيرة في هذا المجال، أن الاسلام لا يفرق بين الكافر والمسلم في قضية الضمان الاجتماعي والحماية من الفقر وغير ذلك مما يهدد طبيعة حياة الانسان، وهذا دليل قاطع على خلو الاسلام من التطرف والعنصرية أو الروح المتعصبة، بل هناك وسائل اقناع يتم من خلالها نشر الاسلام والايمان بتعاليمه ومبادئه، لذلك نقرأ في هذا المجال قولاً لسماحة المرجع الشيرازي يؤكد فيه قائلاً حول هذه النقطة: (حتى الكافر في بلد الاسلام حين يسأل الناس، يكون هذا امرا غريبا).

بمعنى يستغرب الناس أن يستجديهم حتى الكافر الذي يعيش في مجتمعهم المسلم، فالدين هنا لا يسمح بتوجيه الاهانة للانسان من خلال تعريضه لآفة الفقر او العوز او اهدار الكرامة، تحت أي سبب كان حتى لو

كان الكفر نفسه، وهنا تكمن عظمة الاسلام والحكومة الاسلامية التي تلتزم بصورة صحيحة ودقيقة بتعاليمه، فتحمي مواطنيها من الفقر وسواه، بغض النظر عن انتمائهم الديني او العرقي أو غيره، فالكل له حقه المكفول بحياة كريمة تليق بالانسان الذي فضله الله تعالى على كل الكائنات، علما أن هذا النهج السليم في ادارة شؤون المجتمع كافة، يؤدي بدوره الى نجاحات متصاعدة على الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ايضا، ويعيش الناس في حالة من الرفاه الاقتصادي والاستقرار السياسي، وغياب الفقر الكلي عن افراد المجتمع من دون استثناء، إذ يتساءل سماحة المرجع الشيرازي في هذا الصدد: (لماذا الفقر، والاقتصاد سليم، والسياسة عادلة، والمجتمع فضيل؟).

القضاء الكلي على الفقر

نعم هذا ما حدث في عهد الحكومات الاسلامية التي انتهجت تعاليم الاسلام الصحيحة، طريقا ومسارا لها، حيث التطور في مجالات الزراعة والصناعة والتعليم، والانتقال من مجتمع الظلامية والقهر والاستعباد، الى مجتمع التنوير وحب العلم والعمل والابداع في مجالات عملية وفكرية مختلفة، ساعدت على نقل المجتمع الى مرحلة تنوير جديدة، تم فيها القضاء كليا على الفقر، الامر الذي زاد من تطور المجتمع الاسلامي بوتيرة متصاعدة، وقد يستغرب العالم المعاصر كيف تستطيع حكومة ما أن تقضي على الفقر فعليا، لذلك يتساءل سماحة المرجع الشيرازي بهذا الخصوص قائلا: (هل يوجد، حتى اليوم، وفي أغنى بلاد العالم بلد لا يوجد فيه حتى سائل واحد؟). إن اسباب تطور الدولة الاسلامية واضحة، حيث النهج الاستشاري هو المعلم الأهم في الحكومة الاسلامية وطبيعتها الاستشارية، فكما يقول

سماحة المرجع الشيرازي إن (الحكومة الاسلامية حكومة استشارية).
ويضيف سماحته قائلاً ايضاً: إن (الاستشارية نظام متفوق على نظام
الديمقراطية، على ما أوضحه الامام الشيرازي -رضوان الله عليه- في كتبه).
وهكذا أثبتت تجارب التاريخ أن الحكومة الاستشارية تستند في نجاحها الى
منظومة أفكار ومبادئ وتطبيقات ناجحة ومتطورة.

شبكة النبأ المعلوماتية - الخميس ١٩/نيسان/٢٠١٢ - ٢٨/جمادى

الأولى/١٤٣٣

(٢)

الفوارق الشاسعة بين سياسة الإسلام وسياسة الشيطان

في كتابه القيم الموسوم بـ (السياسة من واقع الاسلام)، يبحث سماحة
المرجع الديني، آية الله العظمى، السيد صادق الحسيني الشيرازي، مفهوم
السياسة، ونظرة الاسلام لها، وكيفية التعااطي معها، ويتم ذلك في اطلالة
موسعة ومركزة في آن واحد، على حقل كان ولا يزال وسيبقى يشغل العالم
اجمع بماهيته، ألا وهو السياسة، حيث أن ادارة شؤون الناس، افراد
وجماعات، تعد من اصعب المهام، لا سيما مع التطورات الهائلة والتمسارعة
على مستوى العالم اجمع، حيث تتزايد النفوس وتتضارب المصالح الدولية
والاقليمية، وحيث اللهاث المحموم لحماية المصالح بأنواعها المتعددة، لذا
يقدم لنا كتاب المرجع الشيرازي، اطلالة على مفهوم السياسة، وكيفية تعااطي
الاسلام معها، اذ جاء في مقدمة هذا الكتاب القيم: (أما كتابنا هذا، فهو أشبه ما
يكون بإطلالة على هذا الفضاء الرحب الواسع - السياسة - وفهرس موجز في
هذا المجال).

ويرى سماحة المرجع الشيرازي أن السياسة لا تتقاطع مع الاسلام، لسبب بسيط ان الاسلام تمكن من أن ينظم حياة المجتمع العربي، في الجزيرة ابان صدر الرسالة الاسلامية، وتمكن من تغيير ذلك المجتمع ونقله من الظلام الى النور، وتكونت أسس الدولة الاسلامية القوية التي شهدت لها الدول الاخرى آنذاك، بالقوة والتنظيم والنجاح، لهذا يرى سماحة المرجع الشيرازي بكتابه (السياسة من واقع الاسلام): (إن السياسة هي من صميم الإسلام، ومن أسس الدين، التي يجب على كل فرد من المسلمين السعي لتطبيقها).

وتبدأ السياسة لاسيما الداخلية منها، بطبيعة العلاقة بين الحاكم والمحكوم وكيفية سيرها، تقاربا وتباعدا، فكلما كان الحاكم سياسيا بارعا وعادلا وملتزما وذكيا، كلما كانت العلاقة بينه وبين الشعب متينة، ويحدث العكس عندما يكون الحاكم ظالما ومساعد على تجهيل شعبه، فيبتعد عن الارشاد ووسائله ويأتي بعكس ذلك تماما، حيث ينشر الفساد والجهل، بين شرائح الشعب، ليتسنى له التحكم بالناس، كيفما تتطلب مصالحه الفردية والعائلية، يقول سماحة المرجع الشيرازي، بهذا الخصوص: (إن القائد المسلم الذي يمارس الإرشاد والتوجيه وسوق العباد نحو عبادة الخالق وحده، يجب أن يلتزم بشروط، في مقدمتها منح الحرية للناس بجميع أشكالها. كما أن السياسة مهمة دينية لا تأتي من باب التفضل أو الإحسان الذي يمكن للسلطة أن تمارسه بحسب أهواء أربابها، وإنما هي واجب يقع على عاتق أي إنسان يتصدى لمهمة تبليغ رسالات الله إلى الناس).

إن سياسة الاسلام هي سياسة الحق بأوسع مدياته ومدلولاته، وهي نقيض السياسة المعاصرة التي تضع مصالح الاقوياء والظالمين، فوق مصالح

الضعفاء من شعوب الارض كافة، لهذا يكون الفارق بين سياسة الاسلام وسياسة القوى التي تتحكم اليوم بمصير العالم، كبيرة وواسعة ومتلفة شكلا وجوهرا، إن سياسة الاسلام باختصار هي العدل، المساواة، تكافؤ الفرص، مع الالتزام بتعاليم الدين، وبما يريد الله تعالى من عباده، حتى يكون الالتزام عاملا مساعدا بقوة على جعل السياسة، عادلة وناجحة ايضا، فيقول سماحة المرجع الشيرازي بهذا الخصوص في كتابه المذكور نفسه: (السياسة — بمفهومها المعاصر — هي القدرة على إدارة دفة الحكم وتسيير الناس والأخذ بالزمام مهما كلفت هذه الأمور من: إهدار كرامات.. وإراقة دماء.. وكبت حريات.. وابتزاز أموال.. وظلم وإجحاف.. ونحو ذلك، فمادام الحكم للحاكم والسلطة خاضعة لأمره ونهيه فهي الغاية المطلوبة لتبرر الوساطة، وإن كانت الوساطة إراقة دماء الألوفا.. بل وحتى الملايين جوراً وظلماً).

والركن الاهم في هذا المجال ان يكون الحاكم عادلا، لان العدل يعني ادارة شؤون الناس بعيدا عن الظلم والغبن المتعمد، كما ان العدل هو السبيل الانسب لاتاحة الفرصة امام الكفاءات المتنوعة للقيام بدورها الصحيح والمناسب، لذا ينبغي ان يتقدم مبدأ العدل لينفذ حتى على الحاكم نفسه وافراد عائلته، ويعطي لنا سماحة المرجع الشيرازي مثلا عن ذلك في كتابه حيث يقول:

(فهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حينما كان على عرش الرئاسة الكبرى للدولة الإسلامية العظمى التي كانت قد ضربت بأطرافها الممتدة على أعظم رقعة من المعمورة، والتي كانت تحسب لها الحساب كل الدول في العالم آنذاك، تراه يعرف قاتله، ويذكر له أنه هو القاتل له، لكنه لا يمد إليه يداً بعنف أبداً، لفلسفة العدل، وهي مادام أنه لم يمارس جنائية فلا

يستحق القتل).

لكن الفارق هذا اليوم كبير بين اولئك القادة العظام وقادة اليوم، حيث الجور والظلم والطغيان هو الذي يلقي بظلاله على حكام اليوم، فيما تغيب الرحمة والعدل، وتبقى حالة الصراع المادي على اشدها، وهي سمة الحكومة التي تتبع سياسة الشيطان، حيث يسود البطش والقتل من قبل الحكام القتلة ضد افراد شعوبهم، فأبي فارق كبير كما يقول المرجع الشيرازي في هذا الصدد:

(وكم فرق بين مثل أمير المؤمنين عليه السلام وبين قادة الدنيا الآخرين؟ فقد نقلوا أن أحد الحكام تلقى تهديداً بالقتل، فاعتقل في ساعته من شارع واحد مائتي شخص، ثم توالى الاعتقالات على إثر ذلك حتى نقل أنها بلغت في تلك القصة خمسة آلاف شخص، ثم أعدم جماعة منهم، وأودع السجن آخرين، وتولى تعذيب فئة ثالثة منهم، وبالتالي أطلق سراح عدد منهم.. فكم من فرق بين هاتين السياستين: سياسة الإسلام، وسياسة الشيطان؟).

إن هذا العرض الملخص لمفهوم السياسة واجراءاتها، يمكن ان نجده في كتاب المرجع الشيرازي - السياسة من واقع الاسلام - وفق منهج مبسّط وواضح ومركّز ايضا، من اجل استفادة المسلمين وغيرهم، لمعرفة كيفية تعاطي الاسلام مع السياسة اليوم، استنادا الى جذور الماضي في هذا المجال. شبكة النبأ المعلوماتية - الخميس ٢٢/أيلول/٢٠١١ - ٢٣/شوال/

(٣)

الروح الوطنية الاصلاحية مصدر الاحتجاجات الجماهيرية

يخبرنا التأريخ البشري البعيد والمنظور منه، أن الثورات والهزات الجماهيرية الكبرى التي حدثت في العالم، غالباً ما يقف وراءها ثوار فقراء، وصلت بهم الامور الى الحد الذي لا يسمح بمواصلة الصمت، أو التحمل، أو الصبر على انتهاكات السلطان لكرامة الانسان، وحياته، وحرياته، ومع تطور الوعي لدى عامة الناس، تتطور المطالب والحاجات، فلا تنحصر بالمأكل، والملبس، والسكن، والحاجات المادية الاخرى، بل ترتفع هذه الحاجات، الى حفظ كرامة الانسان، واحترام خياراته، وهو ما يحدث تحديداً في منطقة الشرق الاوسط راهنا، حيث الروح الاصلاحية تتصدر الحاجات كافة.

ولم يعد الفقير يقبل برفع مستواه المعيشي حصراً، ولم يعد العاقل عن العمل قانعا بتوفير فرصة العمل فقط، بل تجاوزت حاجات الجماهير، طابعها المادي، لتقفز الى المطالبة بتحقيق الحاجات الاعتبارية، التي تعيد الكرامة للناس، الذين أمتهنت كرامتهم، وتعيد لهم حرياتهم، وحقوقهم التي سُلبت منهم، بأيدي الحكومات الفردية المتجبرة.

لذا ما يقف وراء الانتفاضات الشعبية الحالية، هي روح ثورية اصلاحية وطنية، آمنت بأن مجارة السلطات القمعية، لم تعد هي السبيل نحو حياة تليق بهم.

يقول سماحة المرجع الديني، آية الله العظمى، السيد صادق الحسيني الشيرازي، في توجيهاته التي صدرت بخصوص الانتفاضات والاحتجاجات الحالية: (إن هذه الاحتجاجات العارمة إنما تنم عن روح وطنية وإصلاحية

وتدعو للتغيير الجذري وهذا حق إنساني مشروع).

ولم تعد الجماهير غائبة في بطون السبات، والخنوع، والقبول بما تمليه الحكومات عليهم، بل أصبحت الجماهير تعي حقوقها، وتعرف ماذا تريد، وما الذي ينبغي أن تقوم به الحكومة تجاه مواطنيها وشعوبها، فعالم اليوم هو عالم الحرية، واحترام الرأي، وحرية التعبير، والتنوع، والتشارك، ونبذ العنف، وهذه حقوق مكفولة للشعوب والامم، كما يؤكد ذلك سماحة المرجع الشيرازي بقوله في هذا الصدد:

(من الحق الشرعي والقانوني أيضا حرية التعبير عن الرأي واستخدام أي وسيلة إعلامية من وسائل الاتصال، كما أن من مصاديق حرية التعبير؛ تأسيس الجمعيات والتنظيمات والأحزاب المخلصة وإقامة المؤتمرات والندوات وغيرها.. ومتى صودر هذا الحقُ معناه الانزلاق إلى هاوية الدكتاتورية والاستبداد. وامتلاء السجون بالأبرياء).

ويضيف سماحة المرجع الشيرازي قائلاً بهذا الخصوص: (ومن مطالب هذه الشعوب اطلاق الحريات في مختلف المجالات ضمن الإطار الشرعي.. وهذا مطلب حيوي يشمل كل مجالات الإعمار والتربية والزراعة والحضر والسفر والتجارة والسياسة والاقتصاد).

ولابد من التأكيد هنا على أن أساليب العنف، والتقتيل العشوائي، لم تعد قادرة على كبح مطالب الجماهير، وسعيها الحثيث لتحصيلها، بل على الحكومات القمعية كافة، وقادتها المستبدين، أن يفهموا تماما، ويقتنعوا بأن أساليب الردع القسرية المتوحشة، لم تعد قادرة على إيقاف الاعصار الشعبي الراهن الذي زلزل عروش الطغاة، إذ يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا الخصوص:

(إن استخدام وسائل العنف وإطلاق الرصاص الحي على المحتجين الأبرياء موقف غير مقبول ويزيد الجماهير تصميمًا وإصرارًا للمضي في طريق التغيير).

وعندما يجري الحديث عن الاسباب، التي دفعت بالجماهير الى الانتفاض، هو امتلاكها لروح وطنية خالصة، تهدف الى الاصلاح، وترفض التجاوزات الحكومية، مهما كان نوعها او حجمها، لاسيما تلك التي تتعلق بقضايا الفساد، والاستثثار، والاستحواذ على الاموال العامة، وهنا يؤكد سماحة المرجع الشيرازي على: (ان الفساد الإداري والاستثثار بأموال الناس وإيداعها في حسابات خاصة في البنوك الأجنبية أدى إلى المزيد من الحرمان والبطالة والتخلف والمرض والجهل وسوء الخدمات مما عمق جراح المظلومين والمسحوقين من أبناء هذه الشعوب وجر عليها أنواع المآسي والمحن).

وهذا هو ديدن الحكام الطغاة، والحكومات القمعية، التي لا تقرّ بمصالح الشعب، ولا تهتم إلا بمصالحها، وبما يحمي عروشها ومناصبها، لكن شعوب الشرق الاوسط، وخاصة العربية منها، لم تعد مثلما كانت بالامس، إنها اليوم عرفت حقوقها، وعرفت حجم التجاوزات الحكومية الكبيرة التي وقعت عليها، لذلك لن يستقر الحال في هذه الدول، ما لم تتغير الحكومات، واساليب الحكم، وتأسيس انظمة تحررية، تهتم بشعوبها، قبل اهتمامها بمصالحها، ومنافع قادتها وحكامها.

وفي هذا الصدد يؤكد سماحة المرجع الشيرازي، قائلاً في توجيهاته للجماهير والساسة والمعنيين عموماً: (نؤكد حقيقة ثابتة أن لا استقرار لبلادنا إلا بالتعددية السياسية والمؤسسات والانتخابات الحرة النزيفة - وأمرهم شورى بينهم - دون أدنى استثثار وحرص، فضلاً عن عدم قمع صوت

المعارضة وان حركات الاحتجاج إنما تستنكر الاستئثار السياسي وهيمنة الحزب الواحد الذي أدى بواقع الحكومات إلى التخلف والاستبداد التي هي أم كل فساد وجهل وتخلف).

شبكة النبأ المعلوماتية- الأربعاء ٣٠/آذار/٢٠١١ - ٢٤/ربيع

الثاني/١٤٣٢

(٤)

ضوابط وأسس العلاقات الخارجية في منظور الإسلام

مع التطور المتسارع لميادين الحياة كافة، بات التخطيط المسبق وفق مناهج علمية واضحة أمراً لا مناص منه، من اجل مواكبة التسارع المذكور، لاسيما في الميدان السياسي، كونه المؤثر الاكبر في عموم ميادين الحياة الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية وغيرها، ومن بين الحقول المهمة في ميدان السياسة، حقل العلاقات الخارجية، ومن ضمنها تنظيم طبيعة هذه العلاقات ومساراتها، بما في ذلك قضية الحروب واعلانها او الكف عنها، وقد اهتم الاسلام بهذه الامور اهتماما واضحا، وأكد على ضوابط محددة وواضحة في هذا المجال، من بينها شخصية القائد السياسي، ودرجة التزامه بشروط القيادة التي تقف في مقدمتها عدم مصادرته الحريات في جميع الظروف، وأن لا يختلق الذرائع والتبريرات لمصادرتها.

في كتابه القيم الموسوم بـ (السياسة من واقع الاسلام)، يقول سماحة المرجع الديني، آية الله العظمى، السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله) بهذا الخصوص: (إنّ القائد المسلم الذي يمارس الإرشاد والتوجيه وسوق العباد نحو عبادة الخالق وحده، يجب أن يلتزم بشروط، في مقدمتها منح

الحرية للناس بجميع أشكالها).

العلاقات مع الدول الأخرى

إن الحفاظ على حريات المجتمع، تعني تطوره واستقراره بالضرورة، وهذا الاستقرار سيؤدي الى إقامة علاقات خارجية ناجحة ايضا، تُراعى فيها مصلحة المسلمين وفقا للشروط الانسانية التي لا تغبن حق الآخر، ولا تثلم من حقوق المسلمين ايضا، بمعنى يجب أن تكون هناك موازنة دقيقة، بين الحفاظ على الشروط الانسانية التي وردت في التعاليم الاسلامية، وبين الحفاظ على حقوق المسلمين، لهذا وضع الاسلام ضوابط واضحة في إقامة العلاقات الخارجية مع دول العالم كافة، استنادا الى مصلحة المسلمين، مع مراعاة حقوق الآخرين سواء كانوا افرادا او جماعات او دولاً.

في هذا المجال يؤكد سماحة المرجع الشيرازي، في كتابه نفسه على أن: (الدول الكافرة التي أخرجت المسلمين من ديارهم، مثل إسرائيل، لا يجوز للمسلمين إيجاد العلاقات معها، وأمّا الدول الكافرة المحايدة، فلا بأس للمسلمين في أن يشدّوا معهم روابط، ويكونوا صداقات، ويبرّوا ويحسنوا إليهم).

والاسباب تبدو واضحة جدا، وتدخل ضمن إطار قضية الدفاع المشروع عن النفس، فالامتناع عن اقامة علاقات خارجية مع دولة مثل اسرائيل تجاوزت ولا زالت على حقوق المسلمين، يبدو أمرا مبررا تماما، ويدخل ضمن الخطوات الرادعة للدول التي تحاول ان تغمط حقوق الآخرين من دون وجه حق.

ضوابط لخوض الحروب

تدخل الحرب كمصطلح سياسي ضمن حدود العلاقات الخارجية بين

الدول، فهذه العلاقات قد تأخذ بعدا دبلوماسيا، أو ابعادا اخرى، كما يحدث في ميادين التجارة والاقتصاد والثقافة والتعليم وسوى ذلك، لكن تبقى الحروب وسيلة واضحة لتحقيق اهداف سياسية مخطط لها مسبقا، ولأهمية هذا الجانب وضع الاسلام بنودا وضوابط تتعلق بالحرب وفروعها وافرازاتها الكثيرة، فهي وإن كانت تدخل ضمن اطار العلاقات بين الدول لكنها تأخذ مسارا عنيقا لتحقيق الاهداف، لهذا تتطلب معالجات وضوابط واضحة، طالما ان المجتمع الدولي لا يستطيع تحييدها أو القضاء عليها، كوسيلة إكراه تستخدمها الدول في علاقاتها، وهكذا وضع الاسلام ضوابط وسلوكيات أقرب الى القيم الاخلاقية تهدف الى جعل الحرب مكبلة وليست مطلقة، بمعنى هناك ضوابط تحكمها للحد ما أمكن ذلك من اضرارها ومخاطرها الكبيرة، يقول سماحة المرجع الشيرازي، حول بعض هذه الضوابط في كتابه المذكور: (الغدر في الحرب منهي عنه، مع أنه كثيراً ما يُسرّع الانتصار العاجل، ومع أن السياسة العالمية المعاصرة مبنية على الغدر غالباً).

فحتى لو كانت السياسة العالمية المعاصرة تستسيغ الغدر، بل هي قائمة عليه كما يقول المرجع الشيرازي، لكن الاسلام يمنع الغدر كإسلوب مجافي لفطرة الانسان، حتى لو حدث ذلك في النزاعات التي تحدث بين اطراف متحاربة، بمعنى لا بد أن تكون هناك تقاليد يُلتزم بها، حتى في الحروب، طالما أن الطبيعة البشرية لم تستطع حتى الان من مغادرة اسلوب الحرب، ولم تصل حتى اللحظة الى درجة التحضّر، التي تجعل الحوار هو البديل الامثل للحروب.

ضوابط اسلامية سامية

ولم يتوقف الاسلام عن مضاعفة القيم الضاغطة على الحرب، والتي تحاول الحد من مخاطرها بأقصى ما يمكن، مثلما نهى عن الغدر مهما كانت المبررات، وضع ضابطا آخر يتعلق بقضية طالما أساءت لانسانية الانسان، وألقت به في الدرك الحيواني الأسفل، ذلك هو التمثيل بقتلى العدو، إن الحرب لا تعني أن يفقد الانسان اخلاقه وقيمه وشرفه، فطالما ان الخلاص منها ليس مكفولا بالكامل، فلتكن حربا تُراعى فيها حرمة الانسان، وهذا لب ما دعا اليه الاسلام، فقد أكد سماحة المرجع الشيرازي قائلا في كتابه نفسه في هذا الخصوص: لقد (نهى الإسلام عن التمثيل بقتلى الأعداء، مهما كانوا، وأياً كانت أديانهم ومذاهبهم.. والتمثيل: هو تقطيع الأعضاء، والجوارح، وفقء العين، ونحو ذلك من الأمور المشوهة لجسم القتيل). ونقرأ لسماحة المرجع الشيرازي، في هذا الصدد ايضا: (روي عن علي عليه السلام أنه كان ينهى الجيش عن التمثيل ويقول: ولا تمثلوا بقتيل).

الاهداف النبيلة للسياسة الخارجية

تبقى مراعاة القيم الانسانية هاجسا مستديما للاسلام، سواء في الحروب او غيرها، ولا بد للسياسة الخارجية أن تصب في صالح الانسان، وطالما أن الارض تعاني من كثرة الضعفاء والفقراء كما يتضح من مؤشرات الواقع العالمي الراهن، فإن الاسلام راعى هذه المشكلة منذ زمن بعيد، ووضع معونة الضعفاء هدفا هاما لسياسة الدولة الخارجية، يقول سماحة المرجع الشيرازي بهذا الصدد:

(من الأعمدة الثابتة في السياسة الخارجية للحكومة الإسلامية هو إنقاذ المستضعفين أينما كانوا، ومهما كانت أديانهم ومعتقداتهم، وإن كانوا غير

مسلمين وكانوا مشركين، وعباد أصنام، وغير ذلك..). وهكذا أصبح الهدف الأهم هو نشر نوع من المساواة والعدالة بين بني البشر، يقوم أساسه على رفض الظلم ومحاربتة، من خلال مقارعة أسبابه، المتمثلة بمساعدة الفقراء والضعفاء على رفع الظلم الملحق بهم من أية جهة كانت.

سياسة الدفاع عن النفس

ومن الضوابط الراسخة التي وضعها الإسلام لمواجهة كوارث الحرب، أنه رفض الشروع بشن الحرب رفضاً قاطعاً مهما كانت الأسباب، ووضع مبدأ الدفاع عن النفس هدفاً رئيساً لاستخدام السلاح أو العنف، ضد الطرف الذي يبدأ الحرب ويعلنها رسمياً، كما نقرأ ذلك في قول سماحة المرجع الشيرازي: (الإسلام ينهى عن أن يتدنى المسلمون بالقتال مع الكفار الذين لم يسلبوا سيفاً على المسلمين، ولم يخرجوا المسلمين من ديارهم، ولم يظاهروا على إخراجهم، ويجيز قتال الكفار الذين بدؤوا الحرب على المسلمين، وأخرجوهم من ديارهم).

المسلمون هم الأفضل

وطالما أن الإسلام يؤكد الضوابط الانسانية، في إدامة العلاقات الخارجية، فإن هذه المسؤولية تتطلب مجتمعا اسلاميا مقتدرا ومتطورا في آن واحد، وينبغي أن يشمل التطور مجالات الحياة كافة، وهذه مسؤولية الحكومات والنخب التي تتصدر شرائح ومكونات المجتمع الاخرى، لذا يقول سماحة المرجع الشيرازي بكتابه نفسه: (المسلمون يجب أن يكونوا أعلى من غيرهم في الاقتصاد، وفي الزراعة، وفي الاجتماع، وفي علم النفس، وفي فن

الإدارة، وفي الحرب، وفي السلم، وفي التأليف، وفي النشر، وفي الصناعة،
وفي الطب، وفي الهندسة، وفي الفيزياء، وفي الكيمياء، وفي الفضاء، وفي
الذرة، وفي غيرها.. من جميع المجالات).

شبكة النبا المعلوماتية - الخميس ٣/ تشرين الثاني/ ٢٠١١ - ٦/ ذو

الحجة/ ١٤٣٢

الفصل الثالث: التنمية والاقتصاد

(١)

الضمان الاجتماعي وتحقيق الاستقرار السياسي

في عالم اليوم تسعى الحكومات لأسعاد شعوبها، وتسعى لتوفير المقومات اللازمة لتحقيق هذا الهدف، ويقف الضمان الاجتماعي والصحي في مقدمة الاهداف التي تسعى لها الحكومات، من أجل النجاح في مهامها، وهو ما يتيح لها حاضرا ومستقبلا سياسيا أفضل، فالمستقبل السياسي لرئيس الحكومة وأعضائها، محكوم بمدى قدرة هؤلاء على تحقيق القبول الشعبي، وهذا لا يتحقق ما لم يشعر المواطن بأنه مكفول إقتصاديا وصحيا، من قبل حكومته رئيسا وأعضاءً.

وقد تنبّهت الحكومة الاسلامية لهذا الشرط الهام، وسعت الى تحقيق المقومات المساعدة لتحقيق الاستقرار السياسي، من خلال إسعاد الشعب وتحقيق الضمانات الاكيدة في مجالات الحياة الضرورية، التي تتعلق بصحة الانسان، وتوفير احتياجاته المهمة كافة، ولعل التغاضي الحكومي لتحقيق الضمان الاجتماعي والصحي خاصة، يقف في مقدمة الاسباب التي تدفع الشعوب للانتفاض على حكوماتها، وهو ما يحدث اليوم في دول الشرق الاوسط، فلقد جزعت هذه الشعوب من الظلم الذي تتعرض له من

حكوماتها، ومن اهمال هذه الحكومات لحقوق الناس في الضمان الاجتماعي، وفي توفير الحياة التي تليق بالكرامة الانسانية، وهو ما تحقق في ظل حكومة الرسول الاعظم ﷺ ومن بعدها في الدولة الاسلامية التي قادها الامام علي بن ابي طالب ؑ، حيث تم توفير الضمان الاجتماعي للشعب وقل الفقير لدرجة تصل حالة الاستغراب في حالة رؤية مواطن فقير في عموم الدولة الاسلامية التي كانت تضم ما يقارب خمسين دولة من دول اليوم.

يقول سماحة المرجع الديني، آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله) في كتابه القيم الموسوم بـ (السياسة من واقع الاسلام) بهذا الصدد: (الضمان الاجتماعي في الإسلام صباغة الإنسانية في قمتها، ولذا فإن الإسلام حيث ينطلق من زاوية الإنسانية، يصب هذا الضمان بما توافق الإنسانية في أعماق أبعادها الفضيلة، وتأكيد لم ير التاريخ قبل الإسلام، ولم تسجل الحضارات بعد الإسلام حتى اليوم ضماناً اجتماعياً بعمق الضمان الاجتماعي في الإسلام).

وهكذا صار الاهتمام بجانب الضمان الاجتماعي كياراً أساسياً، لأسباب عديدة أهمها إيفاء الحكومة بواجباتها تجاه الشعب، ثم الاستقرار السياسي الكبير الذي يتبع شرط التوفير المؤكد للضمان الاجتماعي والصحي وسواهما من احتياجات الناس، ولذلك كانت تعاليم الاسلام واضحة في هذا الخصوص، إذ يؤكد سماحة المرجع الشيرازي بكتابه نفسه قائلاً في مجال التشريعات الضامنة لحقوق المسلم: (في نصوص الشريعة الإسلامية زخم كبير من ذلك، وهو إن دل على شيء، فإنما يدل على مدى اهتمام الإسلام بالتأكيد على هذا الجانب الاجتماعي المهم، حيث تكرر نقل ذلك عن نبي الإسلام ﷺ والأئمة من العترة الطاهرة ؑ).

ولكن توفير الضمان الاجتماعي يتطلب من الحكومات توفير الاسباب والوسائل القادرة على تحقيقه، وأهمها بناء الاقتصاد المتين من خلال الاهتمام بالموارد وتنويعها، وهذا ما دفع الدولة الاسلامية للاهتمام بالزراعة وال عمران، من أجل توفير الموارد اللازمة للوصول الى الهدف الاساسي المتمثل بالضمان الاجتماعي، لهذا كان الاهتمام بالزراعة كبيراً، كونها تشكل رافداً اقتصادياً مهماً لدعم قدرات الحكومة على تحقيق ما تتطلبه الحياة الكريمة للمواطن، بالإضافة الى حماية الحكومة من السقوط الحتمي في حالة اهمالها لمطالب الناس، وانشغالها بمصالحها فقط، وقد ذكر سماحة المرجع الشيرازي في هذا الصدد قائلاً في كتابه نفسه:

لقد (اتخذ الإسلام سياسة حكيمة، في ازدياد العمران والزراعة، التي بهما تكون رفعة الدولة أو سقوطها).

لذلك كان الاهتمام الحكومي بالزراعة والموارد والاقتصاد كبيراً، والسبب يتعلق بالدرجة الاولى بتوفير الشروط اللازمة لتحقيق الضمان الاجتماعي والصحي، إذ يؤكد سماحة المرجع الشيرازي قائلاً بهذا الخصوص: (أمّا الزراعات، فهي أيضاً كانت بكثرة هائلة منقطعة النظير - حتى بالنسبة إلى هذه الأيام التي سهلت فيها الزراعات، وصنعت مكائن تعمل لإستخراج المياه ورش البذور والحصاد وغيرها، فالعراق كان يسمّى بـ أرض السواد - لأنّ الشخص في العراق أين ما كان يذهب أو يحل، يبصر - بمرمى بصره - الزراعات، وكان يقول واصفوا مزارع العراق: إنّها لا يوجد فيها فدان غير مزروع).

وهكذا استطاعت الحكومة الاسلامية أن توفر للمواطن حاجاته الاساسية، وهو ما كفّل لها النجاح والتفوق والاستقرار، الذي حقق لها

نجاحات متواصلة في النمو والازدهار المضطرد، على العكس مما تقوم به بعض الحكومات الحالية التي تدّعي الاسلام، ولكنها تعجز عن توفير أبسط ظروف الحياة اللائقة بالانسان، لذا عليها الرجوع الى صفحات التاريخ لأخذ الدروس اللازمة التي حققتها الدولة الاسلامية في هذا المجال، إذ يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا الصدد: (لومات شخص وعليه ديون، فليس على النظام الحاكم من دينه شيء أبداً). ثم يضيف سماحته قائلاً: (فهل هناك ضمان إجتماعي كما في الإسلام)؟.

شبكة النبأ المعلوماتية - السبت ٤/حزيران/٢٠١١ - ٢/رجب/١٤٣٢

(٢)

الاقتصاد الأمثل في المنظور الاسلامي

لا ريب أن نجاح الاقتصاد لبلد أو أمة ما، يتطلب تخطيطاً علمياً سليماً، مع توفير الآلية التنفيذية السليمة، لتحويل التخطيط الى منجز اقتصادي يُشار له بالبنان، فهناك نوع من الترابط بين عنصري التخطيط والتنفيذ في المجال الاقتصادي، وفي جميع الحالات يعود الامر لصنّاع القرار، أو القادة، فهم الذين يتحكمون بعمليتيّ التخطيط والتنفيذ، لاسيما فيما يتعلق بالافراد والعقول والكفاءات الصحيحة والمناسبة لانجاز هذا العمل أو ذاك.

الحاجة الى التطبيق السليم

إن الجانب التنفيذي يحتاج الى قدرة على التطبيق الصحيح للفكر، بمعنى لو أننا أردنا تطبيق الفكر الاسلامي بخصوص الاقتصاد، لابد أن يكون التطبيق سليماً، سواء في الامور الصغيرة او الكبيرة، فالقضية تستند الى المبدأ وضرورة تطبيقه في جميع الحالات، لذا يقول سماحة المرجع الديني، آية الله

العظمى، السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظلّه)، في كتابه القيم الموسوم بـ (السياسة من واقع الاسلام) في هذا المجال: (كان أمير المؤمنين عليه السلام يطبق الإسلام تطبيقاً دقيقاً في الأمور الصغيرة والكبيرة، لأن الأمر الصغير كبير إذا كان حكم الله، والكبير كبير لأنه حكم الله. فالمقياس حكم الله، وبحسابه يكون كل شيء منتسباً إلى الله تعالى كبيراً. بهذا المنظار الواقعي العميق كان أمير المؤمنين علي عليه السلام يقيم سيرته مع الناس وفي مختلف أدوار الحياة، كما كان عليه السلام هكذا دقيقاً وعميقاً في حياته الشخصية).

كذلك فإن العقل الاقتصادي وحده قد لا ينجز المهمة الاقتصادية المطلوبة بنجاح، اذا كان الفرد لا يحمل بعض الصفات المهمة والاساسية في التفكير والعمل، ومنها على سبيل المثال سمة الحرص التي يجب أن يتحلى بها رجل الاقتصاد او المسؤول السياسي الذي يوجّه القائمين على هذا الجانب تخطيطاً وتنفيذاً، بمعنى القائد الاعلى كرئيس الدولة أو رئيس الوزراء حسب نوع النظام السياسي، والحرص هنا يعني عدم التجاوز على المال العام مهما قل أو كبر حجم التجاوز. إذ يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا الصدد بكتابه المذكور نفسه: (جاء في كتاب - المناقب - لابن شهر آشوب قده عن ابن مردويه قال: «وسمعت مذاكرة: إنه عليه السلام دخل عليه عمرو بن العاص ليلة وهو في بيت المال، فطفئ السراج، وجلس في ضوء القمر، ولم يستحل أن يجلس في الضوء من غير استحقاق» أترى كم كان يصرف من الزيت هذه اللحظات التي كان يكلم فيها عمرو بن العاص؟ إنه شيء يسير جداً. ولكن علي بن أبي طالب عليه السلام أسوة وقدوة، فإذا كان واقعياً دقيقاً إلى هذا الحدّ في أموال المسلمين، فلا تصل النوبة إلى ما وصل اليوم إليه بعض رؤساء بلاد الإسلام الذي يبذر المليارات.. وعشرات المليارات من

أموال المسلمين اعتباراً وسرفاً).

العلاقة بين السياسة والاقتصاد

ولعلنا ندرك أن نجاح الاقتصاد لبلد ما يؤدي الى سياسة ناجحة وبالعكس، بمعنى هناك جدلية متبادلة بين الجانبين السياسي والاقتصادي، لهذا يندر في الحكومات القمعية او المتخلفة وجود اقتصاد قوي، فحين تسوء السياسة يسوء الاقتصاد والعكس يصح بطبيعة الحال، لذا يستدعي الحال وجود نوع من التوازن الاقتصادي الداعم للسياسة الجيدة، وقد أثبتت تجارب المسلمين فيما سبق، على نجاح الدولة الاسلامية في القضاء على الفقر على الرغم من سعة أراضيها، لذا يذكرنا سماحة المرجع الشيرازي بقول للامام الصادق عليه السلام بهذا الخصوص: (قال الإمام الصادق عليه السلام: «الاقتصاد هو الكسب كله»). إن الاقتصاد له الأهمية الكبرى في السياسة، وكلما كان التوازن الاقتصادي أقوى كانت السياسة أكثر سداداً ورشداً. فلننظر إلى الإسلام كيف جعل من الدولة الإسلامية البعيدة الآفاق، الشاسعة الأراضي، الكثيرة النفوس، أمة غنية كاد أن يصبح الفقر فيها خبراً لكان).

وكمثال على نجاح التطبيق الاسلامي للاقتصاد الناجح، يأتي لنا سماحة المرجع الشيرازي بمثال عن افريقيا، التي ينخرها الجوع والمرض والتخلف حالياً، على الرغم من ثرواتها الهائلة، لكن وضعها في ظل الاسلام لم يكن كحالها اليوم، لقد كانت افريقيا الاسلام تنعم بالغنى، لا لشيء بل بسبب السياسة الاقتصادية الصحيحة للحكومة الاسلامية آنذاك، لذا يقول سماحة المرجع الشيرازي بهذا الخصوص: (القارة السوداء لا تزال حتى اليوم - رغم كل التقدم الاقتصادي في مختلف الميادين في العالم - ترزح تحت وطأة الجوع والفقر والبؤس، والتي يموت فيها المئات والألوف. هذه القارة التي

تربض على مخازن الثروة الضخمة، والتي يسرق الطغاة في العالم ثرواتها دون أن يعطوها خبزاً وقمحاً يسدان الجوع. هذه القارة كانت - قبل أكثر من عشرة قرون - تنعم بالغنى والثروة نتيجة حكم الإسلام عليها).

الاسلام والقضاء على الفقر

إن الاقتصاد في المنظور الاسلامي، يهدف الى القضاء على الفقر كلياً، من خلال التخطيط السليم من لدن الكفاءات المختصة العالية، والعقول التي تتمكن من اتقان العمل التخطيطي المناط بها، وليس كما هو الحال واقعا، حيث يهْمش ذوا الكفاءات ويسيطر الجهلاء على المناصب الكبيرة، مقابل تردي متواصل لأوضاع الامة اقتصاديا ثم سياسيا أو العكس، لذلك فالاقتصاد في المنظور الاسلامي يضع كل ذي موهبة وقدرة في مكانه المناسب، مع تنفيذ دقيق للتخطيط الموضوعة، لأن الرجال المكلفين، هم من الحرص ومخافة الله بحيث ينجحون في مهامهم نجاحا كبيرا، لذلك يتساءل سماحة المرجع الشيرازي بهذا المجال قائلا: (هل رأى العالم أو قرأ أو سمع نظاماً اقتصادياً يستطيع أن يقتلع جذور الفقر عن الناس حتى يكون من بواعث العجب والدهشة رؤية فقير واحد في طول البلد الإسلامي وعرضها، ولو كان ذاك مسيحياً غير مسلم؟ وهل استطاع العالم المعاصر، والتجارب الاقتصادية الكثيرة من وضع نظام اقتصادي كهذا؟ والجواب على ذلك كله: النفي طبعاً. فالיום وقد بلغت الحضارات قمتها، والأنظمة الاقتصادية ذروتها، لا تكاد تجد بلداً واحداً إلا والفقر قد نشر أجنحته السوداء، والفقراء ملأوا الأرض، والجوع والحرمان شمالا الشرق والغرب والجنوب والشمال).

لذلك نلاحظ أن أغنى البلدان في العالم تنطوي على الفقر، ويوجد فيها فقراء، والسبب هو التطبيق الاقتصادي الخاطئ، ووضع الفوارق الطبقيّة بين

شرائح المجتمع الواحد، أما الاسلام فهو يرفض الطبقية، ويدعو الى المساواة في الفرص وغيرها، ويؤكد على سلامة عقول ونوايا الافراد لتحقيق الهدف المنشود من التخطيط الاقتصادي الجيد.

شبكة النبا المعلوماتية - الخميس ٢٩/آذار/٢٠١٢ - ٨/جمادى

الأولى/١٤٣٣

(٣)

المساواة.. ركن الاستقرار في المجتمعات

المساواة تعني في أبسط تعاريفها، أنها نظرة المسؤول الى الرعية بعين واحدة، لا تفرق بين هذا وذاك في شؤون الحياة كافة، وهي بذلك طريق واضح للعدالة الشاملة، كونها لا تتحدد بالكلام فقط، إنما الفعل على الارض هو الذي يثبت واقعية المساواة، وهو الذي يطور نتائجها نحو الافضل على الدوام.

الشعوب التي تصدرت ملامح المعاصرة والتطور، تنظر الى هذا الركن - المساواة - باهتمام بالغ، وتتعامل مع المساواة على أنها منهج حياة لا يجوز التخلي عنه، وهناك منظومات عرفية وقيمية وقانونية ايضا، تحمي المساواة من الانتهاك سواء من لدن الحكام والمسؤولين كافة تجاه الافراد، او من لدن الافراد في تعاملهم بعضهم مع بعض، وبذا صارت المساواة معلما مهما من معالم المجتمعات المعاصرة المستقرة المتطورة، والسبب دائما هو نهج التساوي بين الجميع، في الفرص التي تتعلق بشؤون العيش والحياة برمتها.

معيار المساواة

الحكام العظام تنبّهوا مبكرا الى أهمية هذا الركن، في حفظ التوازن

المطلوب بين شرائح المجتمع، وتنبهوا ايضا الى أهمية جعل المساواة، معيارا دقيقا في ادارة شؤون الناس، لهذا السبب بدأ الامام علي بن ابي طالب عليه السلام بتطبيق هذا الركن، في اوائل أيام تسلمه لقيادة الدولة الاسلامية، وهو الامر الذي أزعج المتنفذين الاقوياء في ذلك الوقت، وهم اولئك الذين يرون بأنهم اكبر وأهم من الآخرين، وأحق منهم بالترفضيل سواء بالمناصب والاموال او حتى الكلام.

لكن الامام علي عليه السلام كقائد إنموذج للدولة الاسلامية، كان له منهجه المعروف للجميع، حيث المساواة مبدأ حياة، لا يمكن تجاوزه مهما كانت قوة المعارضين على تطبيقه، اذ من المعروف ان انتهاج هذا المبدأ يعني ضربا لمصالح ونفوذ الاقوياء والمتنفذين، وهؤلاء لن يقبلوا بالتساوي مع عامة الناس وفقراء الشعب، لكن الامر ليس بأيديهم ولا يخضع لرغباتهم وطموحاتهم.

يقول سماحة المرجع الديني، آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله) في كتابه القيم الموسوم بـ (السياسة من واقع الاسلام) بهذا الخصوص: لقد (بنى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام سياسته - كنبى الإسلام صلى الله عليه وآله - على المساواة العادلة بين مختلف أفراد الأمة في تقسيم أموال الأمة - التي هم فيها سواء - عليهم بالسوية..).

القاسم بالسوية

وبدا واضحا منذ البداية للجميع، لاسيما لأولئك الذين يرغبون بتفضيلهم لذواتهم على الآخرين، أن الامام علي عليه السلام لن يحيد عن تطبيق المساواة كمنهج اسلامي انساني يحفظ للجميع حقوقهم من دون غبن او تجاوز، خاصة ما يتعلق بتوزيع الاموال على المسلمين، ويذكر سماحة

المرجع الشيرازي حول هذا الموضوع في كتابه نفسه: لقد كانت المساواة (من السمات البارزة له عليه السلام حتى ورد في عدد صفاته النادرة في بعض زيارته: القاسم بالسوية، والعاذل في الرعية-١).

وتطبيق ذلك كلف الإمام عليه السلام الكثير من المتاعب، والانشقاقات والحروب وتفرق بعض الرؤوس عنه. لكن أمير المؤمنين عليه السلام لم يعبأ بكل ذلك مقابل تطبيق الإسلام، تطبيقاً كاملاً).

نعم لا بد أن يهّب المتضررون من مبدأ المساواة، لمعارضة قائد الاسلام الامام علي عليه السلام والسبب واضح وضوح الشمس، أن المتنفذين كانوا يرون أنهم أحق من المسلمين الآخرين، لهذا كانوا يعترضون ويحتجون على سياسة المساواة، كونها تضعهم على مسافة واحدة مع عامة الشعب، وهو أمر لا يرتضونه، لذا قاموا بصنع الكثير من المتاعب والانشقاقات والحروب ضد قائد الدولة الاسلامية، أملاً بتراجعه عن تطبيق سياسته التي تقضي بتساوي الجميع في ثروات الامة وفي فرص الحياة عموماً، لكن النهج السياسي للإمام علي عليه السلام كان امتداداً لحكومة الرسول الاكرم صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ولم يكن يعينهم قط أن المساواة ترتقي بالامة الى مصاف عليا، بل كان همهم مصالحهم التي جعلوها فوق كل نظام او اعتبار.

البداية بالنضس

ولعل من أعظم وأهم العوامل التي أزرت سياسة الامام علي عليه السلام، وعاضدت منهجه في المساواة، وتطبيقها على المسلمين جميعاً، أنه بدأ بنفسه أولاً، فكان القائد الاعلى للدولة الاسلامية، لا يختلف في المنافع والاموال وما شابه، عن أبسط الناس منزلة، وهذه هي الخطوة الجبارة التي قوّضت دسائس وخبث المعارضين واسقطت حججهم واعتراضاتهم.

فيذكر لنا سماحة المرجع الشيرازي في هذا الصدد قائلاً: لقد (بدأ أمير المؤمنين عليه السلام في المساواة بنفسه الكريمة أولاً، ثم طبقها على غيره، لكي لا يكون للناس حجة).

ولهذا لم ينجح المعارضون لسياسة المساواة، ويتضح ذلك مما ذكره لنا سماحة المرجع الشيرازي، إذ نقرأ في المجال نفسه: لقد امتعض (طلحة والزبير لصنع أمير المؤمنين عليه السلام معهما في المساواة بينهما وبين غيرهما من المسلمين في العطاء، وناقشا أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك، ولكن الحق كان أقوى منهما، وأولى بالاتباع في منطق أمير المؤمنين عليه السلام. نُقل في - مناقب آل أبي طالب - عن أبي الهيثم بن التيهان، وعبد الله بن أبي رافع قالاً: إنَّ طلحة والزبير جاءا إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقالوا: ليس كذلك كان يعطينا عمر.

قال عليه السلام: فما كان يعطيكما رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فسكتا! قال عليه السلام: أليس كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقسم بالسوية بين المسلمين؟ قالوا: نعم. قال عليه السلام: فسنة رسول الله صلى الله عليه وآله أولى بالاتباع عندكم أم سنة عمر؟).

تجاوزات حكام العصر الراهن

هكذا كانت السيرة العلوية مؤطرة بحقائق لا تقبل اللبس قط، حيث الوقائع تثبت اثباتاً قاطعاً، بأن مبدأ المساواة لم يكن للكلام فقط، او الاستهلاك الشعبي من اجل تخدير الناس، وإشغالهم عن المطالبة بحقوقهم، كما يفعل حكام الحاضر، الذين يدعون الاسلام ويضعونه ديناً رسمياً لدولهم، لكنهم في حقيقة الامر لا يطبقون من الاسلام شيئاً، بل يتخذون منه ذريعة لتميرير مشاريعهم وحماية مصالحهم، وهم بذلك يخطئون بحق أنفسهم، ويرتكبون أشد الاضرار والمحرمات بحق شعوبهم، متناسين السيرة العظيمة

لقيادة الاسلام العظام، الرسول الاعظم ﷺ، وابن عمه الامام علي بن ابي طالب عليه السلام حامل السيرة التي تشرّفت بها الانسانية على مدى الازمان والدهور المتتابعة.

لذا يقول سماحة المرجع الشيرازي بكتابه نفسه: (وهكذا جرت سيرة علي أمير المؤمنين عليه السلام لتكون نبزاً للأجيال الصاعدة وأماً للمظلومين والمستضعفين، وكبحاً لجماح المستكبرين والطغاة، فلا يفضل غني على فقير، ولا أبيض على أسود، ولا عربي على عجمي، ولا شريف على وضيع.. إلا عند الله في القيامة بالتقوى.. لا بالمال في العطاء الذي جعلهم الله فيه سواءً في الدنيا).

شبكة النبأ المعلوماتية - الخميس ١٣/تشرين الأول/٢٠١١ - ١٥/ذو

القعدة/١٤٣٢

(٤)

الضمان الاجتماعي في الاسلام

تشكو شعوب وأمم كثيرة من تنصل حكامها ومسؤوليها إزاء رعيتهن لاسيما في مجال الضمان الاجتماعي، حيث تثقل الديون كواهل الفقراء وينتشر العوز بين الايتام والارامل من دون ان يتنبه لهم ولأوضاعهم المزريّة من هو قائم على المال خاصة في الدول التي تعلن الاسلام ديناً رسمياً لها لكن حكامها وانظمتها السياسية هي اكثر الجهات تنصلاً من المسؤولية الملقاة على عاتقها فيما يخص إعالة اليتيم والارملة والمسنة والمحتاج وغيرهم. أما نظرة الاسلام للضمان الاجتماعي وتعامله مع هذا الجانب فهو يشكل سبقاً انسانياً على مستوى التاريخ او الديانات او الامم والشعوب غير

المسلمة، حيث نرى ان تعامل الاسلام مع مسألة الضمان الاجتماعي تختلف مع عموم التعاملات من قبل الآخرين في هذا المجال.

فالاسلام على سبيل المثال وليس الحصر، يعلن ان المسلم إذا توفي وترك بدمته ديناً لشخص او جهة ما فإن الاسلام هو من يسد عنه ممثلاً بشخص الامام الديني، أما إذا ترك المسلم اموالاً من بعده فهي لورثته حصراً وحسبما تقرره الشريعة في هذا المجال، وعن هذا الموضوع نقرأ في كتاب سماحة المرجع الديني السيد صادق الحسيني الشيرازي الموسوم بـ (السياسة من واقع الاسلام/ باب..سياسة الاسلام في الضمان الاجتماعي):

(الضمان الاجتماعي في الإسلام صباغة الإنسانية في قمّتها، ولذا فإنّ الإسلام حيث ينطلق من زاوية الإنسانية، يصب هذا الضمان بما توافق الإنسانية في أعماق أبعادها الفضيلة، وتأكيد لم ير التاريخ قبل الإسلام، ولم تسجل الحضارات بعد الإسلام حتى اليوم ضماناً اجتماعياً بعمق الضمان الاجتماعي في الإسلام.

إنّه يقول: إنّ كل من يموت وعليه ديون، فعلى إمام المسلمين أداء ديونه، وكل من يموت وله مال، فالمال كلّ لورثته، ليس لإمام المسلمين منه شيء..

فهل سمعت ضماناً اجتماعياً كهذا، حتى في أعماق الحضارات؟.

بالتأكيد، لا..).

وقد دخل اليهود في ذلك الزمن الى الدين الاسلامي لتوفر هذا الضمان المهم لهم ولعوائلهم حيث نقرأ عن الامام الصادق عليه السلام كما جاء في كتاب المرجع الشيرازي (السياسة من واقع الاسلام):

(وما كان سبب إسلام عامّة اليهود إلا من بعد هذا القول من رسول

الله ﷺ وأنهم آمنوا على أنفسهم وعلى عيالاتهم^(١).

بهذه الروح المسؤولة يتعامل الاسلام مع حاجة المسلمين والعوز الذي قد يتعرض له المسلم نتيجة عارض ما، فالاسلام لا يتنصل من مسؤولياته ازاء المسلمين لا سيما في هذا المجال الحياتي الذي يعتبر من اهم واخطر المجالات، إنما من يتنصل هم المسؤولون او القادة الرسميون للبلاد الاسلامية حيث يسيطرون على اموال المسلمين وتصبح في عهدهم لكنهم لا يهتمون بالمسلم المعوز او المحتاج او المريض بل يجيرون هذه الاموال لهم ولذويهم وحاشياتهم والمقربين منهم تنافيا مع ما أقره الاسلام من ضمان اجتماعي فيما لو عمل وفقه لتجاوز الناس الفقراء جميع مشاكلهم المالية التي تقودهم الى مشاكل اخرى في مجالات متعددة.

وتؤكد كثير من النصوص على ما ذهب اليه الاسلام في هذا المجال كما ورد في كتاب المرجع الشيرازي حيث يقول:

(وفي نصوص الشريعة الإسلامية زخم كبير من ذلك، وهو إن دلّ على شيء، فإنما يدلّ على مدى اهتمام الإسلام بالتأكيد على هذا الجانب الاجتماعي المهم، حيث تكرر نقل ذلك عن نبي الإسلام ﷺ والأئمة من العترة الطاهرة عليهم السلام).

وفي احاديث الأئمة الاطهار في هذا المجال نقرأ في الكتاب نفسه:

(عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «من مات وترك ديناً، فعلينا دينه، وإلينا عياله، ومن مات وترك مالاً، فلورثته»^(٢)).

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: ما كان رسول الله ﷺ ينزل من منبره، إلا قال: «من ترك مالاً فلورثته، ومن ترك ديناً أو

(١) الكافي: ج ١ ص ٤٠٦ باب ما يجب من حق الإمام على الرعية وحق الرعية على الإمام ح ٦.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٢٦ ص ٢٤٧ ب ٣ ح ٤.

ضباعاً، فعلياً^(١).

ومن جانب آخر نلاحظ ان الاسلام يؤكد على ان كل ما يتركه المسلم بعد موته هو من حق الورثة، ولا يحق للحكومة او المسؤول الفلاني ان يستقطع منها شيئاً تحت أي مبرر كان، حيث نلاحظ ان هناك من يفرض ضرائب على الاموال او الاملاك التي يخلفها الميت لذويه كما تقوم الامم والجهات الاخرى في عموم العالم، بخلاف الدين الاسلامي الذي يحصر تركة الميت بمن يرثه في الوقت الذي يتحمل فيه الاسلام ديونه اذا كان مديوناً بعد موته، إذ يقول سماحة المرجع الشيرازي في تعليقه على هذا البند من بنود الضمان الاجتماعي الاسلامي:

(هذا واحد من بنود الضمان الاجتماعي في الإسلام، ويظهر منه عمق الإنسانية في الإسلام، وفي هذا النظام بالذات. بالعكس تماماً مما عمله عدّة من أنظمة العالم اليوم، من جعل الضريبة على الإرث على من مات وترك أموالاً.

ولو مات شخص وعليه ديون، فليس على النظام الحاكم من دينه شيء أبداً، أترى كم تساهم مثل هذه الأنظمة في تشتيت المجتمع وتحطيم الديون بين الأفراد والجماعات، إذ الدائن لا يملك ضماناً لو أعطى ديناً لفقير معدم، لأنه لو مات فمن الذي سيتكفل ديونه؟ فمن تراه يقرض المحتاجين والمعوزين؟ فهل هناك ضمان اجتماعي كما في الإسلام؟).

شبكة النبا المعلوماتية - الاحد ٧/حزيران/٢٠٠٩ - ١٠/جمادى

الآخرة/١٤٣٠

(١) مستدرک الوسائل: ج ١٧ ص ٢٠٧ ب ٢ ح ١.

(٥)

التأمين الاجتماعي

إن حياة النبي محمد ﷺ تزخر بالكثير من النماذج المؤثرة، فأقرأوا تاريخه ﷺ وقوموا بعرض العشرات من تلك النماذج على النصارى واليهود والمشركين والملاحدة، عندها سترون إسلامهم، كما أن أي مسلم سيتعزز إسلامه وإيمانه، سيكون سببا لهداية الآخرين، بعد الاطلاع عليها.

لو طبقت ذات المنهاج الذي كان في صدر الإسلام، داخل أسركم، فإن جيرانكم وأقاربكم والذين لديكم معهم روابط أسرية، سيحصل لديهم الاعتقاد بالتدرج؛ لو كانوا كفارا فسيصبحون مسلمين، ولو كانوا غير محبين لأهل البيت (سلام الله عليهم) فسيصبحون من محبيهم، ولو كانوا غير متدينين، فسيصبحون متدينين، ذلك لأن مناهج الإسلام وأحكامه وقوانينه عظيمة ورائعة.

نموذج قانوني:

يقول المرجع السيد صادق الشيرازي: أقدم لكم نموذجا واحدا من طريقة عمل رسول الله ﷺ وقد ورد ذكره في كتب الحديث عند العامة والخاصة، بل رواها غير المسلمين أيضا.

هذه الرواية التي ينقلها لنا السيد المرجع، يقول: لو عرضت على أي شعب، أو أتباع أي دين أو مذهب أو بلد في الكرة الأرضية فسيغيرون حتما إذا ما حصل لديهم التصديق أو الاعتقاد بها.

تقول الرواية: في الوقت الذي كان نبي الإسلام ﷺ في المدينة المنورة، وكان يتولى سائر الأمور والشؤون، بصفته رئيسا للحكومة،

أعلن ﷺ أنه: (من ترك ديناً أو ضياعاً فعلي، ومن ترك مالا فلورثته) فماذا يعني ذلك؟

إن قضية (الضريبة على الإرث) متداولة اليوم في أكثر دول العالم، بل هي موجودة حتى في الدول التي تدعي بأن لديها أفضل وأرقى القوانين. إن قانون (الضريبة على الإرث) لم يشرع حديثاً، بل يعود إلى ما قبل الإسلام، حيث كان رائجاً في أوساط المشركين. ففي قوانين وأحكام المشركين قبل الإسلام، كذلك الديانتين اليهودية والنصرانية (المحرفتين طبعاً)، كان يعمل بمثل هذا المرسوم، فإذا مات شخص وترك مالا، فإن رئيس الحكومة أو العشيرة أو أي شخص يتمتع بسلطان، يأخذ قسماً من هذه الأموال، كضريبة على الإرث.

أما في الإسلام فلا وجود لشيء اسمه (الضريبة على الإرث)، بمقتضى حديث رسول الله ﷺ المذكور آنفاً.

ويقول ﷺ أيضاً: ومن ترك ديناً أو ضياعاً فإلي أو علي أي من مات ولم يترك مالا، وكان فقيراً، وخلف أسرة لا تجد ما تعيش به، ف (إلي وعلي)، أي إن نفقتهم على حاكم الدولة الإسلامية.

حقاً إنه لا وجود لمثل هذا القانون في أي مكان من العالم، فحتى الدول الثرية والدول التي تدعي بالمتمدنة، ليس عندها مثل هذا القانون الرائع.

فهل يوجد مثل هذا القانون، حتى في أكثر الدول ثراء في عالم اليوم، بحيث يتحمل الحاكم الأعلى دين المتوفى؟

نعم قد يتفق أحياناً، بعد مراجعات مضمينة في الدوائر الحكومية، أن يحصل الورثة على جزء يسير من المال، ولكن لا وجود لمثل هذا الأمر

(ضمان الدين) كحالة قانونية، في مكان من العالم.

هناك نقطة لا بد أن نشير إليها، هي أنه يوجد اليوم في بعض الدول ومنها العراق قدر من الضمان الاجتماعي للعمال أو شبكة الحماية الاجتماعية للمعوقين والعاطلين والأرامل.. وفي بعض الدول الغنية، هنالك يوجد قانون يمنح الأسرة الفقيرة التي فقدت معيها نصيبا من المال، ولكن ليس بالقدر الذي يكفي لسد رمق تلك الأسرة. ثم، لو فرضنا أن إحدى الدول أعلنت هذين المطلبين:

١- إلغاء الضريبة على الإرث.

٢- إذا مات شخص وخلف أسرة فقيرة، فإن الدولة تتحمل نفقتها، وإذا كان مديونا أدت الدولة دينه.

رغم أنه لا وجود اليوم لمثل هذا الأمر، إلا أنكم تلاحظون كم من الناس، من البلدان الإسلامية وغيرها، يهاجرون إلى الدول التي تتمتع برفاه اقتصادي وأمني نسبي، أو التي فيها ضغوط أقل بقليل من غيرها، مهما تكن نسبة التدين فيها.

لكن المتيقن على نحو الإجمال: أنه يتعين في الإسلام، على إمام المسلمين، تأمين نفقة الأسر الفقيرة، إلى حد كاف، وأداء ديونها. إمام المسلمين فعلها:

كانت الحكومة الظاهرية لبضع سنوات بيد الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عندما كان في الكوفة، وكانت الكوفة مدينة كبيرة، وبحسب ما أثبتته بعض المؤرخين، فإن مساحتها كانت تتجاوز الخمسمائة كيلو متر مربع، والبعض قالوا إن مساحتها أكثر من ذلك، وكانت تمثل عاصمة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

روي في أحوال أمير المؤمنين عليه السلام أنه خلال الأربع سنوات وبضعة أشهر، هي مدة حكمته الظاهرية، حدث أمر لمرة واحدة فقط، لم يذكر التاريخ غيره، ولا يوجد في سائر الكتب ما يشير الى أن تلك الحادثة تكررت في زمان حكومة الإمام عليه السلام.

تقول الرواية إنه ذات يوم كان أمير المؤمنين عليه السلام يجتاز في أحد شوارع الكوفة، فرأى شخصا يتكفف، فقال: ما هذا؟ فأجابه بعض من لا يعرف حقيقة الإسلام، قائلا: هذا نصراني.. قد هرم وصار لا يقوى على العمل، فهو يتسول !!.

ربما تصور ذلك المجيب أن الأمر يختلف عند الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، إذا كان المتسول غير مسلم، والحال أنه في القانون الإسلامي لا يختلف الأمر من هذه الجهة... الناس اليوم لا يعلمون هذه القضايا، وقد لا يصدقون بها، وسيقولون: فلماذا المسلمون اليوم ليسوا على هذه الشاكلة؟ لكن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام جعل يلوم أصحابه على ما رأى من حال ذلك النصراني، وقال: (استعملتموه حتى إذا كبر وعجز منعموه! أنفقوا عليه من بيت المال).

فأبي نصراني، أو أي يهودي، بل أي عابد وثن تعرضون عليه مثل هذا النموذج، ثم لا يتغير؟! إذا صدق بذلك، فلا بد أن يتغير، ويؤثر في أسرته ويجعلها تتغير.

هل يوجد بلد في العالم اليوم يخلو من المتسولين؟ لو ذهبتم الى أغنى بلد في العالم لوجدتم فقراء ومتسولين.. بالطبع، فإن الأمر يتفاوت من بلد الى آخر؛ فهناك بلد فيه متسولون وفقراء أكثر، وآخر أقل.. وهكذا فأنتم تلاحظون أنه حتى في أكثر بلدان العالم تقدما، وفي

ظل أفضل القوانين العصرية يوجد متسولون، في حين لا تجد مثل هذه الحالة في الدين الإسلامي، بل لا معنى لوجود حالة تسول في بلد إسلامي.
شبكة النبأ المعلوماتية - الأحد ٦/شباط/٢٠١١ - ٢/ربيع الأول/

١٤٣٢

(٦)

النظام الزراعي وتطوره في المنظور الإسلامي

لم يبق الإسلام فرعاً من فروع الحياة، إلا ووضع له قوانينه في النمو والتطور والازدهار، من خلال التعاليم التي وردت في النصوص القرآنية الكريمة، وأحاديث الرسول الأكرم ﷺ، حيث تعد هذه القوانين فوق البشرية، حلوياً لا تقبل الفشل في حالة تطبيقها بدقة، كما طبقها قائد الدولة الإسلامية الأول والاعظم الرسول محمد ﷺ.

لهذا فقد اهتم الإسلام بزراعة الأرض الصالحة للزراعة، وشرع جميع القوانين والخطوات التي تزيد من خضرة الأرض، وتفرش البساط الأخضر على وجه الطبيعة، كي تتلاءم مع طبيعة الإنسان وميوله النفسية التي تفضل اللون الأخضر على سواه، وقد أكد سماحة المرجع الديني، آية الله العظمى، السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله)، في إحدى محاضراته القيمة، على ضرورة توجه المجتمع والدولة، إلى الزراعة والى تجميل الأرض باللون المفضل للناس جميعاً.

أفضلية اللون الأخضر على سواه

وقد قال سماحة المرجع الشيرازي في محاضراته بهذا الخصوص: (كان في إنجلترا جسر يسمى بجسر الانتحار، يقصده الشباب الذين سلبوا العقل

والعاطفة ليلقوا بأنفسهم من على مرتفع منه صوب الجهة التي يتدفق الماء فيه بسرعة وقوة ليتلقفهم ويضرب بهم يميناً وشمالاً بالصخور ثم يموتون! عندما لاحظ المفكرون هناك أن معدلات الانتحار في حالة ارتفاع مستمر، فكّروا في إيجاد طريق لتقليله - وهذا هو الفرق بين الإسلام وغيره، فإن الإسلام يستأصل المشكلات والأمراض من الجذور، أما الأنظمة الأخرى فتفكر في تقليله، وهي لا تنجح حتى في ذلك. فإن الإسلام يطرد الفقر والقلق من حياة الإنسان. أما الحضارات الأخرى وبتعبير آخر التفكير البشري، فيحاول تقليلهما ولا ينجح. وبعد أن اجتمع الخبراء والمفكرون والعلماء وقاموا بتجارب كثيرة اهتدوا إلى شيء خلقه الله عز وجل منذ آلاف السنين، حيث اكتشفوا أن اللون الأخضر أكثر الألوان تأثيراً في مخ الإنسان، فالخضرة أقوى وأجمل لون يناسب المخ. فقاموا بصنع الجسر باللون الأخضر. وكانت النتيجة تدني معدلات الانتحار في السنوات القادمة بنسبة ثمانين في المئة. والآن تعال إلى الطبيعة وانظر بأي لون كساها الله تعالى، لكي تطرد القلق والسأم عن الإنسان؟ إلا اللون الأخضر للأشجار؟).

إن تعامل الإسلام مع موضوع حيوي كالزراعة، كان في غاية الدقة والوضوح، وقد دلت نتائج هذا المنهج العملي بخصوص الزراعة، على صحة ما جاء به الإسلام في هذا الميدان، ونجاح السبل التي تعامل معها بخصوص تطوير الزراعة في الدولة الإسلامية، والدليل أن الزراعة سابقاً كانت أكثر تطوراً لدى المسلمين، يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا الصدد: (يمر اليوم أكثر من أربعة عشر قرناً على صدر الإسلام، وبسبب التطور العلمي الحاصل خلال هذه الفترة تطورت الزراعة وأساليبها. ولكن مقارنة بين أوضاع الزراعة في العصور الإسلامية وعصرنا الحاضر يكشف لنا بوضوح أن

الإصلاح الزراعي موجود في الإسلام وليس في التشريعات الأخرى، لأنّ مشرّع الإسلام هو الله سبحانه، وما عداه فهو فكر بشري قاصر لم يحقق سوى إفساد الزراعة والنظام الزراعي!).

خسائر المسلمين في الميدان الزراعي

لذا فإنّ الابتعاد عن تعاليم الإسلام، ونظرته نحو التعامل مع الميدان الزراعي، أدّى فعلاً إلى تدني الزراعة وتراجعها في عموم الدول الإسلامية، والسبب هو عدم أخذهم بهذه التعاليم، وهذا المنهج التنظيمي الواضح جداً، وسهل التنفيذ، وقد قال سماحة المرجع الشيرازي في هذا الصدد: (يقول جرجي زيدان -الكاتب العربي المسيحي المعروف- في كتابه «تاريخ التمدن الإسلامي»: إنّ الأراضي المزروعة في مصر اليوم تبلغ ستة ملايين فدان. ثم ينقل عن الاصطخري أنّ الأراضي المزروعة في مصر في القرن الرابع الهجري -أي قبل ألف سنة- بلغت ثلاثين مليون فدان. ثم يذكر نموذجاً آخر عن السدود المنشأة على نهر دجلة في العراق من بداية دخوله عبر تركيا إلى العراق في مدينة الموصل في شمال العراق حتى بغداد في وسط العراق فيقول نقلاً عن الاصطخري أيضاً أنّها كانت تبلغ على هذا النهر في هذه المسافة التي تبلغ حوالي -٥٠٠ كم- زهاء أربعين سداً، فيما لا نعلم اليوم بوجود أكثر من سدين هما سد سامراء وسد الثرثار!!)

لقد تقدمت وسائل الزراعة لاسيما في مجال المكننة، والبذور وطرق السقي الحديثة، عما كانت عليه سابقاً، لهذا كان يجب ان تتطور الزراعة في البلاد الإسلامية، بسبب تطور ادوات الزراعة، لكننا مع ذلك نلاحظ حدوث العكس كما يقول سماحة المرجع الشيرازي: (إنّ المفروض في كمية الأراضي المزروعة في مصر اليوم -ومصر نموذج ومثال وإلا فهذا حال كلّ

العالم الإسلامي - أن تكون أضعاف ما كانت عليه في العصر الإسلامي لو أخذنا بنظر الاعتبار التقدم الحاصل في الآلات والمكائن الزراعية، بل إن أكثر الأعمال الزراعية كانت في العصور الإسلامية الأولى باليد. ومع ذلك فإنّ الزراعة كانت تغطّي معظم أراضي مصر حيث تبلغ مساحتها ستّة وثلاثين مليون فدان فقط. والشيء نفسه يقال بالنسبة للسدود المقامة على نهر دجلة في العراق). ويضيف سماحته قائلاً: (وأنا أضيف إليهما مثلاً ثالثاً، وهو السدّ العالي في مصر. فقد أقاموا الدنيا ولم يقعدوها عندما أنشأوا هذا السد، والذين عاصروا تلك الفترة يتذكّرون الضجيج الذي ملأ الآفاق عن السد العالي وأنه خدمة للبلاد وإنجاز للأمة العربية، وتحدثت الإذاعات وتناقلت الصحف أبناء بنائه، وبالفعل فقد ازدهرت الزراعة في مصر نسبياً فوصلت إلى سبعة ملايين وثمانمئة ألف فدان، أي لم تبلغ الثمانية ملايين فدان. أقول مع الأجهزة الحديثة والجرارات والأدوات، ومع السدّ العالي لم تصل نسبة الأراضي المزروعة في مصر إلى ثمانية ملايين فدان؛ بينما وصلت في العهد الإسلامي رغم بداءة الوسائل إلى ثلاثين مليوناً!).

الزراعة بين الأمس واليوم

لذلك حين نقارن بين زراعة الأمس واليوم، سنكتشف التدني الواضح في هذا الميدان الحيوي لديمومة الحياة، لذا يقول سماحة المرجع الشيرازي في محاضراته: (عندما نقارن هذه النتائج سنكتشف صلاحية النظام الذي أثمر النتائج الأفضل؟ إنّ هذا دليل على صلاحية الإسلام وأنه عرف كيف يصلح الزراعة ويسير بها نحو الأفضل. الإسلام ليس مجرد نظريات بل كلّ فكر قابل للتطبيق، ولقد طبقت تشريعاته في العهود الإسلامية وأعطت نتائج باهرة. ينقل المؤرّخون أنه كانت توجد في مدينة البصرة أنهار تسير فيها الزوارق؛ بلغ

عددها - أي الأنهار - اثني عشر ألفاً!).

لقد تضمنت التعاليم الإسلامية بخصوص الزراعة وتطويرها وتحسينها، خطوات بسيطة وسهلة ودقيقة في آن واحد، أي أنها مع دقتها وسهولة تنفيذها تضمن النجاح الأكيد في النتائج، إذ يقول سماحة المرجع الشيرازي حول هذا الموضوع: (كل شخص يزرع أرضاً فهي له سواء كان مسلماً أم يهودياً أم نصرانياً أم مشركاً أم عابداً وثناً. يقول الإسلام: الأرض لله فمن يزرعها فهي له، ولا يسأل عن الزارع بعد ذلك؛ ما دينه؟ وما لونه؟ وما هي جنسيته؟ ومن أي منطقة هو؟ وهل هو من أهل البلد أم لا؟ ولا تسأل عن عمره، وعن المادة التي يريد زراعتها. يقول لك الإسلام: ازرع ما شئت ومهما شئت ما لم يكن من الأمور المحرمة الضارة بالمجتمع فإنه لا ضرر ولا ضرار في الإسلام). ثم يضيف سماحته قائلاً: (إبحث في كل الحضارات المعاصرة والباءة هل تجد مثل هذه الحرية وهذا التمليك؟ أم ستلاحظ وجود مئات القيود والمواد القانونية التي تحرم الكثيرين من زراعة الأرض وإعمارها؟).

شبكة النبأ المعلوماتية - الخميس ٢/شباط/٢٠١٢ - ٩/ربيع الأول/

١٤٣٣

(٧)

تنمية الزراعة والعمران في النموذج الإسلامي

لا تنحصر السياسة في مجال صنع القرار وتنفيذه فحسب، فهي تمتد لتشمل ميادين الحياة كافة، فلا تخص قرارات الحرب مثلاً ولا تنحصر مهامها بحفظ الأمن داخل الدولة وخارجها مقابل إهمال الشؤون المهمة الأخرى التي تتعلق بطبيعة حياة الناس وأنشطتهم المختلفة.

فالسياسة نشاط كلي شامل يمتد الى جوانب وميادين الحياة كافة، وهكذا كان ساستنا العظام، حيث الاهتمام ببناء الدولة في مجالات الزراعة والصناعة والعمران وغيرها من المجالات المادية، ولم يهملوا العلم بأنواعه كافة، فكان اهتمامهم كبيرا بالثقافة والفن وترجمة الكتب العلمية والافادة منها في تطوير البنى المادية كافة، فلم يكن اهتمامهم في هذا الجانب على حساب جانب آخر، فكان للزراعة حصتها من الاهتمام ومثلها حصة للبناء والعمران وكذا بالنسبة لبناء الجيش وما شابه بحيث تتشكل الدولة على اسس مادية وعلمية متوازنة تجعلها قوية البنيان في جميع المجالات.

ولقد شكوا كثير من الناس إهمال الزراعة وكذا الامر بالنسبة للصناعة، وثمة من السياسيين القادة وغيرهم من يتذرع بهذا السبب او ذاك لا سيما حفظ الامن وما شابه مقابل خلل فادح في مجالي الزراعة والعمران، الامر الذي أحدث نوعا من البطالة والبطالة المقنعة حيث انتشرت في عموم البلاد، في هذا الوقت يتساءل كثيرون أننا نملك الارض والموارد فلماذا نبقي تحت رحمة البطالة والجوع والعوز؟

لقد كان لنا في تجربة الاسلام دروسا مهمة في هذا المجال، حيث لا تُترك الارض من دون زراعة وحيث ينشط الانسان في البناء هنا او هناك، خلافا للحاضر المؤسف الذي تردت فيه الزراعة والصناعة وضعف العمران لدرجة ان سكن الانسان بات صعبا في ظل غياب الاهتمام في هذه الجوانب، مع أننا كان يمكن أن نستفيد من تجاربنا القديمة في هذا المجال.

يقول سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله) في كتابه القيم الموسوم بـ (السياسة من واقع الاسلام) حيث أكد سماحته قائلا:

(اتخذ الإسلام سياسة حكيمة، في ازدياد العمران والزراعة، التي بهما تكون رفعة الدولة أو سقوطها، وذلك بإباحة الأراضي لمن عمّرها بالبناء، أو الزراعة، أو فتح قناة، أو شق عين، أو تشييد المصانع والمعامل، أو غير ذلك. وبالتحديد إلى العمل والزراعة، واتخاذ دور وسيع، وغيرها).

فإذا كانت الجهات التنفيذية مشغلة بأمور أخرى، فيمكنها أن تسن بعض التشريعات التي تبيح للمواطنين لاسيما العاطلين منهم أن يزرعوا الأراضي الواسعة وفق خطط مدروسة تضعها الدوائر والمؤسسات الزراعية المعنية بدلا من البقاء تحت رحمة الجوع والبقاء من دون عمل أو دور في الحياة، وهي طرق مشروعة يمكن أن تذهب إليها الجهات الرسمية زيادة للزراعة والعمران في آن واحد، فقد كان المسلمون سباقون في هذا المجال كما يذكر المؤرخون ذلك، وقد ورد في كتاب المرجع الشيرازي نفسه بهذا الصدد:

(وقد وصف الاصطخري^(١) مدينة البصرة وصفاً بمثل ما كانت عليه أرض العراق من العمارة في عصره، قال: البصرة مدينة عظيمة، لم تكن في أيام العجم، وإنما مصرّها المسلمون، وليس فيها مياه إلا أنهار. وذكر بعض أهل الأخبار، أن أنهار البصرة عدت أيام بلال بن أبي بردة فزادت على مائة ألف نهر وعشرين ألف نهر، تجري فيها الزوارق)^(٢).

فإذا كان حال الزراعة والعمران كهذا الوصف قبل مئات السنين، فما بال المسؤولين لا يستفيدون من تلك التجارب للنهوض بواقع الزراعة راهنا؟

(١) هو أحد المؤرخين في القرن الرابع الهجري.

(٢) الزوارق: جمع زورق وهو: ضرب من السفن الصغيرة. انظر مجمع البحرين: ج ٥ ص ١٧٦

مادة زرق.

فأرضنا واسعة وماؤنا وفير فيما لو تم ترشيد الاستهلاك وتوجيهه بالطريقة الأمثل، لذا يبدو أننا بحاجة قصوى الى تخطيط سليم وتنفيذ أسلم، نعم نحن نرى الآن كثيرا من الاعمال العمرانية والاشغال التي تتوزع المدن وغيرها، بيد أن الامر ينطوي على عشوائية واضحة، لذلك يبقى الامر مرهونا بطرق التخطيط والتنفيذ الذي ينبغي أن يقوم عليه قادة منخلصون يكون همهم الاول مصلحة الناس وتطورهم واستقرارهم كما كانت عليه الدولة الاسلامية، إذ يذكر لنا سماحة المرجع الشيرازي بعض الامثلة في هذا المجال في كتابه نفسه قائلا:

(وأما الزراعات، فهي أيضاً كانت بكثرة هائلة منقطعة النظير – حتى بالنسبة إلى هذه الأيام التي سهلت فيها الزراعات، وصنعت مكائن تعمل لإستخراج المياه ورش البذور والحصاد وغيرها –. فالعراق كان يسمّى بـ أرض السواد، لأنّ الشخص في العراق أين ما كان يذهب أو يحل، يبصر – بمرمى بصره – الزراعات، وكان يقول واصفو مزارع العراق: إنّه لا يوجد فيها فدان غير مزروع).

وهكذا على قادة اليوم أن يتعلموا من التأريخ وتجاربه، فإذا كان حال الزراعة على هذا النحو المشرق قبل مئات السنين فما الذي يجب أن تكون عليه الآن؟ في ظل التطور التقني والمكننة الزراعية وما شابه.

لذا نهيب بمن يتصدر سياسة البلاد وقيادته أن يأخذ من تجربة الاسلام في الزراعة والعمران إنموذجا لتدعيم الواقعين الزراعي والعمراني لكي يتم تجاوز محنة البطالة المستشرية بين اوساط الشباب وغيرهم ناهيك عن الفوائد المادية والمعنوية الكبيرة في هذا المجال، ومع أننا لم نتطرق إلا لشواهد عمرانية وزراعية قليلة للتذكير لكننا نجد في كتاب سماحة المرجع الشيرازي

دلائل ونماذج كثيرة وكبيرة في الوقت نفسه يمكن ان تكون دليلاً لسااستنا في هذا الجانب الهام إذ يقول سماحة المرجع الشيرازي:

(هذه الشواهد وإن كانت لا تعطينا صورة تفصيلية عن العمران والزراعة في ظل الحكم الإسلامي في البلاد الإسلامية كلها، إلا أنها تكفي لأن تكون أنموذجاً عن ذلك).

شبكة النبأ المعلوماتية - السبت ١/أيار/٢٠١٠ - ١٦/جمادى الأولى /

١٤٣١

(٨)

السياسة الصحية من منظور اسلامي

كما توضع الخطط الاستراتيجية للبرامج السياسية وغيرها، ينبغي أن تكون هناك خطط علمية واضحة تتعلق بتسيير الجانب الصحي وامكانية او طبيعة تطبيق البرامج الصحية على ارض الواقع نظرا لما يتميز به هذا القطاع من أهمية تخص عموم الشعب، ولعل المفارقة الغريبة التي يستطيع المتابع ان يرصدها تتمثل بالعلاقة العكسية بين ازدياد الامراض البشرية مع ازدياد الامكانيات الصحية سواء من حيث الاختراعات المتواصلة للعقارات واللقاحات الجديدة او من حيث العدد والاجهزة الطبية المتطورة التي تشترك في العمليات الطبية الجراحية وغيرها.

فماذا نفسر مثلا قلة الامراض سابقا (قبل خمسين او ستين سنة مثلا) مع قلة الامكانيات البشرية في الجانب الصحي؟ ولماذا كان مرض السكتة القلبية على سبيل المثال يشكل نسبة تكاد لا تذكر بين المسلمين على وجه الخصوص؟.

إن الغرض من طرح مثل هذه الاسئلة هو البحث عن الاسباب التي تقف وراء هذا الصعود المذهل في نسبة الامراض التي تصيب الناس على الرغم من تطور الاختراعات والاكتشافات الطبية سواء بالنسبة للعلاج او الاجهزة الطبية الحديثة، إن الاسباب قد تكون متعددة وربما تشمل مجالات يصعب حصرها غير ان الخلل لا بد أن يتركز في النظام الصحي المتبع حالياً لا سيما في المجتمعات الاسلامية، إذ تم الابتعاد عن الارث الصحي الاسلامي، ويقول المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي حول هذا الموضوع في كتابه السياسة من واقع الاسلام في فصل (سياسة الإسلام في المجال الصحي):

إننا (حين لا ننكر ما للطب الحديث من التقدم في بعض المجالات، نتساءل:

لماذا أصبح الطب اليوم - بما أوتي من حول وطول - عاجزاً عن معالجة المرضى، ومكتوف الأيدي أمام هذا العدد الهائل من الأمراض؟
ففي كل بلد يكون كبيراً، ترى المرضى يعدون بالألوف.. والأطباء بالمئات.. والصيدلة ومخازن ومستودعات بيع الأدوية والعلاج بالمئات.
ولو قسنا هذه الكمية الكبيرة بعهد الإسلام وعدد المرضى فيه لكانت النسبة واحداً بالمائة، أو أقل بكثير^(١).

(١) الإحصاءات الحديثة في مختلف دول العالم توفنا على المدهش كثيراً في هذا المجال. سواء في ذلك الدول الغربية، أو الشرقية، أو الدول النامية - كما يعبرون -

وقد التقيت - أنا شخصياً - بطبيب خاص بعلاج (مرض السكري) في بلد صغير لا يعدو كل سكانه مليون نسمة، وكان الطبيب واحداً من عديدين يعالجون السكري، قال لي بالحرف الواحد: «إنني أعالج تسعة آلاف مريض مصاب بالسكري». هذا مع غض النظر عن ألوف الأمراض الأخرى، ومئات الأطباء الآخرين. وعلى هذه القصة الصغيرة فقس غيرها. وليس

أليس ذلك دليلاً على رشد الإسلام في سياسته الصحيّة، وفشل غير الإسلام في هذا المجال؟

فالأطباء يضاعف عددهم سنوياً بالألوف. والمستشفيات في ازدياد. والتجارب الصحيّة في تقدم. والمرضى ملء الدنيا. والأمراض طبقت البلاد. فهل هذه سياسة صحيّة رشيدة؟).

وهكذا نلاحظ الغرابة فيما يحدث على أرض الواقع، ونلاحظ هذا التباين الغريب بين تطور الطب وازدياد الامراض بصورة كبيرة، وهذا ما يدفعنا الى الاتفاق مع رأي المرجع الشيرازي الذي يؤكد بأن ثمة خلل في الأنظمة الصحيّة المتبعة في الدول الاسلاميّة، ويورد سماحته بعض الأمثلة للمقارنة بين ما كان عليه النظام الصحي إبان الحكم الاسلامي وبين ما أصبح عليه حين تنكّر المسلمون لارثهم وخبراتهم المتراكمة في هذا المجال، وفي هذا الصدد يقول سماحته في كتابه القيم الموسوم بـ (السياسة من واقع الاسلام):

(ولنضع هنا مثلاً يكون نموذجاً واحداً لما قلناه عن سياسة الصحة في

الإسلام:

فقد كان المسلمون غالباً حسب أوامر الشريعة الإسلاميّة المتكررة والمؤكّدة يعمدون إلى تقليل كمية الدم من كل فرد في كل عام على الأقل مرة واحدة خصوصاً في أيام الربيع حيث يهيج الدم، تبعاً لتهايج كل ما في الكون من إنسان، وحيوان، ونبات، وأجهزة، وطاقات وغيرها.

→

المقصود من ذلك التنقيص من قدر الأطباء ومهمتهم الإنسانيّة، فإنّ فيهم المؤمنين والأخيار والملتزمين بموازين الإسلام والإنسانيّة، يعرفون مسؤوليتهم أمام الله، وإنما المقصود بيان ضعف السياسة الصحيّة المعاصرة.

وذلك بعملية -الحجامة- أو عملية -الفصد-^(١).
وقد ورد في الأحاديث الشريفة أن تقليل الدم أمان من موت الفجأة،
وكذا فهو أمان من السكتة القلبية. والشلل المؤدّي إلى ذلك.
ومما ورد في ذلك حديث شريف للإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام
حيث قال: «الدم هو عبد وربما قتل العبد سيده»^(٢).
ولكن الطب الحديث جاء ليمنع عن تقليل الدم منعاً باتاً وكان نتيجة
ذلك - وغيره أيضاً - انتشار السكتة القلبية في طول البلاد وعرضها، ومن
أقصاها إلى أقصاها).
وهكذا لاحظنا أن ترك الخبرات الصحية المتراكمة من الارث
الاسلامي يتسبب بمردودات عكسية واضحة تتطلب إعادة النظر بالنظام
الصحي الراهن الذي يشير الى فشل الجهات المعنية بتقديم الخدمات الصحية
المطلوبة للمواطنين، وهذا ما جعل الفقير الذي لا يملك أموالاً للعلاج يعاني
من العلل والامراض اكثر من الثري بكثير ناهيك عن الخلل المؤثر أصلاً في
الانظمة الصحية القائمة الآن والتي تعتمد بصورة شبه كلية على أنظمة الغرب
الصحية التي تأكد فشلها على أكثر من صعيد، وفي هذا الصدد يقول سماحة
المرجع الشيرازي في كتابه نفسه:
(وقد انكشف للطب الحديث - أخيراً وبعد أن راح ضحية هذا الخطأ

(١) الحجامة: هي إخراج الدم الفاسد بواسطة الممص - آلة المص - من العروق الدقيقة،
والشعيرات الدموية المبتوثة في اللحم، بما من شأنه تصفية الدم، ممّا يساعد على تنشيط
الدورة الدموية، وتوجب الرشد. والفصد: هو شق الوريد بإخراج مقداراً من الدم كما هو نقياً
كان أو غليظاً، وكما أنّ الحجامة تنشّط البدن فالفصد يُضعفه.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١ ص ٨٥ ب ٢٢ ح ١١.

الملايين من البشر موتاً بالسكتة القلبية - خطأ هذا الرأي، وأنّ النافع للبدن والصحيّ للإنسان هو تقليل الدم. ومما نشأ عن ذلك توجيه الأطباء للناس النصيحة بتقليل الدم. ففي إحدى إذاعات دول الغرب ذكر أحد شخصيّات الطبّ الحديث في خلال بحث له أنّ:

تقليل الدم، أو التبرع بالدم أمر صحي ضروري لكل إنسان، وهذا بدوره يمنع تصلب الشرايين الذي يؤديّ غالباً إلى تخثر الدم، الذي يمهد الطريق إلى انسداد صمام القلب، وتوقف القلب، وبالتالي -السكتة القلبية-. وإنّ عملية -الحجامة أو -المشرط- التي كان المسلمون يزاولونها هي التي تركت نسبة الموت الفجائي فيهم قليلة ضئيلة).

إن هذه الملاحظات الهامة تشير بوضوح الى ضرورة أن يتبنى المسلمون نظاماً صحياً مختلفاً عما هو عليه الآن سواء من ناحية البنية الادارية للمنشآت والمؤسسات الصحية او طرائق العلاج التي قد تتنكر للخبرات الانسانية والاسلامية في هذا المجال، وبذلك يمكننا بالسعي والاخلاص أن نصل الى تبني نظام صحي ملائم لنا ومنبثقاً من ارثنا وخبراتنا ومواهبنا وإمكانياتنا الراهنة في هذا المجال الحيوي.

شبكة النبأ المعلوماتية - الاثنين ١٣/تموز/٢٠٠٩ - ٢٠/رجب/١٤٣٠

الباب السابع

القائد والحاكم في الاسلام

الفصل الأول: الانموذج والقُدوة

- ◆ الإمام علي مدرسة الحاضر والمستقبل
- ◆ قادة اليوم وضرورة الاقتداء بالنموذج الأمثل
- ◆ القائد السياسي نموذج الشعب الأمثل
- ◆ السياسيون الناجحون إقتصاديون متميزون
- ◆ القائد السياسي الإسلامي بين الأمس واليوم
- ◆ هل يمكن للسياسي أن يكون قائداً ذا منهج إنساني
- ◆ مزايا الحكم في التاريخ الإسلامي المشرق
- ◆ القيادة الى المدنية والتحضّر

الفصل الثاني: أخلاقيات القائد

- ◆ السياسيون وضرورة العمل بمبدأ بسط العدل وضبط النفس
- ◆ القادة وإيثار الشعب على النفس... طرق الى الخلود
- ◆ المسئولون وكبح الأهواء
- ◆ القادة السياسيون وألوية تربية النفس

الفصل الثالث: رعاية الجماهير

- ◆ مسؤوليات القادة والمصلحين في تربية أفراد المجتمع
- ◆ الحاكم ومبدأ التعامل... من الحاشية والمقربين

- ◆ القيادة الناجحة تكمن في خدمة الشعب
- ◆ حكمة القائد السياسي والحريات العامة
- ◆ القائد السياسي ومعاملة الناس بالحُسنَى
- ◆ تواضع الحاكم للشعب سبيله للنجاح الدائم
- ◆ حياة القائد مدرسة الأجيال
- ◆ الحاكم ومبدأ التعامل... من الحاشية والمقربين
- ◆ أهمية المسؤولية التربوية للقادة السياسيين

الفصل الأول: الأنموذج والقُدوة

(١)

الإمام علي مدرسة الحاضر والمستقبل

في كل عام يعيش العالم الإسلامي ذكرى عظيمة تأخذ عظمتها من عظمة الشخصية التي أصبحت نبراساً مرشداً وفناراً هادياً للبشرية جمعاء، إنه الامام علي بن ابي طالب عليه السلام، فهو صوت الحق على مر التاريخ، وهو مدرسة الصدق والتوازن والتّوَاد والخلق العظيم، ومدرسة الانسانية في مناحي الحياة كلها، في السياسة والاقتصاد والعلوم الانسانية وغيرها، ويحق للعالم الاسلام حقا أن يفخر والى الابد بهذه الذكرى العظيمة حيث أنجبت الانسانية مثالا خالدا ونموذجا عظيما يشكل مسارا للنهج البشري الناجح والملتزم في آن، فلقد تميّز الامام عليه السلام بإنسانيته الحقيقية المخلصة للانسان بغض النظر عن سماته او توجهاته، فطالما ينتمي هذا الانسان الى الجنس البشري فهو يقع تحت رعاية الامام واهتمامه المتواصل.

يقول سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله) في كتاب (من عبق المرجعية) بهذا الخصوص: (احدى خصال الامام علي - سلام الله عليه - خاصة في فترة خلافته تعاطفه مع الناس ويتجلى تعاطفه مع افقر الناس من خلال عمله).

ولهذا لم يسجل التاريخ حادثة واحدة تدل على أن الامام - عليه السلام - فضل أحدا على أحد من الرعية في الحقوق او الواجبات، حتى لو كان من ذويه أو مساعديه أو ممن يعتمد عليهم في ادارة شؤون الدولة، بل على العكس كان هؤلاء جميعا يقعون تحت مراقبة الامام عليه السلام الصارمة حتى لا يشط احد منهم فيؤدي عامة الشعب حتى لو تم ذلك من دون قصد، ولهذا كان عليه السلام لا يعبأ بالسلطة او الجاه او النفوذ، ولا يهتم بالحكم إلا بحدوده الادارية الناجحة والمتوازنة، لذلك كان الزهد عنوان حياته عليه السلام، يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا الخصوص بالكتاب نفسه:

(لم يضع الامام علي - سلام الله عليه - حجرا على حجر، ولم يسكن قصرا فارها، بل تحمل كل المصاعب، والآلام، لئلا يكون هناك فرد في اقصى نقاط دولته، يتبيح بفقره، فلا يجد حتى وجبة غذاء واحدة تسد رمقه).
ويضيف سماحته قائلا في هذا الصدد: (كان امير المؤمنين علي عليه السلام عادلا في الرعية قاسما بالسوية زاهدا في حطام الدنيا).

ومع كونه عليه السلام مركزا للقرار، بصفته قائدا محنكا للمسلمين، لكنه لم يرض قط أن يكون مصدرا للظلم، بل كان عليه السلام خير مناصر للضعفاء والفقراء، وكان يفضل أن يقع الظلم عليه وذويه خدمة للدولة الاسلامية، على خلاف القادة المعاصرين في الدول الاسلامية، فهو ما أن يشعر بالقوة والسلطة والنفوذ حتى يبدأ بظلم الناس وسلب حقوقهم، فيما كان الامام عليه السلام يقبل أن يقع الظلم عليه وذويه حتى لو كان الحق معهم لخدمة للاسلام، يقول سماحة المرجع الشيرازي بهذا الصدد: (الانسان القوي اذا وقع عليه ظلم، فانه يقع تحت تأثير نفسه الامارة، عادة ما يسعى للانتقام، وتوسوس له نفسه وتنسيه دينه، وتجعله خاضعا لمشاعر الانتقام، ولكننا نرى الامام امير المؤمنين - سلام

الله عليه - يختار السكوت من اجل صالح دينه).

ومن دروس الامام علي عليه السلام العظيمة، أنه كان لا يبادر المناهض له بالخشونة سواء بالفعل او بالكلام، بل كان النصح والحوار الانساني المتحضر يتقدم على كل الاساليب والوسائل، لاسيما وسائل القوة والقمع والاحتراب، فهو عليه السلام بعيد عنها إلا ما جاء منها دفاعا عن النفس لا أكثر، وهذه الاخلاقيات السياسية العظيمة يمكن أن تسهم ببناء عالم معاصر أفضل فيما لو أخذ بها ساسة وقادة اليوم، فقد ذكر سماحة المرجع الشيرازي قائلاً في هذا الصدد: (كان الامام علي عليه السلام يدفع من ناهضه بالنصح والموعظة ما امكن وكان يسعى للحؤول دون وقوع الحرب واراقة الدماء سواء عن طريق المواعظ الفردية والجماعية او غيرها ولكن اذا وصل الامر بالطرف الاخر ان يهجم ويريد القتال قام الامام عليه السلام بدور الدفاع لا اكثر ولكن ما ان يتراجع الخصم او ينهزم حتى يتوقف الامام عن ملاحقته ولا يسعى للانتقام منه).

ومن أخلاقياته ودروسه الخالدة أيضا، أنه علّم الآخرين من القادة والساسة في عصره والعصور اللاحقة كيف تتم معاملة العدو وكيف تتقدم المبادئ الانسانية الراقية على السلوكيات المتوحشة، فالامام عليه السلام أعطى الانسانية درسا كبيرا في مبادئ واخلاقيات الصراع بمختلف أصنافه حتى الحروب، وفي هذا الخصوص يؤكد سماحة المرجع الشيرازي في الكتاب نفسه قائلاً:

(لم يأسر الامام علي عليه السلام من اعدائه حتى فردا واحدا ولا صادر او سمح بمصادرة اي شيء من اموال خصم وان كان رخيصة او عديم الثمن).
ومع هذه المبادئ والاخلاقيات العظيمة كان هناك زهدا عظيما بالجاه والنفوذ والسلطة بل بالحياة برمتها، من قبل الامام عليه السلام، إذ يقول سماحة

المرجع الشيرازي في هذا الصدد: إن (الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام) رفض وفضل ان تخرج الخلافة من قبضته... لا بل فلتذهب الدنيا كلها ويصبح العالم كله ضده ولا يتخلى عن مبادئه).

وهكذا يمكن للانسانية أن تصحح واقعها المعاصر استنادا الى هذه السيرة الانسانية السياسية الاخلاقية المبدئية الخالدة لمولى الموحدين الامام علي عليه السلام، وأن تجعل من ذكرى ولادته العطرة نقطة شروع لتغيير العالم الاسلامي والعالم الاجمع نحو الخير والسلام.

شبكة النبأ المعلوماتية - الخميس ١٦/حزيران/٢٠١١ - ١٣/رجب/

١٤٣٢

(٢)

قادة اليوم وضرورة الاقتداء بالنموذج الأمثل

(في ذكرى وفاة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله)

حين نعيش ذكرى وفاة أشرف الأنبياء وخاتمهم، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله حري بنا جميعا أن نفتدي بهذه الشخصية العملاقة التي أضاءت بأنوار علمها عتمة الظلام البشري حين كان يتخبط الإنسان في متاهات الجهل والتعصب والقتال والتشرد والأحقاد والضغائن التي فتكت ببني البشر.

ونظرا لما يعانيه المسلمون من إشكالات كثيرة لاسيما في الجوانب السياسية التي تتعلق بإدارة شؤون الناس، فإن السير على الخطى السياسية الحكيمة للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله سيتيح للسياسة أن تنهض بواقع المسلمين وترفع من شأنهم وتعطيهم مركزهم الذي يستحقونه بين الأمم كافة كونهم أصحاب

الدولة الإسلامية التي نشرت العلم والإيمان والإصلاح في ربوعها أولاً ثم نقلت تجاربها العظيمة الى عموم المعمورة ليرفل الانسان بمبادئ الاسلام وليعيش الاجواء التي تسمح له بإظهار قدراته في جوانب العمل والابداع وما شابه.

وفيما يتعلق بظروف المسلمين في العراق وما يمر به من مرحلة شائكة متداخلة وخطيرة، حيث التحولات الكبرى في الميادين كافة، ينبغي على الساسة القائمين على شأن هذا البلد ومواطنيه أن يقتدوا بالنموذج النبوي الخالد في كيفية إدارته للأمة الإسلامية آنذاك حين كان الجهل والظلام يسود على كل شيء، حيث قال سماحة المرجع الديني السيد صادق الحسيني الشيرازي في كتابه الثمين الموسوم بـ (السياسة من واقع الاسلام):

(لقد كان رسول الله ﷺ سيداً لساسة العالم، وأكبر سياسي محنك، فهو تلميذ الله تعالى، وأستاذ جبرئيل، وسيد الأنبياء ﷺ ومعلم البشرية أجمعين. وسياسته هي التي حيرت العقول، وأشخصت أبصار العالمين)..

وكيف لا تكون كذلك وهو ﷺ الذي تمكن من أن يقتحم العقول المتعصبة والقلوب المتحجرة والبصائر المغلقة الصماء التي كانت تقبع في قعر الظلمات ولكنه ﷺ بعلمه وروحته العظيمة وبسياسته في نشر مبادئ الدين الاسلامي الحنيف تمكن من ترويض النفوس والقلوب والسرائر ونقلها من حالتها الجاهلية المتردية الى ضفاف العلم والنور والايمان، وكل ذلك كان يتم وفق سياسة مخطط لها مسبقا وجلها تقوم على الاقناع والعلم والقبول الطوعي ثم الايمان بالتعاليم والمبادئ الاسلامية التي تنظم حياة المسلمين، فلا قهر ولا استبداد ولا تحكم أعمى ولا سيادة للمصالح الفردية على مصالح الجماعة ولا غبن ولا تجاوز على الحقوق ولا غبن في الواجبات بل ثمة توازن

منقطع النظير يحكم حركة الناس وفعالهم وافكارهم مما قاد الى تكوين نسيج اجتماعي اسلامي قمة في الانسجام والتفاعل الايجابي الخلاق، الامر الذي جعل من الدولة الاسلامية أعظم قوة عالمية في ذلك العهد مع ان كثيرا من المجتمعات قبل دخولها في الاسلام كانت تعاني الظلم والجور والتفرقة والتشردم، لكن السياسة النموذجية للقائد الاسلامي الأمثل ممثلا برسولنا الأكرم ﷺ غيرت الموازين لصالح المسلمين تماما، إذ يقول سماحة المرجع الشيرازي في كتابه القيم نفسه:

(وبهذه السياسة الحكيمة استطاع رسول الله ﷺ أن يجمع حول الإسلام أكبر عدد ممكن من البشر، في مدة قصيرة، أدهشت التاريخ، وأنست الأولين والآخرين، وأخضعت حكماء العالم لها إجلالاً وتقديراً.. مما لا يوجد في تاريخ العالم الطويل مثل ولا نظير لها).

نعم لقد نظر العالم أجمع بدهشة وإجلال وتقدير الى التجربة الاسلامية الفتية التي قامت في وسط بشري كان لا يعرف ما يريد ولا يعرف كيف يتخلص من عاداته القبلية المتعصبة ناهيك عن الكثير من اسباب الحقد والتصارع وغمط الحقوق التي جعلت منهم في حالة حرب دائمة وهو ما ادى الى رسوخ التخلف وسيادة الجهل إلا بعد أن ظهر الاسلام وعم ربوع الجزيرة وبدأت سياسة القائد الاسلامي النموذج تدير دفعة الامور وتنظم حياة المسلمين لتقلهم من أعماق الجهل والظلام الى ربوع العلم والتحرر والازدهار، وقد انطوت التجربة السياسية النبوية على جميع مجالات الحياة ومختلف شؤونهم كما يقول سماحة المرجع الشيرازي الذي قدم لنا في كتابه (السياسة من واقع الاسلام):

(مقتطفات موجزة عن السياسة الحكيمة لرسول الله ﷺ ولأمير

المؤمنين ﷺ، التي هي خير مرآة لسياسة الإسلام، ولمعاً سريعة عن الخطوط السياسية في الإسلام، في عامة المجالات الحيوية والإنسانية: في المجال الاقتصادي. والمجال الصحي. والمجال الثقافي. والحريات العادلة. ومكافحة الجرائم. والضمان الاجتماعي الفريد. والعمران والزراعة. والعلاقات الدولية. وتكثير النفوس. والسلام والحرب. وفي مجال السياسة الخارجية. والحدود والجمارك. والجنسية والجواز والإقامة. والحكومة العليا). إن هذا العرض السريع للتجربة السياسية الرائدة للحكومة الإسلامية الأولى، مع كل ما رافقها من صعوبات وإشكالات هائلة، تتطلب من ساسة اليوم في عموم العالم الإسلامي أن يقتدوا بالنموذج الأمثل المتمثل بسياسة النبي الأكرم محمد ﷺ وان ينهلوا من هذا النبع الحكيم الذي لا ينضب قط، خدمة للمسلمين وارتقاء بمكائنتهم بين امم العالم أجمع، وذلك من خلال التشبّه بسياسة النبي ﷺ القائمة على التسامح والعدل والمساواة وتكافؤ الفرص والتكافل واحقاق الحق والايثار في سبيل الآخرين وتفضيلهم على الذات الفردية ومصالحها التي غالباً ما تكون دنيوية زائلة.

شبكة النبأ المعلوماتية - السبت ١٣/شباط/٢٠١٠ - ٢٨/صفر/١٤٣١

(٣)

هل يمكن للسياسي أن يكون قائداً ذا منهج إنساني

كلنا نتفق على أن القائد السياسي يمكن ان يحمل في أعماقه سمات الانسان الصالح قبل أن يتسنى منصبه الحكومي المتنفذ، كما أن هذه السمات لا تموت في أعماقه بل ربما، تُخمد أو تسكن أو تُعزل الى حين بسبب مفعول السلطة الغريب الذي يأخذ بإزاحة السمات الانسانية لدى القائد وتحل

محلها سمات هي أقرب الى الطغيان والظلم لاسيما اذا كان هذا القائد غافلا وضعيفا في التحكم بنفسه وأهوائها.

وطالما أن السياسي انسان اولا فينبغي أن يحترس من رغباته قبل كل شيء وهذا يتطلب درجة مهمة من الايمان، أي أن يكون انسانا مؤمنا ويقدم هذه الصفة على كونه قائدا سياسيا، ومع أن اكتساب الايمان ووسم الانسان به بصورة حقيقية أمر في غاية الصعوبة لكنه ليس مستحيلا، لذا على القائد السياسي أن يجمع بين الصفتين، صفة الانسان المؤمن والقائد السياسي في آن واحد.

يقول سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله) بهذا الصدد في كتابه القيم (حلية الصالحين):
(أنّ المؤمن عملة نادرة. فالفرد كلّما حاول أن يصبح إنساناً جيّداً واجهته صعوبات كثيرة تحاول أن تثنيه، وربما أثنته. وليس ذلك لضعف في عطاء الله تعالى، بل لتقصير من جانب الإنسان نفسه؛ فإنّ شهواته قد تبلغ من الكثرة والقوّة ما تتطلّب جهداً إضافياً للسيطرة عليها. ونيل المعنويات والتغلّب على الشهوات يتطلّبان دائماً قوّة أكثر وعزماً أكبر مما هو مطلوب في سبيل نيل الشهوات، ولذلك ترى الناس عادة ما يبلغون المقصود في تحقيق شهواتهم أكثر مما يبلغون في كسب المعنويات).

إذن ثمة صراع بين الذات والاهداف المبتغاة، فمثلما يريد الانسان أن يرتقي ماديا عليه أن يعمل ويسعى لكي يرتقي معنويا وروحيا، وهذا ما ينبغي على القائد السياسي فعله، بمعنى مثلما يريد هذا القائد أن ينجح في قيادته السياسية للمجتمع عليه أن ينجح في سمة الايمان وتعميقه في شخصيته وسلوكه، لكي يتدرّج بهذا الايمان من زلل ومكائد الذات الدنيوية، لكننا

سنتفق على أن تحقيق هذا الهدف يتطلب جهوداً مضاعفة من لدن الإنسان السياسي وغيره، إذ يقول سماحة المرجع الشيرازي في كتابه نفسه: (فكما أنه لا خلاف في صعوبة الالتزام بالمعنويات، فكذلك لا خلاف في أنه كلما أراد الإنسان أن يحتلّ مساحةً أوسع من المعنويات كلّفه ذلك جهداً أكبر، حاله في ذلك حال من يريد الحصول على مساحة أوسع في الماديات؛ فإنّ ذلك يتطلّب منه بذلاً أكثر).

وهذا دليل آخر على أهمية الاصرار على اكتساب الايمان والسمو الروحي والمعنوي للقائد السياسي الذي عليه واجبين، الاول قيادة المجتمع ماديا بما يحقق له اهدافه وتطلعاته المشروعة، والثاني أن يتحصّن السياسي من أهواء النفس بواسطة قوة الايمان والسمو الروحي الذي ينبذ الغرور والتكبر بفعل السلطة ومغرياتها. ولعل أخطر ما يمكن أن يصيب أصحاب المناصب هو داء الغرور والتكبر اذا لم يفلح في تحصين نفسه من هذا الخطر الوشيك والدائم من خلال اصراره ونيته الصادقة في هذا الاتجاه، وليس صعباً على القائد السياسي أن يحقق نجاحاً واضحاً في هذا المضمار.

بمعنى يمكن للسياسي أن يبلور نيته للسيطرة على ذاته وهو قادر على ذلك، إذ يقول سماحة المرجع الشيرازي في (حلية الصالحين) أيضاً: (لقد أودع الله تعالى في الإنسان من الطاقات ما هي كفيلة بتصحيح مساره، لكنّه - الإنسان - كثيراً ما يضعف عن صيانة نيّته وحفظها عن الزبغ والتذبذب، فتراه يعجز عن الصعود والارتقاء بها إلى درجات الكمال العليا). من هنا على الانسان لاسيما القائد السياسي - بسبب امتداد مسؤولياته الى عموم المجتمع - أن يستثمر الطاقات اللامحدودة التي اودعها الله تعالى في كينونته لكي يكون قائدا انسانيا تتغلب فيه سمات الروح على أهواء

ورغبات المادة، وأن يحصن أعماله ومسؤولياته تجاه الجميع بالنوايا الحقيقية الصادقة الهادفة الى تقديم الخدمات الخالصة من أي هدف منفعي او مصلحة غير مشروع، لأن النية الصادقة تقود الى تحقيق العمل المستهدف بأسرع وأقصر الطرق وأكثر صحة ويسرا، حيث يقول سماحة المرجع الشيرازي بهذا الصدد في كتابه نفسه:

(فالنية إطار العمل، والعمل لا لون له، مثل الماء الصافي الذي لم تخالطه أجزاء ترايبية أو شوائب أخرى. فلو كان الماء صافياً جداً وصبّ في إناء زجاجي شفاف، حينها لا يتمكن الإنسان أن يبصر حدّ الماء من بعيد بسهولة، خصوصاً إذا كان ساكناً لا تموج فيه، وذلك لأنّ الماء في الأصل لا لون فيه وإنما يكتسب لون الإناء الذي يوضع فيه أو لون الشيء الذي يمتزج معه، أو غير ذلك. فالعمل كالماء بصفائه، وإنّ النية هي ذلك الشيء الذي يمنحه لونه).

وهكذا يمكن للقائد السياسي أن يتحصن بنوايا حقيقية وصادقة لادائه تجاه المجتمع مدفوعاً بقوة الايمان وسمو الروح وتغلب الجانب المعنوي في ذاته على الجانب المادي الدنيوي الزائل لا ريب.

شبكة النبا المعلوماتية - السبت ٥/حزيران/٢٠١٠ - ٢٠/جمادى

الآخرة/١٤٣١

(٤)

القائد السياسي الاسلامي بين الأمس واليوم

القائد السياسي عبارة عن مجموعة من الاخلاقيات والقيم التي يؤمن بها، ويطبّقها في عمله القيادي وحياته عموماً، منها حرصه على ثروات الشعب وتعليمه وترفيهه والصعود بمستوى حياته الى الافضل دائماً، وكلمما كانت هذه القيم أقرب الى الخير والصلاح، كلما كان ادائه القيادي سليماً عادلاً مفيداً لجميع الناس، والعكس يصح بطبيعة الحال، في الحكومات الاسلامية المعاصرة هناك خلل واضح في القيادة، إذ يمكن التمييز بين اداء الحاكم الاسلامي المعاصر والحاكم الاسلامي في صدر الرسالة، فقد كانت القيم العظيمة تحكم اولئك القادة، ولهذا السبب حققوا الانجازات المشهودة في تأريخ الدولة الاسلامية.

الاطلاع على التأريخ

إن القول بفشل الحاكم الاسلامي اليوم يستند الى أدلة قاطعة، قوامها الواقع المؤلم والمؤسف لعموم المسلمين، حيث يقبع المسلمون اليوم في مراتع الجهل والتخلف وضياع الحقوق، مقابل حكومات وحكام لا يهتمون من الدنيا سوى الحفاظ على مناصبهم ومصالحهم وبطانتهم، فيكنزون المال ويشترون العقارات داخل وخارج بلدانهم تصل قيمتها الى مئات المليارات من الدولارات، في حين يزرح تحت خط الفقر والجهل، مئات الملايين من المسلمين، من دون أن يفكر الحاكم الاسلامي بواجبه تجاههم، لهذا يدعو سماحة المرجع الديني، آية الله العظمى، السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظلّه) في احدى محاضراته القيمة الى قراءة التاريخ قائلاً: (اقرأوا التاريخ

ولاحظوا سيرة رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين علي - عليه السلام - وتاريخ أهل البيت عليه السلام، فإنه بالمقدار الذي كان لهم الامر، واتيحت لهم الفرصة، ماذا صنعوا؟ كان امير المؤمنين عليه السلام أكبر حاكم على وجه الارض، وكان يحكم أكبر دولة على وجه البسيطة في ذلك اليوم، ولكنه لما استشهد عليه السلام كان مديونا، هل سمعتم بحاكم وزعيم يموت مديونا؟!).

وعندما يموت الحاكم الاسلامي مديونا، مع أنه يحكم اكبر دوله في العالم في حينها، فإن هذا الامر يشكل دليلا قاطعا على عظمة هذا الحاكم، كما نقرأ في قول سماحة المرجع الشيرازي في هذا الصدد حول حكومة الامام علي عليه السلام: (إن رئيس اكبر حكومة على وجه الارض، الامام علي بن ابي طالب عليه السلام يموت مديونا وليس عنده شيء، ولذلك ظل الامام الحسن عليه السلام مدة مديدة وهو يسدد ديون امير المؤمنين عليه السلام وهذا كان شأن رسول الله ﷺ، أيضا، فقد كانت تأتيه الملايين ويوزعها ثم لما حضرته الوفاة قال - يا علي أنت قاضي ديني - حيث توفي رسول الله ﷺ وهو مديون وكانت درعه مرهونة.. وهذا أشهر من أن يذكر) ويضيف سماحة المرجع الشيرازي قائلا: (إن هذه الامور بحاجة الى تأمل، وعلينا أن نفتدي بهؤلاء الأطهار عليه السلام).

العفو وحرية الاختيار

ومن خصال الحاكم الاسلامي الناجح قدرته على العفو عن ألد أعدائه، وهي حالة قلما وجدناها لدى حكام اليوم، حيث القتل والبطش والاعدام الذي يطول المعارضين لأتفه الاسباب، كما حدث مثلا في حالة اعدام كل من يسب شخص الرئيس (الطاغية صدام)، لذا يتساءل سماحة المرجع الشيرازي في هذا المجال بالمحاضرة نفسها قائلا: (هل رأيتم مثيلا لسلوك

نبينا ﷺ في التاريخ، يحاربه قومه مع ما يعرفونه من صدقه وامانته، ونبله وكرم اخلاقه، بمختلف انواع الحروب القاسية، ويطردونه من موطنه، ومسقط رأسه، ثم يتركهم أحرارا، وما يختارون من دين وطريقة حياة!).

وكان مبدأ حرية الاختيار من السمات والخصال العظيمة للقائد الاسلامي، فليس هناك قسرية ولا اجبار، بل هناك فكر ومبادئ وإقناع، وحرية تامة في الخيارات المتاحة، كما نلاحظ ذلك في قول سماحة المرجع الشيرازي: (كان الرسول ﷺ يهدي قومه وينصحهم، ويوضح لهم طريق الرشد، ويميزه عن طريق الغي، ثم يترك الاختيار لهم).

أما بخصوص حرية اختيار الدين او الفكر او المعتقد، فإن الانسان حر في ذلك، وليس هناك قسرية ولا اجبار مطلقا، إذ يقول سماحة المرجع الشيرازي في السياق نفسه: (لقد ردّ النبي الاكرم ﷺ عشرات الحروب والاعتداءات التي شنّها أهل الكتاب، دون أن يجبر احدا منهم على الاسلام). وهذا تحديدا ما تنقله لنا وثائق التاريخ، فإذا كان التعامل مع الآخر يتم بهذه الطريقة المتحضرة، فمن المؤكد أن التعامل نفسه يتم مع الجميع، وهكذا تتوافر خصال العفو والحكمة والرحمة واحترام الحريات في شخص الحاكم الاسلامي قديما، ترى هل يتمتع حكام اليوم المسلمون بالمزايا نفسها؟؟.

واجب مقاومة الطغاة

لذلك على المسلمين أن يقاوموا الحكام الطغاة وحكوماتهم الغاشمة، بشتى السبل والوسائل المتاحة، وأن لا ييأسوا من صعوبة الطريق ومشاقه، لأن النصر مكفول لمن يسعى الى إعادة الامور صوب نصابها، وهذا هو ما ينبغي أن يعمل عليه الجميع، إذا لم يرتدع القادة الفاسدون، ولم تستجب الحكومات الفاسدة لمطالب الشعوب المشروعة، لذلك يحثنا سماحة المرجع

الشيرازي قائلاً بهذا الخصوص: (لا ينبغي على المؤمنين والمؤمنات، أن يتزلزل إيمانهم من خلال ما نشاهده هذه الايام، وعلى مر التاريخ من احداث توجب إخافة بعض المؤمنين، بل عليهم أن يراجعوا القرآن الكريم ويقرؤوه ويتدبروا آياته ليروا أية مواقف نصر الله تعالى فيها المسلمون وكيف نصرهم؟!).

لذا فإن تغيير الامور نحو الافضل هو واجب لجميع المسلمين والمؤمنين، خاصة إذا كانت الحكومات موغلة في اهمالها لجميع فئات الشعب وبالاخص البسطاء والضعفاء منهم، في حين تبقى منشغلة في مصالحها التي غالباً ما تأتي على حساب مصالح الرعية، واذا توكل المسلمون المؤمنون على ربهم، وسعوا بجديّة واخلاص نحو اهدافهم في نيل الحرية والحقوق المشروعة، فإن الله تعالى سيكون عوناً لهم، ويحدث هذا الامر خارج الحسابات المادية والعقلية المتعارف عليها، أي سيتنصر المسلمون حتى لو بدا لهم النصر بعيداً أو مستحيلاً بسبب بطش الحكومات وبغي الحكام، كما نقرأ في قول سماحة المرجع الشيرازي في هذا المجال: (لقد نصر الله المسلمين في مواقف كان النصر فيها يبدو مستحيلاً بالحسابات العقلية، ومع ذلك كتب الله لهم النصر، ومن تلك المواقف وأهمها معركة الاحزاب).

شبكة النبأ المعلوماتية - الخميس ٣/آيار/٢٠١٢ - ١١/جمادى

الآخر/١٤٣٣

(٥)

القائد السياسي نموذج الشعب الأمثل

القائد السياسي والحاكم الأعلى للشعب، ينبغي أن يكون قدوة لشعبه، لأن عيون الشعب تنظر إليه أولاً، وتحاول أن تتمثله، وتجسد أخلاقه، وسلوكه، وافكاره، وطريقته في التعاطي مع الحياة اليومية، كونه يمثل نموذجا جيدا لهذا الشعب أو هكذا ينبغي أن يكون، فغالبا ما تكون المراتب العليا في العلم والدين والسياسة محط أنظار الناس.

كذلك ينبغي على القائد السياسي أن يعي دوره القيادي ويتصرف بحكمة في تسييس الامور التي تتعلق بمصالح شعبه سواء في الداخل او الخارج، أي أن القائد مطالب بالنجاح حتى في سياسته خارج حدود شعبه ورعيته، وهكذا كان رسولنا الأعظم محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطيبين الأطهار، إذ كسب الجميع الى جانب الاسلام والمسلمين بسياسته التي كان يمثل فيها النموذج الامثل للجميع مسلمين أو غيرهم.

يقول سماحة المرجع الديني، آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله)، في كتابه القيم الموسوم بـ (السياسة من واقع الاسلام) بهذا الخصوص:

(استطاع رسول الله ﷺ بسياسته الحكيمة أن يجمع حول الإسلام أكبر عدد ممكن من البشر، في مدة قصيرة، أدهشت التاريخ، وأنست الأولين والآخرين، وأخضعت حكماء العالم لها إجلالاً وتقديراً.. مما لا يوجد في تاريخ العالم الطويل مثيل ولا نظير لها).

ويؤكد سماحة المرجع الشيرازي على النموذج القيادي الهام وما يمثله

بالنسبة للشعب، ويذكر في هذا الصدد بكتابه نفسه على أن:
 (القائد تكون أعماله درساً للشعب، ومنهاجاً للأجيال، ولذلك كان القائد متحملاً لما يمارسه الشعب نتيجة تعلمه منه، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. والحياة الشخصية للقائد أدق مدرسة للأجيال المتمسكة بذلك القائد، ولهذا كان من سياسة أمير المؤمنين عليه السلام بناء حياته الشخصية على الإيمان والزهد).
 وطالما أن تأريخنا الاسلامي في حلقاته المشرقة ينطوي على الدروس الرائعة لقادة الحاضر العربي والاسلامي، فلا بد لهم أن يدخلوا بطون التاريخ ويبحثوا في هذه الحلقات المشرقة في الجانب السياسي لقادة المسلمين في نموذجهم الامثل رسولنا الاكرم صلى الله عليه وآله والامام علي بن ابي طالب عليه السلام، حيث يذكر سماحة المرجع الشيرازي في كتابه المذكور نفسه:

(كانت سياسة أمير المؤمنين عليه السلام العملية خير درس للقادة وللمسلمين في تطبيق حياتهم العملية السياسية عليها، كما كان ذلك بالنسبة لرسول الله صلى الله عليه وآله).

لقد كان المسلمون اiban حكومة الامام علي عليه السلام متنعمين بالخيرات ويعيشون حياة متميزة بالمساواة والعدل والغنى المادي والمعنوي حيث تضاءلت حالات الفقر حتى تقلص الفقر بصورة تامة في ربوع الدولة الاسلامية والسبب الاساس يكمن في السياسة الحكيمة لقائد المسلمين وحرصه على أن يكون نموذجا أصيلا وحقيقيا يقتدي به افراد الشعب كافة، فحرص على أن يفضل الجميع من الافراد على نفسه وذويه وقد ترفع بنحو كبير على المنافع الفردية او منافع الحاشية والبطانة وكان حريصا على اموال الدولة الاسلامية وعلى توزيعها وفق سبل عادلة بين الجميع.

يقول سماحة المرجع الشيرازي بهذا الصدد في الكتاب نفسه:

(في الوقت الذي عمت الخيرات بلاد المسلمين وبفضل الإسلام، فكان المسلمون وغير المسلمين يرفلون في نعيم من الطيبات. وكانت الكوفة – عاصمة أمير المؤمنين عليه السلام – لا تجد بها إلا المنعم من الناس. في مثل هذا الظرف تجد سيد الكوفة، وسيد البلاد الإسلامية، وزعيم الإسلام: أمير المؤمنين عليه السلام لا يأكل حتى ما يأكله أدنى الناس).

ويضيف سماحته قائلاً في كتابه:

(كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لا يأكل اللحم في السنة إلا مرة واحدة، في يوم عيد الأضحى وذلك لأنّ هذا اليوم هو اليوم الذي يأكل فيه كل المسلمين اللحم، من وفور لحم الأضاحي.. فلكي يواسي إمام الأمة أضعف الأمة، يأكل اللحم في ذلك اليوم فحسب).

إن الشعب الذي يرى ويلمس مثل هذه الخصال في قائده لا بد أنه يتعلم منه ويكون مثاله ونموذجه في سلوك العدل والمساواة والترفع على ظلم الناس والتجاوز على حقوقهم، في جميع مجالات الحياة ومنها القدرة على ضبط النفس والتحكم بها تجاه اموال الشعب وثرواته، حيث تكون متاحة امام القائد السياسي وبامكانه التجاوز عليها في اي وقت كما حدث مع زين التونسي وحسني مصر حين سرقا اموال شعبيهما ثم وصلا الى النتيجة التي يستحقانها هما وجميع القادة الذين تصغر نفوسهم فتعتدي على اموال الفقراء وعموم الشعب، لهذا كان الامام علي عليه السلام ضابطاً لنزعات النفس وحاكماً لها، إذ يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا الصدد:

(كان علي أمير المؤمنين عليه السلام لا يحتكر أموال المسلمين، اقتداءً برسول الله صلى الله عليه وآله، بل يعمد إلى توزيعها فور وصولها إليه. وهكذا يجب أن يكون القائد الإسلامي).

كذلك لابد للقائد السياسي أن يحذر من اغراءات السلطة والجاه والقوة والنفوذ وأن تتسم حياته بالبساطة والابتعاد عن التجمّل والبذخ حتى يظل نموذجاً لشعبه وامته، إذ يؤكد سماحة المرجع الشيرازي في هذا الخصوص على أن:

(البساطة في الحياة الشخصية هي التي عُرف بها أمير المؤمنين عليه السلام، فكان لا يعبأ بالتجمّلات إطلاقاً، ولا يصرف ثواني من وقته في سبيلها. وهكذا ينبغي أن يكون القائد الإسلامي لكي يصرف أوقاته كلها في أمور المسلمين والمستضعفين).

فحريّ بحكام اليوم من المسلمين والعرب أن يستفيدوا بعمق من المدرسة السياسية القيادية للإمام علي عليه السلام، فهي التي ستمدهم بما يحتاجونه من دروس عظيمة تصحح مكامن الزلل والتجاوز على حقوق الشعوب، إذ يقول سماحة المرجع الشيرازي:

(على الحكّام، والقضاة، والرؤساء أن يطبقوا سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في حياتهم الشخصية أولاً، لكي يأمن المجتمع من الظلم والحيث، ثم يطبقوا سيرته عليه السلام في السياسة والاقتصاد والاجتماع والتربية وما إليها).

شبكة النّبأ المعلوماتية - الخميس ٣/ آذار/ ٢٠١١ - ٢٧/ ربيع الأول/

(٦)

القيادة الى المدنية والتحضّر

شعوب العالم أجمع، كلها تتطلع الى وضع أفضل، و حياة أجمل واكثر رحمة وانسانية، حيث يعيش الجميع في ظل دولة مدنية معاصرة، تحفظ حقوق الضعيف والقوي، الفقير والغني، والمتنفذ والعادي، فالكل سواسية امام القانون والنظام، لكن هذا الحلم الأزلي، لم يتحقق لكثير من الشعوب حتى الآن، لاسيما في الدول التي تتخذ من الاسلام دينا رسميا لها، حيث الظلم والانتهاك والتجاوز على حقوق الشعب هي السمات البارزة لأنظمة الحكم في هذه الدول.

اختلاف العقول والعواطف

من سنن الحياة أنها ترعى الاضداد، حيث النهار والليل والحزن والفرح والابيض والاسود والخير والشر، هذه الثنائيات، تجعل من الانسان ذي تركيبة نفسية متصارعة، لهذا تختلف عقول وعواطف واذواق وآراء الناس، لاسيما الشيوخ والشباب، الامر الذي يؤدي الى صعوبة وجود النموذج القيادي الامثل، لأن هذه المتضادات الفكرية وسواها قد تزيد من هوة الاختلاف بين الناس، يقول سماحة المرجع الديني آية الله العظمى، السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله) في توصيف هذه الحالة كما ورد في كتابه القيم الموسوم بـ (السياسة من واقع الاسلام): (ان الناس كما يختلفون في أشكالهم، وألوانهم، ولغاتهم.. كذلك: يختلفون في أذواقهم، وعقولهم، وعواطفهم. ويختلفون في إدراكهم، وفهمهم، وتحليلهم. ويختلفون في خلفياتهم،

ونظراتهم، ومعطيائهم. فبين شباب لا ثقة لهم بفكر الشيوخ. وبين شيوخ لا ثقة لهم بتجلد الشباب. ومن هنا تلعب الأهواء، والميول، والاتجاهات.. في هذا المجال - أي في السياسة - أدوارها الفعالة).

ولكن يحكي لنا التاريخ عن شخصيات قيادية عظيمة استطاعت أن تقفز بشعوبها الى بر الامان والتطور، بعد الظلام والقحط والفقر والحروب والقتال، كما نلاحظ في قيادة رسولنا الاكرم محمد بن عبد الله ﷺ، حيث نقل بحنكته السياسية، شعب الجزيرة الى مصاف الشعوب المتطورة، فبنيت دولة الاسلام التي كانت تعد من أقوى دول العالم آنذاك، لذلك تمكن الرسول أن يجمع حوله جموعاً هائلة من البشر آمنت به وسارت خلفه، نتيجة لسياسة حكيمة وشخصية عظيمة، إذ يقول سماحة المرجع الشيرازي بهذا الخصوص في كتابه المذكور: (لقد كان رسول الله ﷺ سيداً لسانة العالم، وأكبر سياسي محنك، فهو تلميذ الله تعالى، وأستاذ جبرئيل، وسيد الأنبياء ﷺ ومعلم البشرية أجمعين. وسياسته هي التي حيرت العقول، وأشخصت أبصار العالمين.. وبهذه السياسة الحكيمة استطاع رسول الله ﷺ أن يجمع حول الإسلام أكبر عدد ممكن من البشر، في مدة قصيرة، أدهشت التاريخ، وأنست الأولين والآخرين، وأخضعت حكماء العالم لها إجلالاً وتقديراً.. مما لا يوجد في تاريخ العالم الطويل مثيل ولا نظير لها).

القائد السياسي ونكران الذات

لذا ينبغي على حكام اليوم - لاسيما المسلمين - ان يكونوا قدوة لشعوبهم، من حيث الخصال القيادية والانسانية الحميدة كالشجاعة والوفاء والزهد والايثار ونكران الذات وما شابه، لأن عيون الناس تراقب ما يفعله القائد واسماعهم تتلقف اقواله، كونه نموذجاً لهم، فاذا كان شجاعاً ستتقل

هذه الصفة او الملكة الى عموم الشعب والعكس يصح، يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا الصدد: (إن رسول الله ﷺ كان دائم الحذر، ودائم الانتباه لكل ما يحدث أو يجري حوله بحيث يكون هو أول من يصل مكان الحادث، ويأتي المسلمون فيصلون بعد رسول الله ﷺ إلى ذلك المكان، وهذه هي السياسة الشجاعة التي قلما يذكر التاريخ له نظراء في القادة والساسة. وليس على قادة المسلمين — من أتباع الرسول ﷺ — إلا أن يتخذوا مثل ذلك شعارهم الذي يعرفون به حتى يكون المسلمون باطمئنان في وصولهم إلى الغاية في مسيرتهم السياسية الطويلة والشائكة).

حتى الصفات والخصال الاخلاقية تنتقل من القائد الى شعبه، أي اذا كان ملتزماً خلوفاً زاهداً، هذه الصفات تظهر في نشاطاته العملية او في خطاباته الموجهة الى الشعب، ومنها على سبيل المثال مبدأ الوفاء كما كان لدى نبينا الاكرم ﷺ، حيث يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا المجال: كانت (سياسة الرسول ﷺ التي هي: إدارة البلاد والعباد بمعناها الصحيح كما يحب الله تعالى ويرضاه، كانت مبتنية أيضاً على الوفاء بالوعد، والالتزام بالقول، والوفاء الخلفي. وقد ذكر المؤرخون الكثير من القصص الرائعة في ذلك).

منظومة الفضائل والاخلاق

وهكذا تكون منظومة الاخلاق والفضائل دافعاً لتحسين خصال الشعب، إذا لاحظها موجودة لدى قائده، ومنها على سبيل المثال الكرم وقضاء حوائج الناس والسخاء في محله، على أن يتم ذلك بعدالة ومساواة تامة، فلا فرق بين هذا الشخص او ذاك، فطالما هم ابناء شعب واحد ينبغي أن يكون التعامل الانساني والتكريم متساوياً بينهم، إذ يؤكد سماحة المرجع الشيرازي قائلاً

بهذا الخصوص في كتابه نفسه: (كان رسول الله ﷺ مضرب المثل في العطاء والكرم والجود، حتى قيل عنه: - إنه يعطي عطاء من لا يخاف الفقر-. فكان يعطي للمهاجرين. ويعطي للأنصار. ويعطي لأهل المدينة. ويعطي لأهل القرى والأرياف. ويعطي للمسلمين. ويعطي للمنافقين. ويعطي للكفار أيضاً، تأليفاً لقلوبهم).

إن التأثير الكبير الذي تركه شخصية القائد في شعبه، تؤكد أهمية بل حتمية ان يكون هذا القائد نموذجاً لشعبه، ولا يجوز في أي حال أن يكون القائد ذا شخصية فاشلة أو مترددة او تتسم بالشرهة والاستحواذ والدناءة، أو الخداع والتضليل والمرءاة، لاسباب مهمة أولها أنه سيفشل في قيادة الدولة والشعب، والثاني انه سينكشف للجميع ويتم اسقاطه من عرشه مهما كلف الامر من تضحيات، لذا على قادة اليوم المسلمين أن يكونوا النموذج الامثل لشعوبهم بكل ما يتصف به الانسان من خير ورقي وانسانية في القول والفعل. وهكذا كانت شخصية أماننا العظيم علي بن ابي طالب ؑ، حينما كان قائداً للدولة الاسلامية. حيث كانت شخصيته تلقي بتأثيرها الاخلاقي والانساني الكبير على عموم الامة، يقول سماحة المرجع الشيرازي بهذا الخصوص: (القائد تكون أعماله درساً للشعب، ومنهاجاً للأجيال، ولذلك كان القائد متحملاً لما يمارسه الشعب نتيجة تعلمه منه، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. والحياة الشخصية للقائد أدق مدرسة للأجيال المتمسكة بذلك القائد، ولهذا كان من سياسة أمير المؤمنين ؑ بناء حياته الشخصية على الإيمان والزهد).

شبكة النبأ المعلوماتية - الخميس ٢٤/آيار/٢٠١٢ - ٢/رجب/١٤٣٣

(٧)

مزايا الحكم في التاريخ الاسلامي المشرق

الحكم هو ادارة شؤون الناس بما يحفظ حقوقهم وحررياتهم ويضمن اداء واجباتهم حيال الدولة التي ينتمون إليها، وفي حالة فشل الحكم (الحكومات وحكامها) في ضمان حقوق وحرريات المجتمع، فإن الاسباب تتمثل بتفضيل مصلحة الحاكم واتباعه على مصلحة الفرد والشعب عموماً، لذلك لكل حكم وحكومة مزايا ونواقص، تتمثل المزايا بنجاح الحكومة في ادارة امور المجتمع، أما النواقص فتعود الى الظلم والقمع والتجاوز على حقوق الافراد لصالح الحاكم.

القائد السياسي النموذج

لقد كانت أمة الاسلام بحاجة الى القائد السياسي الاصلاحى النموذجي، وتمثل في بادئ الامر، بشخصية الرسول الاكرم ﷺ، حيث الامتلاك الشامل والكامل لجميع الملكات والصفات التي تجعل من شخصيته نموذجية، لهذا يمثل درسا عظيماً لكل الحكام والحكومات الاسلامية وسواها، من خلال تميزه بالتسامح والعفو والتوجيه والتنبيه والنصح والحرص على المسلمين، وترك حرية الاختيار لعقل الفرد في تحقيق ما يصبو إليه من مسار، لهذا صار النبي الاكرم قائداً نموذجياً يستقطب الجميع حوله من خلال مزاياه العظيمة، لذلك نقرأ في كتاب (عقب المرجعية) أقوالاً إيضاحية لسماحة المرجع الديني، آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي عن دور الحاكم الاسلامي ومزاياه وحرصه الكبير كما نلاحظ في بعض التساؤلات التي يطرحها

سماحته: (هل رأيتم مثيلا لسلوك نبينا ﷺ في التاريخ، يحاربه قومه مع ما يعرفونه من صدقه وامانته ونبله وكرم اخلاقه، بمختلف انواع الحروب القاسية، ويطردونه من موطنه ومسقط رأسه، ثم يتركهم احرازا، وما يختارون من دين وطريقة حياة!).

وهكذا كان الحاكم الاسلامي لا يمارس دورا قمعيا متعاليا مع شعبه، بل هو دور توجيهي تربوي اسلامي، يحرص على مصلحة الآخر قبل مصلحة الذات أو المقربين، كما يحصل في حكومات اليوم، حيث الحاكم يقدم مصالحه ومنافعه وذويه وبطانته، على مصالح شعبه، ناهيك عن عمليات القسر والاجبار التي يتعرض لها الناس، من خلال فرض الخيارات ومصادرة الحريات وما شابه، لذا يقول سماحة المرجع الشيرازي بهذا الخصوص في الكتاب نفسه: (كان الرسول ﷺ يهدي قومه وينصحهم، ويوضح لهم طريق الرشد ويميزه عن طريق الغي، ثم يترك الاختيار لهم).

الحرية خيار وحق مكفول

لهذا كان الجميع احرازا في خياراتهم، مع توضيح المسارات السلمية لكي يكون الاختيار الفردي والجماعي صحيحا، بمعنى في غياب الاجبار هناك مساعدة على الاختيار السليم، ويبقى الامر في جميع الاحوال تابعا لحرية الاختيار، ولا اجبار على فكر او هدف محدد، وهذا ما جعل الحكومة الاسلامية وتعاليم الدين الاسلامي، تتقدم على التعاليم والافكار الاخرى في انسانيتها، لذا يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا الصدد: (لقد رد النبي الاكرم ﷺ عشرات الحروب والاعتداءات التي شنها اهل الكتاب، دون أن يجبر احدا منهم على الاسلام).

ومما يؤكد حرية الاختيار الفكري او سواه في تعاليم الاسلام، أن أحدا

من الكفار لم يُجبر على اعتناق الاسلام مطلقا، إذ يذكر لنا سماحة المرجع الشيرازي قائلا في هذا المجال: (لم يسجل لنا التاريخ حالة واحدة، أُجبر فيها رسول الله ﷺ ذميا على اعتناق الاسلام، والتاريخ حافل بسيرة المصطفى ﷺ سجل وحفظ الدقائق عن حياته).

حق المعارضة العلنية

وكان القادة العظام لامة الاسلام حريصين على حفظ حق المعارضة، ولدينا النموذج العظيم في هذا المجال وهو الامام علي بن أبي طالب ؑ، فلا يتم الاكتفاء بعدم انتهاج القسر والاجبار، بل يحرص الحاكم الاسلامي على معرفة معارضيهِ وآرائهِم واسباب معارضتهم له، ليؤكد بأن منهج المعارضة للحاكم وحكومته مكفول في النهج الاسلامي، كما نلاحظ ذلك في قول سماحة المرجع الشيرازي بهذا الجانب: (لقد بايعت الاكثرية المطلقة من الناس الامام علي ؑ ومع ذلك يصعد المنبر لبيحث ان كان هناك معارض له، وما هو سبب معارضته، هل تجدون لهذا نظيرا في التاريخ؟).

وهذا الاسلوب الرائع في الحكم يساعد على بناء او اصر الثقة المطلقة بين الحاكم والمحكوم، حيث تسود لغة التفاهم والتقارب بينهما، ويظهر الحرص المتبادل، والمحبة والصفاء الذي يحكم العلاقة بين الطرفين، فتقل المشكلات الاجتماعية والسياسية الى أدنى مستوياتها، بسبب حالة الوضوح في الرؤى المتبادلة بين الطرفين وتساعد الحرص المتبادل، ناهيك عن عدم خوف الحاكم والحكومة من مواطنيها، فكل يؤدي دوره ازاء الاخر بما يؤكد القيام بالواجب المطلوب، ولهذا كانت الحكومات الاسلامية مستقرة وذات اعمار طويلة، كما يؤكد سماحة المرجع الشيرازي ذلك قائلا بهذا الخصوص: (نرى الحكومات الاسلامية حقيقة كانت تعمر طويلا، وذلك للحب المتبادل

بين الامة وبين الحكومة، ولم يكن الرئيس يحتاج يوماً ما الى أمن واستخبارات وحرس وما شابه حتى يحميه الناس).

إن المظاهر المسلحة التي تكتظ بها المدن والشوارع والساحات، دليل على ضعف الحكومات، لا سيما مواكب المسؤولين، حيث ترافقهم عشرات السيارات ومئات أو آلاف الجنود بأسلحتهم وعدتهم الكاملة، لحماية الحاكم او احد اتباعه، وهي حالة اصبحت سائدة ومنبوذة في وقت واحد، كما أنها دليل على خوف الحاكم من شعبه.

أما الحكومة التي تعمل لصالح الشعب كما يرى الاسلام، والحاكم الذي يأتي لخدمة الشعب قبل نفسه، فإنه محروس من قبل شعبه، والسبب هو حفظ حقوق الناس ومصالحهم، ومنها بل واهمها تقديم الضمان الاجتماعي الذي يحمي كرامة الانسان، وهذا ما حقته الحكومة الاسلامية بعد ان غاب الفقر تماماً عن دولة الاسلام، كما ذكرت لنا كتب التاريخ عن حكومة الامام علي عليه السلام، لهذا يؤكد سماحة المرجع الشيرازي قائلاً: (لم ير التاريخ قبل الاسلام، ولم تسجل الحضارات بعد الاسلام، حتى اليوم ضماناً اجتماعياً، بعمق الضمان الاجتماعي في الاسلام).

شبكة النبأ المعلوماتية - الخميس ١٢/نيسان/٢٠١٢ - ٢١/جمادى

الأولى/١٤٣٣.

(٨)

السياسيون الناجحون إقتصاديون متميزون

التاريخ الانساني خلد لنا شخصيات مهمة نجحت في نقل شعوبها من حال الى حال، بفضل الأفكار التي كانوا يحملونها ويؤمنون بها مضافاً لذلك

قدرتهم على التطبيق الفعلي لهذه الافكار في الميدان الواقعي وتحويلها من مجرد كلمات متراصة بجانب بعضها الى أفعال مادية ملموسة لمس اليد ومرئية رؤية البصر.

ومن هذه الشخصيات الخالدة، القادة السياسيون الذين يتمتعون بقدرات قيادية كبيرة تفرزهم عن غيرهم من حيث دقة الاختيار في صنع القرار والتوقيت المناسب للتنفيذ ناهيك عن الاسلوب الأكثر نجاحا لتطبيق القرار المتخذ، بيد أن هذا الامر لا يتعلق بصفات قيادية في الجانب السياسي حصرا، بل تدعم ذلك قدرات إضافية تتعلق بالنهج الاقتصادي التنفيذي السليم.

بمعنى أن القائد السياسي الذي ينجح في اتخاذ قرارات سياسية حساسة وربما مصيرية ضمن صلاحياته، قد لا يكون قائدا ناجحا ومكتملا على الاصعدة الاخرى التي تتطلبها قيادة الامة او الشعب، وهذا يقودنا الى القدرات التي تميز هذا القائد السياسي في مجال الاقتصاد الذي يعد الظهير الاقوى للسياسة ونجاحها في مجال التطبيق سواء في القرارات الداخلية او الخارجية.

فثمة علاقة وشيجة و مترابطة بين الاقتصاد والسياسة، ويمكن تمثيل الاقتصاد بالدعم الاساسية التي تسند القرار السياسي وبخلاف ذلك ستكون السياسة كمن يدخل ساحة القتال بيد واحدة، إذن يمكن أن تصل أهمية الاقتصاد الى هذا المستوى في دعمها لتنفيذ القرارات السياسية على نحو أفضل.

يقول سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي في كتابه الثمين الموسوم بـ (السياسة من واقع الاسلام) في

هذا المجال:

(إنّ الاقتصاد له الأهمية الكبرى في السياسة، وكلما كان التوازن الاقتصادي أقوى كانت السياسة أكثر سداداً ورشداً).

ويُقصد بالتوازن الاقتصادي هو تنفيذ الخطط التنموية بصورة سليمة من لدن الجهات القائمة على تحويل التخطيط الى عمل قائم على الأرض، فالفكر والتخطيط الاقتصادي السليم هو الخطوة الناجحة الاولى في هذا المجال، أما الخطوات التكميلية لنجاح الاقتصاد فتتمثل بعملية التنفيذ الناجح، وهو أمر يتعلق بالسلطة التنفيذية بالدرجة الاولى.

أي أن الدور هنا للقائد السياسي الذي يجب أن يتحلى برؤية اقتصادية سليمة وقدرة عملية لتحويل الرؤية المجردة الى هيكل عملي شاخص أمام الابصار ويمكن مسكه باليد، ولنا في تأريخنا الاسلامي المشرق نماذج عظيمة مزجت بنجاح منقطع النظير بين إمكانياتها السياسية ورؤيتها الاقتصادية كما هو الحال مع الامام علي عليه السلام حينما تسلم قيادة الدولة الاسلامية وتمكن من القضاء على الفقر في ربوع هذه الدولة الشاسعة وبين ملايين الناس الذين كانوا يستظلون بالاسلام وينتمون إليه ويعملون وفقاً لتعاليمه ومبادئه المتوازنة.

وقد ذكر سماحة المرجع الشيرازي مثالا في هذا الصدد عن سياسة امير المؤمنين الاقتصادية ليؤكد لنا أن القائد السياسي ينبغي أن يكون ذا قدرات واضحة في المجال الاقتصادي وأن يتخذ قراراته النموذجية التي تصلح أن تكون دروسا لغيره من القادة، حيث ورد في الكتاب نفسه لسماحة المرجع الشيرازي:

إن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كان يمشي في سكك

الكوفة، فنظر إلى رجل يستعطي الناس: فوجه الإمام السؤال إلى من حوله من الناس قائلاً: ما هذا؟ فقالوا: إنه نصراني كبر وشاخ ولم يقدر على العمل، وليس له مال يعيش به، فيتكفف الناس.. فقال الإمام - في غضب - : استعملتموه على شبابه حتى إذا كبر تركتموه؟.

ثم جعل الإمام عليه السلام لذلك النصراني من بيت مال المسلمين مرتباً خاصاً ليعيش به حتى يأتيه الموت - وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ٦٦ ب ١٩ ح ١ - . وهذا يدل على أن الفقر كاد أن لا يرى لنفسه مجالاً في الدولة الإسلامية حتى إذا رأى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فقيراً واحداً كان يستغرب، ويعتبره ظاهرة غير طبيعية وغير لائقة بالمجتمع الإسلامي.

إن هذا السلوك الحكيم لقائد الدولة الإسلامية الامام علي عليه السلام هو درس للقادة الآخرين الذين كانوا يقودون البلاد الإسلامية الفرعية في حينها، وهو درس لقادتنا المعاصرين، لكي يفهموا أن القيادة لا تعني ادارة شؤون البلد السياسية في الداخل والخارج فحسب، إنما هي قيادة اقتصادية سليمة أيضاً لاسيما في الجانب التنفيذي منها، وهي تصب في نهاية المطاف في صالح القائد نفسه، لأن الاقتصاد المتوازن كما يقول سماحة المرجع الشيرازي، هو الدعامة الاساسية لسياسة القائد وحكومته.

والدليل هو ما يجري في ساحة الاقتصاد العالمي من تدهور وتراجع كبير بسبب السياسات الاقتصادية الفاشلة من قبل القادة السياسيين، وهنا يتساءل سماحة المرجع الشيرازي قائلاً:

(هل رأى العالم أو قرأ أو سمع نظاماً اقتصادياً يستطيع أن يقتلع جذور الفقر عن الناس حتى يكون من بواعث العجب والدهشة رؤية فقير واحد في طول البلد الإسلامي وعرضها، ولو كان ذلك مسيحياً غير مسلم؟ وهل استطاع

العالم المعاصر، والتجارب الاقتصادية الكثيرة من وضع نظام اقتصادي كهذا؟).

إن الاجابة ستؤكد الخلل الواضح على صعيد الاقتصاد العالمي، ناهيك عن النواقص الواضحة في انظمتنا السياسية الاسلامية والعربية منها، حيث تشير الدلائل الى جهل السياسيين في المجالات الاقتصادية على مستويات التنظير والتطبيق معا، لذا لم نر نموذجا قياديا عربيا او اسلاميا معاصرا يتقن القيادتين السياسية والاقتصادية في آن، كما كان قادتنا العظام في الاسلام، وهو سؤال نتوجه به الى ساستنا اليوم، تُرى أين يكمن السبب، وهل يمكنكم معالجة الخلل في هذا المجال ومتى سيتم ذلك؟!.

شبكة النبأ المعلوماتية - السبت ٦/آذار/٢٠١٠ - ١٩/ربيع الأول/

الفصل الثاني: أخلاقيات القائد

(١)

السياسيون وضرورة العمل بمبدأ بسط العدل وضبط النفس

يعتبر العدل ونشره بين عموم الناس صمام الامان الذي يحفظ للقادة مناصبهم ومصالحهم المشروعة بالاضافة الى المنزلة الكبيرة التي تُكنّ لهم من قبل عموم شرائح المجتمع، ناهيك عن راحة النفس والضمير التي يشعر بها القائد الذي يتعامل مع الناس بالعدل والرحمة والمساواة. فالعدل لا تعني لفظة مجردة تُقال أيام الانتخابات وتُنشر في الحملات الاعلامية لهذا السياسي او ذاك، وإنما العدل هو مبدأ حياة دائم ينظم علاقة القائد السياسي مع الشعب ويحفظ له مكانته وسمعته بينهم، إستنادا الى العمل بهذا المبدأ وليس القول المجرد به.

ولعل الوقائع وما يحدث على الارض هي عوامل الاثبات الواضحة التي تدل على عدالة القائد من عدمها، ولا يحتاج المراقبون ولا الناس عموما الى عناء كبير لكي يعرفوا بأن القائد يتعامل معهم وفقا لهذا المبدأ أم أنه يتجمل به عند الحاجة سواء عندما تحين الانتخابات او غيرها من الظروف والحالات التي تتطلب مؤازرة الشعب لقائدهم فيما لو كان يستحق هذه المؤازرة فعلا من خلال عدله وإنصافه لهم جميعا سواء ما يخص الجوانب

العملية او المعنوية التي هم بأمس الحاجة إليها.

ويقول الباحثون المختصون إن العدل يشيع نوعا من التوازن بين الناس بمختلف مراتبهم، بل يشيع التوازن والهدوء والاستقرار حتى في الجسد الواحد، وقد قال سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي في كتابه القيم (حلية الصالحين) في هذا الصدد: (إنّ العدل قائم في الأمور التكوينية كلّها، ففي الحديث: بالعدل قامت السماوات والأرض. فهذه الشمس الهائلة والأرض والنجوم والوجود كلّه يجري بتمام العدل، فلا إفراط ولا تفريط ولو بمقدار أنملة واحدة، وهكذا الأمر لو نظرنا الى أبداننا نجد ملايين الخلايا كلّها تسير بالعدل. ومعروف في الطبّ القديم والحديث أنّ الإنسان إذا كان متوازن المزاج لا يمرض؛ لمتانة القوّة الدفاعية فيه، وعدم المقتضي لإصابته بمرض).

فإذا كان للعدل هذا التأثير الكبير من التوازن في منظومة الكون وحركته الدقيقة الأزلية، فكيف يكون تأثيره في تعاملات الانسان مع الانسان، سواء علاقة الافراد مع بعضهم او الجماعات مع بعضها؟ وسواء علاقة الأعلى بالأدنى وبالعكس؟، وإذا دققنا بتأثير العدل حتى على مستوى الجسد المستقل بذاته كما أشار سماحة المرجع الشيرازي، فما هي حدود تأثير العدل في العلاقة بين القائد وشعبه وبالعكس؟.

إنها لاشك ستكون كبيرة جدا، وكما قلنا أن الوقائع ستبيّن للجميع نتائج التعامل بالعدل من لدن السياسي مع المرؤوسين، ولعل العلاقة ستكون تصاعدية في السلب والايجاب، بمعنى كلما كان مبدأ العدل والتوازن حاضرا في هذا التعامل كلما كانت علاقة الشعب بقائدها متوازنة وقابلة للنمو والتطور لصالح الطرفين ويحدث العكس تماما في حالة الخلل بهذا المبدأ، وكأن الأمر

قانون لا يقبل الخطأ كما في القوانين العلمية، فيكون العدل طريقاً واضحاً وممهداً لرسوخ العلاقة الجيدة والمتوازنة بين من يتخذون من العدل أساساً للتعامل المتبادل بينهما، والسبب أن الإرادة الإلهية هي التي أعطت للعدل هذه القدرة الكبيرة في موازنة الأمور، حيث يقول سماحة المرجع الشيرازي في كتابه نفسه:

(إن الله سبحانه وتعالى قد سنّ العدل في الأمور التكوينية والتشريعية على حدّ سواء، وما من شيء قد قام في السماوات والأرضين إلا بعدل بارئه سبحانه وتعالى).

لذا على الانسان سواء كان قائداً سياسياً او مديراً لمؤسسة انتاجية او اعلامية او فكرية او حتى ربا لعائلة وغيرها، أن يتخذ من العدل سبيلاً الى ترسيخ منزلته عند من يعمل معهم، وخصوصاً السياسيين عليهم أن يفهموا قانون العدل الإلهي بدقة لكي ينجحوا في الوصول الى عقول وقلوب الناس، وكلما كان العدل ديدنهم كلما كان النجاح مضموناً لهم، وثمة مبدأ آخر يؤكد عليه سماحة المرجع الشيرازي ينبغي أن يكون رديفاً الى العدل ألا وهو مبدأ كظم الغيظ إذ يقول سماحته في هذا المجال:

(من مفردات حلية الصالحين وزينة المتقين أيضاً كظم الغيظ، ففي النفس شهوات لها ألسنة من لهب تستعر نيرانها بمجرد أن تثار بأدنى إثارة. فلو قال شخص لغير المتقي كلمات وظنّها لا تناسبه فإن أثر الغيظ وألسنة نار الغضب تظهر على وجهه ولسانه وتصرفاته، أمّا المتقي فيستر غيظه ويكظمه بلباس التقوى).

وبهذا فإن العدل وضبط النفس صفتان متآزرتان لبعضهما، ومن الأهمية بمكان حضورهما في شخصية الانسان لاسيما القادة منهم، سواء كانوا

سياسيين او غيرهم، ويؤكد سماحة المرجع الشيرازي في كتابه نفسه على ضرورة سيطرة الانسان على مقاليد نفسه فيقول:

(لنعلم أنّ من لا يكظم غيظه تتحطّم أعصابه ويسوء خلقه أكثر من غيره ممّن يكظم غيظه، فيخسر بذلك ثواب الدنيا والآخرة، أمّا كظم الغيظ ففيه ربح الدنيا والآخرة وهو أمر ممكن وإن كان لا يخلو من صعوبة).

من هنا نفهم أن ثمة ترابطاً بين العدل والقدرة على ضبط النفس والتعامل مع الآخرين وفقاً لمعايير المنفعة المتبادلة، وهكذا يكون مطلوباً من الساسة الذين يرشحون انفسهم للدورات النيابية في بلدان العالم الاسلامي، معرفة قيمة مبدأ العدل مقروناً بمبدأ كظم الغيظ في التعامل مع المالأ لتحقيق المنفعة التي ستحفظ لهم مكانتهم في عقول الناس وقلوبهم معا.

شبكة النبأ المعلوماتية - السبت ٢٧/شباط/٢٠١٠ - ١٢/ربيع الأول/١٤٣١

(٢)

القائد وايشار الشعب على النفس... طريق الى الخلود

السلطة تقود السلطان الى طريقين، أما طريق الخلود، وأما طريق السقوط في قعر الحضيض، هذا ما يخبرنا به التاريخ، وتخبرنا به الوقائع الراهنة التي اجتاحت معظم حكومات ودول الشرق الاوسط.

فالحاكم يمكنه أن يسلك أحد هذين الطريقين، فمن يختار طريق الخلود، عليه أن يضحي بمزايا السلطة وتجنيدها لتحقيق اهواء النفس، التي تدفع بصاحبها الى النزوات والغرائز، اذا لم يكن متحكماً بها، أما من يختار طريق السقوط، فهو الحاكم الذي يضعف امام نفسه، ورغباتها، وغرائزها،

فتدفعه نحو اللهاث لتحقيق رغائبها، حتى لو تم ذلك على حساب الشعب والفقراء، فتبدأ سلسلة ارتكاب الجرائم والقتل، وسحق كل من يعترض طريق الحاكم، أو كل من يرفع صوته مطالباً بحقوقه التي تُستلب منه أمام عينيه.

التأريخ يذكر لنا حكاما عظاما إختاروا الطريق الاول، طريق الخلود، وآثروا كسب الناس، بعد رضا الله تعالى اولاً، ودحروا النفس ولم يستجيبوا لها، إلا بما يحقق نجاحه في الوصول الى الخلود.

الامام علي ابن ابي طالب عليه السلام، مثال حي لا يتجاوزه أحد اذا اراد أن يعرف كيفية الفوز بطريق الخلود.

في كتابه القيم الموسوم بـ (السياسة من واقع الاسلام)، يوضح لنا سماحة المرجع الديني، آية الله العظمى، السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظلّه)، هذا الامر بجلاء، مستشهدا بسيرة الامام علي عليه السلام، واسلوبه في ادارة قيادة الامة، يقول سماحة المرجع الشيرازي بهذا الخصوص:

(أربع سنوات أو أكثر قضاها أمير المؤمنين عليه السلام بين الكوفة والبصرة، وهو الرئيس الأعلى للبلاد الإسلامية الواسعة الأطراف. خلال هذه المدة الطويلة لم يشتر من مال المسلمين ثياباً لنفسه، ولم يأخذ من أموال البصرة والكوفة شيئاً لذلك. بل ظل على ثياب المدينة كل هذه المدة الطويلة، إلا إذا اشترى من عطائه الخاص كأضعف مستضعف من مسلم آخر في طول البلاد الإسلامية وعرضها).

إن قائدا من هذا الطراز، لابد أنه كبح رغبات النفس كليا، وأثر طريق الخلود على غيره، وصمم على أن يكود القدوة التي ينبغي أن يقتدي بها الشعب، فالناس تقرأ شخصية قائدها، وتتفحص حكومتها، وتدرس افعالهم واقوالهم وطبيعة سلوكهم، وتتأثر بهم كنماذج، فأما من ينجح بكسب الناس

نتيجة لمراعاة حقوقهم، فذلك هو الحاكم والمسؤول الذي يسلك طريق الخلود، وأما من يسلط الطريق الآخر فقد فضل طريق السقوط بثمن بخس، تقدمه له الغرائز والرغبات التي ضعف ازائها.

يقول سماحة المرجع الشيرازي في كتابه نفسه: (القائد تكون أعماله درساً للشعب، ومنهاجاً للأجيال، ولذلك كان القائد متحملاً لما يمارسه الشعب نتيجة تعلمه منه، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. والحياة الشخصية للقائد أدق مدرسة للأجيال المتمسكة بذلك القائد، ولهذا كان من سياسة أمير المؤمنين عليه السلام بناء حياته الشخصية على الإيمان والزهد).

ويضيف قائلاً أيضاً في هذا الصدد: (كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لا يأكل اللحم في السنة إلا مرة واحدة، في يوم عيد الأضحى وذلك لأنّ هذا اليوم هو اليوم الذي يأكل فيه كل المسلمين اللحم، من وفور لحم الأضاحي.. فلكي يواسي إمام الأمة أضعف الأمة، يأكل اللحم في ذلك اليوم فحسب. هذا في أيام خلافته الظاهرية التي كانت مسؤولية الأمة برمتها عليه).

إن قادة اليوم ربما يتحججون بتعقيد الحياة الراهنة وتشعبها، لكن الامر يبقى مرتبطاً بالذات، أي بمعنى أن هناك قادة عاشوا أيضاً في حياة معقدة، وتنطوي على الملذات والجاه والنفوذ وما شابه، لكنهم مع ذلك تساموا الى مرتبة أعلى وأعلى، فخلدوا في عقول وضمائر أمتهم كما حدث مع (غاندي) الهند، الذي لم يكن يفرق بين هندوسي ومسلم وبوذي وغيره.

وكان الامام علي عليه السلام ينظر الى الجميع سواسية، فالمسيحي، مواطن، له حقوقه المعروفة، والمكفولة والمتساوية مع حقوق المسلم، طالما انه تحت رعاية الدولة الاسلامية، واحد مواطنيها، يقول سماحة المرجع الشيرازي

بهذا الخصوص:

(الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام لا ينظر إلى أهل المدينة فحسب، الذين يجدون غالباً اللحم فيأكلونه، ولا ينظر إلى أهل الكوفة فقط التي تتوفر فيها اللحوم من كل الأنواع، من الغنم، والبقر، والإبل، والدجاج، والطيور، والأسماك. وإنما ينظر إلى أقاصي بلاد الإسلام، وأهل الأرياف البعيدة، والفقراء الذين يسكنون الأحياء، فكلهم لا يجد اللحم كل يوم ليقنات به. وما دام علي عليه السلام إمامهم جميعاً. فكما عليهم أن يقتدوا به في أفعاله، يحتم علي نفسه أن يقتتر علي نفسه في مطعمه وملبسه - بل ومسكنه - كأضعف رعيتيه. عظيم جداً هذا الإنسان. وعظيمة جداً هذه السيرة. وعظيم جداً الإسلام الذي يربي هكذا قائد).

ولن تتحقق مثل هذه القدرات العظيمة، التي تسيطر على النفس، إلا اذا كان صاحبها عظيماً حقاً، وتأتي عظمة القائد الانسان من بساطته في العيش، ومن تقديمه النموذج الافضل للشعب، سلوكاً، وافكاراً، واسلوب حياة، لذا يؤكد سماحة المرجع الشيرازي في هذا الصدد، قائلاً في كتابه (السياسة من واقع الاسلام): (البساطة في الحياة الشخصية مما عرف بها أمير المؤمنين عليه السلام فكان لا يعبأ بالتجملات إطلاقاً، ولا يصرف ثواني من وقته في سبيلها. وهكذا ينبغي أن يكون القائد الإسلامي لكي يصرف أوقاته كلها في أمور المسلمين والمستضعفين).

ومثلما يحدث دائماً مع القادة والحكام، أنهم يحصلون على الهدايا المتنوعة، ومن مصادر لا تُحصى، ومنها ما يكون ذا قيمة عالية جداً، وهذا ما درج عليه الحكام منذ القدم والى الآن، ولكن هناك من تتضخم ذاته بسبب الهدايا والجاه، وتُخرَّب نفسه ويتعالى، ويفقد توازنه، ويسيء استخدام السلطة

مع الشعب، وهناك -العظماء- وهم من يتقاسموا الهدايا مع شعبهم من الفقراء، بل ربما يقدمونها لمن يستفيد منها، مترفعين بذلك على متع الدنيا أيا كان نوعها أو حجمها، لذا يقول سمحاحة المرجع الشيرازي:

(كان من عادة أمير المؤمنين علي عليه السلام التي عرفت فأثرت عنه أنه لم يكن ليحتكر الهدايا الشخصية التي تهدي إليه لنفسه فقط، بل كان يوزعها على المسلمين أحياناً، أو يشركهم مع نفسه فيها).

ويضيف سماحته قائلاً ايضاً: (كان أمير المؤمنين علي عليه السلام كأقل الفقراء مالاً، يستقي الماء من البئر بنفسه، ويحتطب بيديه الكريمتين، ليكون أسوة حسنة لعامة المسلمين عبر التاريخ الطويل، وقدوة عملاقة لزعماء المسلمين.. وكذلك كان يقوم بسائر شؤونه الشخصية بنفسه).

هذا هو المثال الحي لحكام اليوم، في الدول الاسلامية والعربية أولاً، ولحكام العالم أجمع، أمامكم هذا النموذج من السلطة، التي اختارت أن تكون طريقاً لخلود حاكمها على مر التاريخ والوجود برمته.. فيا حكام اليوم والغد.. هل أنتم آخذين بسيرة هذا النموذج العظيم؟.

شبكة النبأ المعلوماتية - الخميس ٧/تموز/٢٠١١ - ٥/شعبان/١٤٣٢

(٣)

المسؤولون وكبح الأهواء

يسعى الإنسان جاهداً لتحقيق النجاح في حياته، ولا يدخر جهداً في هذا المجال، بل نراه مندفعاً بكل ما يملك من قدرات ذهنية وجسمانية لكي يرتقي في هذا المجال أو ذاك، بكلمة أخرى إن النجاح هو الدافع الأساس لحركية الإنسان ولعل الدافع الأهم في ذلك هو رغبته التي تدفعه دائماً وابدأ

في هذا الاتجاه.

بمعنى أن هوى النفس والرغبة هما من يدفعان الانسان ليس للنجاح فقط في هذا المضممار او ذاك، بل في عموم أهدافه وتحركاته المشروعة او غير المشروعة، لذلك غالبا ما تنطوي الرغبات وهوى النفس على مخاطر شتى ينبغي أن يتنبه إليها الانسان وهو يسير في حقل (الألغام) ممثلا بالحياة وما تضحج به من أهداف قد يكون الكثير منها منصوبا كالفخاخ في مسيرته عموما.

ولا تنحصر الرغبات في مجال محدد، فترى السياسي له اهدافه بالوصول الى السلطة وترى التاجر يحث الخطى لجمع الثروة وتراكم المال وترى الطبيب يبحث عن الشهرة من اجل المال أيضا وترى الانسان عموما باحثا عن الجاه والنفوذ الاجتماعي غالبا، وكل هذه الاهداف على الرغم من مشروعيتها إلا أنها تخضع لهوى النفس وبالتالي قد تكون الاساليب المستخدمة للوصول إليها غير مشروعة مما يدل على تغلب الهوى على ارادة الانسان وبالتالي وضعه وجها لوجه أمام العقاب الرباني مقابل تحقيقه لاهدافه الدنيوية خلافا للضوابط الدينية او الاعراف الانسانية المتعارف عليها او الاخلاق وما شابه.

لذا ثمة من يحتاط من الانزلاق في الهوى بسبب خوفه من الله تعالى وثمة من يذهب الى نهى النفس عن هواها ومآربها، وفي هذا الصدد يقول سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظلّه) في كتابه الثمين الموسوم بـ (العلم النافع): (إنّ الخوف من مقام الله ونهى النفس عن الهوى وجهان لشيء واحد قوامه الورع والتقوى في الذين آمنوا. فمتى نهى المؤمن نفسه عمّا تهواه يكون قد خاف مقام ربّه، ومتى

خاف مقام ربّه فقد نهى النفس عن الهوى. فالعطف هنا شبه تفسيريّ. ولعلّ الحكمة في ذكر الجانبين في سياق واحد هو ظهور أحدهما لبعض الناس أسرع من الآخر، فقسّم من المؤمنين يخاف أولاً مقام الربّ فينهى نفسه عن هواها وبعضهم بالعكس، ينهى نفسه عن هواها فيخاف مقام ربّه).

وعلى العموم ينبغي على الانسان لاسيما من تعود مسؤولياته بالفائدة او الضرر على جمع من الناس وليس شخصه المعني فحسب، أن يحذر الهوى ورغائب النفس التي قد تسقطه في فخ تفضيل الذات والبحث عن المصلحة الذاتية متناسيا مهامه ازاء الآخرين كما يحدث مع بعض القادة السياسيين الذين يتحولون مع مرور الوقت من الحكمة والانسانية الى البطش والتفرد على حساب الناس، واضعين هوى النفس دليلا لهم وإسلوبا لتحقيق طموحاتهم متناسين مخافة الله تعالى، وهو أمر كثيرا ما يتكرر مع السياسيين في عموم العالم لاسيما في الدول المتخلفة ذات الانظمة المستبدّة.

وقد ينطبق هذا الكلام على المسؤول الكبير والصغير معا، فربما يكون أحد مدراء المؤسسات الصغيرة متعاليا خاضعا لهواه فينحرف في ادارته لهذه المؤسسة ويضعها بخدمة اهدافه هو لا غير، لذا فإن تحصين الذات من الهوى يعدّ الكابح الاقوى كي يحفظ الانسان في أي موقع كان من السقوط في مهاوي الزلل والانحراف.

لهذا يعتبر هوى النفس من أخطر أعداء الانسان سواء عرف بذلك أم لم يعرف إذ يقول سماحة المرجع الشيرازي بكتابه نفسه في هذا الصدد: (إذا كان للإنسان عدوٌّ خطير، وأراد أن يتجنّب شرّه، فإنّه يحذره في مجلسه، فتراه يجمع كلّ انتباهه، وينظر إليه بعين الحذر وإن كان منشغلاً بالتحدّث إلى غيره

أو يقرأ كتاباً، وربما يتساءل في نفسه عن سبب مجيئه إلى المجلس، أيريد به سوءاً، أم كان مجيئه صدفةً؟ كذلك يحذرُه أينما يراه، وإذا ما قدّم له طعاماً، فإنّه يتأنّى ويتوجّس، وإذا دعاه إلى مكان، يتشبّث ويوجل، وهكذا. فكذلك ينبغي أن يكون الأمر مع الهوى الذي هو أعدى أعداء الإنسان، بمعنى ضرورة التنبّث منه واليقظة لدى أيّ عمل يقوم به الإنسان أو كلمة يتفوّهها، لئلاّ تكون مشوبة بالهوى).

كما أن الانسان يعرف مسبقا بنواياه ازاء هذا العمل او ذاك، لهذا عليه أن يكون رقيقا دؤوبا لأهوائه ويصحح ما لا يصح منها، لأن الاهمال في هذا المجال سيضعف مساوى رغبات الانسان ويجعلها المحرك الاقوى لجميع نشاطاته وتحركاته، ولا يجوز غض الطرف عن الاهداف المبيّنة مسبقا إذ يقول سماحة المرجع الشيرازي:

(أيّ عمل يعملُه الإنسان أو قول يقوله يعلم بنية نفسه، ويعلم ما إذا كان قلبه وفكره متوجّهاً إلى الله تعالى، أم متعلّقاً بغرض آخر). ولهذا ينبغي مراقبة هوى النفس طالما أن الانسان يعرف مسبقا بتوجهاتها واهدافها، فإذا صحت وتواءمت مع المبادئ الدينية والانسانية الصحيحة عليه أن يدعمها ويقويها وإن انحرفت عن هذا المسار عليه أن يكبحها مراعاة لمخافة الله تعالى.

ولعلنا لسنا بحاجة الى التأكيد على الضرورة التي يجب أن يتحلّى بها أصحاب المسؤوليات الكبرى ازاء الامم والشعوب والجماعات بل وحتى الافراد ناهيك عن مسؤولية الانسان ازاء نفسه.

فكلما كان الانسان المسؤول الكبير او غيره مراقبا جيدا لأهوائه وعارفا لها ومسيطر عليها ومتحكما بها وليس العكس، كلما كان أكثر قربا من غيره

لتحقيق الرضى الإلهي وبالتالي فوزه الدنيوي والأخروي في آن واحد.
شبكة النبأ المعلوماتية - السبت ٢٧/آذار/٢٠١٠ - ١٠/ربيع الثاني /

١٤٣١

(٤)

القادة السياسيون وأولى تربية النفس

كيف ينظر الآخرون الى القائد السياسي؟ وهل فعلا هو أحد النماذج المهمة التي يقتدي بها الناس خلال حياتهم؟
إن الاجابة عن ذلك يمكن أن تؤخذ من الناس أنفسهم، كما يمكن ملاحظتها من خلال الاحترام الكبير الذي يكنه عموم الناس لقائدهم السياسي، وهنا قد يقول قائل إن رغبة بعض الناس بالحصول على المكاسب قد تدفعهم لاحترام القائد وأحيانا التملق له والتقرب إليه بشتى الطرق والأساليب، لكن هذا القول لا يشكل القاعدة، بمعنى أن احترام الناس لقائدهم السياسي غالبا ما يكون مصدره الاول أعماله وسلوكه وأقواله وانجازاته وطبيعة سيرته وحكمته في ادارة شؤون المجتمع المتنوعة.
ومن البديهي أن نقول كلما كان القائد قريبا من هموم الناس وتطلعاتهم وعمل على تحقيق مطالبهم المشروعة ورعاهم ضمن مسؤولياته المحددة والمتعارف عليها، كلما كان أكثر قربا الى قلوبهم وعقولهم، بل سيكون النموذج المثالي لكثير منهم كون السلطة وسحر الكرسي ومغرياته لم تترك تأثيرها فيه ولم تمنعه من تأدية واجباته تجاه الناس.
ولكن كيف يمكن للقائد السياسي أن يكون قريبا من قلوب الناس ومثالا لهم، في هذا المجال يقول سماحة المرجع الديني آية الله العظمى

السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظلّه) في كتابه القيم الموسوم بـ (العلم النافع):

(غاية الأخلاق تتلخّص في مسألة واحدة وهي تربية النفس وإصلاحها، وهي من أعقد المسائل وأصعبها، لأنّ كثيراً من الناس قد ينجحون في مسائل صعبة ولا ينجحون في هذه المسألة، بل يمكن القول إنّها ركيزة أساسية ضمن ركائز الهدف من خلق الله تعالى للكون والحياة والإنسان).

ولعل الكرم والسخاء من أفضل ما يمكن أن يتحلّى به الانسان من خصال حميدة، أما القائد السياسي فإن سمة الانفاق على الفقراء ستمنحه تأشيرة الدخول الى قلوب الجميع من دون استثناء، لأنها تدل على قوة إيمانه ورهافة روحه وصحة نظره للرعية، فكلما كان كريماً مع الآخرين وفقاً لاستحقاقهم كلما ضرب المثل الأعلى في حسن التعامل مع المحتاجين، لأن الانفاق سمة من سمات الكرماء، وطالما أنه قادر على ذلك، فإنه إنما يشيع هذا السلوك القويم بين القادة الآخرين، ولهذا كان الامام علي بن ابي طالب عليه السلام قدوة لولائه في الأمصار الاسلامية، فهم ينظرون الى أعماله ويستمعون الى أقواله عليه السلام ثم يقومون بتطبيقها في الاوساط التي يديرون شونها الحياتية عامة كقادة لها.

ولعل الأهم في مثل هذه الاعمال أنها تتم من قبل القادة تقرباً الى الله تعالى، بمعنى ينبغي أن يضع القائد مقابل أعماله هذه رضى الله تعالى قبل أي شيء آخر، إذ يقول سماحة المرجع الشيرازي (دام ظلّه) في كتابه نفسه:

(إنّ الله لا يحتاج إلى الإنفاق ولا إلى المنفق، لأنّه تعالى قادر على إغناء الناس فلا يكون فقير واحد محتاج للإنفاق، ولكنّه سبحانه جعل هناك فقيراً وآخر غنياً، ومحتاجاً ومنفقاً، لكي يكون هناك امتحان وتربية).

لهذا لا يجوز للقادة السياسيين اللهاث وراء مصالحهم الخاصة او الحزبية وينسون الهدف الأسمى الذي جاءوا من أجله وهو خدمة الأمة ورعاية امورها وتذليل مصاعبها، وكلما كان الانفاق سليما ومدروسا وينبع من نفس مؤمنة طيبة كلما كان تأثيره الدنيوي والأخروي أكبر، إذ يقول سماحة المرجع الشيرازي بكتابه نفسه في هذا المجال:

(إنّ الإنسان إذا أنفق الرديء أو ما فاض من ماله فهو وإن كان إنفاقاً لبعض المال وقد ينفع من أنفق عليه، غير أنّه لا يمكن أن يصل بصاحبه إلى ساحل البرّ والإحسان، بينما لو كان إنفاق الإنسان ممّا يحبّ ولا يستغني عنه، فهذا بعينه هو الذي يربّي النفس ليصل بها إلى ما تنشده الآية الكريمة).

إذن مطلوب من الانسان بصورة عامة أن يقف الى جانب الآخرين في مصاعبهم المادية وغيرها، فكيف الحال مع القائد الذي يملك صناعة القرار ويتمتع بصلاحيات كبيرة وفورية يمكنها أن تصب في صالح الجميع؟.

لكن اللافت للنظر أن ثمة من القادة -كما تشهد وقائع التأريخ القريبة والبعيدة على ذلك- ينشغل بمصالحه وخططه وبأولية المحافظة على الكرسي، ناسيا او متناسيا أن نفسه التي تدفعه في هذا الاتجاه الخاطئ إنما تسير به نحو الهلاك، لهذا كان عليه أن يرعوي ويربي نفسه ويتحكم بها ويسيرها بعقله وحكمته بدلا من أن تسير به الى العدم وتجرفه الى مهاوي الرذيلة.

لذا ينبغي على القادة السياسيين أن يتنبّهوا لهذا الجانب بقوة، وأن يتمرنوا ويتدربوا على التحكم بأنفسهم وأن يتعاملوا معها كالمربي المثالي بعيدا عن سلطات النفس، إذ يدعونا سماحة المرجع الشيرازي جميعا الى تحقيق هذا الهدف فيقول سماحته::

(فلنحاول نحن أيضاً من الآن أن نسعى في تربية أنفسنا، فإنّ تهذيب النفس وتربيتها ينبغي أن يكون هو الهدف الأسمى).

شبكة النبأ المعلوماتية - السبت ٢٤/نيسان/٢٠١٠ - ٩/جمادى

الأولى/١٤٣١

الفصل الثالث: القائد ورعاية الجماهير

(١)

مسؤوليات القادة والمصلحين في تربية أفراد المجتمع

في تعاليم وادبيات الاسلام الحنيف، لم يكن المنصب علامة للتفرد والتميز عن الآخرين إلا بقدر ما يقدمه صاحب المنصب من منفعة لعامة الناس، وحين يُصبح الشخص الفلاني قائدا سياسيا للمجتمع فإنه سيكون في موقع المسؤولية الاوول لتوجيه الناس وزيادة وعيهم والسمو بهم الى مصاف الفكر والسلوك الراقين.

بمعنى أن من يتصدر قيادة القوم سياسيا ودينيا واصلاحيا على وجه العموم، ينبغي أن يكون المحرك الاوول والساعي الأقدر والاكثر بذلا في تقديم خدماته المتنوعة للآخرين، ولعلها تصب أولا في الجانب التهذيبي الذي يرتفع بالنفس البشرية الى ما يليق بها من موقع يرتفع عن الصغائر بأنواعها.

فالرجل الاوول في الدولة او المدينة او القرية او المدرسة او الحلقة النقاشية.....إلخ، هو النموذج الذي يتميز بقدراته العقلية ومواهبه العملية وغيرها، وهو بذلك يعلو على الآخرين في التحصيل الثقافي والمعرفي والادراكي، بيد أنه لا يجوز ان يتميز عن الآخرين بالمكتسبات، بمعنى ان

مواهبه وقدراته العالية تسجل له شأنًا شخصيًا ولكن لاتمنحه فوائد وامتيازات مادية يرتفع او يتعالى بها على الناس.

وهكذا كان قادتنا في الاسلام ومصلحونا كذلك، فهم اول من يرشد الآخرين وآخر من يتعالى عليهم او يتسبب في مضرتهم، وفي هذا المجال نقرأ في كتاب سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي الموسوم بـ (السياسة من واقع الاسلام) شيئاً عن القيادة النموذجية للنبي محمد ﷺ إذ يقول: (وكان النبي ﷺ يتولى تربية أفراد الأمة بنفسه غالباً، ومهما سنحت الفرص، فيندمج معهم في الحديث، ويخوض حيثما خاضوا، ويصحح ما أخطأوا إمعاناً في جلب قلوبهم إلى الله ورسوله، وتعميقاً في هدايتهم إلى سبيل الله والرشاد).

بمعنى أن القائد السياسي آنذاك لا يترفع على الناس ولا ينعزل عنهم ولا يبخل في الاندماج معهم وتقديم المشورة والنصح لهم، بمعنى انه بالاضافة الى دوره السياسي في تسيير الامور السياسية للدولة فإنه يقوم بدوره التربوي الديني والاخلاقي على افضل الوجوه، إيماناً منه بأن تشذيب الاخطاء البشرية هو هدف سام من الاهداف الاصلاحية على تنوعها سياسية كانت او غيرها.

ولعل الطرائق المحببة التي كان ينتهجها الرسول ﷺ في توصيل آرائه الى الآخرين كان لها الدور الامثل في تقبل الآخرين لها بل والعمل السريع على تنفيذها، إذ جاء في كتاب سماحة المرجع الشيرازي في هذا المجال: (وكان في حديثه ﷺ مع المسلمين يندمج معهم كاملاً، اندماج المعلم العطوف المرابي الذي يحب أن يصعد بنفسيتهم وثقافتهم وتربيتهم).

من هنا تبدو لنا واضحة الاهمية التي تنطوي عليها طريقة ضخ

التوجيهات والاصلاحات الفكرية او العملية لأفراد المجتمع، بمعنى أن التشويق له دور في تقبل الانسان للآراء التي توجه له من اجل نقله الى مرحلة سلوكية متمدنة، ولعل جانب التأثير والتوصيل ينطوي على اهمية كبرى حيث يضمن القائد او المصلح او المتحدث عموماً تأثيره في الآخرين، ولعل من سمات النبي ﷺ في هذا المجال إشعار الآخرين بقيمتهم المعنوية والانسانية، فيندمج معهم ويسايرهم في طبيعة الموضوع او الحالة التي تتم مناقشتها، وقد ورد في كتاب سماحة المرجع الشيرازي بهذا الصدد: (روي عن زيد بن ثابت أنه قال: إن النبي ﷺ كنا إذا جلسنا إليه ﷺ إن أخذنا بحديث في ذكر الآخرة أخذ معنا، وإن أخذنا في ذكر الدنيا أخذ معنا، وإن أخذنا في ذكر الطعام والشراب أخذ معنا، فكل هذا أحدثكم عن رسول الله ﷺ -)، مكارم الأخلاق: ص ٢١.

وهذا دليل واضح على إشعار الآخر بأهميته وبأهمية ما يخوض فيه ناهيك عن إشعاره بعدم الترفع والتعالي عليه، والابتعاد عن الامور التي قد تؤدي الى نوع من القطيعة بين القائد والمصلح والمفكر من جهة وبين عامة الناس من جهة أخرى، فالمعروف إن الانسان يفضل من يحفظ له مقامه وكرامته ومن لا يترفع عليه سواء كان قائدا او مصلحا او مثقفا او غيره، وكان من سمات النبي ﷺ انه متساوٍ مع عامة الناس في ملبسه، وفي هذا الصدد جاء في كتاب سماحة المرجع الشيرازي: (عن أبي ذر أنه قال: كان رسول الله ﷺ يجلس بين ظهرائي أصحابه فيجيء الغريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل -)، بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٢٢٩ ب ٩ ضمن ح ٣٥.

وهكذا نلاحظ ان هذا القول يدل بصورة قاطعة على عدم التعالي للمصلح او القائد السياسي على الآخرين، كونه النموذج الذي يتساوى معهم

في المظهر ويتقدمهم في الوعي والاصلاح في الوقت نفسه، ومن الدلائل التي ترسخ هذا المنهج التربوي القويم طريقة إدارة الحوار والتوصيل ليس في الجوهر الفكري التربوي فحسب، وإنما في الشكل المكاني أيضاً، وفي هذا المجال نقرأ في كتاب (السياسة من واقع الاسلام): (روي عن أنس بن مالك - خادم رسول الله ﷺ - قال: «كنا إذا أتينا النبي ﷺ جلسنا حلقة»، بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٢٣٦ ب ٩ في مشيه ﷺ).

هذا الخلق الرفيع الذي لا يدع المجلس صدراً وذيلاً، ولا تهان كرامة أحد في المجلس لا عند الناس، ولا عند نفسه، فكل جالس في مثل هذا المجلس الدائري هو المبتدأ به، وهو الأخير، وهو الوسط).

إذن فمسؤولية القائد السياسي او التربوي تجاه المجتمع لا تمنحه تميزاً مادياً، بقدر ما تتطلب منه الاندفاع في توصيل الافكار وتركيز تأثيرها في الآخرين لنقلهم من حالة التردى الى حالة الرقي، وفقاً للطرق والاساليب التي ترفع من شأنهم وتحبب لهم الافكار التنويرية التي تهدف الى رفع مستوياتهم المعرفية والفكرية والسلوكية في آن واحد.

شبكة النبأ المعلوماتية - السبت ١٠/ تشرين الثاني/ ٢٠٠٩ - ٢٠/

شوال/ ١٤٣٠

(٢)

الحاكم ومبدأ التعامل... من الحاشية والمقربين

في غياب الدستور أو ضعف تطبيقه، غالباً ما يفسد الحاكم لوجود عناصر الفساد بالقرب منه، كالحاشية والأقرباء والمقربين والمتزلفين وغيرهم، فتبقى النفس هي المصدر الأول ضد المنزلقات إلى الحضيض، فإذا كانت ضعيفة ودينئة وتفضل امتيازات الحياة على حقوق الناس، فإن السقوط في حضيض السلطة سيصبح أمراً مفروغاً منه، وسوف يتحول الحاكم إلى العوبة بيد حاشيته، يستمع إلى نصائحهم بحجة حمايته من السقوط، فيقربهم منه، ويترك لهم الحبل على الغارب، فيعيشون فساداً في الأرض، وحينها يصبح تحت رحمتهم، فيغض الطرف عنهم وهو يعرف ويرى ويسمع بتجاوزاتهم، لكنه لا يعترض عليهم، فيصبح الفساد محمياً من الحاكم وهو أعلى سلطة تنفيذية، تتعاون مع السراق والفاستدين وذلك بعدم محاسبتهم خوفاً على العرش من السقوط.

أولوية الرغبات

التركيب المعقد للنفس البشرية، يدفعها غريزياً نحو مصلحة الذات، وهو أمر متعارف، تحاول أن تصححه الأديان منذ هبوطها وانتشائها، وتعمل التعاليم الإسلامية على الحد منه، والميل إلى الذات لاسيما لأصحاب المناصب والمسؤوليات يجعلهم أكثر عرضة من غيرهم للانحراف، والسير في الطريق الخاطئ غالباً ما يحتاج إلى حماية مبطنة تحمي السائر فيه من السقوط في مغبة الأعمال الخاطئة، لهذا يلجأ الحكام إلى البطانات والأقارب لدعم منهجهم المنحرف، فيستشري الفساد على حساب الأغلبية من الناس،

السبب دائما هو ضعف الحاكم ودناءة نفسه، على خلاف ما ينبغي أن يتحلى به من رفعة وسمو روحي يبعده عن اقتراف الصغائر، كما هو الحال مع قادة الاسلام العظماء.

يقول سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله) في كتابه الثمين الموسوم بـ (السياسة من واقع الاسلام) بهذا الخصوص: (لم يكن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كحكّام الدنيا يجعلون الأولوية في الرغبات لأقربائهم، فإذا فضل منها شيء جعلوها في سائر الناس. بل كان عليه السلام - فيما يتعلّق بعامة المسلمين - لا يفرّق أقرباءه عن غيرهم، وإنما كان لساوي بينهم وبين غيرهم في مختلف المجالات).

البداية بالنفس أولا

إن السياسة الرشيدة تتطلب ارادة جبارة قادرة على الترفع على رغبات النفس، ولهذا ينبغي على القادة والحكام أن يبدأوا بأنفسهم اولاً، في قضية الاصلاح ومحاربة الفساد وما شابه من امور، وأن يراعي الحاكم مبادئ الدستور وأن لا يتقاطع معها، حتى لو كانت تشكل مصدر ضغط عليه وعلى المقربين منه، فسياسة العدل هي الحل الامثل في معالجة الاخفاق وحالات الفساد، وليبدأ القائد بنفسه وعائلته واقربائه اولاً في قضية المساواة امام القانون.

ويذكر لنا سماحة المرجع الشيرازي في كتابه نفسه عن السياسة الرشيدة لأمير المؤمنين عليه السلام قائلاً: (هذه السياسة الإسلامية الرشيدة طبّقها أمير المؤمنين عليه السلام على نفسه وعلى أقربائه قبل أن يطبّقها على سائر الناس، ويطالبهم بالعمل عليها. فمن أراد سياسة الإسلام فليتعلم من علي بن أبي طالب تلميذ رسول الله صلى الله عليه وآله وربيب القرآن، وحجّة الله على

الخلق أجمعين).

وثمة روايات ودلائل تثبت هذه السياسة العظيمة التي تدل على ارادة جبارة وقدرة كبيرة على التحكم بالنفس وليس العكس، حيث تتحكم النفوس الامارة ببعض الحكام، فيعيثون هم وبطاناتهم فسادا في الارض، ويهزمون امام طمع النفوس وحبها للمال والجاه وسواهما، وقد ذكر سماحة المرجع الشيرازي بكتابه نفسه، عدة روايات مسندة تؤكد عظمة الامام علي عليه السلام ومبديته في التعامل مع الاقارب والمقربين.

يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا الصدد بكتابه نفسه: (روى المؤرخون: أنه بعث إلى أمير المؤمنين عليه السلام من البصرة من غوص البحر بتحفة لا يدرى ما قيمته، فقالت له ابنته أم كلثوم: يا أمير المؤمنين أتجمل به ويكون في عنقي؟ فقال علي عليه السلام لخازن بيت المال أبي رافع: يا أبا رافع أدخله إلى بيت المال.

ثم قال لابنته: ليس إلى ذلك سبيل حتى لا تبقى امرأة من المسلمين إلا ولها مثل ما لك. بنت أمير المؤمنين عليه السلام ينبغي لها أن لا تلبس ما لا تلبسه جميع النساء المسلمات. وهل لهذه النادرة نظير في قاموس السياسة والسياسيين؟ وهل نساء القادة يكون مستوى معيشتهم وملابسهن كأضعف نساء الشعوب؟ تلك هي سياسة الإسلام التي ندعو العالم إليها، لينعم الجميع في ظل الكرامة الإنسانية التي جعلها الله للإنسان، وخلق الإنسان لها).

القائد النموذج

ولابد أن ينطلق الحاكم في افكاره وسلوكه من مبدأ التأثير في الآخر، والنمذجة المهمة التي يتطلع اليها عموم الشعب حيث يكون تأثير الحاكم واضحا وقويا بشعبه، لاسيما اذا تميز هذا السلوك بالكمال والتمام والخلو من

الاحطاء والفواحش وتشجع على الاخلاقيات والمبادئ الحقة، لهذا يؤكد سماحة المرجع الشيرازي على أعمال القائد قائلاً في هذا المجال:

(القائد تكون أعماله درساً للشعب، ومنهاجاً للأجيال، ولذلك كان القائد متحملاً لما يمارسه الشعب نتيجة تعلمه منه، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. والحياة الشخصية للقائد أدق مدرسة للأجيال المتمسكة بذلك القائد، ولهذا كان من سياسة أمير المؤمنين عليه السلام بناء حياته الشخصية على الإيمان والزهد). والسبب كما هو واضح أن يشكل النموذج الامثل للشعب كي يسير بالاتجاه الذي يرضي الله تعالى ويصب في الصالح العام، ولذلك لا ينبغي على الحاكم او المسؤول ايا كان منصبه ومستواه، أن يستغل نفوذه في هذا المنصب لتحقيق رغباته، لانه سينساق الى الخطأ آجلاً أم عاجلاً، لاسيما أن البطانة والمقربين قد يدفعونه باتجاه الظلم ومجافاة العدل والمساواة، لذا لا بد من الزهد وقمع رغبات النفس غير المشروعة، يقول سماحة المرجع الشيرازي بكتابه المذكور آنفاً:

(أربع سنوات أو أكثر قضاها أمير المؤمنين عليه السلام بين الكوفة والبصرة، وهو الرئيس الأعلى للبلاد الإسلامية الواسعة الأطراف. خلال هذه المدة الطويلة لم يشتر من مال المسلمين ثياباً لنفسه، ولم يأخذ من أموال البصرة والكوفة شيئاً لذلك. بل ظل على ثياب المدينة كل هذه المدة الطويلة، إلا إذا اشترى من عطائه الخاص كأضعف مستضعف من مسلم آخر في طول البلاد الإسلامية وعرضها).

طريق الحياة الأمثل

ولم يتعلق الامر بالملبس او المظاهر وسواها، بل انسحب ذلك الى طريقة الحياة نفسها، أي كيف يعيش الحاكم وكيف يؤثر في شعبه نحو

الافضل، فكانت حياته مثار اعجاب الجميع لاستقامتها وبساطتها وخلوها من جميع مظاهر التبذير والابهة والخيلاء وما شابه.

يذكر لنا سماحة المرجع الشيرازي دعماً لهذا النهج المثالي قائلاً: (في الوقت الذي عمت الخيرات بلاد المسلمين وبفضل الإسلام، فكان المسلمون وغير المسلمين يرفلون في نعيم من الطيبات. وكانت الكوفة - عاصمة أمير المؤمنين عليه السلام - لا تجد بها إلا المنعم من الناس. في مثل هذا الظرف تجد سيد الكوفة، وسيد البلاد الإسلامية، وزعيم الإسلام: أمير المؤمنين عليه السلام لا يأكل حتى ما يأكله أدنى الناس).

وهكذا ينبغي أن يتعامل الحاكم بمبدئية عالية مع اقربائه ومعاونيه والمقربين منه، لضمان طريق الحياة الذي يتسق مع الاعمال والاقوال والافكار التي تسعد الشعب وترضي الله تعالى في وقت واحد.

شبكة النبأ المعلوماتية - الخميس ٢٠/تشرين الأول/٢٠١١ - ٢٢/ذو

القعدة/١٤٣٢

(٣)

القيادة الناجحة تكمن في خدمة الشعب

الكل يُجمع على أن السلطة لها سحرها الخاص والمتعارف بين الناس، فالسلطات بأنواعها المختلفة، تضعف الكثير من الميزات الجيدة لدى الانسان، في حالة عدم قدرته على ضبط نفسه ازاء مزايا السلطة الكثيرة.

ولهذا نرى صاحب السلطة، سرعان ما يُصاب بالغرور والتعالي على الآخرين، حتى لو كانوا من اقرب الناس إليه، يحدث هذا اذا كان السلطان دنيوياً، ضعيفاً ازاء الجاه والسلطة والنفوذ والمال، وغير مدرك لحجم

المسؤولية التي تتبع من اختياره للسلطة، فالسلطة ليست غرور ولا تعالي ولا تضخيم متواصل للذات ومنافعها، بل هي نوع من التشريف اولا، ثم هي أداة وطريقة لتقديم الخدمات للآخرين، من خلال ادارة شؤونهم المتنوعة، ولهذا لايجوز أن تتحول السلطة من وسيلة لخدمة الشعب الى وسيلة لخدمة الحاكم، ولكن يحتاج الحاكم الى مزايا وخصال عظيمة، لكي يتفوق على ذاته ويتحكم بالسلطة، ولا يسمح لها بالتحكم به، فإذا ضعف ازاءها فشل وخسر وانعزل عن شعبه والعكس يصح طبعاً.

يقول سماحة المرجع الديني، آية الله العظمى، السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله)، في هذا المجال بكتابه القيم الموسوم بـ(السياسة من واقع الاسلام):

(عادة أصحاب السلطات يعيشون بعيدين عن المجتمع، ويترفعون عن ممارسة الحاجات الصغيرة بأنفسهم لعدة أسباب:

- للجبروت والطغيان.

- للخوف من المجتمع الذي يمارسون الظلم معه.

- للفرار من كثرة تراكم الأعمال عليهم).

هكذا يمكن أن تكون السلطة مصدر عزلة للحاكم عن شعبه، ويمكن ان تكون مصدراً لتفعيل التكبر والتعالي على الآخرين، إلا من تمكّن من نفسه، وهم قلة كما يذكر التاريخ، فالحكام المتواضعون قلة قليلة، لأن مقارعة النفس والحد من حبها وتعلقها بالسلطة يحتاج الى جهاد استثنائي.

وهكذا يذكر لنا التاريخ هؤلاء القلة، بفخر واعتزاز كبير، كونهم المثل والنموذج للحاكم الناجح، ومنهم أمامنا علي ابن ابي طالب عليه السلام فقد كانت السلطة تأتمر بأوامره وليس العكس، وكان هو الذي يقود نفسه ويتحكم بها

وليس العكس، لهذا نقرأ في كتاب المرجع الشيرازي قوله:
 (كان علي بن ابي طالب - عليه السلام - يمارس الأعمال الصغيرة بنفسه
 الكريمة بجنب ممارسة الأعمال الكبيرة، ويقضي حاجات الناس بشخصه،
 يبحث عنها بين الناس ليلاً نهاراً، وفي الحرّ والبرد).

هذا الطراز من الحكام لم تتمكن منه مزايا السلطة قط، ولا يمكن أن
 يغترّ بها أو يترفع على شعبه، لأنه هو الذي يقود السلطة والنفس وليس
 العكس، وكم يحتاج المسلمون في عالم اليوم الى حكام من هذا النوع، حكام
 يؤثرون الفقراء على أنفسهم وعوائلهم ومصالحهم، حكام لا يصيبهم داء
 الغرور والتعالي على الشعب، لاسيما ان الدول الاسلامية والعربية تعاني من
 الفقر والحكام المتكبرين والطغاة ايضاً.

إن طريقة الحكم التي سار عليها الامام علي -عليه اسلام- هي ما
 نحتاجه الآن، في ظل الظلم والقهر الذي تتعرض له جموع المسلمين في هذه
 الدولة او تلك، الامر الذي دفعهم للثورة والانتفاض على حكامهم المتجبرين،
 إننا بحاجة الى حاكم يأتمن له الناس من خلال أعماله ومساندته لهم، ومثالنا
 في ذلك هو امير المؤمنين عليه السلام، حيث يقول عنه سماحة المرجع الشيرازي
 بكتابه نفسه:

(هذا الحاكم هو الذي كان يطمئن الضعفاء والمساكين والمستضعفين،
 إلى أن لا يخشوا ظلم الناس لهم، لأنهم يعلمون أن أمير المؤمنين عليه السلام هو
 الذي بنفسه يبحث في الأزقة والأسواق، والطرق العامّة والمجمعات
 الجامعة.. فيسعفهم، ويدفع عنهم كل حيف).

ولم يتوقف الامر عند هذا الحد، بل كان الامام علي عليه السلام سيفاً مجرداً
 في كل حين على رقاب الظالمين والمتجبرين، إذ يقول سماحة

المرجع الشيرازي:

(هذا هو الذي يصد - أيضاً - الطغاة والمستكبرين عن الظلم وإيذاء الناس، لأنهم يعلمون أنّ علياً عليه السلام لهم بالمرصاد، وهو بشخصه موجود بين أفراد المجتمع، فلا يأمنون في كل لحظة وفي كل مكان أن يكون علي عليه السلام هو الشاهد والحاضر يقبض عليهم متلبسين بالجريمة).

لهذا نحن نحتاج في هذا الوقت بالذات، الى حاكم يتمثل حكم الامام علي عليه السلام بصورة صحيحة، لكي يكون نموذجاً ناجحاً في التعامل مع السلطة والشعب معاً، وفي هذا يؤكد سماحة المرجع الشيرازي قائلاً بكتابه نفسه:

(كان حضور أمير المؤمنين عليه السلام بين الناس دائماً، وليعتبر به قادة المسلمين، فلا يتركوا الشعوب لينعزلوا في الأبراج العاجية، بعيدين عن المجتمع فيأمن الظالمون ردهم، ويخاف المظلومون ظلم الظالمين).

شبكة النبأ المعلوماتية - الخميس ١٨/آب/٢٠١١ - ١٧/رمضان/

١٤٣٢

(٤)

حكمة القائد السياسي وحماية الحريات العامة

الحرية كما نتفق، هي الشرط الذي يحقق حالات التوازن، والقبول، والتراضي، والتكافل، بين عموم شرائح المجتمع، وهي التي تضبط العلاقة بين القائد السياسي وشعبه، وكلما كان هذا القائد ذا حكمة ورويّة، في معالجة الامور وادارة شؤون الشعب، كلما كان ناجحاً في وظيفته القيادية.

أما في حالة فقدان شرط الحرية، وإهماله او التجاوز عليه، فإن الارباك لابد أن يتسلل الى العلاقة بين القائد وشعبه، ومع مرور الوقت سوف يتحول

القائد، الى كفة القمع والتضخيم الذاتي لشخصه، ونوازهه ومنافعه، على حساب الشعب الذي سيبتعد عن القائد، ويجعل منه ندًا يحاول أن يطيح به، ويتحين الفرص للقيام بذلك، كما حدث في هذه الايام في دول عدة، منها تونس ومصر وليبيا، والقائمة ستطول جميع الحكام الذين يهملون شرط الحرية، ويتجاوزون على حريات الشعب.

وكان لنا في شخصية الامام علي عليه السلام، كقائد سياسي، مثالا فذاً للتعامل الحكيم مع الحريات كافة، فكان عليه السلام يميل على نفسه وحقوقه لصالح الشعب، وكانت جميع الحريات المشروعة مكفولة تماما، في عهده عليه السلام. في هذا الصدد، يقول سماحة المرجع الديني، آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله)، في كتابه الثمين الموسوم بـ (السياسة من واقع الاسلام):

(الحرية الإسلامية التي فسح لها المجال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كانت أشبه شيء بالحريات التي منحها رسول الله صلى الله عليه وآله للناس في صدر الإسلام، فكما كان يعيش في المدينة المنورة وحواليها حتى وفاة النبي صلى الله عليه وآله بجنب المسلمين، المشركون واليهود والنصارى والمنافقون، مختلطين في دورهم وأسواقهم، يتعاملون ويمارسون حرياتهم المتبادلة في ظل الإسلام العظيم. كذلك كان المسلمون، واليهود، والنصارى، والمجوس، والمشركون، بل كل البشر يعيشون في ظل الإسلام عيشة محترمة هانئة، في عزة ورفاه في عصر أمير المؤمنين علي عليه السلام).

وهكذا حتى غير المسلمين، تُحترم حرياتهم، من لدن القائد السياسي، فيؤدي ذلك الى حالة استقرار كبيرة، يصنعها القائد الحكيم العادل، من خلال تعامله السليم مع عموم افراد وجماعات الشعب، فهو الحامي لحرياتهم، بدلا

من أن يكون هو المتجاوز عليها، كما يحدث اليوم في العديد من الدول العربية والاسلامية، حيث تضطرب العلاقات بين الشعوب وقادتهم، بسبب فقدان هؤلاء القادة، للحكمة وسعة الصدر وبعد الآفاق، والايمان بحرية الشعوب والافراد معا، بغض النظر عن الشكل او اللون او الجنس او الانتماء العرقي أو القبلي وما شابه، إذ يقول سماحة المرجع الشيرازي، بهذا الخصوص، في كتابه نفسه عن الامام علي عليه السلام:

(وقد أثر عنه عليه السلام في هذا المجال: «فإنهم — أي الناس — صنفان إمّا أخ لك في الدين، وإمّا نظير لك في الخلق»). هذه الكلمة الفذة العظيمة الخالدة التي تفسح المجال لاحترام البشر بما هو بشر، لكي ينظر إليه الناس من هذا المنظار فتجمعهم جميعاً كلمة العدل وحق الإنسانية).

ولذلك وكما يضيف سماحة المرجع الشيرازي قائلاً:

(كان علي عليه السلام هو أول من طبق هذه الأقوال على حياته العملية وأسس حكومة إسلامية عادلة حرة، الناس فيها أحرار، على وتيرة دولة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تماماً).

إن القائد السياسي لابد أن يتحلى بصفات مهمة، تجعله يستحق مكانته في قيادة الشعب، ومن اهم هذه الصفات، أن يتعد عن القرارات المتسارعة في معالجة الامور، وأن لا يجعل من تحديد الحريات، والتجاوز عليها، أسلوباً لحماية الحكم، او كرسي العرش، إنما ينبغي أن يدعم العلاقات السلمية، ويبني المشتركات الحقيقية، التي تجمع بين اهداف القائد، واهداف الشعب، وأن يحرص على عدم التقاطع في المسارات، والتوجهات، لكي لا يحصل نوع من العداء الذي قد يصل الى حد الاحتراب بين الطرفين الحاكم والمحكوم، ومع ذلك لا ينبغي للقائد أن يتعامل بمنطق القوة مع من يتقاطع

معه، كما هو الحال مع القذافي الذي أباح واستباح دماء شعبه.
لقد كان للامام علي عليه السلام، مواقفه الخالدة في التاريخ حتى مع أعدائه،
إذ يقول سماحة المرجع الشيرازي بهذا الصدد:

(الخوارج حاربوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. وشهروا
السيوف عليه وعلى أصحابه. وقتلوا الألوفاً من المؤمنين والمؤمنات من
أصحاب علي عليه السلام وشيعته. وأقاموا على علي عليه السلام حرباً عظيمة. ومع ذلك
كله حفظ التاريخ لأمر المؤمنين عليه السلام: «أنه لم يقطع عطاء الخوارج من بيت
المال». فأية حرية هذه وفي أي بعد؟).

تُرى هل يتعامل قادة اليوم مع المنتفضين عليهم، أو الخارجين على
حكمهم، بمثل الأسلوب الذي تعامل به قائد الدولة الإسلامية آنذاك، الامام
علي عليه السلام مع الخارجين عليه؟.

فأية دروس هذه التي ينبغي على قادة اليوم أن يتخذوا منها مناهج
لسلطاتهم وقيادتهم لشعوبهم!!.

لقد وقف الامام علي عليه السلام ضد نفسه، وإلى جانب من يكون ضده،
ليس لأنه يعترف بصحة الموقف المضاد له، بل لكونه القائد السياسي الأعلى،
فلا بد أن يكون المدافع الأول والأشد، عن حرية الرأي والموقف، حتى لو
كان مضادا له. هكذا هم قادتنا العظام في الحلقات المشرقة من تاريخنا
الإسلامي.

يقول سماحة المرجع الشيرازي بهذا الصدد: (الإمام عليه السلام بسياسته
الرشيدة وحكمته السياسية، ترك الناس وما يقولون، لعله يكون صمام أمان
يتنفس به أصحاب الأمراض النفسية، كي لا تصل النوبة إلى حدّ السيف،
وقيام حرب ولو صغيرة داخل الكوفة. وليس معنى ذلك أنّ الإسلام يجوز

لهذا الخارجي في أن يتفوّه بمثل هذه الجملة، كلا، فهذا الذي تكلم به الخارجي من أبشع الحرام، وأشنع الآثام، ولكن المقصود هو بيان ما للحاكم الإسلامي الأعلى من سعة في منح الحريات للناس حتى لمثل هذا المنكر الفظيع).

هذه هي الدروس الخالدة، التي ينبغي على قادة اليوم، أن يأخذوا بها، من اجل مصالح شعوبهم وأنفسهم في الوقت عينه.

شبكة النبأ المعلوماتية - الخميس ١٠/أذار/٢٠١١ - ٤/ربيع الثاني/

١٤٣٢

(٥)

أهمية المسؤولية التربوية للقادة السياسيين

ريما يظن ساستنا اليوم، لا سيما القياديون منهم، بأن دورهم لا يتجاوز ادارة الشؤون السياسية وسبك صناعة القرار السياسي وما شابه، بمعنى أنهم يعتقدون في الغالب أن مسؤولياتهم تنحصر في الانشطة التي تتعلق بشؤون البلد السياسية ولا تتعدى ذلك الى شؤون اخرى.

وإذا كان كلامنا هذا صحيحا كما تشير أنشطة السياسيين على ارض الواقع، فإن ذلك يدل على ضعف الوعي لدى هؤلاء القادة وعدم معرفة الادوار المناطة بهم، ولعل ذلك ناجم عن قلة اطلاعهم على تجارب وسير القادة العظماء الذين غيروا مسارات أممهم وشعوبهم وخرجوا بها من أفقاص الظلام والجهل والتخلف الى رحابة العلم والتطور والازدهار، ناهيك عن ضعف تصوراتهم ومواهبهم القيادية التي تحصر نفسها في جانب واحد، وتنسى جوانب اخرى ذات اهمية قصوى.

بمعنى أن السياسي الذي يجيد إدارة البلاد سياسياً، قد ينسى بأنه مسؤول تربوي ينظر إليه الناس كنموذج، ليس في السياسة وحدها بل وفي السلوك وطرائق التفكير والتفرد وما شابه، في الوقت الذي قد ينسى القائد السياسي دوره الهام هذا.

وفي هذا المجال الحيوي الهام يقدم لنا سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي في كتابه النفيس الموسوم بـ (السياسة من واقع الاسلام/ فصل سياسة التلاحم مع الامة للتربية) جانبا من سيرة النبي الاكرم ﷺ وقيادته المتفردة للدولة الاسلامية فيقول سماحته: (كان النبي ﷺ يتولّى تربية أفراد الأمة بنفسه غالباً، ومهما سنحت الفرص، فيندمج معهم في الحديث، وينحوض حيثما خاضوا، ويصحح ما أخطأوا إمعاناً في جلب قلوبهم إلى الله ورسوله، وتعميقاً في هدايتهم إلى سبيل الله والرشاد).

إذن لم يكتف النبي ﷺ بقيادته السياسة لدولة المسلمين ولم يحصر نفسه في مجال اتخاذ قرارات الحرب وادارة الصراع مع المشركين والمتربصين بدين الله الذي كان لا يزال (طرياً) ويتطلب جهوداً سياسية استثنائية لحمايته وتثبيته ونشره على الجميع، بل كان للجانب التربوي اهميته الموازية للسياسي، فمثلما تتطلب السياسة حنكة وحكمة وصواباً في القرارات وغيرها، فإن تربية الناس ونقلهم من الجهالة والضلالة الى النور واليقين تتطلب جهداً استثنائياً من لدن القائد السياسي (الرسول الاعظم -ص-) ولعل هذا لوحده يعطي درساً ثابت الجنان لكل السياسيين المعاصرين الذين قد لا يخطر على بالهم انهم مسؤولون تربوياً عن يهودونهم من الناس.

فكان النبي ﷺ كما يقول سماحة المرجع الشيرازي في كتابه

أنف الذكر:

(يندمج في حديثه -ﷺ- مع المسلمين كاملاً، اندماج المعلم العطوف المربي الذي يحب أن يصعد بنفسيتهم وثقافتهم وتربيتهم).

ولعل مثل هذا الحرص للارتقاء بتربية - الرعية- ينم عن شعور لا متناهي بالمسؤولية الملقاة على عاتق القائد وهو يشكل النموذج الامثل لهم ليس في المجال السياسي فحسب وانما يتجاوزه الى تربية النفس وتهذيبها وتقويتها وتطويرها لكي يصبح المواطن عنصر قوة مضافة للامة، ناهيك عن كونه عنصر قوة بيد السياسي نفسه.

لذا كان النبي ﷺ يدمج مع حنكته السياسية المعروفة، حنكة تربوية متفردة كي يكون الآخرين صورة من جوهره الانساني العظيم، ولعلنا نجد في تأكيده على بعض الخصال التربوية دروسا لا يمكن ان تغفلها الامم التي تبحث عن الرقي والتطور والازدهار كونها تقدم لهم أساليب تربوية بالغة الاهمية والروعة، حتى في أدق التفاصيل، فقد جاء في كتاب سماحة المرجع الشيرازي نفسه:

(روي عن ابن عباس أنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا حدث الحديث أو سأل عن الأمر، كرره ثلاثاً ليفهم ويفهم عنه»- مكارم الأخلاق: ص ٢٠، وبحار الأنوار: ج ١٦ ص ٢٣٣ باب ٩ ح ٣٥.-).

ولعل معنى الخبر: لكي يفهم المخاطبين، ولكي عندما ينقل عنه الحديث لا ينقل خطأ أو سهواً أمر آخر. ويظهر من هذا الخبر أن التكرار كانت عادته ﷺ الغالبة على كلماته الشريفة. أي معلم أو مرب أو مرشد يفعل مثل ذلك؟ إنه رسول الله ﷺ وكل من تعلم في مدرسته).

وهكذا في عموم التفاصيل التي تنطوي عليها سلوكيات العظماء، فهم

محط انظار الجميع في سلوكهم واقوالهم بل وفي ادنى حركاتهم.
 ومن أروع الدروس التربوية التي قدمها نبينا الأكرم ﷺ للبشرية
 جمعاء -وهي كثيرة جدا، طريقته في الاجتماع بالآخرين، إذ ورد في كتاب
 (السياسة من واقع الاسلام) لسماحة المرجع الشيرازي في هذا الصدد:
 (روي عن أنس بن مالك - خادم رسول الله ﷺ - قال: «كنا إذا أتينا
 النبي ﷺ جلسنا حلقة»- بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٢٣٦ ب ٩ في
 مشيه ﷺ -).

هذا الخلق الرفيع الذي لا يدع المجلس صدراً وذيلاً، ولا تهان كرامة
 أحد في المجلس لا عند الناس، ولا عند نفسه، فكل جالس في مثل هذا
 المجلس الدائري هو المبتدأ به، وهو الأخير، وهو الوسط.. هو الذي اتخذه
 الرسول ﷺ لسياسة جلساته مع المسلمين.. وقد تعلم العالم هذا الخلق عن
 النبي الأكرم ﷺ بعد ما سار التمدن فيه أكثر من عشرة قرون).
 لهذا فإن قادتنا السياسيون يجب أن يكونوا معنيين بالجانب التربوي بما
 يوازي اهتمامهم بالجانب السياسي، كونهم النماذج التي تتطلع إليها عيون
 الناس لكي يأخذوا منهم السمات والخصال الايجابية التي تتلاقى وتتفاعل
 معا، لكي تصنع امة تتطلع دوما للرفي والتقدم والازدهار.

شبكة النبأ المعلوماتية - السبت ١٣/ تشرين الثاني/ ٢٠٠٩ - ١٥/ ذو

القعدة/ ١٤٣٠

(٦)

القائد السياسي ومعاملة الناس بالحسنى

في تاريخنا السياسي الإسلامي المشرق، كثير من الوقفات التي قد يُصعب إحصاؤها أو التوقف عندها جميعا، لكننا نستطيع أن نستخلص منها بين الحين والآخر، ما يدعم تجاربنا السياسية الحديثة في مجالات عديدة ومتنوعة، فليس المقصود أن نتبجح بهذا الموقف أو ذاك أمام الملأ الانساني عامة، ولكننا نهدف بالدرجة الأولى الى تذكير سياسيينا في العالم الإسلامي بمواقف ومآثر الرعيل الأول من قادتنا العظام، لعلمهم ولعلنا جميعا نعتبر من تلك المواقف التي حفرت لنفسها علامات مضيئة في جبين التأريخ البشري قبل الإسلامي.

وربما يكون من البديهيات أن نؤكد بكلمتنا هذه أهمية أن يتعامل القائد السياسي بالحسنى مع شعبه، لكن المهم في هذا الجانب أن لا يكون هذا التعامل شكليا او إعلاميا (كما يحدث من بعض القادة في بعض الدول العربية والإسلامية) بل ينبغي أن يستند الى صدقيه تامة متأتية من طبيعة شخصية القائد ومبادئه وسلوكه الحقيقي الذي يستند الى جوهره ولا يكون متصنعا لأجل الدعاية أو ما شابه.

وفي كل الأحوال فإن القائد الذي يتعامل مع شعبه بما يليق بالكرامة الإنسانية سيكون هو الرابح الأول من سلوكه هذا، من خلال توثيق العلاقة المتبادلة بينهما ناهيك عن الرضا الشخصي عن الذات وراحة الضمير وكسب الرضا الرباني في نهاية المطاف.

ولنا في نبينا الأكرم محمد ﷺ النموذج السياسي الأمثل في طرق

التعامل مع الناس، حيث يقول سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي بهذا الصدد في كتابه الثمين الموسوم بـ (السياسة من واقع الإسلام):

(وقد ضرب النبي ﷺ الرقم الأول في التاريخ كله في الرحمة بما لا مثيل لها في تاريخ أي عظيم وقائد).

وكيف لا وهو الذي فضل الرعية على ذاته وعاملها بحنو إنساني لا يُضاهى، وهنا لا بد أن نورد قصة كاملة ذكرها سماحة المرجع الشيرازي في كتابه نفسه كدرس بليغ للسياسيين المعاصرين في كيفية التعامل مع المواطن الفرد، إذ يقول سماحته:

(وفد أعرابي على رسول الله ﷺ يطلب منه شيئاً، فأعطاه النبي ﷺ وقال له: أحسنت إليك؟ قال الأعرابي: لا، ولا أجملت).

وذلك في مجلس النبي ﷺ وبمحضر من أصحابه المهاجرين والأنصار، فغضب المسلمون، وشق عليهم تحمل هذه القسوة من الأعرابي، فقام إليه بعض الصحابة ليوبخه ويؤنبه. فأشار النبي ﷺ إليهم: أن كفوا. ثم قام ﷺ ودخل منزله وأرسل إليه وزاده، ثم قال ﷺ له: أحسنت إليك؟ قال الأعرابي: نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً، فودّع الأعرابي وخرج.

ثم توجه النبي ﷺ إلى أصحابه قائلاً: (مثلي ومثل هذا، مثل رجل له ناقة شردت عليه، فأتبعها الناس، فلم يزلها إلا نفوراً، فناداهم صاحبها: خلوا بيني وبين ناقتي فإنني أرفق بها منكم وأعلم. فتوجه إليها ووقف بين يديها، فأخذ لها من قمام الأرض، فردها حتى جاءت واستناخت، وشدّ عليها رحلها واستوى عليها. وإنني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه

دخل النار^(١). يا لها من رحمة عظيمة، لا تجد نظيرها في غير تاريخ الرسالة أو الولاية.

إن هذا النموذج من التعامل الذي حدث في ظروف تختلف عن ظروف العصر الراهن وفي مجتمع كان لا يزال في أوائل خروجه من الجهالة الى نور العلم، هذا النموذج يُعدّ قفزة عظيمة في التعامل الانساني للقائد السياسي مع مواطنه، ولم يكن الدافع دينيا محضاً، بل ثمة رؤية سياسية عظيمة تحالطت مع الرؤية الانسانية والمبادئ الاسلامية لتخلّص الى هذا النوع الراقي من التعامل المعافى مع المحكوم من لدن الحاكم.

ولو تساءلنا هل ثمة وجود في عالمنا اليوم لمثل هذا النموذج الكبير في المنظور الانساني عامة؟ فإن الجواب سيأتي صارخا وراكزا بالنفي الذي يؤكد بأن ساستنا ذهبوا بعيدا في قطيعتهم مع تجارب قادة الاسلام العظام.

لذا مطلوب أن يعود القادة الى أنفسهم اولا ومن ثم الى مثل هذه الحلقات التاريخية المتوهجة بنور الوعي الذي سيفتح الطريق واسعا أمامهم للدخول في السبل والفضاءات السليمة من التعامل الصحيح مع الناس عموماً، بل كان النبي الأعظم ﷺ رؤوفاً حتى مع الحيوان وطالما وجّه الجميع بالرفق به، فكيف إذا تعلق الامر بالانسان، مع ملاحظة غياب التكافؤ بين الحاكم والمحكوم، بمعنى ينبغي من الطرف الاقوى أن يراعي ضعف الطرف الثاني في التعامل، وهكذا يجب أن تكون رحمته مضاعفة عمّا لو كانت العلاقة تدور بين طرف يضاهيه بالقوة والمال والنفوذ وما شابه.

ومن محاسن إطلالة القائد السياسي على النموذج المشرق أن رحمة النبي ﷺ ومعاملة الناس بالحسنى وصلت الى حد عدم إجهادهم حتى

(١) راجع الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض: ج ١ ص ١٢٤.

بالموعظة، فكان ﷺ لا يُثقل بالموعظة على من يستمع إليه من المواطنين، إذ يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا المجال: (وذكروا: أنه ﷺ كان يقصر من مواعظه خشية السامة على أصحابه، فلا يكثر عليهم المواعظ، وإذا وعظ لم يطل فيها، بل يقلل، وفي القليل يقصر)^(١).

هكذا ينبغي على ساسة اليوم في العالم الاسلامي أن يدخلوا في رحاب الرسول الأعظم ﷺ وأن ينهلوا من قيادته الخالدة أروع العبر وأرسخ المواقف وأعظم الدروس.

شبكة النبأ المعلوماتية - السبت ٣٠/كانون الثاني/٢٠١٠ - ١٤/

صفر/١٤٣١

(٧)

تواضع الحاكم للشعب سبيله للنجاح الدائم

الحاكم هو إنسان قبل أن يكون شيئاً آخر، وبهذا المعنى فهو محكوم - كما الآخرين - بملكات الانسان وصفاته الجيدة والرديئة معا، ولذلك لا ينبغي للحاكم أن ينظر الى نفسه فوق مستوى الشعب، ولا يصح أن يؤمن بأنه يتفوق عليهم، بالذكاء، او الدهاء، او المنزلة، وما الى ذلك مما تدفع إليه النفس، فتجعل الحاكم مبتليا بالعزة والتكبر، في وقت يحتاج الحاكم الى التواضع مع شعبه، أكثر مما يحتاج الى أي شيء آخر. والسبب بسيط جدا، لأن هدف الحاكم هو البقاء في السلطة لأطول مدة

(١) راجع مكارم الأخلاق للطبرسي: ص ٢٤ ب ١ ف ٢ في جمل من أحواله وأخلاقه ﷺ.

ممكنة، وهذا الهدف يرتبط بنجاح الحاكم في قيادة الشعب، والنجاح يمكن أن يكفله التواضع في التعامل مع الشعب، بتوافر القدرات الاخرى في ادارة شؤون الناس، وفقا للدستور والرؤية السياسية التي ينبغي أن تكون واضحة، ومخطط لها بإحكام، فإذا توفر للحاكم مثل هذا التخطيط السياسي، الاداري السليم، ورافق ذلك تواضعه الجميل في معاملة الشعب، فإن النجاح لا بد أن يكون حليفه، لأنه سيكسب محبة الناس وتأييدهم دائما.

ومن صفات الحاكم كإنسان، أن نفسه تنطوي على العزّة والكبر، لهذا فهو يحتاج الى عملية توازن وضبط لهاتين الصفتين.

يقول سماحة المرجع الديني، آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله)، في كتابه الثمين الموسوم بـ (حلية الصالحين) بهذا الخصوص: (إنّ العزّة والكبر هما من حالات النفس الإنسانية التي تظهر على جوارح الإنسان في سلوكه. وإظهار الكبر يسمى تكبّراً، كما في اللغة. والكبر والتكبر مذمومان، أمّا العزّة فمحمودة ويقابلها الذلّ وهو مذموم أيضاً).

فطالما يكون الحاكم قادرا على التحكم بالعزّة والكبر، كونهما مما تنطوي عليه النفس البشرية، فإنه سيكون في مأمن من شر التكبر والعزّة، التي لا تكون في محلها الصحيح، لذلك لا بد أن يكون الحاكم الضعيف ازاء نفسه ورغباتها، مقادا من قبل النفس التي لا تكتفي بالمعقول، فيما لو تركت لها قيادة الانسان، وفي هذا الصدد يقول المرجع الشيرازي بكتابه نفسه:

(من كان محكوماً لقدرة الغرائز في نفسه فقد شمله الذلّ وإن كان يتظاهر بالعزّة، وما العزّة التي يتسمّى بها إلا قشرة ظاهرية ولكنّه في الحقيقة ذليل لأنه أسير شهواته، لا فرق في ذلك بين شهوة المال أو البطن أو الفرج أو حبّ الظهور أو غيرها من الشهوات. أمّا الذي لا يرى القدرة إلا قدرة الله

تعالى، فهذا له العزة بعينها).

لهذا يكون الحاكم أو القائد السياسي أو أي مسؤول آخر، ذليلاً فيما لو ترك لنزواته وغرائزه ورغباته ومصالحه أن تقوده، على حساب الآخرين، وما العزة التي كان يتبجح بها الطغاة كصدام، والقذافي، وزين، وحسني وغيرهم، سوى غطاء مهلهل لا يمكن أن يخفي حقيقة الذل التي كانت تطبع نفوسهم، وتفضحهم حتى دفعت بهم إلى مزابل التأريخ، كما حدث مع هؤلاء الطغاة وغيرهم.

ولذلك ينبغي أن يؤمن قادة اليوم، في الدول العربية وتلك التي تقول بأنها إسلامية، لا بد أن يؤمن جميع هؤلاء، بأن التواضع مع شعوبهم عزة لهم، ونجاح في مهامهم، مدعوماً بحفظهم لحقوق وحرريات شعوبهم، وما عدا ذلك فإن الذل هو المصير لكل من يترفع ويتكبر على الشعب وفقرائه، وها هي دروس التأريخ ماثلة أمام جميع الحكام، بل ها هي دروس الواقع الساخن لاتزال تلهب وجوه الحكام، بالانتفاضات الشعبية العارمة، التي ما كانت لتحدث لو تواضع القادة لشعوبهم، وخدموهم بما يرضي الله وعباده، ولذا يؤكد سماحة المرجع الشيرازي في كتابه نفسه على:

(إن العزة ليست في ترفع الإنسان عن أقربائه وعشيرته، بل هي العبودية المطلقة لله تعالى ومعرفة ما هي الواجبات وما هي المستحبات والعمل بهما، وما هي المحرمات وما هي المكروهات والابتعاد عنهما؛ لأنّ الدلة تتحقق في الإتيان بما يُسخط الله تعالى).

والمشكلة أن الحكام لا يعرفون في الغالب، جوهر العزة، وما ستؤدي إليه من نتائج وخيمة، إذا لم يصح التعامل معها، وقد ينطبق عليها القانون المعروف، الذي ينص على أن (الزائد كالناقص) أو (كل شيء يزيد عن حده

ينقلب ضده) وهكذا هي العزة اذا لم يستخدمها الحكام او الناس عموماً بالطريقة الصحيحة ستقود الى نتائج معاكسة، إذ يقول سماحة المرجع الشيرازي في كتابه القيم نفسه بهذا الصدد: (والعزّة - بعد ذلك - كالطاقة إن لم تؤطّرْها بالإطار الصحيح تنقلب وبالأعلى عليك، فإنك لو أطّرت الطاقة الكهربائية بالإطار الصحيح ووظفتها بالشكل المناسب استفدت منها في مختلف أنحاء الحياة، أمّا إذا لم تضعها في إطارها الصحيح وأهملت كيفية استخدامها فقد تقتلك).

لهذا ينبغي للقادة والمسؤولين، أن يتعاملوا مع صفات العزة والملكة، بحذر يفوق حذر غيرهم، كونهم مسؤولون على غيرهم ايضاً، والاذى الذي ينتجه الكبر سوف لا يؤذيهم فحسب، إنما يؤذي من هو تحت حكمهم ومسؤولياتهم، لهذا نجد حتى الأئمة الأطهار يستجيرون بالله تعالى من الكبر خوفاً من اضراره الجسيمة، وهذا درس لقادة اليوم كي يتجنبوا هذه الآفة وهم يتحملون وزر القيادة ومسؤولياتها الجسام.

وفي هذا الخصوص يقول سماحة المرجع الشيرازي في كتابه نفسه: (وآفة العزّة الكبر لأنّ فيها ميلاً واقتضاءً قوياً ما لم تُضبط، ولذلك عقّب الإمام زين العابدين سلام الله عليه في دعائه بقوله: «ولا تبتليني بالكبر»).

شبكة النّبأ المعلوماتية - السبت ١٩/آذار/٢٠١١ - ١٣/ربيع الثاني/

(٨)

حياة القائد مدرسة الاجيال

غالبا ما ينظر الطفل الى ابيه بعين الاكبار والاعجاب ولذلك يعتبره النموذج الامثل في كل شيء فيتعلم منه الصحيح اذا كان سلوكه وفكره صحيحا والعكس يحدث أيضا بحسب سيرة النموذج الذي هو الأب، غير أن النماذج التي يحتذى بها لا تنحصر بالآباء فقط، فهناك الكثير من النماذج الأخرى ومنها القائد الذي ينظر إليه الناس على انه مثلهم الأعلى فيتعلمون منه الصحيح والخطأ في آن واحد، وفي هذا المجال يقول سماحة المرجع الديني السيد صادق الحسيني الشيرازي في كتابه الثمين الموسوم بـ (السياسة من واقع الاسلام):

إن (القائد تكون أعماله درسا للشعب، ومنهجا للأجيال، ولذلك كان القائد متحملاً لما يمارسه الشعب نتيجة تعلمه منه، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. والحياة الشخصية للقائد أدق مدرسة للأجيال المتمسكة بذلك القائد، ولهذا كان من سياسة أمير المؤمنين عليه السلام بناء حياته الشخصية على الإيمان والزهد).

لذلك فإن السلوك الذي تتجسد من خلاله شخصية القائد سيكون ذا تأثير كبير على عموم الناس لاسيما الفقراء والبسطاء منهم، ولعل الامر البالغ الاهمية في هذا الموضوع يتعلق بمدى شعور القائد بحالة الناس وطريقة عيشهم وشعوره بهم ومعرفته لحاجاتهم ونواقصهم المادية والمعنوية، وهنا ينبغي على الانسان أن يعيش الحالة الصعبة بنفسه لكي يعرف معاناة الناس بسببها، بمعنى أن الانسان الذي لم يعيش حالة الحرمان والجوع سابقا لن

يكون قادرا على تقدير معاناة الفقراء لانه لم يعيش الحالة أصلا.
 من هنا جاءت فريضة الصوم لكي يكون الشعور بحرمان الآخرين
 وجوعهم احد اهم اهداف هذه الفريضة، وهكذا يتوجب على القائد أن يعيش
 حالات الضنك التي يعيشها الناس لكي يقدر معاناتهم بالصورة الدقيقة، كما
 ان حالة الاستئثار بالمنافع والمناصب والاموال وما شابه ذلك ينبغي أن تكون
 بعيدة عن توجهات القائد، إذ عليه أن يكون مثالا للزهد والترفع والسمو، فلا
 يجوز أن يتضور الناس جوعا وهو شبعان ولا يجوز ان يتمتع بالكهرباء الدائمة
 كما يحدث الآن والناس يعانون لهيب الحر والعطش بسبب ساعات الانقطاع
 الطويلة للكهرباء ولا يجوز ان يعيش هو وذويه وحاشيته في القصور والفلل
 والاطيان في حين يسكن الفقراء في الصرائف او يعانون من بدلات
 الايجارات الباهضة، وقد ورد في كتاب المرجع الشيرازي بهذا الخصوص ما
 يلي:

(نقل العلامة المجلسي رحمته الله في (بحار الأنوار) عن (الكافي) رواية عن
 الإمام محمد الباقر عليه السلام أنه قال: ولقد ولي علي عليه السلام خمس سنين فما وضع
 آجرة على آجرة، ولا لبنة على لبنة، ولا أقطع قطيعة، ولا أورث بيضاء، ولا
 حمراء - بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٢٧٨ ب ٩ ح ١١٦.

ما وضع آجرة على آجرة: يعني، ما بنى بيتاً من آجر مطبوخ.
 ولا لبنة على لبنة: يعني، ما بنى بيتاً من اللبن غير المطبوخة.
 ولا أقطع قطيعة: يعني، لم يخصص أرضاً وقطعة بنفسه.
 ولا أورث بيضاء ولا حمراء: يعني، ما ترك إرثاً لورثته، لا فضة ولا
 ذهباً).

إذن فالنموذج الذي ينبغي أن ينظر إليه قادتنا هو الامام علي بن ابي

طالب عليه السلام من حيث الزهد والترفع والسمو والعدالة والمساواة في ادارة شؤون الرعية، ولذلك فإن اهمية أن يعيش القائد ظروف الشعب تبدو بالغة التأثير كونه سيضع الحلول الناجعة للمشكلات التي يعاني منها عامة الناس لانه هو وذويه عاشها ويعاني منها، وبخلاف ذلك لا يُسمح لهذا القائد بالتبجح بالمثل وبانتسابه الى الاسلام وهو بعيد عن تطبيق تعاليمه السمحاء ولا يسير على خطى العظماء من المسلمين كالامام علي بن ابي طالب واهل بيت الرسول صلوات الله عليهم أجمعين.

كما أن القائد ينبغي أن يتصف بالزهد لأنه ممثل الشعب وقائدهم في ذات الوقت، فمن غير الصحيح أن يرتدي الحرير وفضل الملابس في وقت يعاني شعبه من العوز والحرمان، وقد وردت أمثلة كثيرة في كتاب السياسة من واقع الاسلام لسماحة المرجع الشيرازي حول هذا الموضوع، فقال عن بعض سيرة الامام علي عليه السلام:

(أربع سنوات أو أكثر قضاها أمير المؤمنين عليه السلام بين الكوفة والبصرة، وهو الرئيس الأعلى للبلاد الإسلامية الواسعة الأطراف. خلال هذه المدة الطويلة لم يشتتر من مال المسلمين ثياباً لنفسه، ولم يأخذ من أموال البصرة والكوفة شيئاً لذلك.

بل ظل على ثياب المدينة كل هذه المدة الطويلة، إلا إذا اشترى من عطائه الخاص كأضعف مستضعف من مسلم آخر في طول البلاد الإسلامية وعرضها.

فاقرأ النصوص التالية:

نقل (المناقب)، عن الأصبغ بن نباتة قال: توجه علي عليه السلام إلى أهل

البصرة وقال:

«يا أهل البصرة ما تنقمون مني، إنّ هذا لمن غزل أهلي – وأشار إلى قميصه» - المناقب: ج ٢ ص ٩٨-).

إن هذه الامثلة تؤكد بأن على القائد اذا كان يُنسب نفسه للاسلام أن يتحلى بخصال سيرة العظماء من قبله وكيف تعاملوا مع رعيّتهم وكيف كانوا النموذج الامثل لهم في طرائق العيش والمأكل والملبس والنهج الانساني القويم الذي جعل منهم سادة الدنيا والآخرة في آن واحد.

شبكة النبا المعلوماتية - الاحد ٢/٢٠٠٩ - ١٠/شعبان/١٤٣٠

الباب الثامن

مسؤولية الحكم.. النظرية والتطبيق

الفصل الأول: في السياسة العالمية

- ◆ استهداف الأبرياء ومسؤولية المجتمع الدولي
- ◆ هل يحتاج العالم المعاصر الى نظام سياسي جديد؟
- ◆ الأزمة الاقتصادية العالمية.. رؤى اسلامية

الفصل الثاني: التجربة العراقية تحت المجهر

- ◆ المشهد السياسي المتوقع في العراق وشروط الاستقرار
- ◆ الانتخابات النيابية والحفاظ على الحقوق
- ◆ محنة العراق الجديد ومسؤوليات المسلمين
- ◆ المشاركة في الانتخابات والدفاع عن حق التصويت
- ◆ الحكومة العراقية المقبلة ومهمة الحفاظ على حقوق الشعب

الفصل الثالث: المسؤولية في التطبيق الأمثل

- ◆ سياسة الاسلام تفضح همجية السياسات المعاصرة
- ◆ مسؤولية الحكومة في بناء المجتمع النموذجي
- ◆ لماذا تفشل الحكومات في الدول الإسلامية بأداء مهامها؟
- ◆ النظام الاقتصادي وأثره الكبير في الاستقرار والتطور
- ◆ دور علماء الدين في مقارعة الديكتاتورية
- ◆ التباين بين سياسة الاسلام والسياسة العالمية المعاصرة
- ◆ الأمن مسؤولية مشتركة بين الحاكم والمحكوم
- ◆ الاسلام وسياسة العفو عند المقدرة
- ◆ انتفاضة البحرين وواجب اهتمام المسلم بأخيه المسلم

الفصل الأول: في السياسة العالمية

(١)

هل يحتاج العالم المعاصر الى نظام سياسي جديد؟

يمضي عام بعد اخر، وينتمي الى التأريخ، ويأخذ العالم يتطلع الى عام أفضل، ولن يتحقق ذلك التعاون الجماعي بين حكومات المجتمع الدولي، الا بالتفكير جديا بتغيير النظام السياسي العالمي القائم على تفضيل الذات القومية او الوطنية واهيانا حتى الفردية، الامر الذي أدى الى لهات محموم وراء المصالح، بغض النظر عما تخلفه من ويلات وآلام للشعوب لاسيما المستضعفة منها.

تحكيم الفطرة والعقل

لذا نحن كبشر نحتاج الى تحكيم العقل والفطرة، اذا ما اردنا ان نؤسس نظاما سياسيا جديدا، ولا بد أن تُستمد فكرته واجراءاته من تعاليم الدين الاسلامي، استنادا الى طبيعة السياسة الاسلامية القائمة على العدل والمساواة والتراحم، بعيدا عن سفك الدماء وازهاق الارواح مهما كانت الاسباب ومهما تضارب المصالح.

في هذا الصدد يقول سماحة المرجع الديني، آية الله العظمى السيد

صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله)، بكتابه القيم الموسوم بـ (السياسة من واقع الاسلام): (إنّ السياسة الإسلامية تباين السياسة العالمية - اليوم - وتختلف عنها في أصولها وفروعها، فالسياسة الإسلامية هي غير السياسة المعاصرة التي تمارسها الدول تماماً، وذلك: لأن الإسلام يتبع في سياسته مزيجاً من: الإدارة والعدل، والحب الشامل، وحفظ كرامة الإنسان، وحقق الدماء. فهو يسعى في أن لا تراق قطرة دم بغير حق، أو تهان كرامة شخص واحد جوراً، أو يظلم إنسان واحد.. بل وحتى حيوان واحد).

لكن النظام السياسي المعاصر انحرف بشكل واضح نحو العنف، والسبب هو تأجيج الصراعات بين الدول الكبيرة، وتعدد أنهاجها واطماعها في آن واحد، الامر الذي أعطى طابعا متوحشا لسياسة اليوم العالمية، حيث العمل على تأمين المصالح بشتى الطرق والوسائل، مما يؤدي الى تضارب وصراعات دولية هائلة، تلقي بتبعاتها المؤذية على عموم العالم لاسيما الدول المتأخرة، يقول سماحة المرجع الشيرازي عن السياسة المعاصرة وملامحها: (السياسة - بمفهومها المعاصر - هي القدرة على إدارة دفّة الحكم وتسيير شؤون الناس والأخذ بالزمام مهما كلفت هذه الأمور من: إهدار كرامات.. وإراقة دماء.. وكبت حريات.. وابتزاز أموال.. وظلم وإجحاف.. ونحو ذلك، فمادام الحكم للحاكم والسلطة خاضعة لأمره ونهيه فهي الغاية المطلوبة لتبرر الوساطة، وإن كانت الوساطة إراقة دماء الألوّف.. بل وحتى الملايين جوراً وظلماً.. هذا هو منطق السياسة التي تمارس في بلاد العالم اليوم).

الحاجة الى قادة حكماء

وطالما اننا بحاجة الى نظام سياسي عالمي جديد، فإن ثمة حاجة لقادة سياسيين حكماء، كبار في افكارهم وعقولهم ونفوسهم لينتشلوا العالم من

دوامه الصراعات المستمرة، لذا نحن بحاجة الى النموذج السياسي المبدئي الذي يفضل غيره على نفسه ومصالحه، يورد لنا سماحة المرجع الشيرازي بكتابه المذكور المثال التالي قائلاً: (حينما كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على عرش الرئاسة الكبرى للدولة الإسلامية العظمى التي كانت قد ضربت بأطرافها الممتدة على أعظم رقعة من المعمورة، والتي كانت تحسب لها الحساب كل الدول في العالم آنذاك، تراه يعرف قاتله، ويذكر له أنه هو القاتل له، لكنه لا يمد إليه يداً بعنف أبداً، لفلسفة العدل، وهي مادام أنه لم يمارس جنائية فلا يستحق القتل).

في المقابل هناك نماذج اخرى من الحكام يشبهون طغاة العالم المعاصر، يتعاملون مع ارواح الناس وكأنها لا تساوي شيئاً، فتقتل وتشرد وتنتهك وتعذب ما يحلو لها ولرغبتها الغريزية في اراقة الدماء، يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا المجال: (لقد نقلوا أن أحد الحكام تلقى تهديداً بالقتل، فاعتقل في ساعته من شارع واحد مائتي شخص، ثم توالى الاعتقالات على إثر ذلك حتى نقل أنها بلغت في تلك القصة خمسة آلاف شخص، ثم أعدم جماعة منهم، وأودع السجن آخرين، وتولى تعذيب فئة ثالثة منهم، وبالتالي أطلق سراح عدد منهم).

حرمة النفس

إن حرمة الروح لا تماثلها حرمة، وان الاسلام اكد على أن من يقتل نفساً وكأنه قتل الناس جميعاً، كما ورد في آية قرآنية مباركة، ولنا في الرسول الاعظم محمد صلى الله عليه وآله خير مثال في ذلك حيث يقول سماحة المرجع الشيرازي بهذا الخصوص: (كان النبي صلى الله عليه وآله لا يقدم على قتل كل مفسد أو ضال أو مبتدع قبل أن يتهياً في الناس جو تحمل قتله، بظهور فساده وضلاله

وبدعته.. لكي لا يسبب قتله فساداً أكبر من وجوده).

نماذج دموية

وبعد أن لاحظنا بعض الوقائع المعروفة في تاريخ الإسلام.. يقدم لنا سماحة المرجع الشيرازي، بعض الشواهد التي ترسم مشهداً دمويًا للسياسة المعاصرة، فيقول سماحته في كتابه نفسه: انظر هذه النقاط المأخوذة (من تاريخ الممارسة للسياسة المعاصرة غير الإسلامية لترى الفرق الشاسع بين السياستين، وذلك بالإشارة الإجمالية - دون التفصيل - إلى ذلك:

١. البريطانيون قتلوا في الهند - في قصة حرب الأفيون - حوالي عشرين مليون إنسان.

٢. البريطانيون قتلوا في الهند أيضاً - أيام المطالبة بالحرية والخروج عن نير الاستعمار - ثمانمائة ألف إنسان في صورة مجاعة اصطناعية.

٣. من الجنايات العظيمة التي ارتكبها لينين وحده من بين الشيوعية الأرقام التالية:

أ. لينين قائدة المسيرة الشيوعية السياسية أراد تطبيق نظام المزارع الجماعية، فلم يخضع له الفلاحون والعمال، فأحدث إرهاباً عاماً في البلاد ومجاعة مصطنعة غريبة عام ١٩٢١-١٩٢٢ والتي راح ضحيتها أكثر من خمسة عشر مليون إنسان.

ب. عاود لينين الكرة على العمال والفلاحين في إرغام الشعب على النظام الشيوعي عام ١٩٢٨-١٩٣٠ فكافح الشعب وكانت النتيجة ما يلي: عملت منظمة (الجيبو) الإرهابية الشيوعية اللينينية في الناس ضرباً وقتلاً ونفياً، وامتألت السجون حتى بلغت الضحايا باعتراف التقارير الرسمية للحزب الشيوعي مائة ألف قتيل.

ج. وبعد مضي سنتين، وفي عام ١٩٣٢ - ١٩٣٣ بالضبط شن لينين نفس الغارة على الشعب المسكين لتطبيق القانون الزراعي مهما كلف الأمر، وكانت النهاية كما يلي: ضحايا تقدر بخمسة ملايين إنسان باعتراف الدوائر الرسمية الشيوعية. وعند ذلك وضع لينين أسس -الكلوخوزات- أي: نظام المزارع الجماعية الاشتراكية).

لذا يحتاج العالم الى نظام سياسي يغادر منطق الدم، والقتل والاستبداد الدولي، وهذا لن يتحقق من دون دراسة التاريخ بمراحله كافة، واخذ النماذج الخالدة منه، لكي تكون مشاعل تضيء درب الانسانية، لبناء نظام سياسي جديد، يراعي حرمة الانسان وخياراته وحرياته كافة.

شبكة النبا المعلوماتية - الخميس ٥/كانون الثاني/٢٠١٢ - ١١/صفر/

١٤٣٣

(٢)

استهداف الأبرياء ومسؤولية المجتمع الدولي

تؤكد ميثاق الامم المتحدة، وفقا لما جاء في المعاهدات المبرمة والقوانين الدولية، بشأن الاحتلال وأنواعه ومهامه، على أن الدولة التي تقوم باحتلال دولة اخرى (بغض النظر عن الأسباب التي ادت الى ذلك)، فإنها مسؤولة عن الدولة التي قامت باحتلالها، مسؤولة مباشرة وتامة، وفي عموم المجالات، لاسيما الامنية منها، ولا يجوز للدولة التي قامت بالاحتلال، ان تتنصل من مسؤولياتها في هذا المجال.

لكننا في واقع الحال نلاحظ بوضوح، أن الاحتلال بدلا من حماية العراق وشعبه، نراه وقد اصبح سببا واضحا من اسباب اختلال الامن فيه،

لاسيما عندما فتحت حدود العراق مع الدول المجاورة له كافة، فصارت الساحة العراقية ملاذا للإرهابيين الذين قدموا له من اصقاع العالم، ليصبح العراق مكانا لتصفية الحسابات، الامر الذي ألحق أبلغ الاضرار واشدها بالشعب العراقي، وهكذا اصبح العراق بلدا مفتوحا للصراعات الدولية والاقليمية، وقد انعكس ذلك على طبيعة حياة الناس، ناهيك عن اضطراب الامن، وحدوث انواع السرقات التي تعرضت لها خيرات هذا البلد، ومنها ذاكرته الثقافية ممثلة بالمتاحف والآثار والقطع الاثرية النفيسة، التي تم تهريبها الى معظم مزادات العالم. وقد حدث هذا على مرأى من القوات التي احتلت العراق.

يقول سماحة المرجع الشيرازي في كتابه الموسوم بـ (إضاءات مرجعية) حول هذا الموضوع: (مما يؤسف له أن تؤول الأمور في العراق الجريح إلى هذه الهوة السحيقة).

ولم تسلم ارواح الزوار من الهتك والقتل والازهاق، نتيجة لتردي الوضع الامني بسبب الاحتلال، إذ يؤكد سماحة المرجع الشيرازي بهذا الخصوص قائلا: (إننا إذ نندد بما جرى من هتك المقدسات، نحمل قوات - الاحتلال - مسؤولية ما حدث - او يحدث -، إذ إن طريقة معالجة الأمور بالطريقة الخاطئة أوصلت الأمور إلى ما نشاهده حالا، وإن هذه الطريقة ستسبب مزيدا من التدهور في الأوضاع الأمنية وتؤثر على الاستقرار السياسي وما إلى ذلك).

وهو ما حدث فعلا مع مرور الوقت، حيث تتعرض حرمة المقدسات وخاصة في الزيارات والمناسبات ومواليد الاولياء والائمة الاطهار، حين تستغل مجاميع الارهاب زحمة الزوار، لتقوم بعمليات التفجير، معرضة ارواح

الابرياء الى الازهاق من دون ذرة رحمة او انسانية، ويتم هذا على مرأى من قوات الاحتلال، من دون ان تضع حلا لمثل هذه الجرائم البشعة، باعتبار ان دولة الاحتلال مسؤولة بصورة كاملة عن اوضاع العراق، حسبما تنص عليه قوانين الامم المتحدة.

إن ما يحدث من تفجيرات تستهدف الزوار في معظم الزيارات، إنما يدل على كراهية لاحدود لها، وهي تجعل من اجساد الابرياء وارواحهم هدفا لهجمات لا تعرف الرحمة، ولا تعباً بالمبررات، ولا يهتمها الدين او القوانين او الاخلاق، في حين انها تتبجح بالمقاومة والتحرير وطرده المحتل. يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا الصدد متسائلاً: (فهل هتك الحرمات طريق إلى الإستقرار؟!).

كلا بطبيعة الحال، لكن الارهاب لا يتوقف، والاحتلال لا يؤدي دوره القانوني حيال العراق، كما نصت موثيق الامم المتحدة، لذلك لابد أن تطبّق موثيق وبنود الامم المتحدة في هذا الصدد، خاصة ما يتعلق بانسحاب قوات الاحتلال، وابتعادها عن التدخل بالشؤون السياسة والاجتماعية وسواها. لذا يؤكد سماحة المرجع الشيرازي قائلاً بهذا الخصوص في اضاءات مرجعية: (إنّ اللازم على قوات الاحتلال:

اولاً: الإنسحاب من المدن المقدسة وإيكال أمر حفظ الأمن إلى أبناء تلك المدن.

ثانياً: حلّ المشكلات سلمياً عبر إجراء مفاوضات مع مختلف الأطراف، وعدم محاولة الغاء أي طرف من الأطراف).

وهكذا يمكن أن يستتب الامن في حالة إيكال المهمات الامنية للعراقيين، فأهل مكة أدرى بشعابها كما يُقال، أما الاعتداء على الزوار

والمراقدين، فهي جرائم بائسة تدل على وضاعة الجهات التي تقف وراءها، وهي أفعال معروفة الاهداف مسبقا، ولكن يبقى الخيار الأصلاح بيد الشعوب دائما.

لهذا لا بد للعراقيين جميعا أن يوحّدوا رؤيتهم وكلمتهم وطريقة التعامل مع واقعهم، ومع المحتل واعمال الارهاب التي تطال الأبرياء من الزوار او غيرهم، في عموم العراق، وفي الوحدة والايمان بالمصير الواحد، تمكن الحلول التي تطرد المحتل والارهاب معا من ارض العراق الطاهرة.

لذلك يوجّه سماحة المرجع الشيرازي، دعوته للشعب العراقي في سبيل الخلاص الذي يتطلع الشعب الى تحقيقه ساعة قبل أخرى، قائلا في هذا الصدد: (ندعو الشعب العراقي الأبي المظلوم إلى الإلتجاء إلى الله تعالى والتوسل بالمعصومين سلام الله عليهم لكشف الغمة وتحقيق الأمل عدم الإنجرار في دوامة العنف، والمطالبة بالحقوق المشروعة عبر الطرق السلمية).
شبكة النبأ المعلوماتية - الخميس ٢١/تموز/٢٠١١ - ١٩/شعبان/

١٤٣٢

(٣)

الأزمة الاقتصادية العالمية.. رؤى اسلامية

عندما بزغت شمس الاسلام وأضاءت ظلام الواقع العربي في الجزيرة العربية في صدر الرسالة، بدأت تتأسس وتنمو وترسخ مبادئ اقتصادية قائمة على المساواة والعدل في توزيع الثروات والاموال التي ترد الى بيت المال، ونشطت حركة التجارة ونمت اقتصاديات المدن الاسلامية العربية التي امتدت على مساحات شاسعة تجاوزت حدود الجزيرة العربية الى آفاق بعيدة

وواسعة، ولعل التأسيس العادل الاول الذي ظهر في مسيرة الاقتصاد العالمي تجسد في الخطوات التي انتهجها الاسلام ومنها ما قام به الامام علي بن ابي طالب عليه السلام من توزيع متساوٍ لأموال المسلمين الموجودة في بيت المال على جميع المسلمين من دون تفرقة او اجحاف بحق هذا او ذاك من المواطنين، فهم جميعاً سواسية بما تدره ارض المسلمين من خيرات وثروات متعددة المصادر، لذلك كان الامام علي عليه السلام يستغرب ظهور فقير في هذا المكان او ذاك، وقد أورد لنا سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي في كتابه الثمين (السياسة من واقع الاسلام) ما يدعم منهج الامام عليه السلام في هذا الصدد حيث جاء في هذا الكتاب:

(كان الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يمشي في سكك الكوفة، فنظر إلى رجل يستعطي الناس: فوجه الإمام السؤال إلى من حوله من الناس قائلاً:

ما هذا؟

فقالوا: إنه نصراني كبر وشاخ ولم يقدر على العمل، وليس له مال يعيش به، فيكتنف الناس..

فقال الإمام - في غضب - استعملتموه على شبابه حتى إذا كبر

تركتموه؟

ثم جعل الإمام عليه السلام لذلك النصراني من بيت مال المسلمين مرتباً خاصاً ليعيش به حتى يأتيه الموت^(١).

وهذا يدل على أن الفقر كاد أن لا يرى لنفسه مجالاً في الدولة الإسلامية حتى إذا رأى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فقيراً واحداً كان يستغرب،

(١) راجع وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ٦٦ ب ١٩ ح ١.

ويعتبره ظاهرة غير طبيعية وغير لائقة بالمجتمع الإسلامي، والنظام الاقتصادي الإسلامي).

إن هذه الواقعة تمثل دليلاً قاطعاً على قوة الاقتصاد في الدولة الإسلامية وتؤكد النظرة الإنسانية التي تتجاوز نوع الدين أو الاعراق أو ما شابه ذلك، كما أنها تثبت بالدليل القاطع عدالة المنهج الاقتصادي الإسلامي التي استطاعت أن تبني اقتصاداً ذا رؤية إنسانية قائمة على المساواة والتكافؤ الذي يمنع حدوث الغبن لهذا الطرف أو ذاك، خلافاً لما يحدث الآن على سبيل المثال في إطار الاقتصاديات العملاقة التي بدأت تتهاوى من عليائها تحت ضربات معاول الربا الذي حرّمه الإسلام تحريماً قاطعاً، حيث سادت وتسود ظاهرة الربا في الاقتصاديات الغربية معتمدة على الجشع واستحصال المال وزيادته تحت كل الظروف وبغض النظر عن طبيعة مشروعية الوسائل التي يُستحصل من خلالها هذا المال.

ولقد أشار كثير من الخبراء الاقتصاديين إلى أن (الفائدة) الكبيرة التي تُفرض على القروض لا سيما من لدن الدول الغنية إلى الفقيرة أو المؤسسات الكبرى إلى الصغرى أو الأفراد الأغنياء إلى الفقراء هي التي تقف وراء حالة التدهور للاقتصاد العالمي، وهذه صورة من صور الربا التي حرّمها الإسلام لأنها تأخذ من جهد الفقير وماله وذكائه لتصب في ثروة الغني أصلاً من دون وجه حق سوى قوة المال التي تفرض ظاهرة الربا على الفقراء من أجل استحصال المال وتكثير الثروة وفق جميع المبررات سواء المشروعة منها أو غير المشروعة.

ولعلنا لا نستطيع أن نغفل الأهمية القصوى التي أولاها الإسلام للاقتصاد، حيث أورد لنا سماحة المرجع الشيرازي في كتابه القيم (السياسة

من واقع الاسلام) ما يدل على الاهتمام الكبير بالاقتصاد من لدن المسلمين حيث ورد في هذا الصدد:

(قال الإمام الصادق عليه السلام: «الاقتصاد هو الكسب كله»^(١)).

إنّ الاقتصاد له الأهمية الكبرى في السياسة، وكلما كان التوازن الاقتصادي أقوى كانت السياسة أكثر سداداً ورشداً.

فلننظر إلى الإسلام كيف جعل من الدولة الإسلامية البعيدة الآفاق، الشاسعة^(٢) الأراضي، الكثيرة النفوس، أمة غنية كاد أن يصبح الفقر فيها خبراً لكان..)

وبهذه النظرة الهامة للاقتصاد حققت الدولة الاسلامية منظومة اقتصادية متوازنة استطاعت ان تعبر الى آفاق واسعة تضاهي سعة الاراضي والامم التي وصلها الاسلام فاعتنقته مؤمنة بمبادئه السمحاء ومنها ما يتعلق بالجانب الاقتصادي الذي يقوم على المساواة في توزيع الثروات والابتعاد عن الغبن ورفض ظاهرة الربا وقمعها كونها هي السبب الرئيس في تغذية الكثير من الازمات الاقتصادية التي تجهد الفقراء قبل غيرهم كما يحدث الآن على المستوى العالمي حيث تهاوت عروش بعض الشركات والاقتصاديات العملاقة واخذت تخسر الكثير من ارباحها في حين تعرض الفقراء ولا يزالون لكثير من الضغوط والاعباء التي اجهدتهم اكثر مما اجهدت الاغنياء قطعاً،

(١) راجع سفينة البحار: ج ٢ ص ٤٣١ باب القاف بعده الصاد.

(٢) يتحدث جرجي زيدان في كتابه (تاريخ التمدن الإسلامي) وغيره ممن كتبوا عن سعة الدولة الإسلامية وحضارة الإسلام: أنّ الدولة الإسلامية توسعت وتوسعت حتى بلغت خلال قرنين قرابة ثلاثة أرباع المسكونة إلى مفتح القرن الثالث الهجري أي في عهد الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام، فأفريقية والهند وقسم كبير من الصين وإسبانيا وقسم كبير من روسيا... وغيرها كانت تحت سيطرة المسلمين وحكم الإسلام.

وكل ذلك يتأتى من السياسات الاقتصادية الخاطئة التي تقوم على مبدأ الربح بغض النظر عن الوسيلة او الظلم الذي تلحقه بالآخرين.

شبكة النبا المعلوماتية- الاحد ٢٨/حزيران/٢٠٠٩ - ٥/رجب/١٤٣٠

الفصل الثاني: التجربة العراقية تحت المجهر

(١)

المشهد السياسي المتوقع في العراق وشروط الاستقرار

منذ ما يقارب من تسع سنوات والعراقيون يحاولون ترميم الوضع السياسي، من خلال العمل المتواصل لتشييد بنية سياسية جديدة، قائمة على التحرر، ورفض الفردية، وحفظ حقوق الجميع من دون استثناء، وطالما أن العلاقة بين الشعب والحكومة غالبا ما يشوبها الإلتباس وغمط الحقوق، لاسيما في الدول والمجتمعات المتأخرة عن الركب العالمي بسبب غياب الوعي او ضعفه، فلا بد أن تتضح الامور ويخطط لها مسبقا، لبناء البنية السياسية المأمولة.

العراقيون يطمحون للاستقرار

في العراق يطمح الجميع الى الاستقرار، وتعويض الشعب عما لحق به من ظلم وحرمان وضياع متكرر لفرص التقدم والتطور ومواكبة العصر، هذا الامر لن يتحقق ما لم تتوفر للعراقيين إرادة سياسية منظمة وقوية وترى المشهد بوضوح لا يشوبه الغموض او اللبس، بمعنى يجب أن يعرف الجميع ما لهم، وما عليهم، كون الشعب العراقي يتكون من أعراق وأثنيات وأقليات

متعددة، فالكل له الحق بالحياة الكريمة في ظل عراق غني ومستقر وفاعل في آن واحد، هذا التنوع السكاني اذا لم يُستثمر بالطريقة الصحيحة، سيتحول الى عائق لتشييد بنية سياسية راکزة، لهذا لا بد أن يرتفع الوعي لدى الجميع ويعرفون واجباتهم وحقوقهم، حتى تتضح الصورة للجميع. (أثيرت مؤخرًا بعض القضايا السياسية ومنها أحقية المحافظات بتكوين الفدراليات، وهو مبدأ وارد في الدستور.

يقول سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله) بهذا الخصوص في الكتاب الموسوم بـ (إضاءات مرجعية): (إن الفدرالية بحد ذاتها - إن لم تكن مقدمة لتقسيم العراق، ورضي بها الشعب العراقي في إستفتاء عام - لا نرى مانعا عنها، والأفضل أن تكون جغرافية وحسب المحافظات وذلك لإبعاد شبح التقسيم).

شرط الشرعية الأساسي

ولكن هناك من يتخوّف من هذا المبدأ السياسي، أي من الفدرالية، خاصة اذا لم يكن في وقته او ظروفه، كما يقول المعترضون، ولكن يبقى الامر بحاجة الى حكومة جيدة متماسكة، قادرة على فرض القانون بما يحقق العدل بين افراد ومكونات الشعب كافة، ولكن متى تصبح الحكومة قوية وقادرة على المسك بزمام الامور دائما، إنها يمكن أن تكون كذلك، اذا توفر لها شرط الشرعية الذي يعد عنصرا أساسيا في دعم مواقف الحكومة وتوجهاتها في عموم المجالات، ولن يتحقق هذا الشرط إلا من خلال الانتخابات التي لا تشوبها المخالفات، لذلك يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا الصدد: (إن الحكومة يجب أن تتوفر فيها عدة مقومات حتى تكون مرضية، منها: أن يختارها الشعب عبر إنتخابات حرة ونزيهة وبعيدة عن

الضغوط الأجنبية - سواء من قوات الإحتلال أم الدول الإقليمية أم غيرها). إذن نخلص من هذا الى القول بأن الشرعية هي أساس النجاح الحكومي، ولهذا غالبا ما تفشل الحكومات القائمة على الاكراه والقوة والبطش والتضليل وما الى ذلك من أساليب تنتهجها الحكومات اللاشعرية، فتسقط بشتى السبل، وغالبا ما ترافقها أعمال عنف تأتي كرد فعل على العنف الحكومي نفسه، لهذا ينبغي أن يسعى السياسيون بكل إمكانياتهم لصياغة قانون انتخابات تركز منطلقاته من المصلحة الوطنية قبل أي شيء آخر، وذلك لضمان التمثيل الصحيح للشعب وضمان النتيجة الحقيقية لأصوات الناخبين، لهذا يؤكد سماحة المرجع الشيرازي في كتابه نفسه، قائلا في هذا المجال: (يجب ان تكون الإنتخابات حرة ونزيهة بحيث يكون للشخص الواحد صوت واحد، ويكون عدد نواب كل منطقة حسب كثافتها السكانية، فمثلا يكون لكل مائة الف شخص نائب واحد، فالمدينة التي يقطنها مليون يكون لها عشرة نواب، والتي يقطنها ثلاثمائة ألف يكون لها ثلاثة نواب، والتي يقطنها خمسون ألف تضم إلى منطقة اخرى ليكون المجموع مائة الف فيكون للمنطقتين نائب واحد).

مستقبل العراق وهدف الاستقرار

لذلك لابد أن يتعاون الجميع، وأولهم الحكومة والجهات الاخرى التي تتصدر قيادة مكونات الشعب، لكي يُبنى المستقبل الأمثل للعراق، من خلال بناء الركائز القوية والصحيحة في الوقت الراهن، بمعنى أننا جميعا لاسيما الذين يتبوؤون مركز الصدارة ينبغي أن نسهم في تأسيس وبناء أساسيات المستقبل الأفضل، ولعل هذه الأفضلية مقرونة بأسبابها، فإن غابت أسباب الجودة السياسية وغيرها، ستضيع فرصة بناء المستقبل المطلوب، يقول

سماحة المرجع الشيرازي بهذا الخصوص في كتابه نفسه: (إن مستقبل العراق - بإذن الله تعالى - سيكون بخير، شرط تحقق أمور، ومنها:

اولا: عدم هضم حقوق أية مجموعة من الشعب، وإعطاء الأكثرية حقوقها كاملة غير منقوصة، وكذلك إعطاء الأقليات حقوقها، قال الله تعالى «لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ» - سورة البقرة: الآية ٢٧٩-، وعليه فإن لبنة العراق - بمعنى جعل الديمقراطية فيه مثل لبنان - ينطوي على مخاطر حرب أهلية، فيلزم تحكيم نظام الشورى الحقيقية عن طريق الإنتخابات الحرة والنزيهة.

ثانيا: إلغاء قوانين النظام البائد والأنظمة التي سبقته، وتشريع قوانين جديدة في مختلف مناحي الحياة، لأن تلك القوانين لا يتطابق كثير منها مع الإسلام، كما أن كثيرا منها مزاجية أملتها رغبة الدكتاتوريات البائدة، ويكون التشريع عبر مجلس منتخب بإنتخابات واقعية وباستشارة الثقة من أهل الإختصاص، شرط أن لا يتعارض أي قانون مع الإسلام، قال الله تعالى: «وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ» - المائدة: الآية ٤٤-.

ثالثا: تأمين الحرية الكاملة للحوزات الدينية والمعاهد العلمية لتقوم بدورها المنشود في خدمة الدين وتقدم البلاد وإزدهارها وبث الثقافة في أوساط الشعب).

نبذ العنف ورفضه

أخيرا لابد من الاعتراف بأن التجارب السياسية حديثة التكوين والبناء، ترافقها معوقات ونواقص شتى، وجلّها تحدث بسبب الرفض الذي تواجهه من أعدائها، فلكل جديد أعداء، منهم من يعلن موقفه ومنهم من يفضل العمل في الخفاء، وفي كل الاحوال قد تلجأ بعض الجهات الى العنف لتحقيق بعض المآرب، أو لتحقيق بعض الحقوق المشروعة أصلا، فيكون

العنف منهجها، وهو سلوك ومنهج خاطئ حتما ولا يمكن تبريره في أي حال، لهذا يعلن سماحة المرجع الشيرازي موقف المرجعية، في هذا الصدد قائلا: (نحن من دعاة السلم، وبه يمكن الوصول إلى الحقوق المشروعة، والعنف على الأغلب لا يؤدي إلى نتيجة، وأما استهداف المدنيين العزل وقتلهم فإنه جريمة لا يرضاها عقل ولا شرع).

ولا نعتقد أن هناك من يرفض الدعوة الى انتهاج السلم طريقا لتحقيق الاهداف المطلوبة ومنها الحقوق المشروعة ايضا، لكن يبقى الحوار هو سيد المناهج وأصلحها للعراقيين جميعا.

شبكة النبا المعلوماتية - الخميس ٢٤/ تشرين الثاني/ ٢٠١١ - ٢٧/ ذو

الحجة/١٤٣٢

(٢)

محنة العراق الجديد ومسؤوليات المسلمين

العراق بلد يكاد يتميز عن غيره بأمور تنحصر به، فهو ارض خيرات و ثروات طالما كانت محط اطماع الامم الاخرى، وهو مهبط عدد من الانبياء، ناهيك عن وجود مراقد أهل البيت -عليهم السلام- المقدسة التي تنتشر في ربوع العراق وتدر عليه اموالا اضافية وموقعا متميزا ايضا، لهذا من الملاحظ ان تاريخ العراق لم يخلُ من الازمات.

العراق وتاريخ الازمات

إن تنوع الشعب العراقي، دينيا وعرقيا ومذهبيا، يجعله ساحة للتناقضات، ناهيك عن الغنى الذي يتمتع به من حيث الثراء، لذا بقي العراق مأزوما عبر فترات طويلة ومتعاقبة، حتى انه لم يهنا بحكومة جيدة منذ نشوء

الدولة العراقية الحديثة في عام ١٩٢١، والسبب أن الحكومات ورؤوسها تأتي لتأخذ فقط، ولا تعطي شيئاً، حالها حال المستعمر، لأنها غالباً ما تربط مصيرها بارادة الاستعمار.

العراق الجديد ينطوي على ازمات جديدة وقديمة ايضاً، وهناك مسؤولية كبيرة على المسلمين تجاه هذا البلد، لكي يعيش باستقرار وهناء، كونه بلد مسلم، ويحتضن مراقد دينية مقدسة كثيرة، في المقدمة منها مراقد أئمتنا عليهم السلام، لهذا يؤكد سماحة المرجع الديني، آية الله العظمى السيد صادق الشيرازي (دام ظله) في محاضراته القيمة الموسومة بـ (محنة العراق) قائلًا: (في حديث شريف مروي عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال: - كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته- فالمسؤولية هي تشريعٌ وحكمٌ وإحساس، كما يُفهم من هذا الحديث النبوي الشريف؛ فأما كون المسؤولية تشريعاً وحكماً، فهذا ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وأما كونها إحساساً فهذا يرتبط بنا نحن؛ فبأي قدر يحسُّ كل واحد منّا بهذا التشريع وبهذا الحكم؟).

إذن هي مسؤولية الجميع، لكن هناك فرق شاسع بين مسؤولية الفرد العادي، والفرد الذي يتربع على منصب مهم وكبير، فكلما زادت قيمة المنصب كلما زادت مسؤوليته تجاه الناس والبلد معاً، هذا هو لب الفارق بين المسؤولين، ولا نعني هنا المسؤولية الوظيفية الرسمية فقط، فرجل الدين الكبير تتضاعف مسؤولياته ايضاً، والمتقف والمصلح والمفكر المهم ايضاً تتضاعف مسؤولياته، والجميع يعلم بالظروف المعقدة التي يمر بها البلد حالياً، لذا يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا الخصوص، في المحاضرة نفسها: (هذه المسؤولية، هي مسؤولية عامة الناس، ولكن في الوقت الحالي هي مسؤولية خاصة، وقسمٌ منها مسؤولية عامة بالنسبة لعراق اليوم

والمستقبل.. فقد ابتلي العراق اليوم - رجالاً ونساءً وشباباً و شبيباً - بأزمة مزدوجة؛ فهو منذ خمسين عاماً ينتقل من أزمة إلى أزمة، ومن أمر شديد إلى أمر أشد، ومن صعب إلى أصعب.. وفي الوقت الحاضر تضاعفت هذه الأزمة بالنسبة إلى كل فردٍ عراقي.. والجميع يعلم سواءً عن طريق وسائل الإعلام العامة، أو طرقهم الخاصة، أن العراق يمر بأوضاع معقدة جداً، لا يعلم مداها ومنتهاها إلا الله).

نهاية نظام القمع وسلبياته

لقد تخلص العراق من نظام الاستبداد، ونظام الطاغية وحكومته القمعية الظالمة، وكل العراقيين يعرفون ما جرى في السجون المظلمة، وطرق التعذيب المتوحشة التي تعرض لها أبناء العراق، لاسيما الشيعة والاكرد وغيرهم، وقد وردت قصص مؤثرة بل مرعبة جرت على المعتقلين آنذاك، يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا الصدد: (مضى أربعون عاماً ونيّف، وهذه الأزمة مستمرة. هناك الكتب التي ألفت، والتقارير التي نُشرت، والأشخاص الكثيرون - رجالاً ونساءً - الذين تحرروا من معتقلات النظام الديكتاتوري، فتحدثوا عن المصائب العظيمة التي لاقوها في الأقبية والطوامير المرعبة، وأحياناً تخرج امرأة من المعتقل وتكتب، بعد مرور عدة سنوات، قصصاً عما جرى لها ولنساء أخريات على أيدي جلاوزة النظام الغاشم، في الواقع أنها قصص فضيحة ومهولة).

ونظراً لعدم قبول الوضع العراقي الجديد، كونه يؤثر على الانظمة السياسية الاخرى في المنطقة، ناهيك عن طبيعة الحسابات الاقليمية والدولية وتداخلها مع الوضع العراقي، فقد تضاعفت ازمات العراق وازداد وضع الشعب سوءاً، كما نقرأ ذلك في قول سماحة المرجع الشيرازي في

هذا المجال:

(لقد تضاعفت الآن مأساة الشعب العراقي، وفي الحقيقة أن هذه المأساة لها نظير في تاريخ الأئمة المعصومين سلام الله عليهم ؛ ولذا يجب علينا أن نأخذ الدرس من أئمتنا سلام الله عليهم، ونتعلم منهم، ماذا علينا أن نفعل؟ وما هو طريق الخلاص؟).

خطر الجهل بالثقافة الاسلامية

ومما يزيد الطين بله، حالة الجهل بالثقافة الاسلامية، حيث تعيش نسبة كبيرة من الشعب في حالة عدم فهم ومعرفة بالثقافة الاسلامية، مما يزيد الامر سوءً وتدهورا، فالدين هو الحصانة الاكيدة ضد الاخطاء والانتهاكات المتنوعة في بلد غني مثل العراق يريد ان يبني نفسه من جديد بصورة سليمة، لاسيما وان الفوضى لم تترك مجالاً إلا ودخلت فيه، لذا لابد من الوعي لتجنب الاخطاء والانحرافات، يقول سماحة المرجع الشيرازي:

(إن ما نسبته ٤٠٪، أي أكثر من (١٠) ملايين إنسان، من مجمل سكان العراق الذين يبلغ عددهم - حسبما يقال - أكثر من (٢٥) مليون نسمة، هم من الفتية والشباب، جاءوا إلى الدنيا وعاشوا بعيدين عن الثقافة الإسلامية الأصيلة، ولا يعلمون عنها شيئاً، ويريدون أن يتعلموا ويفهموا حقيقة الدين.. فلنا أن نعرف، إذا ما تهيأت الأرضية اللازمة، كم يحتاجون من الكتب والأقراص الممغنطة والأشرطة الدينية؟! وكم يحتاجون من المرين والمبلغين ومن المدارس الدينية والحوزات العلمية؟ لقد سبقنا الآخر في التفكير بهذا الأمر؛ إذ قرأت قبل أيام منشوراً، جاء فيه أن الغربيين يخططون لبناء (٢٥) ألف مدرسة، وتوزيعها على سائر مناطق العراق، فلنقدر كم هو عدد التلاميذ الذين ستتولى تربيتهم كل واحدة من تلك المدارس؟! فإذا ما قدرنا أن

المعدل العام هو مئتا طالب، فالنتائج الإجمالية لذلك العدد من المدارس، سيكون (٥) ملايين طالبا، جلهم طبعاً من الشيعة، وبالطبع، فإن الغربيين لديهم من الإمكانيات المادية ما يجعلهم قادرين على تنفيذ مثل هذه البرامج).

من هم اولى ببناء العراق

ولكن اهل البلد والمسلمين اولى ببناء العراق وتنقيف شعبه، لذا يتساءل سماحة المرجع الشيرازي بهذا الخصوص قائلاً: (من هم الأولى بإعادة إعمار العراق؟ لا يتصور أحد منا أننا لسنا قادرين أن نفعل شيئاً حيال مستقبل العراق. صحيح أن أولئك عبارة عن حكومات لديها إمكانيات وأموال هائلة، بيد أننا لدينا شيئاً يفتقدون له، ألا وهم أهل البيت سلام الله عليهم. إذن فنحن نتحمل مسؤولية خطيرة، وعلينا أن نعتقد بأنها مسؤوليتنا جميعاً وبلا استثناء؛ فلو مرض لأحدنا طفل - مثلاً - فستراه يترك عمله، ويدع برامجه ومشاريعه، ويضحى بوقته وراحته ليصحبه إلى الطبيب، وكذلك يفعل إذا ما واجه ابنه مشكلة معينة في المدرسة، أو احتاج شيئاً ما؛ إذ يبذل ما بوسعه لتسوية تلك المشكلة، أو رفع هذه الحاجة، فلم يفعل ذلك؟ لأنه يحسّ بمسؤولية إزاء أولاده.. فلنسح لأن تأخذ المسؤولية إزاء العراق موقعها في نفوسنا).

إذن ثمة حاجة كبيرة بل ومصيرية لقضية الوعي والتنقيف، لاسيما أن هناك حالة من التعطش للمعرفة والتعلم، وهي مسؤولية جماعية، كما انها لا تتعلق بالجهد الرسمي حصراً، وإن كانت الدولة هي الجهة الاولى المعنية بالتنقيف وزيادة وعي الناس، ولكن يجب ان يكون هناك دور واضح للجانب الاهلي والمؤسسات الخيرية وما شابه، لذا يؤكد سماحة المرجع الشيرازي قائلاً:

(هناك في العراق، حاجة ماسة إلى برامج تنقيفية وتوجيهية، فكما ينقل أن الشباب العراقي لديهم تعطش للدين ولكنهم يفتقرون لمن يقوم بتعليمهم وتربيتهم).

شبكة النبا المعلوماتية - الخميس ١/آذار/٢٠١٢ - ٧/ربيع الثاني/

١٤٣٣

(٣)

الحكومة العراقية المقبلة ومهمة الحفاظ على حقوق الشعب

قبل أيام خاض العراقيون تجربتهم الجديدة مع الانتخابات التشريعية لاختيار ممثليهم الجدد في مجلس النواب، وقد تم ذلك بعون من الله تعالى بصورة جيدة على الرغم من بعض الامور الصعبة التي رافقت هذه التجربة التي قيل عنها بأنها تمثل خطوة الى امام في ترسيخ اجواء الحرية بين افراد الشعب.

ومع ذلك فلا بد أن تكون هناك مجسات دقيقة تتعامل وفقها الحكومة المقبلة مع التطورات العراقية على الساحة لاسيما ما يتعلق بالحقوق والواجبات، فلا يجوز أن تتكرر الاخطاء الماضية التي حصلت من بعض الجهات التنفيذية او التشريعية او غيرها، لأننا يجب أن نستفيد من تجاربنا السابقة خاصة واننا نعيش سباقا مع الزمن لكي نحقق أقصى ما نستطيع من الامور التي تصب في صالحنا كي نضمن عدم العودة الى المربع الاول كما يُقال، ونحقق المنهج التحرري الذي يضمن للجميع حقوقهم في العيش الحر الكريم.

وفي هذه المرحلة التداولية الصعبة لتشكيل الحكومة العراقية الجديدة

ينبغي أن تكون هناك معايير واضحة تتحدد في ضوءها طبيعة هذه الحكومة ومن أهم هذه المعايير لتحديد مدى صلاحيتها هي حفظ حقوق الناس، حيث يقول سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي في كتابه النفيس الموسوم بـ (إضاءات مرجعية): إن (مستقبل العراق سيكون بخير شرط إعطاء الأكثرية حقوقها كاملة وكذلك الأقليات).

وهكذا سيكون الأمر مرهونا بمدى قدرة الحكومة على إعطاء حقوق الاغلبية والاقلية على نحو يؤكد حياديتها وفعاليتها في آن واحد، وطالما أن الانتخابات جرت وفقا للضوابط المتفق عليها مسبقا وكما اشار الى ذلك سماحة المرجع الشيرازي حين قال: (يجب ان تكون الإنتخابات حرة ونزيهة بحيث يكون للشخص الواحد صوت واحد، ويكون عدد نواب كل منطقة حسب كثافتها السكانية، فمثلا يكون لكل مائة الف شخص نائب واحد)، فإننا الخطوات المكتملة لذلك مهمة جدا ومنها حفظ الحقوق، ولعل هذا سيكون من اكبر وأدق مهام الحكومة المقبلة التي يُفترض أن تكون ممثلة من لدن جميع طبقات وشرائح المجتمع.

لذا من المتوقع أن تقوم الحكومة بمهامها على الوجه الافضل، ولكن لا بد أن يرتبط النشاط الحكومي الناجح بعوامل عدة ينبغي أن تعتمدها الجهات التنفيذية في ادارتها لشؤون البلاد، ومن أهمها كما يؤكد ذلك سماحة المرجع الشيرازي في كتابه نفسه إذ يقول سماحته في هذا الصدد: (إن مستقبل العراق - بإذن الله تعالى - سيكون بخير، شرط تحقق أمور، ومنها: عدم هضم حقوق أية مجموعة من الشعب، وإعطاء الأكثرية حقوقها كاملة غير منقوصة، وكذلك إعطاء الأقليات حقوقها).

ويضيف سماحة المرجع الشيرازي مؤكدا على ضرورة: (إلغاء قوانين

النظام البائد والأنظمة التي سبقتها، وتشريع قوانين جديدة في مختلف مناحي الحياة، لأن تلك القوانين لا يتطابق كثير منها مع الإسلام، كما أن كثيرا منها مزاجية أملتها رغبة الدكتاتوريات البائدة، ويكون التشريع عبر مجلس منتخب بإنتخابات واقعية وبإستشارة الثقة من أهل الإختصاص، شرط أن لا يتعارض أي قانون مع الإسلام).

وهذه من النقاط المهمة التي ينبغي للمشرعين الجدد من ممثلي الشعب الانتباه لها، كي لا يبق الشعب أسيرا لتك القوانين المجحفة، ويضيف سماحته بندا ثالثا يتعلق بهذا المجال: (تأمين الحرية الكاملة للحوزات الدينية والمعاهد العلمية لتقوم بدورها المنشود في خدمة الدين وتقدم البلاد وإزدهارها وبث الثقافة في أوساط الشعب).

وهذا أمر يتفق على أهميته الجميع وهو واجب حكومي ينبغي أن تنهض به الجهات المعنية لجزء مهم من مسار العملية الديمقراطية في البلاد، وتأكيدا للدور الهام التي تنهض به هذه المؤسسات الدينية في جوانب التوعية وحفظ المجتمع من الانزلاق في مهاوي الحياة الكثيرة.

ومن واجبات الحكومة الهامة هو حفظ الامن وترصينه حيث أكد سماحة المرجع الشيرازي في كتابه نفسه قائلا: (نحن من دعاة السلم، وبه يمكن الوصول إلى الحقوق المشروعة، والعنف على الأغلب لا يؤدي إلى نتيجة).

لذا على الجهاز الحكومي أن يعي ذلك ويعمل بهذا الاتجاه لتحقيق مصلحة الجميع، وهذا يعتمد على المقومات الصحيحة التي تستند إليها الحكومة في تشكيلها وفي تنفيذها لمهامها، ومن هذه المهام كما يؤكد على ذلك سماحة المرجع الشيرازي في كتابه (إضاءات مرجعية): (إن الحكومة

يجب أن تتوفر فيها عدة مقومات حتى تكون مرضية منها: أن يختارها الشعب عبر إنتخابات حرة ونزيهة وبعيدة عن الضغوط الأجنبية - سواء من قوات الإحتلال أم الدول الإقليمية أم غيرها).

وإذا كان الشعب قد قام بدوره في انتخاب ممثليه متحديا كل الصعوبات والمخاطر المعروفة التي وصلت حد الموت احيانا، فالباقي هو واجب الحكومة التي ينبغي أن تقوم بدورها على الوجه الامثل في الحفاظ على حقوق الجميع.

شبكة النبا المعلوماتية - السبت ١٣/أذار/٢٠١٠ - ٢٦/ربيع الأول/

١٤٣١

(٤)

الانتخابات النيابية والحفاظ على الحقوق

يتسارع العد التنازلي باتجاه اليوم الفصل للانتخابات النيابية القادمة، وسوف يخوض الناخبون العراقيون تجربة جديدة لاختيار من يمثلهم تحت قبة البرلمان في دورته النيابية القادمة التي ستستمر أربعة أعوام قادمة إبتداء من العام الجاري، وطالما أن هذه التجربة الجديدة تأتي بعد عدة تجارب مر بها الناخبون خلال السنوات القليلة الماضية، فلا بد أن يتم تدارك الاخطاء التي وقع فيها الناخب والمنتخب في الدورات السابقة.

من هنا يرى سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي في كتابه الموسوم بـ (إضاءات مرجعية) على:

(إن العراق الجريح يمرّ بفترة صعبة، وفي نفس الوقت مصيريّة، قد يتحدد على ضوءها مستقبله لفترة طويلة، وإنّ أيّ تفريط في الحقوق في هذه

الفترة سيكون له نتائج مؤلمة على الأجيال القادمة - لا سمح الله -).
ومن الاخطاء التي برزت في التجربة الحالية المحاصصة التي رأى
بعض السياسيين والمراقبين ضرورتها في مرحلة معينة من مراحل بناء
التجربة الديمقراطية الجديدة في العراق، ولكن يجب أن لا تتحول الى قانون
او الى منظومة عمل يستند إليه السياسيون العراقيون في بناء نظامهم السياسي
لأن عيوبها الكثيرة أضعفت البلد وأدت الى التفرقة والتشردم وهي ثغرات
واضحة يمكن للمافيات والعصابات الدخول من خلالها الى اجهزة الدولة
ومن ثم التحكم بمصائر الناس عموماً مما يؤدي الى غياب العدالة وشيوع
حالات الظلم ولا تُستبعد عودة النظام الدكتاتوري الى الوجود على ايدي مثل
هذه العصابات والمافيات التي تسللت الى الاجهزة المهمة في ادارة الدولة في
غفلة من المعنيين، او ربما بسبب انشغالهم بالصراع على المناصب والنفوذ
وما شابه، لذلك ينبغي وضع المحاصصة خلف ظهورنا وهي نقطة هامة يرى
سماحة المرجع الشيرازي ضرورة تلافيتها في التجارب الانتخابية اللاحقة
لضمان نزاهة النتائج حيث يقول سماحته في كتابه نفسه:

(يلزم أن تكون الإنتخابات بإشراف ومراقبة دولية نزيهة، إضافة إلى
القوى الدينية والسياسية والعشائرية العراقية، لضمان نزاهة الإنتخابات،
وحريتها، وإشتراك الجميع فيها).

إن التأكيد على المرحلة الحرجة التي يحاول العراقيون تجاوزها هي
الشغل الشاغل لسماحة المرجع الشيرازي الذي يرى بأن أهمية الانتخابات
تكمن في قدرتها على تصحيح الاخطاء السابقة ونقل العراقيين من حالات
الفوضى الى جادة السياسة الصائبة، من هنا يركز سماحته على الاهمية
القصوى للمشاركة في الاختيار الأمثل للنواب الجيدين القادرين على تمثيل

المواطن بالصورة المطلوبة تحت قبة البرلمان، إذ يقول سماحته في كتابه (إضاءات مرجعية) أيضا:

(يلزم على جميع العراقيين الكرام، المشاركة في تسجيل أسمائهم للإنتخابات، ومن ثمّ المشاركة العامة فيها).

وهذا يتطلب الفرز الصحيح للمرشحين من قبل الناخب وعدم التفريط بهذه الفرصة التاريخية التي يمكن من خلالها إختيار النواب الذين يستحقون التصويت لهم لاسيما بعد أن عايش العراقيون بصورة واضحة أداء الدورة السابقة للبرلمان واستطاعوا أن يؤشروا مكامن الخلل او النجاح في إدارتهم التشريعية للبلاد خلال السنوات الاربع الماضية، ويؤكد سماحة المرجع الشيرازي على طبيعة الآلية التي يجب أن تتم وفقا لها الانتخابات القادمة، فيقول سماحته في هذا الصدد:

(يلزم أن تكون هنالك دوائر إنتخابية متعددة، ولعل أفضل السبل في العراق: أن يكون لكل مائة ألف إنسان دائرة إنتخابية واحدة).

إن هذا الحرص الكبير لاشك انه ينبع من ذات المرجع الشيرازي لاسيما أنه عايش الظلم والحرمان الذي تعرض له الشعب العراقي عبر العقود بل القرون الماضية التي أدمت القلوب وزعزعت النفوس بسبب الويلات التي ذاقها الناس على أيدي الطغاة القتلة الذين ما كان همهم سوى مراكزهم ومناصبهم وكراسيهم وكيفية الحفاظ عليها حتى لو أدى ذلك الى هتك الحرمات وإزهاق الارواح وغمط الحقوق، ولعل الحلقات الأضعف هم الفقراء والضعفاء الذين لاحول لهم ولاقوة، بيد أن الامر يختلف الآن، لذا لايجوز التفريط بفرصة الاختيار الأمثل من قبل الناخب لمن يمثله ويجب أن يتوفر الوعي التام مع هذا الاختيار المصيري.

وعلى الناخب أن يرصد ويراقب بعين ذكية تلك الأساليب التي تحاول أن تشتري صوته بطرق مادية او معنوية ملتوية، وعليه أن يتنبه لها ويحصن نفسه من الوقوع في فخها، بل ويفضحها، لأن صوته الذي كان لايساوي شيئاً في زمن الدكتاتورية المقبورة، أصبح الآن هو القول الفصل في تحديد نوع القادة وشكل النظام الذي سيتدبر شؤون الشعب.

شبكة النبا المعلوماتية - السبت ٢٠/شباط/٢٠١٠ - ٥/ربيع الأول/

١٤٣١

(٥)

المشاركة في الانتخابات والدفاع عن حق التصويت

تعتبر الانتخابات والاقبال على صناديق الاقتراع من أهم سمات التداول السلمي للسلطة، ولعله نشاط سياسي متحضر ينم عن وعي الانسان بضرورة تناقل السلطة بين افراد الشعب من خلال الانتخاب مع أهمية مرافقة الشروط الموضوعية لها كي تجعل منها نزيهة وهادفة وخالية من النزعات ذات النهج الفردي او الفتوي الذي لا يصب في صالح الشعب او الامة.

وطالما ان العراقيين مقبلون على الانتخابات النيابية في دورتها الجديدة في شهر شباط من العام القادم كما اعلنت الجهات المعنية، فإن هذه الخطوة الهامة تستحق وقفة طويلة ومتأنية من لدن المهتمين والمتابعين ومن لدن الناخبين والمرشحين على حد سواء، فلا يصح قط أن يتخلى الناخب عن حقه في التصويت لمن يراه ممثلاً أمثل له، ومن غير المقبول أن يتخلى الناخبون عن المشاركة المهمة في هذه العملية الديمقراطية التي تتيح للناس وصولهم الى حكومة نزيهة تحفظ لهم حقوقهم وتوازن بينها وبين الواجبات

المتفق عليها بين الجميع.

وفي هذا المجال كلنا نتذكر الموقف الواضح لسماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي وما قاله في احدى المحطات الانتخابية التي توقف عندها العراقيون وهم يغذون السير نحو بناء التجربة السياسية الجديدة، حيث أكد سماحته على أهمية المشاركة الواسعة في تلك الانتخابات كما ورد ذلك في كتاب سماحته الذي يحمل عنوان (إضاءات مرجعية) إذ جاء فيه: (أثنى سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي دام ظله على المشاركة الواسعة للشعب العراقي الكريم في الإنتخابات العامة، استجابة لحكم المرجعيات الدينية ولنداء العقل والوطن، على رغم المخاطر والتحديات المكتنفة).

وعلى الرغم من ان هذا القول يتعلق بفعالية انتخابية ماضية، إلا انه يتضح من ذلك ان سماحته يحث الناخب العراقي على اهمية المشاركة في الانتخابات كونها تشكل مرحلة من مراحل البناء السياسي للعراق بعد القضاء على الدكتاتورية والشمولية في الرؤية والرأي على حد سواء، وذلك من اجل بسط الامن في ربوع البلد والقضاء على مظاهر الفوضى أيا كان نوعها وشكلها او أيا كان مصدرها كونها علامة من علامات الفوضى ناهيك عن كونها دليلاً قاطعاً على فقدان الامن وغياب الحياة الطبيعية التي يحتاجها الناس لممارسة أنشطتهم كافة.

وتظهر اهمية اختيار الناخب لممثليه في عملية اداء دوره الرقابي لأنشطة وممارسات هؤلاء النواب، بمعنى ليس المطلوب من الناخب ان يذهب ويدلي بصوته في صناديق الاقتراع وانتهى الامر، بل عليه ان يواصل مسؤولياته في مراقبة أنشطة ممثلي الشعب، فنقرأ ما يقوله سماحة المرجع

الشيرازي بهذا الصدد في الكتاب (نفسه): (ودعا سماحته الشعب العراقي الكريم إلى الإستمرار في المشاركة في العملية السياسية عبر مراقبة متواصلة لعمل الجمعية الوطنية حتى يتم انتخاب حكومة وطنية مخلصه تمثل الأكثرية، وحتى يتم وضع دستور لا يتعارض مع الإسلام ويضمن حقوق الأكثرية الشيعية في العراق مع حفظ حقوق الأقليات).

وهكذا نرى أهمية أن يقترن فعل الانتخاب واختيار النواب من لدن الناخبين مع الدور الهام المتمثل بمتابعة أنشطة النواب ومدى ما بذلوه من جهود تصب في مصلحة بسطاء الناس وعامتهم قبل غيرهم.

لذلك وطالما اننا مقبلون على الانتخابات النيابية المقبلة بعد شهرين من الآن، فإن الامر يستوجب التذكير على اهمية المشاركة الواسعة لانها السبيل الأهم في القضاء على المفسدين الانتهازيين الذين قد يتسللون الى هذا المجلس بصورة او اخرى ليس من اجل مصالح الفقراء بل من اجل مصالحهم الشخصية.

فحين تريد أن تأتي بالبديل الافضل عليك ان تشارك بقوة وتسير نحو هذا الهدف بقوة وليس من الصحيح قط ان يقول المواطن الذي يستحق التصويت (انني لا اشارك في الانتخاب لان هؤلاء لم يقدموا لنا ما نريد او ما نحتاج من خدمات وما شاكل) بل الصحيح هو خلع هؤلاء من مناصبهم التي تسللوا إليها في غفلة من الناس وتصيد آخرين يكون همهم وهدفهم تحقيق ما يحتاجه الشعب قبل أنفسهم.

لذلك يؤكد سماحة المرجع الشيرازي على ضرورة المشاركة الواسعة للناخبين كما جاء في كتاب (اضاءات مرجعية):

(في هذا الظرف الحساس المصيري من تاريخ العراق المعاصر، يلزم

على الجميع المشاركة الفعّالة في هذه الإنتخابات).
وهكذا ينبغي على الناخب أن يقوم بمسؤولياته في حالتي الانتخاب
والمراقبة اسهاما منه في تعضيد الأمن والاستقرار للجميع.
شبكة النّبأ المعلوماتية- السبت ١٢/كانون الاول/٢٠٠٩ - ٢٤/ذو

الحجة/١٤٣٠

الفصل الثالث: المسؤولية في التطبيق الأمثل

(١)

سياسة الاسلام تفضح همجية السياسات المعاصرة

ليس صحيحا ما يُشاع عن السياسة والسياسيين من أنهم المعنيون حصرا، بهذا المضمار الذي يهتم حياة ومصائر الناس أجمع، بمعنى أن السياسة ليست حكرا على نفر من الناس دون غيرهم، وليس صحيحا أن رجال الدين لا دخل لهم في السياسة، لأن الاسلام أساسا حين ظهر في الجزيرة العربية، إنما كان الهدف منه تغيير منهج حياة الناس جميعا عبر السياسة أولا وغيرها من الاساليب المساعدة على زيادة وعي عامة الناس. في كتابه القيم الموسوم بـ (السياسة من واقع الاسلام) يعرف سماحة المرجع الديني، آية الله العظمى، السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظلّه)، السياسة بأنها: (بحث واسع مترامي الأطراف، وبحر عميق عريض لا يبلغ غوره وسواحله إلا القليل القليل.. فهي كيفية إدارة شؤون الناس في السلم والحرب، والأخذ والعطاء، والشدة والرخاء، والاجتماع والافتراق، وغير ذلك).

لكن الناس لم يُخلقوا على شاكلة واحدة، وهم لا يفكرون بنسق واحد او وتيرة واحدة، إنهم مختلفون في الرؤى والاهداف والمطامح، لذلك هم

يختلفون في الاهداء وفي سبل المعالجة، والسعي لتحقيق الاهداف الفردية او الجمعية، وهذا ما يسبب تضاربا في الاهداف، وتقاطعا في الافكار، ثم تصادما في الارادات نتيجة لاختلاف المطامح.. يقول سماحة المرجع الشيرازي بهذا الخصوص: (ان الناس كما يختلفون في أشكالهم، وألوانهم، ولغاتهم.. كذلك: يختلفون في أذواقهم، وعقولهم، وعواطفهم. ويختلفون في إدراكهم، وفهمهم، وتحليلهم. ويختلفون في خلفياتهم، ونظراتهم، ومعطياتهم. فبين شباب لا ثقة لهم بفكر الشيوخ. وبين شيوخ لا ثقة لهم بتجلد الشباب. ومن هنا تلعب الأهواء، والميول، والاتجاهات.. في هذا المجال أدوارها الفعالة بين حسد، وغبطة، وتنازع على الصعود، وغير ذلك الكثير.. والكثير..).

لذا فإن النظر الى السياسة وفق منظور اسلامي، يتطلب منا أن نبحث في التأريخ السياسي المشرق للاسلام، لاسيما ابان حكومة الرسول الاعظم محمد ﷺ، لكي تتولد للمتابع رؤية تاريخية صائبة في هذا الصدد، إذ يؤكد سماحة المرجع الشيرازي في كتابه نفسه على: (ان نظرة باحثة ودقيقة في التاريخ الإسلامي المشرق الطويل عبر القرون المتمادية - خصوصا، تاريخ رسول الله وتاريخ وصيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ؑ وأولاده الأئمة الطاهرين ؑ - تعطينا فكرة وافية عن مكان السياسة الصحيحة في الإسلام).

لذا ليس صحيحا عزل الدين عن السياسة، او القول بأن السياسة والدين يتقاطعان، أو ضرورة عزل رجل الدين عن السياسة، لأن السياسة هي ادارة شؤون الناس وتحديد مصائرهم، وتحديد كيفية أنماط العيش لهم، وهو أمر يتطلب حقوقا وواجبات، وهذا ما يدفع الحكومات والحكام المتجبرين الى ظلم الشعب، لذا لا بد أن يتدخل الدين لتصحيح المسارات، وهناك دلائل كثيرة تشير الى أهمية بل ووجوب تدخل الدين في ادارة شؤون الناس، إذ

يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا المجال: (هناك نصوص كثيرة.. وكثيرة جداً في الشريعة الإسلامية، تدل على أن السياسة جزء لا يتجزأ من الإسلام، بل الأصح في التعبير أن نقول: الإسلام والسياسة لفظان لمفهوم واحد، فالسياسة هي الإسلام، والإسلام هو السياسة بمعناها الصحيح العام).
لكن ثمة فرق شاسع بين السياسة المعاصرة وبين سياسة الاسلام، حيث يتبلور هذا الفرق في طرق التعامل مع الانسان، والنظر الى حقوقه وكيفية صيانتها وكفالة حرية الرأي وما شابه، من حريات وحقوق اساسية، تعجز السياسة المعاصرة لبعض الحكومات لاسيما المتخلفة منها، عن صون هذه الحقوق وحمايتها.

لذا يؤكد سماحة المرجع الشيرازي بكتابه نفسه حول هذا الموضوع قائلاً: (إنّ السياسة الإسلامية تباين السياسة العالمية - اليوم - وتختلف عنها في أصولها وفروعها، فالسياسة الإسلامية هي غير السياسة المعاصرة التي تمارسها الدول تماماً، وذلك: لأن الإسلام يتبع في سياسته مزيجاً من: الإدارة والعدل، والحب الشامل، وحفظ كرامة الإنسان، وحقن الدماء. فهو يسعى في أن لا تراق قطرة دم بغير حق، أو تهان كرامة شخص واحد جوراً، أو يظلم إنسان واحد.. بل وحتى حيوان واحد).

ويمكن أن نفرق بجلاء بين سياسة الاسلام، والسياسة المعاصرة القائمة على القمع، حيث يركز العمل السياسي الراهن، لدى الحكومات القمعية المعاصرة على تكميم الشعوب وكبت الحريات والسيطرة الكلية على الشعوب بشتى الوسائل والسبل، كما يؤكد ذلك سماحة المرجع الشيرازي قائلاً: (أما السياسة - بمفهومها المعاصر- فهي القدرة على إدارة دفة الحكم وتسيير الناس والأخذ بالزمام مهما كلفت هذه الأمور من: إهدار كرامات..

وإراقة دماء.. وكبت حريات.. وابتزاز أموال.. وظلم وإجحاف.. ونحو ذلك، فمادام الحكم للحاكم والسلطة خاضعة لأمره ونهيه فهي الغاية المطلوبة لتبرر الوساطة، وإن كانت الوساطة إراقة دماء الألوفا.. بل وحتى الملايين جوراً وظلماً).

والسبب أن (السياسة الإسلامية بنيت على أسس العدل الكامل.. والكرامة الإنسانية.. والعفو بجنب الصمود والقوة) كما ورد في كتاب سماحة المرجع الشيرازي نفسه، حيث ترد أدلة وإثباتات تاريخية قاطعة، على كيفية تعامل السياسة العالمية مع الشعوب، بما لا يقترب قط مع تعامل الاسلام السياسي مع الرعية، ومن هذه الأدلة التاريخية نقرأ في الكتاب المذكور نفسه:

١- قتل البريطانيين في الهند - في قصة حرب الأفيون - حوالي عشرين مليون إنسان^(١).

٢. وقاتل البريطانيين في الهند أيضاً - أيام المطالبة بالحرية والخروج عن نير الاستعمار، ثمانمائة ألف إنسان في صورة مجاعة اصطناعية^(٢).

٣. لينين قائدة المسيرة الشيوعية السياسية أراد تطبيق نظام المزارع الجماعية، فلم يخضع له الفلاحون والعمال، فأحدث إرهاباً عاماً في البلاد ومجاعة مصطنعة غريبة عام ١٩٢١-١٩٢٢م والتي راح ضحيتها أكثر من خمسة عشر مليون إنسان^(٣).

شبكة النبأ المعلوماتية - الخميس ٣٠/حزيران/٢٠١١ - ٢٧/رجب/

١٤٣٢

(١) راجع ما ذكره جواهر لال نهرو في كتابه (لمحات من تاريخ العالم).

(٢) غاندي في كتابه (هذا مذهبي).

(٣) الحزب الشيوعي في الميزان: ص ٤ - ١٩.

(٢)

مسؤولية الحكومة في بناء المجتمع النموذجي

تتكون الحكومة من مجموعة قادة سياسيين يعلنون قدرتهم على ادارة شؤون الدولة والمجتمع على أفضل وجه، يقودهم قائد أعلى هو رئيس الحكومة أو رئيس الجمهورية بحسب ما ينص عليه الدستور، لكن في مجمل الاحوال يتحمل أعضاء الحكومة ورئيسهم المسؤولية الدستورية والاخلاقية في بناء المجتمع بطريقة عصرية تليق بكرامة الانسان وتلبي حاجاته المتعددة، لذا لا بد أن تتصدى الحكومة لاحتياجات الناس وتقدم مصالحهم على مصالح أعضائها، وهو ما يحدث في الانظمة الديمقراطية السليمة التي تستطيع توفير الاجواء الطبيعية لحركة المجتمع في ميادين الانتاج الفكري والمادي معا.

يقول سماحة المرجع الديني، آية الله العظمى، السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله) في الكتاب المعنون (من عبق المرجعية): (يستقر الناس في جو لا ظلم فيه ولا جور، ولا عنف ولا إرهاب، ولا قيود ولا اغلال، ولا سجن ولا تعذيب، ولا مشاكل ولا فقر، ولذا كان العمران والرقي، والمحبة والثقة، إبان تطبيق الاسلام امرا عاديا لم يجده العالم في هذا اليوم).

إذن هناك شروط ينبغي أن توفرها الحكومة للمجتمع لكي يصبح أكثر وعيا وأكثر استعدادا للتطور والابداع، ومن اهم السياسات الواجب تنفيذها على الارض سياسة العدل والانصاف والتعامل مع الجميع وفق مقتضيات المصلحة العامة، وفي هذه الحالة تكون النتائج مؤكدة في صالح المجتمع حيث يسود الرخاء وتعم الفضيلة، وتنتشر ثقافة العدل والانصاف بين عموم افراد المجتمع، لكن يبقى المحرك والدافع الاول لصنع مثل هذا المجتمع هو

سلوك الحكومة وسبل ادارتها للمجتمع، حيث يزول الفقر بعد أن تنتفي اسبابه من واقع المجتمع، وهنا يتساءل سماحة المرجع الشيرازي في الكتاب نفسه قائلاً: (لماذا الفقر، والاقتصاد سليم، والسياسة عادلة، والمجتمع فضيل)؟

إن مجمل الاضطرابات التي تحدث في المجتمعات إنما يكون سببها غياب العدالة في التعامل الحكومي مع مكونات الشعب، وهذا ما أثبتته الوقائع الراهنة في الدول الواقعة ضمن منطقة الشرق الاوسط، حيث الطغيان الحكومي بلغ ذروته في هذه الدول، فهبت الشعوب على حكوماتها كي تستعيد حقوقها وكرامتها وهو امر لا بد أن يحدث مهما كان جبوت الحكومات ودرجة قمعها لشعوبها، ففي هذه البلدان التي تشكل غالبية إسلامية، تعيش الشعوب فقيرة مضطهدة، والسبب واضح تماماً هو غياب النظام السياسي السليم، في وقت تدعي معظم أنظمة هذه الدول بأنها تنتمي الى الاسلام، في الوقت الذي تعج فيه بلدانها بالفقر والفقراء وهو ما يتناقض مع الاسلام.

يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا الصدد بالكتاب نفسه: (في البلد الاسلامي في وقت حكم الاسلام الصحيح، يلزم أن لا يوجد حتى فقير واحد، فالضمان الاجتماعي في الاسلام يحتم على الحاكم الاسلامي أن يزيل الفقر نهائياً).

ويضيف سماحة المرجع الشيرازي قائلاً بهذا الخصوص: (كان الامام علي بن ابي طالب عليه السلام رئيس اكبر حكومة اسلامية لا نظير لها اليوم سواء من حيث القوة او العدد، لان الامام كان يحكم زهاء خمسين دولة من دول عالم اليوم، وليس في دولته من فقير).

اذن ليس الخلل في سعة المجتمع إنما في طريقة ادارته، وفي طبيعة

الحكم ومدى احتكامه الى تعاليم الاسلام التي تؤكد على العدل والمساواة والانصاف وحق الرأي والتكافل وما الى ذلك من أساليب عملية تساعد المجتمعات على الاستقرار والتطور والمعاصرة، لذا لا بد أن تعي الحكومات الحالية أن القضاء على الفقر يقع في مقدمة الاولويات الواجب تنفيذها وهذا لا يحدث ولن يتحقق من دون التخطيط المسبق والسليم للوصول الى هذا الهدف ناهيك عن أهمية التطبيق السليم للبرامج والخطط الهادفة الى بناء المجتمع النموذجي.

يقول سماحة المرجع الشيرازي ناصحا الحكام والحكومات في هذا الصدد: (سعادة الدنيا والاخرة رهينة مثلث، يشكل طرفاه الاقتصاد السليم، والسياسة العادلة، والطرف الثالث الفضيلة).

ومثل هذا الهدف الكبير لن يتحقق ما لم تسع الحكومات بجدية لبناء الانسان نفسه، والقضاء على الفقر اولا، فليس هناك تطور ولا ابداع في ظل اجواء الفقر المدقع، وطالما بقي الانسان يعاني من الشحة والعوز ويفتقد الى الحاجات المادية الاساسية فإنه يبقى ممسوخا ذا شخصية ضعيفة، ولا يعرف ماذا يريد، ولا كيف يوظف طاقاته بصورة صحيحة، يقول سماحة المرجع الشيرازي بهذا الخصوص: (لو صنعت من الكارتون شكلا على هيئة انسان فهل يصبح انسانا مع انه لا روح فيه ولا يتكلم ولا يرى ولا يفكر؟).

لهذا يحتاج المجتمع لكي يبني نفسه الى الانسان الواعي المفكر والعامل في آن، وهذا لا يتحقق من دون مساعدة الجهد الحكومي وهو من أهم واجبات الحكومات تجاه شعوبها، من اجل بناء المجتمع المتوازن والمنتج في آن واحد.

شبكة النبا المعلوماتية - الخميس ٢٦/آيار/٢٠١١ - ٢٢/جمادى

(٣)

لماذا تفشل الحكومات في الدول الإسلامية بأداء مهامها؟

ثمة مقدمات لكل ما يحدث في الحياة من نجاح أو فشل في هذه الدولة أو تلك ولهذا الشعب أو ذاك، فلكل فشل في مجال ما من مجالات الحياة سببه الجلي الواضح، فلا فشل من دون مسببات واضحة المعالم والصور ولا نجاح من دون مستلزمات مسبقة ومعروفة تقود الى ذلك، ومن ينظر منا الى حال الحكومات في الدول الإسلامية أو التي - تتخذ من الإسلام ديناً رسمياً لها- سيرى ببصيرته أسباباً واضحة تقف وراء هذا الفشل الذريع في إدارة شعوبها ودولها في عصر لا زالت الدول والمجتمعات تتسابق فيه نحو التطور والاستقرار والتوازن.

ولعل أول أسباب الفشل وأكثرها وضوحاً وأهمية في هذا المجال هو أن هذه الحكومات تأخذ من الدين الإسلامي قشرته أو شكله الخارجي ولا تستند في ادارتها للدولة لجوهر هذا الدين وتعاليمه التي تشكل دستوراً إنسانياً متكاملًا، وتكان هذه السمة أن تكون العلة الكبرى التي تقف وراء اخفاق هذه الحكومات بقيادة شعوبها وتحقيق أهدافهم وتطلعاتهم من العيش الكريم الذي تستحقه.

وقد أكد سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظلّه) في الكثير من بحوثه وكتبه ومحاضراته على أهمية التعامل الحكومي مع جوهر الدين الإسلامي حيث ذكر سماحته في كتاب (من عبق المرجعية/ الذي احتوى على ألف كلمة وكلمة للمرجع الشيرازي) ما يؤكد رؤيته هذه الى التعامل الحكومي السطحي مع تعاليم الإسلام، إذ

قال سماحته:

(السبب فيما نراه في البلاد الاسلامية اليوم من نواقص ومشاكل يعود الى انها اسلامية بالاسم فقط والشعار فحسب وليس اكثر من ذلك). ولا يخفى أن تعاملنا من هذا النوع مع جوهر التعاليم الاسلامية لا بد أن يقود الى نتائج مجتزأة لا تصب في الاتجاه الصحيح كما أنها ستأتي منقوصة وغير فاعلة ولا مؤثرة في المحيط الذي تنشط فيه، لأن جوهر هذه التعاليم يدعو الحكومة الى الالتزام بمواصفات وخطوات واضحة تصب بالكامل في صالح المجتمع، وتحدد وظيفة الحكومة بالسير في الاتجاه الصحيح الذي يعمل لخدمة الغالبية من المجتمع، إذ يقول سماحة المرجع الشيرازي في الكتاب نفسه بهذا الصدد:

إن (وظيفة الحكومة الاسلامية تجاه الامة هي حفظ العدل بين الناس داخلا وخارجا والدفع بالحياة الى امام).

هكذا يكون العدل سمة أساسية للحكومة في تعاملها مع الملاء الأعم، وهو المعيار الاساس الذي يحفظ للحكومة موقعها الطيب بين الناس عموما ويحفظ للناس حقوقهم أيضا، وهذا ما يقود الى دفع الحياة عامة نحو التقدم والاستقرار والرفاهية والانتاج والمعاصرة المتوازنة التي توائم بين الشكل والجوهر.

ولا يوجد تقاطع بين الدين والعمل الحزبي الملتزم بالتعاليم المنصوص عليها، بمعنى أن الاسلام لا يحرم العمل السياسي الحزبي لكن ما يحرمه هو الاهواء الشخصية او الحزبية التي تقود هذا الحزب او ذاك مما يقود الى الخروج عن جادة الصواب والصراع من اجل المناصب وشيوع ظاهرة الاستحواذ والفساد وما شابه حيث يكون الناس ضحية هذا الخروج الخاطى

عن التعاليم الاسلامية، حيث يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا المجال: (لا باس بالاحزاب التي تعمل لاجل اعمار الوطن اذا لم تكن مخالفة للشرع).

إذن فباب العمل السياسي مفتوح للساسة والاحزاب شريطة أن يكون الالتزام بالشرع طريقا الى قيادة الناس والمحافظة على حقوقهم، ولهذا يدعو الاسلام الى ضرورة تحصيل الناس على الوعي الذي يجعلهم عارفين بحقوقهم وواجباتهم، وكما يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا المجال: (الاسلام يشجع كل ما يؤدي لنشر الوعي ويعمم الثقافة الانسانية في الامة ويحرم المفاسد والمغريات في هذه الوسائل فاذا خلصت منها كان الاسلام من اشد المستقبلين لها).

وكل هذه الامور لابد أنها تشد من أزر المجتمع وتركز مساره في الطريق الصواب، حيث ينمو الوعي الشعبي عموما ليعرف العامة ماهية السياسة وطبائع السياسيين وتوجهاتهم ودرجة قربهم من الصواب او الخطأ، لذا لابد أن تكون الحكومة قريبة من الشعب ومتفهمة له ولحقوقه مع واجباته، فلا يصح غمط الحقوق مقابل المطالبة بالواجبات وبالعكس، وبهذا تكون هناك علاقة تفاهم وتأزر بين الطرفين الحكومي والشعبي نحو النجاح، إذ يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا المجال:

(الحكومة في الاسلام شعبية بالمعنى الصحيح للكلمة فماذا يريد الناس غير المشاركة في الراي وغير الغنى والعلم والحرية والامن والصحة والفضيلة مما يوفرها الاسلام خير توفير).

نعم إن جل ما يطمح إليه الانسان في حياته هو هذه الحاجات المذكورة اعلاه وفي حال توفرها للناس عموما، فلا بد أن تكون العلاقة

القائمة بين الحكومة والشعب في أعلى مستويات القبول والتفهم والوئام، وهو ما نرجوه ونتمناه لحكومات الدول الإسلامية التي ينبغي أن تتعامل مع جوهر الإسلام وليس إسمه فقط.

شبكة النبأ المعلوماتية - السبت ١٢/حزيران/٢٠١٠ - ٢٧/جمادى

الآخرة/١٤٣١

(٤)

النظام الاقتصادي وأثره الكبير في الاستقرار والتطور

لا تزال المعمورة العامرة بمليارات من البشر تعاني من غياب التوازن الاقتصادي على الرغم من التطور الهائل في وسائل الانتاج كافة، ما يعني ان هناك خللا في البنية الاقتصادية العالمية، وأن الفشل في البرمجة والتخطيط والتنفيذ هو الذي يقف خلف هذا الازباك الاقتصادي العالمي.

لقد شطر المختصون المعمورة بالمنظور الاقتصادي الى شمال وجنوب، فالاول هو الشطر المتنعم الغني كما تشير كثير من الوقائع، والثاني هو الشطر الفقير الذي يعاني من ازمات وموجات متواصلة من الجوع، غير ان احدا لا يستطيع نفي الفقر بصورة مطلقة في دول وشعوب الشمال، ما يدل على فشل النظام الراسمالي في ترسيخ قاعدة التوازن الاقتصادي التي تقود بدورها الى إظهار نتائج نجاح هذا المنهج الفكري الاقتصادي او ذاك، كما فشل النظام الشيوعي الاممي فشلا ذريعا أثبتته الوقائع التاريخية التي لا تزال ساخنة حتى الآن ممثلة بالسقوط المدوي للاتحاد السوفيتي سابقا في عهد غورباتشوف.

ولا نحتاج الى ادلة لكي نثبت مشاهد الفقر في دول وشعوب الجنوب

فهي تعلن عن نفسها بوضوح من دون حاجة الى التنقيب او البحث، ولعلنا نستطيع أن نتساءل من الذي يقف وراء هذا الازدحام الاقتصادي العالمي وقبل ذلك من هو المتضرر الاول من نتائج هذا الازدحام؟!.

إن الانظمة الاقتصادية والسياسية التي قادت وتقود العالم هي التي تقف وراء ذلك، كما ان المتضرر بالدرجة الاولى هو الفقير المسحوق الذي يزداد انسحاقاً، في وقت يزداد الاثرياء ثراء، ولعل الازمة الاقتصادية التي عصفت ولا تزال تعصف بالعالم نتيجة منطقية لسوء الانظمة الاقتصادية سواء الرأسمالية او الاممية منها، وهنا يُستحسن أن نتساءل عن سبل الخلاص عالمياً او على مستوى الدول والشعوب؟!.

إن للاسلام تجربة مثبتة بالادلة والوقائع مع الاقتصاد وكيفية التخطيط والبرمجة والتنفيذ، فبرغم سعة الدولة الاسلامية في عهد الامام علي عليه السلام إلا أن الفقر كاد ان ينعدم تماماً بين أفراد الامة الاسلامية عموماً، ما يدل على حسن الرؤية ونجاح التخطيط الاقتصادي وتمييز الخطوات التنفيذية التي قللت من الفقر الى ادنى مستوياته، وقد جاء في الكتاب الثمين لسماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي والموسوم بـ (السياسة من واقع الاسلام) بهذا الصدد:

(إن الاقتصاد له الأهمية الكبرى في السياسة، وكلما كان التوازن الاقتصادي أقوى كانت السياسة أكثر سداداً ورشداً.

فلننظر إلى الإسلام كيف جعل من الدولة الإسلامية البعيدة الآفاق، الشاسعة الأراضي، الكثيرة النفوس، أمة غنية كاد أن يصبح الفقر فيها خبيراً لكان)..

وهذا يعني ان ثمة سياسة اقتصادية متوازنة اتبعها الامام عليه السلام ابان

حكمه حققت توازنا دقيقا بين الانتاج والاستهلاك، وقادت بدورها الى غياب الفقر وقد تم ذلك عبر سياسة اقتصادية تقوم على الدقة والتوازن والمساواة التامة وهو امر معروف عن سياسة الامام عليه السلام مع الرعية في عموم امصار الدولة العربية آنذاك.

وما يلفت نظر المتقضي والباحث ان الامام عليه السلام بوصفه السلطة العليا في الدولة الاسلامية، كان يمثل نموذجا مثاليا للجميع من حيث التخطيط والتنفيذ معا، وجاء في هذا الجال بكتاب سماحة المرجع الشيرازي نفسه:

(ذكر الشيخ الحر العاملي رحمته الله في كتاب (وسائل الشيعة):

أن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كان يمشي في سكك الكوفة، فنظر إلى رجل يستعطي الناس: فوجه الإمام السؤال إلى من حوله من الناس قائلاً: ما هذا؟

فقالوا: إنه نصراني كبر وشاخ ولم يقدر على العمل، وليس له مال يعيش به، فيكتنف الناس..

فقال الإمام - في غضب - استعملتموه على شبابه حتى إذا كبر تركتموه؟ ثم جعل الإمام عليه السلام لذلك النصراني من بيت مال المسلمين مرتباً خاصاً ليعيش به حتى يأتيه الموت - راجع وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ٦٦ ب ١٩ ح ١-).

إن هذا المثال الواقعي يدل على أهمية أن يكون القائد الأعلى نموذجا للجميع، فحين يتصرف الامام علي عليه السلام بهذه الصورة إنما يريد أن يعمم هذا السلوك ويجعله امرا واقعا بين السلطة والشعب، وبهذه الطريقة تنخفض مستويات الفقر الى أدنى الدرجات، على عكس ما يدور فوق الكرة الارضية الآن لا سيما في السياسة الاقتصادية التي قادت العالم من سيء الى أسوأ، ولنا

في قارة افريقيا مثالا شاخصا للعيان، حيث يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا الصدد:

(القارة السوداء التي لا تزال حتى اليوم - رغم كل التقدم الاقتصادي في مختلف الميادين في العالم - ترزح تحت وطأة الجوع والفقر والبؤس، والتي يموت فيها المئات والألوف.

هذه القارة التي تربض على مخازن الثروة الضخمة، والتي يسرق الطغاة في العالم ثرواتها دون أن يعطوها خبزاً وقمحاً يسدان الجوع. هذه القارة كانت - قبل أكثر من عشرة قرون - تنعم بالغنى والثروة نتيجة حكم الإسلام عليها).

لكن هذا الحال لم يكن قائماً في العهد الاسلامي، بمعنى ان افريقيا عندما قادها الاسلام كانت اقل فقرا بكثير و اكثر استعدادا للتطور والغنى، وقد أورد لنا سماحة المرجع الشيرازي في كتابه المذكور اعلاه دلائل من صلب الواقع تشير الى غنى افريقيا عندما أدار الاسلام شؤونها:

(فقد نقل المؤرخون: أن والي أفريقيا في العهد الإسلامي - وبالضبط في عهد أبي جعفر الإمام محمد الباقر عليه السلام خامس أئمة أهل البيت عليهم السلام مفتح القرن الثاني الهجري - بعث رسالة إلى العاصمة الإسلامية يستفسر عن الصدقات والزكوات المتضخمة عنده ماذا يصنع بها؟ فصدر الجواب: أصرفها على الفقراء والضعفاء.

فكتب: عملنا ذلك وزادت صدقات كثيرة فماذا نعمل بها إذن؟

وصدر الجواب: اجعل من يعلن في البلاد على رؤوس الناس: ألا من كان محتاجاً فليأت والي وليأخذ حاجته من الصدقات. واجعل من يبحث عن الفقراء وأهل العوز، فلعل هناك بعض من يمنعه الحياء أن يأتي والي..

فكتب الوالي إلى العاصمة الإسلامية: فعلنا ذلك وزادت الصدقات. فصدر الجواب: اصرفها في عامة مصالح المسلمين. فهل رأيت أفريقيا مثل ذلك في كل تاريخها وبعد الإسلام؟).

لذلك فإن النظام الاقتصادي وتطبيقه على الأرض بدقة وتوازن له الأثر الكبير في قمع ظاهرة الفقر وتقليص الفوارق بين الأثرياء والاعنياء إلى أقصى درجاتها، ما يؤدي إلى استقرار الأمة ونبوغها في مجالات الحياة كافة.

شبكة النبأ المعلوماتية - السبت ٢٦/أيلول/٢٠٠٩ - ٦/شوال/١٤٣٠

(٥)

دور علماء الدين في مقارعة الديكتاتوريات

الغرائز التي يحملها الإنسان في تكوينه البيولوجي، تدفعه إلى الذاتية والانانية وتفضيل النفس، ما يستدعي أن يقف العقل بوجه هذه الاندفاعات (ذات الطابع الحيواني غير المهدب).

وكما هو متفق عليه علمياً، أن الإنسان من دون المنظومات التهديبية التي توجه مساراته الفكرية والعملية، فإنه يتحول إلى آلة أو ماكينة (ستفرم) كل من يقف بوجهها وهي تغذ السير لتحقيق أهدافها القائمة حصراً على تفضيل الذات، وهذه المنظومات الضاغطة والموجهة للعقل البشري تتمثل بالتعاليم الدينية ومنظومة الاخلاق والاعراف والنواميس السائدة في الوسط الاجتماعي.

ولعلنا نؤشر حقيقة واضحة حين نقول بأن الدين هو المنظومة الأهم والاقوى والاكثر تأثيراً في تصحيح المسارات البشرية الخاطئة، فردية كانت أو جماعية، كونها تمثل الوسائل المثلى في مخاطبة العقل، وبالتالي تعمل على

توجيهه ليكون متحكما بالغرائز الطائشة.

وهنا سيبدو جليا ذلك الدور المحوري لرجل الدين وهو يتصدر العقول والآراء والاصوات التي تقف بوجه الحاكم السياسي الطائش كما ثبت ذلك على مر الازمان، إذ يقول سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي في كتابه الثمين الموسوم بـ (السياسة من واقع الاسلام):

(وقد كان من واجب العلماء أن يردّوا الأُمراء والحكّام عن الغي والفساد، إذا انزلقوا، وكان عليهم أن يقابلوهم ويرشدوهم باللسان والنصح، فإن لم ينفع ذلك فبالوقوف دونهم وما يريدون، مهما كلفهم الأمر). وهكذا يكون هذا الدور ضاغطا وفاعلا ومتجددا كونه يستمد منهجه من مناهج الحكمة الإلهية والنبوية ومن مناهج أهل البيت عليهم السلام، وبهذا فهو يحدد مسؤولية رجل الدين بوضوح ازاء السياسي (المنحرف) ويوجب عليه توجيه السياسي الحاكم وتشذيبه بل والضغط عليه بكل الوسائل المتاحة كون أن رجل الدين يملك سلطة العقل الذي يستند الى إرادة الله تعالى في تسيير أمور الامم والشعوب كافة، فليس الامر متعلقا بغرائز الفرد الحاكم بل ثمة مصالح جماعية تتعلق بمصائر الامة والشعب، مما يتيح قدرة أكثر لأن يمارس رجل الدين دوره الجوهرى في التوجيه والتشذيب والضغط إذا لزم الأمر ذلك.

وستتفق على ان السلطان الذي تسيره غرائزه سوف لا يكون منصفاً لا لشعبه ولا لنفسه أيضاً، ولذلك كان العلماء مصداً تأريخياً لنزعات الحكام الجائرين، حيث يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا المجال:

(إنّ العلماء عبر العصور المتمادية والقرون المتتابعة سائرون على

منهجهم الذي رسمه لهم رسول الله ﷺ والأئمة الطاهرون من إصلاح أمور الأمة الإسلامية وتقويمها، فلم يتركوا الحُكَّام وما يفعلون، ويدعوهم وما يريدون، بل تدخلوا في السياسة).

وهذا يدل على أن رجل الدين لم يقف مكتوف الأيدي فيما يتعلق بمصائر الناس وحيواتهم، بمعنى انه ما يلبث أن يستنفر كل مقومات ومستلزمات الحكمة والتوجيه والضغط على السياسي اذا لمس منه انحرافا او تفضيلا للذات والحاشية معا، وهنا يؤكد سماحة المرجع الشيرازي أن رجال الدين لم يدخروا جهدا في هذا المجال حيث نقرأ ذلك في كتاب سماحته المذكور آنفا إذ يقول في هذا الصدد:

(وكانوا -رجال الدين- يقومون بذلك ويرشدون وينصحون، ويهددون ويكفرون، ويعارضون ويقاطعون كل من كان ينحرف عن الإسلام من الحكام.

فكم من عالم أبعد من دياره؟

وكم من مجتهد أُوذي وسُجن؟

وكم من فقيه أُحرق داره وطُرد؟

وكم منهم قُتل وصلب؟

وكم؟ وكم؟

كل ذلك للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإرشاد الحُكَّام وتقويمهم عن الهوى والشهوات).

ولعلنا نتفق الآن على اننا في العراق -مع التأسيس المتواصل لمقومات ومسارات العملية السياسية- احوج ما نكون لتحقيق التأسيس السياسي الناجح، وهذا لن يتحقق بطبيعة الحال في ظل غض البصر والبصيرة عن

الاحطاء التي يقع فيها السياسيون خاصة انهم يؤسسون لمنهج حكم يُراد الاستمرار به والاعتماد عليه كنموذج حكم راقى يعوّض المسلمين والعراقيين جميعا عما ألحق بهم من ضرر فادح نتيجة السياسات العشوائية التي تعاقبت على تسيير امورهم.

من هنا يُعدّ رجل الدين النموذج الامثل لمراقبة الحراك السياسي وتوجيهه بما يحقق مصلحة الجميع، ولا يجب قط أن يتخلى عن دوره هذا لا سيما في هذه المرحلة التي تطفو فيها النزعات الشرهة على السطح مما يستوجب متابعتها وتأشيرها والضغط المتواصل باتجاه محوها لاسيما من سجايا وتوجهات الساسة الذين يتحكمون بمصائر بسطاء الناس وغيرهم.

شبكة النبا المعلوماتية - الثلاثاء ١٠/ تشرين الثاني/ ٢٠٠٩ - ١١/ ذو

القعدة/ ١٤٣٠

(٦)

التباين بين سياسة الاسلام والسياسة العالمية المعاصرة

يُقال أن السياسة المعاصرة لا تتركن الى مبادئ قابلة للثبات او تأخذ صفة الديمومة حتى لو تعلق الامر بالجوانب الانسانية التي تخص حيوات البشر وشؤونهم، ولعل القاعدة التي اطلقها احد قادة الغرب قبل عقود طويلة من السنوات والتي تشير الى انه (ليست هناك صداقات ولا عداوات دائمة بل هناك مصالح دائمة) تفسر لنا طبيعة السياسة العالمية المعاصرة وما تنطوي عليه من نواقص كثيرة وكبيرة تحط من قيمة الانسان وحرمة حقوقه واستقلاليته وحفظ كيانه.

فسياسة العالم لا تعدو كونها لهاث متواصل وراء المنافع والمصالح

للدول والامم والشعوب بغض النظر عن طريقة هذا اللهاث المحموم وهل هو مشروع او يقف بالضد من المصالح البشرية عموماً، وكلنا نعرف ان سياسة التبرير هي التي تقود العالم الآن او لنقل في الماضي المنظور ايضاً، فالغاية تبرر الوسيلة هو الطابع العام لهذه السياسة التي لا تحسب حساباً للانسان وحرمته.

ولعل التباين بين سياسة الاسلام وقادته العظام تبايناً كبيراً وواضحاً في هذا الجانب، حيث الثوابت التي لا يجوز تجاوزها حتى لو تعلق الامر بادارة شؤون الدولة الاسلامية سياسياً، فالعدل والصدق والمساواة وما شابه هي عناصر او مبادئ غير قابلة للتجاوز في سياسة الاسلام، وهكذا سيكون البون شاسعاً بين السياستين العالمية والاسلامية، ولعل لب هذا الخلاف يتركز في طبيعة الطرائق التي تتم من خلالها ادارة شؤون الامم والشعوب والتعامل معها. وقد عالج سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي هذا التباين ورصده بعين المحلل الذي يضع الامور في نصابها، حيث تحدث عن الفارق الشاسع بين السياسة العالمية وسياسة الاسلام واورد عدداً من الامثلة الموثقة بمصادر تاريخية لا تقبل التشكيك، حيث ذكر سماحته في كتابه القيم (السياسة من واقع الاسلام):

(أنّ السياسة الإسلامية تباين السياسة العالمية - اليوم - وتختلف عنها في أصولها وفروعها، فالسياسة الإسلامية هي غير السياسة المعاصرة التي تمارسها الدول تماماً، وذلك:

لأن الإسلام يتبع في سياسته مزيجاً من: الإدارة والعدل، والحب الشامل، وحفظ كرامة الإنسان، وحقن الدماء. فهو يسعى في أن لا تراق قطرة دم بغير حق، أو تهان كرامة شخص واحد جوراً، أو يظلم إنسان واحد.. بل

وحتى حيوان^(١) واحد.

أما السياسة - بمفهومها المعاصر - فهي القدرة على إدارة دفة الحكم وتسيير الناس والأخذ بالزمام مهما كلفت هذه الأمور من: إهدار كرامات.. وإراقة دماء.. وكبت حريات.. وابتزاز أموال.. وظلم وإجحاف.. ونحو ذلك، فمادام الحكم للحاكم والسلطة خاضعة لأمره ونهيه فهي الغاية المطلوبة لتبرر الوساطة، وإن كانت الوساطة إراقة دماء الألوفا.. بل وحتى الملايين جوراً وظلماً.. هذا هو منطق السياسة التي تمارس في بلاد العالم اليوم).

هذا ما يلاحظه المراقب الحيادي لسياسة اليوم التي تقوم على المصلحة الفردية ثم الجمعية أولاً، ولا تضع هامشاً للقيم والاعتبارات الانسانية مهما كان ضئيلاً، وهكذا أصبح الهدف هو تحقيق المنفعة بأية وسيلة كانت، (فالغاية تبرر الوسيلة) وهذا ما يرفضه الاسلام جملة وتفصيلاً.

ويقدم لنا سماحة المرجع الشيرازي في كتابه نفسه، أمثلة واقعية موثقة عن سياسة وقادة الاسلام في مقابل سياسة العصر ويورد احداثاً مهمة من كلا الجانبين او السياستين لكي يقدم الدلائل الدقيقة التي تدعم وتؤيد ما ذهب إليه سماحته.

ومن الامثلة التي اوردها سماحة المرجع واقعة استشهاد الامام علي بن ابي طالب عليه السلام وهو قائد الدولة الاسلامية وكيف يتعامل مع قاتله فجاء في

(١) ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله - لما أبصر ناقة معقولة وعليها جهازها - قوله: أين صاحبها؟ مرواه فليستعد للخصومة. وقوله صلى الله عليه وآله: للدابة على صاحبها ست خصال: يعلفها إذا نزل. ويعرض عليها الماء إذا مرّ به ولا يضربها إلا على حق، ولا يحملها ما لا تطيق. ولا يكلفها من السير إلا طاقتها. ولا يقف عليها فواقاً. مستدرك الوسائل: ج ٨ ص ٣٠٠ ح ١ باب كراهة كون الإبل محمولة معقولة. وص ٢٥٨ ح ١ باب حقوق الدابة الواجبة والمندوبة، إلى غير ذلك من الروايات تجدها في مكانها

كتاب (السياسة من واقع الاسلام) حول هذه الواقعة:

(فهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حينما كان على عرش الرئاسة الكبرى للدولة الإسلامية العظمى التي كانت قد ضربت بأطرافها الممتدة على أعظم رقعة من المعمورة، والتي كانت تحسب لها الحساب كل الدول في العالم آنذاك، تراه يعرف قاتله، ويذكر له أنه هو القاتل له، لكنه لا يمد إليه يداً بعنف أبداً، لفلسفة العدل، وهي مادام أنه لم يمارس جنائية فلا يستحق القتل.

انظر النص التالي:

كان علي عليه السلام يقول لعبد الرحمن بن ملجم: أنت قاتلي وكان يكرر عليه هذا البيت:

أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

فيقول له ابن ملجم: يا أمير المؤمنين إذا عرفت ذلك مني فاقتلني.

فيقول له: إنّه لا يحلّ ذلك أن أقتل رجلاً قبل أن يفعل بي شيئاً).

ثم يورد سماحة المرجع الشيرازي أمثلة لكيفية تعامل السياسة العالمية مع بعض الوقائع وكيف تتعامل مع ارواح الناس وحرمة دمائهم، فنقرأ بهذا الصدد في الكتاب نفسه المثالين التاليين:

(- البريطانيون قتلوا في الهند - في قصة حرب الأفيون - حوالي

عشرين مليون إنسان^(١).

٢- البريطانيون قتلوا في الهند أيضاً أيام المطالبة بالحريّة والخروج

عن نير الاستعمار- ثمانمئة ألف إنسان في صورة مجاعة اصطناعية^(٢).

(١) راجع ما ذكره جواهر لال نهرو في كتابه (لمحات من تاريخ العالم).

(٢) غاندي في كتابه (هذا مذهبي).

ومن هذه الامثلة نقرأ عن سماحة المرجع الشيرازي ايضا:
 (٤). في الحرب العالمية الثانية راح ضحية الحكم والسيطرة فيها قرابة
 سبعين مليون إنسان بين قتيل وجريح ومعدوم ومعاق.
 ٥. الاستعمار الفرنسي قتل في الجزائر - في حرب التحرير - أكثر من
 مليون من البشر).

وهكذا يتبين لنا البون الشاسع بين السياستين الاسلاميه والعالميه ومدى
 التجاوزات والخسائر الفادحة التي تلحقها سياسات اليوم بالانسان نتيجة لعدم
 التزامها ثوابت او مبادئ انسانية تحفظ قيم الانسان وحقوقه تحت أية ظروف
 كانت.

شبكة النبأ المعلوماتية - الاحد ٤/ تشرين الثاني/ ٢٠٠٩ - ١٤

شوال/ ١٤٣٠

(٧)

الأمن مسؤولية مشتركة بين الحاكم والمحكوم

العمليات الإجرامية التي طالت الأبرياء في بغداد وغيرها مؤخرا لم تأت
 جزافا، بل ثمة جهات خططت لذلك مسبقا ثم أمرت توابعها لتنفيذها على
 الارض، ومما يثير الاستغراب والعجب، أن المواطنين الابرياء هم هدف هذه
 التفجيرات الاجرامية الاخيرة، فليس هناك هدف عسكري او حكومي او حتى
 مؤسساتي مستقل، بل كان المستهدفون مواطنون عزل أبرياء لا علاقة لهم
 بالسلطة او السياسة ولا يتحكمون بهذا المسار او ذاك.

وهذا يدل على نحو قاطع إصرار الجهات التي تقف وراء هذه
 العمليات على الإيذاء المتعمد والشامل لعموم العراقيين من دون تمييز في

الانتماء السياسي او الديني او العرقي او غيره، بل الهدف كما يتضح للجميع هو إيذاء الناس الابرياء بكل السبل المتاحة.

إن ما حدث مؤخرا من عمليات ارهابية تستدعي وقفات متبصرة من لدن المعنيين من سياسيين في السلطة وخارجها وعلماء ورجال دين ومثقفين وعموم المواطنين، إذ أننا نلاحظ نمطا جديدا من الاجرام في الساحة العراقية، وجدته تتمثل في استهداف هذا الكم من البنايات (المدينة) في وقت متزامن وإيذاء العدد الاكبر ممن لا علاقة له بالسلطة او السياسة على نحو عام، لهذا ينبغي أن يحدث استنفار كبير لمواجهة هذه العمليات الاجرامية الكبيرة، ويقف العلماء وصفوة المجتمع في المقدمة كما حث على ذلك في مناسبات كثيرة سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله) ضمن كتابه القيم الموسوم بـ (إضاءات مرجعية) إذ قال سماحته في هذا الصدد:

ينبغي (إجتماع ثلة من العلماء الأعلام وأن يتحرك المؤمنون وذوو الضمائر الحية في العالم للضغط نحو تحقيق هذا الأمر الإنساني المهم) المتمثل بمحاصرة المجرمين والمافيات التي تستهدف الابرياء لتعيد العراق الى ما كان عليه من ظلم وتجبّر وطغيان أدى الى حرمان ملايين الأفراد من الحياة الكريمة.

كما طالب سماحة المرجع الشيرازي في مناسبات عديدة أن يتحلى المسؤولون باليقظة والشعور بالمسؤولية ازاء ما يحدث للابرياء، وأكد على الاشتراك الكلي بين الجميع لغرض تحجيم المجرم وسحب البساط من تحتهم وحماية ارواح الناس، كما دعا سماحته المواطنين الى الحذر والتنبه ومكافحة بؤر الخطر من خلال المراقبة التامة لما يحدث، وقد جاء في كتاب

سماحته المرجع الشيرازي حول هذا الموضوع:

(كما إننا ندعو العراقيين الكرام إلى اليقظة والحذر وضبط النفس وتوحيد الصف ونبذ الفرقة وعدم الإنجرار إلى دوامة العنف الذي سيكونون هم أول المتضررين منه، والإستمرار في المطالبة بالحقوق المشروعة عبر الطرق السلمية التي هي أحمد عاقبة، وهذا هو المترقب من الشعب العراقي الكريم الذي أثبت جدارته وحكمته وخاصة في الظروف العصيبة).

لإن الهدف من هذه العمليات الاجرامية واضح للجميع، وهو إعادة الوضع الامني الى المربع الاول ومحاولة إثارة الفتنة بين مكونات الشعب، لذلك يعتبر المواطن مسؤول في هذا المجال، أي مجال حفظ الامن وحماية ارواح الآخرين كما هي مسؤولية الجهة الامنية الحكومية، وذلك من خلال قيامه بدوره كما يجب والاحبار عن أية مؤشرات غريبة وغامضة ومشكوك بها ربما تدخل ضمن التحضير لمثل هذه العمليات الارهابية التي تستهدف الابرياء.

ويؤكد سماحة المرجع الشيرازي على الدور الحكومي في هذا المجال ودور القضاء وضرورة: (تسريع محاكمة الذين ثبتت عليهم - بالطرق الشرعية - جرائمهم، والحيلولة دون استمرار هذه العمليات الإرهابية).

فيما طالب سماحته في مناسبات عديدة مماثلة الى: (تنظيف الدوائر الحكومية من المندسين، لتقوم بواجباتها ومنها حفظ الأمن بآتم وجه).

ولعل الامر بالغ الوضوح ولا يتطلب عقولا عبقرية لكي نكتشف اسباب مثل هذه الخروقات الامنية الكبيرة، إذ أن المعنيين أمنيا يجب أن يتنبهوا الى من يندس في صفوفهم ولا يقوم بدوره الامني كما يجب وكما يفرضه عليه دينه وضميره فيفضل في حماية الناس من خلال فشله باداء دوره كما يجب.

ولكننا نتفق جميعاً على أن الشعب العراقي معني أيضاً بالاضافة الى الرسميين في مكافحة الاحتقان والتصادمات والصراعات الدنيوية من خلال منظومة مبادئ وفرتها له التعاليم الاسلامية السمحاء لكي يحمي بها نفسه. وقد قال سماحة المرجع الشيرازي بهذا الصدد في كتابه الثمين نفسه:

(أوصي الشعب العراقي الأبى - الذي اثبت عبر تاريخه الطويل انه شعب الصمود والصبر والفداء والتضحية وخاصة في هذه العقود السوداء الأخيرة - أن لا تثنيه هذه المحاولات الاثيمة عن عزمه ولا يستلب منه الصبر والحلم والتعايش ووحدة الصف والمطالبة بحقوقه العادلة التي ضمنتها له مبادئ الاسلام وأقرتها القوانين الوضعية).

شبكة النبأ المعلوماتية - السبت ١٠/نيسان/٢٠١٠ - ٢٤/ربيع

الثاني/١٤٣١

(٨)

الاسلام وسياسة العفو عند المقدرة

ان الدعوة الى اصلاح المجتمع بالقول وحده لاتجدي نفعاً إذ لا بد أن تتجسد هذه الاقوال بأفعال واضحة للعيان يتعلم منها الآخرون فعل الاصلاح وليس قوله فقط

- ان الانسان مهما بلغ من الجهالة والتعصب، يمكنه أن يتعلم من السلوك القويم الذي يسنده قول الاصلاح، فقد استطاع النبي محمد ﷺ أن يشذب النفوس المتعصبة وأن يزرع فيها قيماً تليق بإنسانية الانسان حين أفصح رسولنا الأكرم ﷺ عن دعوته جهراً الى الاسلام، كانت العصبية والقبلية الفتاكة هي السائدة في مجتمع مكة، وكان الجهل والتطرف

عنصران أساسيان تقوم عليهما منظومة السلوك والتعامل بين الناس، وكان القوي يفرض ما يراه صحيحا على الضعيف، والأمثلة عن هذا القول كثيرة، ومنها ما كانت تتعرض له البنات من وأد وقتل وهنّ على قيد الحياة.

إذن يحتاج مجتمع كهذا الى تصحيح جذري في منظومة السلوك، ومع الاصلاح بوسيلة الكلام لابد أن تكون هناك تجارب سلوكية قائمة على ارض الواقع، بمعنى ان الدعوة الى اصلاح المجتمع بالقول وحده لاتجدي نفعاً، إذ لابد أن تتجسد هذه الاقوال بأفعال واضحة للعيان يتعلم منها الآخرون فعل الاصلاح وليس قوله فقط.

وهكذا كان رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ فهم لايني أن يدعم جميع أقواله الاصلاحية بالاعمال الصالحة، لكي يعرف الجميع ان قول الاصلاح يتطلب التطبيق، ومما جاء به الاسلام ما هو مستجد على القيم الجاهلية، سياسة العفو العظيم، وفي هذا المجال جاء في كتاب المرجع آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي أمدّ الله تعالى في عمره، الموسوم بـ (السياسة من واقع الاسلام):

(ما أعظم عفو رسول الله ﷺ عن الأعداء؟)

فقد مثل النبي ﷺ عفو الإسلام خير تمثيل. وأفهم الجميع أن الإسلام جاء يريد الخير للجميع، لأولياته وأعدائه جميعاً، وليس ديناً يحقد على أحد، وليست بعض ممارساته الصارمة نابعة عن القسوة، أو الحنق، وإنما هي نابعة عن روح تعميم العدالة على الجميع).

إن نبينا الأعظم ﷺ لم يأت بأقوال مجردة عن العفو كسلوك يليق بالانسان المتحضر، بل أسند أقواله وتعاليمه المستقاة من كتاب الله الحكيم، بالافعال والأمثلة العملية المجسدة على ارض الواقع، ويورد السيد الشيرازي

في كتابه (السياسة من واقع الاسلام) أمثلة عملية وشواهد إثبات مجسدة لاتقبل الشك ومنها ما حدث بين النبي ﷺ غورث بن الحارث:
(كان النبي ﷺ قد جلس - في بعض غزواته - في ظل شجرة وحده بعيداً عن أصحابه، بعدما حال السيل بينه ﷺ وبينهم.

فجاءه غورث بن الحارث ووقف على النبي ﷺ مصلاً سيفه رافعاً يده على النبي ﷺ وصاح به:
من يمنعك مني يا محمد؟
فقال النبي ﷺ: الله.

فسقط السيف من يده، فبدر النبي ﷺ إلى السيف وأخذه ورفعته على غورث قائلاً له:

يا غورث من يمنعك مني الآن؟
فقال: عفوك، وكن خير آخذ.
فتركه النبي ﷺ وعفا عنه.

فجاء إلى قومه وقال لهم: «والله جئتمكم من عند خير الناس»^(١).

فهل يذكر التاريخ عن العظماء مثل هذه القصة.

عدو في طريق الحرب، مصلاً سيفه، يريد قتل النبي ﷺ، بشراسة ووقاحة وتسلب قدرته من دون اختياره، فيملك النبي ﷺ السيف.. ثم يعفو عنه؟

إنه عفو الإسلام الذي تجسد في رسول الله ﷺ.

وهكذا نستطيع القول بأن الانسان مهما بلغ من الجهالة والتعصب، يمكنه أن يتعلم من السلوك القويم الذي يسنده قول الاصلاح، فلقد استطاع

(١) مسند أحمد، ج ٣ ص ٣٦٤، مسند جابر بن عبد الله، راجع بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ١٧٥ ب ١٥.

النبي محمد ﷺ أن يشذب النفوس المتعصبة وأن يزرع فيها قيما تليق بإنسانية الانسان، فقد كان الهمم الانساني كبيرا وعميقا في الافكار والتعاليم الاسلامية وقد دأب رسولنا الأعظم ﷺ على تربية النفوس وتزكيتها من الكره والاحقاد حتى ضد الأعداء، ونقرأ في هذا المجال واقعة وردت في كتاب السيد المرجع نفسه جاء فيها:

(اشتد أذى المشركين للرسول ﷺ يوم أحد إذ قتل عمه حمزة، ومثّل بجسده الشريف، وقطع كبده وأصابع يديه ورجليه، وجدع أنفه، وصلموا أذنيه وفعل به ما فعل، وقتل العشرات من المسلمين.. فتقدم بعض الصحابة إلى النبي ﷺ واقترح عليه أن يدعو على المشركين ليعذبهم الله بعذاب من عنده، كما كان يعذب الكفار في الأمم السابقة بدعوة أنبيائهم عليهم..

لكنه النبي ﷺ، وسياسة العفو العظيمة، فامتنع من ذلك وقال: «إني لم أبعث لعاناً، ولكني بعثت داعياً ورحمة، اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون»^(١).

نحن نعرف ونقرأ بأن وقائع الحياة الآنية هي اكثر تعقيدا مما كانت عليه في زمن الرسول الأكرم ﷺ، غير أن هذا لا يمنع أن نطبق أعماله وأقواله ﷺ على أرض واقعنا الحالي، فمفهوم القوة في ذلك الوقت هو نفسه في حياتنا المعاصرة ومفهوم العفو والصفح هو نفسه ايضا، بيد ان ما هو

(١) سنن النبي ﷺ للطباطبائي: ص ٤١٣، وراجع أيضاً: المناقب: ج ١ ص ١٩٢ وفيه دعائه ﷺ بهذا الدعاء الإنساني في معركة أحد، والمناقب: ج ١ ص ٢١٥ وفيه دعائه ﷺ بالدعاء المذكور عند تعرضه لأشد الأذى من قبل جبابرة قريش أبي جهل وأضرابه، وكذا دعائه ﷺ يوم الفتح.

مطلوب منا كأمة مسلمة او كمجتمع اسلامي هو أن نستوعب تماما تعاليم وافكار واعمال النبي ﷺ الاصلاحية، لاسيما في قضية التعامل بين الاقوياء والضعفاء، فالقوانين الوضعية لا تكفي وحدها قطعا بتحقيق السلامة البشرية، ولعل الرقيب الذاتي المسند بسيرة الرسول الاكرم ﷺ هو اقوى وأكثر رصانة من رقابة القانون الوضعي، ولذلك ينبغي أن نتعلم الاقوال الاصلاحية لرسولنا ﷺ مع زجها في ارض الواقع العملي لكي لا تبقى محصورة في حيز الذاكرة القولية بل تدخل ميدان الفعل والتطبيق الذي يحقق للانسان حياة الاستقرار والتطور والتعافي المتواصل.

واخيرا ولكي يتذكر الناس قوة العفو العظيم للرسول الأعظم ﷺ عن أعدائه وكسبهم الى صف الانسان، نضع بين أيديهم ما أورده المرجع السيد الشيرازي في كتابه (السياسة من واقع الاسلام) عن واقعة دخول المسلمين الى مكة فاتحين منتصرين وما رافقها من حالة عفو لا مثيل لها في التاريخ:

ﷺ ﷺ معاملته مع أهل مكة.

أهل الشرك والكفر..

أهل الجحود والعصية..

أهل الفساد والظلم..

أهل القسوة والغلظة..

الذين قتلوا أصحابه، وأنصاره، وأقرباءه في عشرات الحروب.

والذين أخرجوه ﷺ من مسقط رأسه الشريف، وبلد الله، وبلد آبائه،

ومحل عبادته.

والذين عذبوا المهاجرين بأنواع التعذيب، وقتلوا العديد منهم.

والذين تأمروا على قتله ﷺ عدة مرات وكلها باءت بالفشل.

والذين مارسوا مع النبي ﷺ وأنصاره كل أنواع المظالم والفضاضة..
هؤلاء.. جاءهم النبي ﷺ فاتحاً منتصراً عليهم..
أترى ماذا كان يفعل إنسان آخر لو كان في موقع النبي ﷺ؟
إنه بلا شك كان يقيم مجزرة رهيبة..
فالموجودون هم الظالمون بأنفسهم لا أبناءهم.
أبو سفيان.. وهند، وأضرابهما من الرجال والنساء.
ولكن في فتح مكة عندما حمل الراية سعد بن عباد وجعل يرفل في
طرق مكة ويهز الراية وينادي:
(اليوم يوم الملحمة اليوم تسبي الحرمة)^(١)
يقصد بذلك: إننا سنكثر من القتل في أهل مكة حتى تتراكم جثث
ولحوم القتلى بعضها على بعض، وإلى جنب بعض، وسنسبي نساء مكة سبي
الكفار المحاربين.
وكان أهل مكة يتوقعون مثل هذا الصنيع من مثل هذا الجيش المطرود
أفراده من مكة سنوات طوال، والمعذب من قبل أهل مكة هؤلاء، والمهدورة
حرماتهم وأموالهم وكراماتهم من قبل هؤلاء أنفسهم.
ولو كان أهل مكة هم بمكان الجيش الإسلامي، وكانوا هم المنتصرين
على المسلمين لصنعوا بهم أسوء من هذا الصنيع..
وبالفعل كان قد سبق أهل مكة إلى (الملحمة) (وسبي الحرمة) قصاصاً
منهم قبل الجناية، فكيف بأهل مكة لو كان لهم حق القصاص في ذلك؟
أكيداً كان أهل مكة سيبيدون المسلمين لو كانوا بمكان المسلمين،

(١) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ١٠٥ ب ٢٦.

وكانت القضية معاكسة..

لكن رسول الله ﷺ رسول الرحمة، رسول العفو، رسول الإنسانية، رسول الإسلام.. أبى ذلك أشد الإباء.

بل بالعكس سجّل نقطة مشرّفة في تاريخ الإسلام والإنسانية، فأمر الصحابي المنادي بالقفول..

وأمر أمير المؤمنين علياً عليه السلام بحمل الراية وأن يدخل مكة برفق وهدوء وأن ينادي في أهل مكة بلين ولطف بعكس ذلك النداء.

ونادى علي عليه السلام في طرقات مكة: - وهو يكرر النداء :-

(اليوم يوم المرحمة

اليوم تصان الحرمة).

ثم جمع النبي ﷺ أهل مكة، فنادى فيهم: ما تقولون إني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم.

فقال ﷺ: أقول لكم كما قال أخي يوسف:

(لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمْ) (١).

ثم قال ﷺ:

«اذهبوا فأنتم الطلقاء».

ثم قال ﷺ:

«أيها الناس: من قال لا إله إلا الله فهو آمن..

ومن دخل الكعبة فهو آمن..

ومن أغلق بابه وكف يده فهو آمن..

(١) سورة يوسف: الآية ٩٢.

ومن ألقى سلاحه فهو آمن..
 ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن..
 ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن»^(١).
 شبكة النبا المعلوماتية - الاثنين ٣٠ آذار/ ٢٠٠٩ - ٢/ربيع الثاني /

١٤٣٠

(٩)

انتفاضة البحرين وواجب اهتمام المسلم بأخيه المسلم

الحياة الانسانية برمتها، قائمة على التعاون، وفق الضوابط التي طرحتها فطرة الانسان، وثبتتها الاديان السماوية، وأثبتت الوقائع، أن الجماعات المتعاونة، هي أنجح الجماعات البشرية، وأكثرها قدرة على خلق وإدامة حياة كريمة، تليق بالانسان، لهذا السبب أكد الاسلام على أهمية أن يهتم المسلم بقضايا أخيه المسلم، وأن يرفع مصالحه، ويسانده في حالات الضيق والمحن، التي قد يتعرض لها في حياته.

هذه المقدمة، تقودنا الى الحديث عما يجري في الدول العربية الاسلامية، من احتجاجات وانتفاضات شعبية، هدفها تغيير الواقع المزري الذي تعيشه هذه الشعوب، في ظل حكومات فردية، قمعية، مستبدة، قائمة على تفضيل المصالح الحكومية، التي تصب في حماية العروش والمناصب، بغض النظر عن الاضرار الفادحة، التي تلحق بالشعوب من تجويع، وحرمان، وتجهيل متعمد، ومصادرة للحريات، وما الى ذلك، من تجاوزات كثيرة دأبت

(١) راجع بحار الأنوار: ج ٢١ ص ١٠٤ ب ٢٦، ودار أبي سفيان كانت بأعلى مكة.

الحكومات المتسلطة على ارتكابها ضد شعوبها.

وحين بلغ السيل الزبى، حدث الزلزال الاحتجاجي الجماهيري الراهن، مبتدئا بتونس، ثم مصر، ثم ليبيا، وسوريا والسعودية، ليمتد الى معظم دول الشرق الاوسط.

هذه الكلمة تخص ما حدث ويحدث في البحرين، من مظاهر قمع، وقتل، واضطهاد كبير، تعرض له الشعب البحريني، أمام مرأى العالم، والمسلمين منهم، لا لشيء إلا لكونه شعب كبقية شعوب المنطقة، طالب بحقوقه المشروعة في العيش الكريم، والتحرر من القمع الحكومي، وما شابه من أعمال تتجاوز على الحرية الانسانية، التي كفلها الاسلام، والدساتير الوضعية.

يقول سماحة المرجع الديني، آية الله العظمى، السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله) في توجيهاته التي صدرت عن مكتبه في قم المقدسة، حول الانتفاضات الشعبية الأخيرة، ومنها الانتفاضة البحرينية: (إن ما يجري في البحرين من انتهاكات وقمع ضد شعب نبيل يطالب بحقوقه المشروعة والقانونية لهو انتهاك صارخ لأبسط الحقوق المتفق عليها عند كل عقلاء العالم وهذه الانتهاكات مرفوضة ومدانة في كل الأديان والأعراف الدولية والإنسانية).

هذا يعني أننا كمسلمين، ينبغي أن نتصدر العالم أجمع، في مد يد العون للاخوة في البحرين، أولا لأننا مسلمون، وتعاليم ديننا توجب علينا مثل هذه المساعدات السريعة، التي تحمي الشعب البحريني، من بطش الحكومة، والقوات السعودية والخليجية الاخرى، التي تدخلت في البحرين، لمضاعفة البطش الحكومي على الشعب المنتفض، وكأنهم بذلك يخالفون علنا،

الحديث النبوي الشريف، الذي يطلب من المسلمين، الاهتمام بإخوانهم المسلمين، وليس الاصطفاف ضدهم مع حكوماتهم القمعية، وقد جاء في هذا الحديث الشريف: «من لم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم». لاسيما أن الشعب البحريني، لم يخرج عن المطالبة بحقوقه المشروعة، إذ يقول سماحة المرجع الشيرازي في هذا الصدد:

(إن المظاهرات السلمية لتحقيق مطالب مشروعة حق لكل إنسان في كل زمان ومكان. وأعداء الشعوب يحاولون دوماً خنق الأصوات المطالبة بالحرية والحقوق).

لذا فإن استخدام العنف المفرط، الذي وصل الى حد القتل العشوائي، ضد الجماهير البحرينية المنتفضة، يعدّ خرقاً لتعاليم الاسلام، والقوانين الدولية الواردة في جميع الاتفاقات والمواثيق التي أصدرتها الامم المتحدة وغيرها، ومع ذلك تجاوزت الحكومة البحرينية حدودها بكثير، حينما استقدمت ما تسمى بقوات درع الجزيرة (بحجة المعاهدة الامنية المشتركة) لقمع المتظاهرين سلمياً في دوّار اللؤلؤة، وهو ما أثار سخطاً كبيراً لدى المتابعين لما يجري في البحرين، فقد قال سماحة المرجع الشيرازي بهذا الخصوص:

(إن ما يجري في البحرين من تجنيد مجاميع مسلحة بالعصي والأسلحة البيضاء من إرهابيين وتكفيريين وبلطجية مدعومة بأجهزة الشرطة والأمن واستعمال العنف بإطلاق الرصاص على الأبرياء العزل يستصرخ المجتمع الدولي ومؤسساته إلى التدخل لصالح الشعب).

ويضيف سماحته مذكراً المجتمع الدولي بمسؤولياته، مؤكداً على قطاع الاعلام، بأنه لا بد من: (الضغط بمختلف الوسائل الإعلامية والدبلوماسية لإيقاف هذه الجرائم، وإن وسائل الإعلام تتحمل مسؤولية كبيرة لأداء واجبها

تجاه شعب مظلوم ومغلوب على أمره).

ويبقى المسلمون هم الأكثر تحملا للمسؤولية، تجاه ما يحدث في البحرين من تجاوزات وخروقات حكومية خطيرة، ضد الشعب الاعزل، ولا بد من الوقوف الى جانب إخواننا، من باب مسؤولية المسلم تجاه أخيه المسلم، ومن باب التماثل بالإنسانية، التي تجمع بين الجميع بغض النظر عن جميع الانتماءات الاخرى، ولكن تبقى مسؤولية المسلم تنصدر المسؤوليات، لهذا يؤكد سماحة المرجع الشيرازي على ذلك قائلا: (إن على المسلمين وأبناء مدرسة أهل البيت عليهم السلام الوقوف إلى جانب المظلوم وتحمل المسؤولية الإنسانية المشروعة).

شبكة النبأ المعلوماتية - الخميس ٧/نيسان/٢٠١١ - ٣/جمادى

الاولى/١٤٣٢

الفهرس

مقدمة ٥

الباب الأول

بناء الذات.. المناهج والأساليب

- ١٣ الفصل الأول: خارطة طريق للتطوير الذاتي
- ١٣ التغيير الذاتي ومعايير النجاح
- ١٤ تربية الذات وكبح جموحها
- ١٥ إنتهاج الطرائق الانسانية للنجاح
- ١٦ ما يملكه الانسان أمانة في عنقه
- ١٧ ما هو السرّ في تحقيق الشخصية الناجحة؟
- ٢٠ تطور الإنسان سنّة من سنن الحياة
- ٢٤ مراجعة الذات وتهذيب النفس من العيوب
- ٢٧ فرص الإصلاح بجهود استثنائية
- ٢٧ أصحاب الحجر نموذجا
- ٢٨ الاصرار على الاصلاح
- ٢٩ صعوبة إقناع المعاندين
- ٣١ إصلاح الذات... خطوة أولى في القضاء على منظومة الفساد

- ٣٦..... النقد الذاتي أساس التعلم
- ٤٠..... رمزية الأخلاق والدور الرائد لبناء المجتمع
- ٤٠..... السلطة بين العلم والاخلاق
- ٤١..... الحاجة الى الرمز الاخلاقي
- ٤٢..... إلتزام الفضائل والعناية بها
- ٤٣..... مقارعة الذات
- ٤٣..... هل تصبح الاخلاق مَلَكة؟
- ٤٥..... الأخلاق الجوهرية تعني صناعة الانسان
- ٤٨..... العلم والأخلاق ركيزتان أساسيتان لتطور الإنسان
- ٥١..... طريق طلب العلم وتجاوز المعوقات
- ٥٥..... أهمية العلاج الديني في حياتنا المعاصرة
- ٥٩..... سعادة الإنسان والتوافق مع الذات
- ٦٣..... سعادة الانسان والعوامل المساعدة على تحقيقها
- ٦٦..... لا لتقمص الفضائل
- ٦٨..... القلب
- ٦٩..... امتلاك الحواس
- ٧٠..... وسائل التطهير
- ٧١..... أهمية الموازنة بين الواجبات والمحرمات
- ٧٤..... أهمية الكلام وقوة تأثيره في الآخرين
- ٧٧..... الحرص والكفاف ضمان لحياة ناجحة
- ٧٧..... الاقتداء بأهل العلم
- ٧٨..... حماية منهج الكفاف للانسان

٧٨	حرص الانسان على الدنيا
٨٠	الاكتفاء الذاتي للمسلمين
٨٣	الفصل الثاني: التهذيب الأخلاقي ومحاسبة الذات
٨٣	هوى النفس عدو الانسان الأول
٨٦	الدعاء والسعي الى مكارم الرحمة الإلهية
٨٩	محاسبة النفس أسهل الطرق لبنائها
٩٢	الرقابة الذاتية ودورها في تقويم النفس
٩٥	الاخلاق تقود العالم أجمع الى مرفأ الأمان
٩٨	الاخلاص في العمل ودوره في تطوير الفرد والمجتمع
١٠١	متى وكيف يكون الإنسان في نور الله تعالى
١٠١	سعي الانسان لحياة أفضل
١٠٢	تطوير الجانب الروحاني
١٠٤	الاستحضار الدائم لمعنى العبادة
١٠٥	الموازنة الدقيقة بين المادي والمعنوي
١٠٩	الفصل الثالث: بناء الذات بين الصمت والتفكر
١٠٩	التأمل والتفكير طريق الرقي والابداع
١٠٩	السكوت طريق الرقي
١١٠	الكلام قد يكون واجبا
١١١	المؤمن الصموت والاحمق المهذار
١١٣	السكوت طريق الرقي والتأمل طريق الصواب
١١٣	قيمة الوقت بين الصمت والكلام
١١٤	من فوائد الصمت والتأمل

١١٥	بين العاقل والأحمق.....
١١٦	حكمة الصمت ووجوب الكلام.....
١٢٠	كيف يكون السكوت طريق الرقي؟.....
١٢٠	المؤمن الصموت.....
١٢١	فكر وتأمل ثم تكلم.....
١٢٢	تجربة لوقتك وحياتك.....
١٢٣	الفضائل الخمس.....
١٢٧	الفصل الرابع: شهر رمضان.. فرص التغيير والبناء.....
١٢٧	فرصة التهذيب النفسي في شهر رمضان.....
١٣٠	شهر رمضان فرصة الاستقرار والتقدم.....
١٣٣	شهر رمضان المبارك وإمكانية بناء الذات.....
١٣٦	الإنسان وكرامة الله في شهر رمضان المبارك.....
١٣٩	رمضان والعمل على بناء النفس والمجتمع.....

الباب الثاني

منهجية التطوير الإجتماعي

١٤٧	الفصل الأول: آليات البناء.....
١٤٧	اولوية الارشاد لبناء الوعي.....
١٥٠	فن التعامل مع الناس.....
١٥٣	دور الأخلاق الرائد في بناء المجتمع.....
١٥٤	السلطة بين العلم والاخلاق.....
١٥٥	الحاجة الى الرمز الاخلاقي.....
١٥٥	إلتزام الفضائل والعناية بها.....

- ١٥٦.....مقارعة الذات.....
- ١٥٧.....هل تصبح الاخلاق مَلَكَة؟.....
- ١٥٨.....قول الحق والعمل به ركيزة لبناء وإصلاح المجتمع.....
- ١٦١.....دور النموذج في بناء المجتمع السعيد.....
- ١٦١.....التأسّي برسول الله.....
- ١٦٢.....ضرورة مطالعة تأريخ النبي.....
- ١٦٣.....التأسّي بالجانب الاخلاقي.....
- ١٦٥.....كيف يمكن أن نحقق السعادة.....
- ١٦٥.....العلم والأخلاق صنوان متلازمان يصنعان العقل السليم.....
- ١٦٦.....الاطلاع على أحكام الله.....
- ١٦٧.....ما هي أخلاق الاسلام.....
- ١٦٨.....العلم يحمي الانسان من الخطأ.....
- ١٦٨.....أهمية مواسم الدراسة والتعليم.....
- ١٧١.....الفصل الثاني: خطوات تربوية.....
- ١٧١.....الاصلاح والتغيير بين أساليب العنف ومزايا الحوار البناء.....
- ١٧٤.....مسؤولية الآباء في رعاية الابناء.....
- ١٨٠.....غواية المعاصرة وحماية الشباب من مخاطر الزلل.....
- ١٨٤.....تربية الاجيال الصاعدة على الحوار ونبذ الفتنة.....
- ١٨٤.....دور العلماء والمراجع العظام.....
- ١٨٥.....تغليب لغة الحوار.....
- ١٨٦.....أهمية البناء السليم للمرأة.....
- ١٨٧.....الشباب رجال الغد المتحضّر.....

١٨٨	أهمية الاسلوب التربوي في تدارك الانحراف قبل استفحاله
١٩٣	الفصل الثالث: المرأة.. الدور والوظيفة
١٩٣	تحرير المرأة بين جمال الشكل وخواء المحتوى
١٩٤	البون الكبير بين الشعار ومحتواه
١٩٥	تحرير المرأة المعاصرة
١٩٥	الرجل والمرأة يكمل أحدهما الآخر
١٩٦	أثر الفوارق البايولوجية
١٩٨	دور المرأة في البناء الأسري الرصين
٢٠٢	بين الحقائق والشكليات
٢٠٣	المرأة والشعارات الفارغة
٢٠٤	المرأة عنصر مكمل للرجل
٢٠٦	الرجل والمرأة تمايز وإختلاف يُسهم بتطوير الحياة
٢٠٩	دور المرأة في تطوير العائلة والمجتمع

الباب الثالث

الثقافة المعاصرة وبناء المجتمع الإسلامي

٢١٥	المسؤولية الكبرى في نشر جوهر الإسلام
٢١٥	الصراع بين الحرية والسلطة
٢١٦	المسؤولية المضاعفة
٢١٧	الارادة الانسانية في نشر الحق
٢١٨	مسؤولية العلماء أكبر
٢٢٠	الثقافة المعاصرة ركيزة المجتمع لمواكبة الحداثة
٢٢٣	الثقافة ودورها في بناء المجتمع المعاصر

- ٢٢٦..... الثقافة جوهر القوة.....
- ٢٢٩..... الثقافة والتقدم صنوان لا يفترقان لإزدهار الشعوب.....
- ٢٣٢..... مسؤولية المثقفين والعلماء تجاه الأجيال الصاعدة.....

الباب الرابع الفكر الحسيني أساس البناء والإصلاح

- ٢٣٧..... طريق الهدى يكمن في نشر الفكر الحسيني الخالد.....
- ٢٣٧..... إستثمار ذكرى استشهاد أبي الاحرار.....
- ٢٣٨..... رسالة الهدى والنجاح.....
- ٢٣٩..... خطر المخادعين المرئيين.....
- ٢٤٠..... الامتثال لأهل البيت دائما.....
- ٢٤١..... الشعائر الحسينية منهج لبناء الحياة المعاصرة.....
- ٢٤١..... الشعائر من تقوى القلوب.....
- ٢٤٢..... خطر اللامبالاة والكسل.....
- ٢٤٣..... حماية الشعائر ونشرها.....
- ٢٤٤..... فوائد الشعائر الحسينية.....
- ٢٤٥..... عاشوراء... وهج متجدد لمأثرة سيد الشهداء.....
- ٢٤٨..... مدرسة عاشوراء وحضورها الحي في ضمير الأمة.....
- ٢٥٠..... عاشوراء ملحمة عظيمة ومنار للأجيال.....
- ٢٥٣..... ذكرى عاشوراء وتجدد القيم الانسانية العظيمة.....
- ٢٥٦..... زيارة الأربعين ملحمة التضحية وولادة جديدة.....
- ٢٥٩..... دور الإمام الحسين في تثبيت الإسلام.....
- ٢٦٣..... الإسلام والتواصل مع متطلبات العصر.....

- ٢٦٦..... الشباب وتحقيق الأهداف الحسينية الخالدة
- ٢٦٩..... شبابنا وضرورة التفاعل مع المجالس الحسينية
- ٢٧٢..... عبرٌ دروسٌ من الملحمة الحسينية الخالدة
- ٢٧٦..... الإصلاح العام هو الهدف السامي للإمام الحسين ×
- ٢٧٧..... الحاجة الى عملية اصلاح شاملة
- ٢٧٨..... السعي المتواصل لتحقيق الهدف
- ٢٧٩..... أهمية توفير المناخات المطلوبة
- ٢٨٠..... أهمية مصادر التمويل وتنظيمها
- ٢٨١..... الأهمية القصوى لاستلهاهم دروس عاشوراء

الباب الخامس منهج الحرية وأفاق التحرر

- ٢٨٧..... جوهر الحرية في تعاليم الاسلام
- ٢٩٦..... الحرية من منظور إسلامي
- ٢٩٩..... الإسلام وجوهر الحرية المعاصرة
- ٣٠٢..... الحرية الفكرية والعملية في المنظور الاسلامي
- ٣٠٥..... الحرية ركيزة في ارتقاء المجتمع
- ٣٠٨..... نعمة الحرية وكيفية اغتنامها
- ٣١١..... الحرية في الإسلام وطغاة العصر الراهن!
- ٣١٢..... جرائم الطغاة
- ٣١٢..... لا إكراه في الدين
- ٣١٣..... أنت حر في الاسلام
- ٣١٤..... نموذج الحاكم الاسلامي

٣١٥	الحق وطغاة العصر
٣١٥	عالم اليوم... عالم الحرية والانفتاح والتنوع
٣١٨	نهاية عصر القمع وتنامي عصر التحرر
٣١٩	عالم الحرية والانفتاح
٣٢٠	معادلة القمع وضعف الحكومة
٣٢١	الاسلام وحرية الرأي
٣٢٢	إزاحة الطغاة... ديناميكية الحياة وعالم الحرية المرتقب
٣٢٥	انتفاضة الشعب البحريني وحرمة إراقة الدماء

الباب السادس مفاهيم سياسية

٣٣١	الفصل الأول: السلم.. قراءة إسلامية
٣٣١	الاسلام دين السلم والسلام
٣٣١	الاسلام يحارب الخوف
٣٣٢	يحرم على المسلم بدء القتال
٣٣٣	الإساءة للمقدس الاسلامي
٣٣٤	أسباب العنف ومظاهره
٣٣٥	السلم العالمي من منظور إسلامي
٣٣٨	السلم والأمن والوثام جوهر الإسلام
٣٤٣	الفصل الثاني: الإصلاح في البناء السياسي
٣٤٣	الحكومة الاستشارية ومنظومة التطبيقات المتطورة
٣٤٣	الإصلاح التدريجي للمجتمع
٣٤٤	سياسة الحكومة الاستشارية

- ٣٤٥ العدالة وتطبيق المساواة
- ٣٤٦ القضاء الكلي على الفقر
- ٣٤٧ الفوارق الشاسعة بين سياسة الإسلام وسياسة الشيطان
- ٣٥١ الروح الوطنية الاصلاحية مصدر الاحتجاجات الجماهيرية
- ٣٥٤ ضوابط وأسس العلاقات الخارجية في منظور الإسلام
- ٣٥٥ العلاقات مع الدول الاخرى
- ٣٥٧ ضوابط اسلامية سامية
- ٣٥٧ الاهداف النبيلة للسياسة الخارجية
- ٣٥٨ سياسة الدفاع عن النفس
- ٣٥٨ المسلمون هم الافضل
- ٣٦١ الفصل الثالث: التنمية والاقتصاد
- ٣٦١ الضمان الاجتماعي وتحقيق الاستقرار السياسي
- ٣٦٤ الاقتصاد الأمثل في المنظور الاسلامي
- ٣٦٤ الحاجة الى التطبيق السليم
- ٣٦٦ العلاقة بين السياسة والاقتصاد
- ٣٦٧ الاسلام والقضاء على الفقر
- ٣٦٨ المساواة.. ركن الاستقرار في المجتمعات
- ٣٦٩ القاسم بالسوية
- ٣٧٠ البداية بالنفس
- ٣٧١ تجاوزات حكام العصر الراهن
- ٣٧٢ الضمان الاجتماعي في الاسلام
- ٣٧٦ التأمين الاجتماعي

٣٨٠	النظام الزراعي وتطوره في المنظور الإسلامي
٣٨٠	أفضلية اللون الأخضر على سواه
٣٨٢	خسائر المسلمين في الميدان الزراعي
٣٨٣	الزراعة بين الأمس واليوم
٣٨٤	تنمية الزراعة وال عمران في النموذج الإسلامي
٣٨٨	السياسة الصحية من منظور إسلامي

الباب السابع القائد والحاكم في الإسلام

٣٩٥	الفصل الأول: الأنموذج والقدوة
٣٩٥	الإمام علي مدرسة الحاضر والمستقبل
٣٩٨	قادة اليوم وضرورة الاقتداء بالنموذج الأمثل
٣٩٨	(في ذكرى وفاة الرسول الأعظم)
٤٠١	هل يمكن للسياسي أن يكون قائدا ذا منهج إنساني
٤٠٥	القائد السياسي الإسلامي بين الأمس واليوم
٤٠٥	الاطلاع على التأريخ
٤٠٦	العفو وحرية الاختيار
٤٠٧	واجب مقاومة الطغاة
٤٠٩	القائد السياسي نموذج الشعب الأمثل
٤١٣	القيادة الى المدنية والتحضّر
٤١٣	اختلاف العقول والعواطف
٤١٤	القائد السياسي ونكران الذات
٤١٥	منظومة الفضائل والاخلاق

- ٤١٧ مزايا الحكم في التأريخ الاسلامي المشرق
- ٤١٧ القائد السياسي النموذج
- ٤١٨ الحرية خيار وحق مكفول
- ٤١٩ حق المعارضة العلنية
- ٤٢٠ السياسيون الناجحون إقتصاديون متميزون
- ٤٢٥ الفصل الثاني: أخلاقيات القائد
- ٤٢٥ السياسيون وضرورة العمل بمبدأ بسط العدل وضبط النفس
- ٤٢٨ القائد وإيثار الشعب على النفس... طريق الى الخلود
- ٤٣٢ المسئولون وكبح الأهواء
- ٤٣٦ القادة السياسيون وأولية تربية النفس
- ٤٤١ الفصل الثالث: القائد ورعاية الجماهير
- ٤٤١ مسؤوليات القادة والمصلحين في تربية أفراد المجتمع
- ٤٤٥ الحاكم ومبدأ التعامل... من الحاشية والمقربين
- ٤٤٥ أولوية الرغبات
- ٤٤٦ البداية بالنفس أولا
- ٤٤٧ القائد النموذج
- ٤٤٨ طريق الحياة الأمثل
- ٤٤٩ القيادة الناجحة تكمن في خدمة الشعب
- ٤٥٢ حكمة القائد السياسي وحماية الحريات العامة
- ٤٥٦ أهمية المسؤولية التربوية للقادة السياسيين
- ٤٦٠ القائد السياسي ومعاملة الناس بالحُسنَى
- ٤٦٣ تواضع الحاكم للشعب سبيله للنجاح الدائم

٤٦٧ حياة القائد مدرسة الاجيال

الباب الثامن

مسؤولية الحكم.. النظرية والتطبيق

٤٧٣ الفصل الأول: في السياسة العالمية

٤٧٣ هل يحتاج العالم المعاصر الى نظام سياسي جديد؟

٤٧٣ تحكيم الفطرة والعقل

٤٧٤ الحاجة الى قادة حكماء

٤٧٥ حرمة النفس

٤٧٦ نماذج دموية

٤٧٧ استهداف الأبرياء ومسؤولية المجتمع الدولي

٤٨٠ الأزمة الاقتصادية العالمية.. رؤى اسلامية

٤٨٥ الفصل الثاني: التجربة العراقية تحت المجهر

٤٨٥ المشهد السياسي المتوقع في العراق وشروط الاستقرار

٤٨٥ العراقيون يطمحون للاستقرار

٤٨٦ شرط الشرعية الأساسي

٤٨٧ مستقبل العراق وهدف الاستقرار

٤٨٨ نبذ العنف ورفضه

٤٨٩ محنة العراق الجديد ومسؤوليات المسلمين

٤٨٩ العراق وتاريخ الازمات

٤٩١ نهاية نظام القمع وسليباته

٤٩٢ خطر الجهل بالثقافة الاسلامية

٤٩٣ من هم اولى ببناء العراق

٤٩٤	الحكومة العراقية المقبلة ومهمة الحفاظ على حقوق الشعب
٤٩٧	الانتخابات النيابية والحفاظ على الحقوق
٥٠٠	المشاركة في الانتخابات والدفاع عن حق التصويت
٥٠٥	الفصل الثالث: المسؤولية في التطبيق الأمثل
٥٠٥	سياسة الاسلام تفضح همجية السياسات المعاصرة
٥٠٩	مسؤولية الحكومة في بناء المجتمع النموذجي
٥١٢	لماذا تفشل الحكومات في الدول الإسلامية بأداء مهامها؟
٥١٥	النظام الاقتصادي وأثره الكبير في الاستقرار والتطور
٥١٩	دور علماء الدين في مقارعة الديكتاتورية
٥٢٢	التباين بين سياسة الاسلام والسياسة العالمية المعاصرة
٥٢٦	الأمن مسؤولية مشتركة بين الحاكم والمحكوم
٥٢٩	الاسلام وسياسة العفو عند المقدرة
٥٣٦	انتفاضة البحرين وواجب اهتمام المسلم بأخيه المسلم
٥٤١	الفهرس